الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم

دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية

سعد رستم

قرؤوا فوصلوا

لنقرأ حتَّى نصل

الطَّبعة الأولى: شباط 2003م

الطَّبعة الثَّانية: آب 2005م

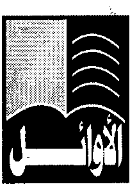

تصميم الغلاف: هلا خلوصي

الإشراف الفنِّي: يزن يعقوب

التَّدقيق والمُراجعة: إسماعيل الكردي

الكتاب: الفِرَق والمذاهب المسيحيَّة

مُنذُ ظُهُور الإسلام حتَّى اليوم

دراسة تاريخيَّة دينيَّة سياسيَّة اجتماعيَّة

تأليف: سعد رستم

النَّاشر: الأوائل للنَّشر والتَّوزيع

سُوريَّة . دمشق الإدارة: ص . ب 3397

هاتف: 00963112233013

فاكس: 00963112460063

البريد الإلكتروني: alawael@scs-net.org

التَّوزيع: دمشق ص . ب 1018

البريد الإلكتروني: alawael@daralawael.com

جوَّال: 0096393418181

0096393411550

موقع الدَّار على الإنترنت:

www.daralawael.com

الفِرَق والمذاهب المسيحيَّة

مُنذُ ظُهور الإسلام حتَّى اليوم

دراسة تاريخيَّة دينيَّة سياسيَّة اجتماعيَّة

سعد رسُتُم

ماجستير فلسفة في الدّراسات الإسلاميَّة

قرؤوا فوصلوا ، لنقرأ حتّى نصل

تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السّادة القُرّاء ، فقد خَصّصْنَا آخر (16) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدّار ؛ حيثُ يجد السّادة القُرّاء قائمة بمنشورات الدّار ، ولمحة إلى كُلّ كتاب أصدرتْهُ الدّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عامّاً عمّا تنشُرُهُ الدّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامّةً إلى الخطّ الذي تنتهجُه الدّار ، وهذا - بلا شَكٍّ - سيجعل التّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السّادة القُرّاء قراءة هذه الصّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بمُلاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها الدار .

الفهرس

الإهداء

إلى الآخر؛

أيِّ آخر،

من أجل أنْ تتَّسع لنا الحياة سويَّةً . . .

دار الأوائل

مُقَدِّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء وأشرف المُرسلين ؛ سيِّدنا مُحمَّد ، وعلى سائر أنبياء الله أجمعين ، وعلى مَنْ تبعهم وسار على نهجهم إلى قيام يوم الدِّين .

وبعد ؛

سَبَقَ وأنْ نَشَرَتْ دار الأوائل كتاباً قيِّماً للأُستاذ الفاضل نهاد خيَّاطة ، تحت عُنوان : "الفرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنذُ البدايات حتَّى ظُهُور الإسلام" . وقد أرادت الدّار أنْ تُكمل ذلك العمل بكتابٍ مُتمِّمٍ عن : "الفرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنذُ ظُهُور الإسلام حتَّى اليوم" ؛ ليكتمل ذلك الموضوع الهامُّ ، وتُقدِّم للقارئ العربي دراسة موضوعيَّة شاملة عن جميع الفرَق المسيحيَّة تُوَضِّح نشأتها وأسرار انقساماتها وتطوُّرها وأهدافها ومراميها ، من البدايات وحتَّى عصرنا الحاضر ، وهُو موضوع كُتبَ فيه القليل ، ومازال مكتبتنا العربيَّة في مساس الحاجة إلى مثله ، في عصر أصبح العالم فيه - بفضل وسائل الاتِّصالات المُتطوِّرة قُدُماً من إنترنت وفضائيَّات .. إلخ - أشبه بقرية صغيرة واحدة ، وازداد فيه الاحتكاك بين الشُّعُوب المُنتمين لثقافات مُختلفة ، ممَّا يُحتِّم على المُثقَّف العربي - الذي يُريد أنْ يفهم العالم من حوله - أنْ يقوم بمُطالعة أفكار الآخرين والوُقُوف على عقائدهم وتاريخهم ، ليفهم طريقة تفكيرهم ومراميهم ، فيكون تعامله معهم على بيِّنة .

من هُنا ؛ عهدت الدّار إليَّ بإعداد هذه الدّراسة ؛ كوني من المُتخصِّصين في مجال مُقارنة الأديان ؛ لا سيما المسيحيَّة واليهُوديَّة ، فإليكَ - أيُّها القارئ الكريم -

هذه الدّراسة ، التي سعيتُ أنْ أكون فيها موضوعياً أنقل وُجهات النَّظَر والمعلومات من مصادرها الأصليَّة ، ومن لسان أصحابها أنفسهم ، بعيداً عن المُساجلات والمُناقشات وإصدار الأحكام ، فليس الكتاب مُناظرة دينيَّة ، أو مُجادلة كلاميَّة أو لاهوتيَّة لبيان الحقِّ من الباطل ، وإنَّما هُو عرض تحليلي تاريخي ديني اجتماعي سياسي ، لجميع الفرَق المسيحيَّة ؛ بدءاً من تلك التي كانت موجودة إبَّان بُزُوغ فجر الإسلام ، وانتهاءً بتلك التي نشأت في قرننا الماضي ، بل في أيَّامنا التي نعيش فيها ، يبيِّن تاريخ نشأة كُلِّ فرقة ، والأسرار الكامنة وراء انقساماتها ، وترجمة مؤسِّسيها حين يكون لحياة المُؤسِّس دور في فَهْم عقائد ومنهج الفرقة ، كما هُو الشّأن في رجال حَرَكات الإصلاح مثلاً ، مع شَرْح ما يُميِّز كُلَّ فرقة من عقائد أو طُقُوس أو مبادئ وأهداف وطريقة تنظيم وإدارة ، مع الإشارة ـ ما أمكن ـ إلى التَّوزُّع الجَغرافي لأبناء كُلِّ فرقة ، والعدد المُقدَّر لأتباعها .

هذا ؛ وقد شهد القرنان الأخيران ظُهُور شيَع وفرَق مسيحيَّة جديدة كثيرة في الغرب ، لاسيما في العالم البرُوتستانتي الغربي ، وفي أمريكا على وجه الخُصُوص ، وكان لبعض هذه الشِّيع تأثير واضح على علاقات الغرب مع العالم العربي والإسلامي ، خاصَّة تلك الشِّيع التي اتَّجهت اتِّجاهاً صهيونياً داعماً بشكل مُطلق للكيان الإسرائيلي الغاصب ، وهُو ما عُرف باسم جماعة الصّهيونيَّة المسيحيَّة ، لذا ؛ أوليتُ هذا الموضوع أهمِّيَّة خاصَّة ، وأعطيتُهُ حيِّزاً جيِّداً من الدّراسة والتّحليل ؛ مُستفيداً ـ بشكل رئيسي ـ ممَّا كَتَبَهُ المسيحيُّون أنفسهم في نَقْد هذا الاتِّجاه ، وفَضْح مراميه ، وكَشْف خُطُورته وانحرافه عن تعاليم المسيح .

وقد جاء الكتاب في ستَّة فُصُول ؛ فيما يلي عناوينها :

الفصل الأوَّل : الفرَق المسيحيَّة الموجودة عند ظُهُور الإسلام .

الفصل الثّاني : الانشقاق المسيحي الكبير إلى الكنيستَيْن : اليُونانيَّة الشّرقيَّة الأرثُوذكسيَّة ، والرُّومانيَّة الغربيَّة الكَاثُوليكيَّة .

الفصل الثّالث : الرّهبانيّات والحَرَكات التّبشيريّة الكاثُوليكيّة وتعاظم دورها .

الفصل الرّابع : حَرَكَة الإصلاح الدِّيني ونشأة الكنائس البرُوتستانتيَّة .

الفصل الخامس : الفرَق والشِّيَع المسيحيَّة الغربيَّة الحديثة .

الفصل السّادس : الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة .

هذا ؛ وقد اعتمدتُ ـ في هذه الدّراسة ـ على المُؤلَّفات المسيحيَّة بشكل رئيسي ، ورجعتُ ـ في حديثي عن كُلِّ طائفة وفرقة وشيعة ـ إلى كُتُبها وأقوال عُلمائها ، ما أمكنني ذلك ، واستفدتُ ـ في هذا المجال ـ من بعض مواقع الفرَق والمذاهب المسيحيَّة الجديدة والقديمة على شبكة الإنترنت ؛ إذْ إنَّ أكثر الفرَق المسيحيَّة الهامَّة أنشأت لأنفسها مواقع رئيسيَّة على شبكة الإنترنت ؛ لتكون منبراً للتّعريف بأفكارها ، وطرح مبادئها وتعاليمها . كما استفدتُ ـ لحدٍّ كبير ـ من دائرة المعارف البريطانيَّة الكبيرة ، ودائرة معارف إنكارتا الأمريكيَّة لعام 2001 و 2002 ، بالإضافة لبعض الموسُوعات ودوائر المعارف العربيَّة لاسيما الموسُوعة العربيَّة العالميَّة والموسُوعة الفلسفيَّة العربيَّة ، هذا ؛ بالإضافة إلى بعض النَّشْرات والكُتُب التي أتاحت لي "المكتبة الرُّوحيَّة الكَاثُوليكيَّة " في حلب الاطِّلاع عليها ، وأشكر في هذا المقام حضرة الأب الدُّكتُور بيير مصري الذي منحني ـ أكثر من مرَّة ـ ساعات من وقته الكريم ؛ ليُجيب عن بعض استفساراتي حول بعض التّفاصيل المُتعلِّقة بعقائد وطُقُوس الفرَق المسيحيَّة واختلافاتها فيما بينها في هذا الشّأن .

وخُلاصة الكلام أنَّني سعيتُ جاهداً أنْ أذكر المعلومات والتّحليلات بشكل دقيق وموضوعي ، من مصادرها المسيحيَّة الأصليَّة ، آملاً أنْ أكون قد وفَّيتُ الموضوعَ حقَّه ، والله وليُّ التّوفيق ، وهُو من وراء القصد .

سعد رستم

الفصل الأوَّل:

الفرَق المسيحيَّة التي كانت موجودة عند ظهُور الإسلام

ـ المذاهب الرّئيسيَّة: الآريُوسيَّة والنّساطرة واليعاقبة والملكانيَّة:

بزغ فجر الإسلام والمسيحيُّون مُختلفون فيما بينهم، ومُتفرِّقون إلى كنائس عديدة مُنقسمة إمَّا على أساس عرْقي، أو على أساس مذهبي، والذي يهمُّنا ـ هُنا ـ هُو الانقسامات المذهبيَّة؛ حيثُ يُمكن إجمال المذاهب المسيحيَّة المُختلفة، المُنتشرة في العالم المسيحي إبَّان طُلُوع فجر الإسلام؛ أيْ في مطلع القرن السّابع الميلادي، في أربعة اتِّجاهات أو مذاهب رئيسيَّة هي: المذهب الآريُوسي (أو الأرياني)، والمذهب النّسطوري، والمذهب اليعقوبي، والمذهب الملكاني.

وفيما يلي شرح مُوجز لقصَّة نشأة هذه المذاهب وموضوع اختلافها:

كان أساس ومحور الاختلاف الذي فرَّق المسيحيِّين فرَقاً مُتنازعةً هُو اختلافهم حول تفسير طبيعة السَّيِّد المسيح عليه السّلام: هل هُو بشر مخلوق كسائر المخلوقات؟ أم هُو الله المُتجسِّد الذي تأنَّس فظهر بصُورة عيسى؟

صحيح أنَّ المسيحيِّين الأوائل اختلفوا ـ فيما بينهم ـ في مسائل عديدة، لكنَّ أيّاً منها لم يكن له أهمِّيَّة اختلافهم بشأن طبيعة المسيح (إله أم بشر)، وصلة الجانب البشري فيه مع الجانب الإلهي (عند مَنْ قال بإلهيَّته)؛ لأنَّ هذا الاختلاف كان أساس نشأة الفرَق المسيحيَّة القديمة المُتعادية والمُتخاصمة.

ويرى المُتتبِّع للأفكار المسيحيَّة في القرُون الثّلاثة الأُولى، التّالية لصعُود المسيح عليه السّلام، أنَّ التَّيَّار الذي غلب وساد تدريجياً حتَّى صار كأنَّه هُو الأصل، كان تيَّار القائلين بأنَّ

عيسى بن مريم كان ابن الله حقيقةً، على معنى تأليهي لهذه البُنُوَّة؛ أيْ أنَّه إله حقيقي من جنس وجوهر أبيه الله، وأنَّه تجسَّد وتأنَّس ظاهراً في صُورة عيسى الذي وُلد بنفخ الرُّوح القُدُس من مريم العذراء عليها السّلام. ولقد مالت الأكثريَّة إلى هذا التَّصوُّر عن شخص المسيح؛ بسبب الانبهار بمُعجزاته الخارقة؛ لاسيما إحياء الموتى، وشفاء الأكمه والأبرص. . إلخ، بالإضافة لحياته الفائقة الرّحمة بينهم، وكلماته الرَّبَّانيَّة عظيمة التّأثير فيهم، فصاروا يشعرون كأنَّ الله نفسه كان حاضراً بينهم، ويعمل بتأثيره فيهم، وقد ساعدت الثّقافة اليُونانيَّة الهيلينيستيَّة السّائدة في منطقة الشّرق الأدنى في ذلك الحين، والتي كانت تُؤمن ـ أصلاً ـ بتجسد الآلهة، وأنَّ لبعض الآلهة أبناء يتجسَّدون ويظهرون على الأرض بشكل عُظماء وفاتحين ومُخلِّصين[1]، ساعدت على انتشار وغلبة هذا التَّصوُّر المُغالي بشأن شخص عيسى بن مريم؛ مُعتبرين إيَّاه: الله الذي حَضَرَ بنفسه بينهم.

وقد ساد هذا الاعتقاد تدريجيَّاً، في الفترة الأُولى، بشكله البسيط، دُون أنْ يُخاض فيه، في مباحث وتعمُّقات مثل أنَّه: هل الله الابن مُساوٍ لله الأب في الدّرجة والجوهر؟ أم الأب أعظم منه؟ وأنَّه كيف امتزجت الأُلُوهيَّة بالبشريَّة في الابن الإله المُتجسِّد؟ ونحو ذلك من المباحث والتَّعمُّقات التي كان لابُدَّ لها أنْ تنطرح أمام الفكْر فيما بعد. ومن الجهة الأُخرى كان هُناك تيَّار توحيدي، لاسيما بين المسيحيِّيْن من أصل يهُودي، كان ينفي قدَم المسيح وإلهيَّته، ويُؤكِّد مخلوقيَّته وحُدُوثه، ويُؤمن بتفرُّد الله الآب تعالى وحده بالإلهيَّة، وينظر إلى المسيح كنظرته إلى أنبياء الله العُظماء أمثال إبراهيم ومُوسى وداود، ولم يكن هذا التَّيَّار بقُوَّة الأوَّل، لكنَّه استمرَّ تيَّاراً موجوداً له أنصاره وأتباعه، وتذكر المراجع التّاريخيَّة النّصرانيَّة، التي تتحدَّث عن تاريخ الكَنيسة المُبكِّر، أسماءَ عدَّة فرَق في القُرُون المسيحيَّة الثّلاثة الأُولى كانت تُنكر التّثليث وإلهيَّة المسيح مثل: الإبيونيِّيْن **Ebionites** (فرقة من المسيحيِّيْن الأوائل من أصل يهُودي ظلّوا مُتمسِّكين بشريعة التّوراة)، والمُوناركيانيِّيْن **Dynamic Monarchians** (أتباع الأسقف بُولُس الشّمشاطي)، والغنوصيِّيْن **Gnostics**،

---

(1) انظر تفصيل ذلك في ترجمتنا لكتاب "المسيحيَّة وأساطير التَّجسُّد في الشّرق الأدنى القديم اليُونان ـ سُورية ـ مصر"، دانييل إ. باسوك، دار الأوائل، ط1، 2002.

والباسيليديِّيْن Basilidians ، والكاربوقراطيِّيْن ansita Carpocr ، (والأخيران من فُرُوع الغنوصيِّيْن) ، والآريُوسيِّيْن أو الآريانيِّيْن (أتباع الأسقف آريُوس الإسكندري)[1] .

ومن أشهر الأساقفة أو البطاركة المسيحيِّيْن الكبار القُدماء ـ كما تذكره مصادر تاريخ المسيحيَّة ـ الذين ثبتوا على التّوحيد ونفي التّثليث نافين أُلُوهيَّة المسيح أو بُنُوَّته الحقيقيَّة للَّه (بمعنى الانبثاق من الله والمُساواة في الجوهر له) : ديودوروس Diodore أسقف طرسوس ، وبُولُس الشّمشاطي sataomaSPaul of أسقف وبطريرك أنطاكية ، الذي كان يشرح بُنُوَّة المسيح لله على معنى مجازي يرى بأنَّ الله اتَّخذ يسُوع الإنسان المخلوق كابنٍ له ؛ أيْ تبنَّاه ، لا أنَّ المسيح مولود أو مُنبثق من الله ، فالبُنُوَّة ـ على قوله ـ بُنُوَّة مجازيَّة لا تفيد أكثر من شدَّة القُرب والاتِّصال والحظوة والمكانة للمسيح لدى الله تعالى . ومنهم الأسقف لوسيان الأنطاكي أُستاذ آريُوس (تُوفِّي 312 م) والأسقف اللِّيبي الأصل الشّهير : آريُوس Arius أسقف كَنيسة بوكاليس في الإسكندريَّة (250 ـ 336 م) والذي نالت آراؤه شُهرة وانتشاراً كبيرَيْن ، وصار له أتباع كثيرون ، وبقيت آراؤه حيَّة بين الكثيرين لعدَّة قُرُون ، ثُمَّ آلت للانقراض ، ثُمَّ أعيد إحياؤها أثناء حَرَكَة الإصلاح الدِّيني في القرن السّادس عشر ، والأسقف يوزيبيوس النّيقوميدي comediaiNus of ibesuE (تُوفِّي 342 م) أسقف بيرُوت ، ثُمَّ نُقل لنيقوميديا قُرب القسطنطينيَّة عاصمة الإمبراطُوريَّة الشّرقيَّة ، وكان من أتباع لوسيان الأنطاكي ، ومن أصدقاء آريُوس[2] .

ـ الآريانيَّة أوالمذهب الآريُوسي (نسبة لأسقف الإسكندريَّة آريُوس):

درس آريُوس في مدرسة لُوسيان اللاَّهوتيَّة في أنطاكية ؛ حيثُ كان يدرس عديد من اللاَّهوتيِّين الذين يحملون نفس عقيدة آريُوس أيضاً . وبعد أنْ تمَّ ترسيمه قسِّيساً في الإسكندريَّة عام 319 م ، اختلف آريُوس مع أسقف الإسكندريَّة حول إلهيَّة المسيح . وأظهر عقيدته التي مُؤدَّاها نَفْي إلهيَّة المسيح ، واعتباره مخلوقاً . وقد نُفي آريُوس عام 325 إلى

---

(1) كتاب "The Early Church" أيْ الكَنيسة الباكرة ، تأليف : Henry Chadwick ، طبعة جديدة ، نَشْر Penguin Books,1990 (لندن/ إنجلترا) ، ص 84 ـ 90 و 133 ـ 136 .

(2) المصدر السّابق .

إلليريا airylll ، بسبب عقيدته تلك، إلاَّ أنَّ عقيدته كان لها أنصار ومُؤيِّدون يُشاطرونه فيها الرَّأي، فاستمرّوا على الإعلان بذلك، ممَّا آثار معارك من الجَدَل في جسد كُلِّ الكَنيسة، وهزَّها لمُدَّة أكثر من نصف قرن. وعلى الرَّغم من أنَّ عقيدة آريُوس تمَّ تحريمها على مُستوى الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة من قبَل الإمبراطُور ثيودوسيوس الأوَّل عام 379، إلاَّ أنَّها استمرَّت في البقاء لقرنَيْن تاليَيْن بين قبائل البرابرة في أُورُوبا التي كانت قد اهتدت إلى المسيحيَّة عبر أساقفة آريُوسيِّيْن.

كان آريُوس يعلم أنَّ الله لا يُمكن أنْ يُولَد؛ لأنَّه بلا بداية. وبناءً على ذلك، فبما أنَّ الابن؛ أيْ الشَّخص الثَّاني من الثَّالوث، مولودٌ، فلا يُمكن أنْ يكون إلهاً بنفس مُستوى أو معنى أُلُوهيَّة الآب. وبالتَّالي؛ فإنَّ الابن لم يتولَّد من نفس الجوهر الأُلُوهي للآب، ولم يُوجد مُنذُ الأزل، بل خلقه الله من لا شيء، كما خلق سائر المخلوقات، فالابن موجود بإرادة الآب ومشيئته. وبكلمة أُخرى؛ فإنَّ علاقة الابن بالآب ليست علاقة انبثاق جوهري أو ولادة حقيقيَّة، بل هي علاقة خالق بمخلوق، والبُنُوَّة بين الآب والابن هي بُنُوَّة بالتَّبَنِّي. وقد كان آريُوس يسعى - عبر هذا التَّعليم - إلى الحفاظ على التَّفرُّد والعُلُوِّ الإلهيَّيْن المُطلقَيْن، والذي رآهما مُهدَّدَيْن بالأفكار اللاَّهوتيَّة التي كانت تُطرح في عصره كالأفكار المُوناركيانيَّة Monarchianism[1].

أدَّى اللّغط وتصارع الآراء الذي أثاره تعليم آريُوس إلى عقد أوَّل مجمع مسكوني في نيقية علم 325 م، والذي حَضَرَه 318 أسقفاً، ذَهَبَ أكثريَّتهم إلى النَّصِّ على العقيدة التي اشتهرت باسم العقيدة النِّيقاويَّة، وصارت دُستُور الإيمان المسيحي الأرثُوذوكسي، ونصُّها هُو التَّالي:

"يسُوع المسيح (هُو) ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كُلِّ الدُّهُور، نُور من نُور، *إله حقٌّ من إله حقٍّ، مولود غير مخلوق، مُساوٍ للآب في الجوهر*، الذي به كان كُلُّ شيء، الذي من أجلنا نحنُ البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السّماء، وتجسَّد من الرُّوح القُدُس، ومن مريم العذراء، وتأنَّس وصُلب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي، وتألَّم، وقُبر، وقام في اليوم الثَّالث"[2].

(1) المصدر السَّابق، وموسُوعة إنكارتا الأمريكيَّة: مادَّة الآريانيَّة Aryanism ، ومادَّة آريُوس Arius.

(2) كتاب سوسنة سُلَيْمَان في أُصُول العقائد والأديان، لمُؤلِّفه النَّصراني: نوفل أفندي نوفل، طبع المطبعة الأمريكيَّة في بيرُوت عام 1922، ص 137.

وأهمُّ ما في هذه العقيدة أنَّها أكَّدت أنَّ ابن الله لم يُخلَق ، بل وُلد toBegotten n adeM ؛ وبالتَّالي ؛ فهُو من نفس جوهر الآب ؛ أيْ مُساوٍ له في الأُلُوهيَّة ، فالابن جُزء من الثّالوث ، وليس جُزءاً من المخلوقات . وكانت هذه أوَّل عقيدة يتمُّ فرضها على جميع الكنائس ، ولم تكن هُناك عقيدة شُمُوليَّة قبلها ، وأُرْفِقَ تثبيت هذه العقيدة بتحريم تعليم آريُوس ، واعتباره هرطقة .

لكنْ ؛ على الرّغم من إدانة تعليم آريُوس إلاَّ أنَّ تعليمه لم يمت . فقد تابعه الكثيرون الذين كانوا يعتقدون بقوله ، وَرَفَضُوا قرار مجمع نيقية ، بل إنَّ الإمبراطُور قسطنطين الأوَّل وتحت تأثير المُؤرِّخ الكَنَسي الإغريقي يوسيبيوس القَيْصَراني Eusebius of Caesarea قام باستدعاء آريُوس من منفاه عام 334 ، وسمح له بالعودة لوطنه . وسُرعان ما بَرَزَتْ شخصيَّتان مُهمَّتان تُؤيِّدان آراء آريُوس : الأُولى هي الإمبراطُور قسطنطينوس الثّاني Constantinus II خليفة قسطنطين الأوَّل ، والشّخصيَّة الثّانية هي الأسقف واللاَّهوتي يوزيبيوس النّيقوميدي Eusebius of Nicomedia والذي أصبح ـ فيما بعد ـ بطريرك القسطنطينيَّة ، وصار أحد قادة العقيدة الآريُوسيَّة .

بحُلُول عام 359 م ؛ كانت الآريُوسيَّة (أو الآريانيَّة Arianism) قد سادت في رُبُوع الإمبراطُوريَّة ، وأصبحت تُمثِّل العقيدة الرّسميَّة لها ، إلاَّ أنَّ الآريانيِّيْن سُرعان ما اختلفوا فيما بينهم ، وانقسموا إلى حزبَيْن : الأوَّل أطلق عليهم أنصاف الآريانيِّيْن The Semi – Arians كانوا أساقفة شرقيِّيْن مُحافظين ، قبلوا بالعقيدة النّيقاويَّة ، لكنَّهم تحفَّظوا على عبارة "هوموأوسيوس" homoousios والتي تعني "من نفس الجوهر" ، أو "من نفس الطّبيعة" المُستخدمة بحقِّ المسيح بشأن مُساواته مع الله في الجوهر والطّبيعة ؛ لأنَّهم كانوا يرونها مُخالفة لنُصُوص الإنجيل ؛ مثل قول المسيح : « أَمْضي إِلَى الآب ؛ لأَنَّ أَبي أَعْظَمُ مِنِّي » ، يُوحنَّا 14/ 28 ، ونحوه من النُّصُوص ، والحزب الثّاني هُم الآريانيُّون الجُدُد الذين لم يتردَّدوا في التّأكيد على مخلوقيَّة الابن ، وأنَّه من طبيعة مُختلفة مع الآب تماماً . وهؤلاء الأخيرون كانوا ـ أيضاً ـ من القائلين بأنَّ الرُّوح القُدُس هُو مخلوق كذلك مثله مثل الابن ، وأنَّ الأوَّليَّة والأزليَّة ؛ أيْ الإلهيَّة خاصَّة بالآب الواحد الأحد ؛ أيْ كانوا نُفاةً للتّثليث .

على أثر وفاة الإمبراطُور قسطنطينوس الثّاني عام 361 م، وحُكْم "فالينس" **Valens**، الذي قام باضطهاد الآريانيِّين، تمهَّد الطّريق لانتصار العقيدة النّيقاويَّة، التي أعاد الإمبراطُور ثيودوسيوس عام 379، تأكيدها في المجمع المسكوني الثّاني (مجمع القسطنطينيَّة الأوَّل) المُنعقد عام 381 م.

ومع ذلك؛ فإنَّ الأسقف القوطي "يولفيلاس" **Ulfilas** كان قد نَشَرَ الإيمان المسيحي التّوحيدي طبقاً للعقيدة الآريانيَّة بين شعبه، الذين أصرُّوا على المُحافظة على هذه العقيدة كمُميِّز لهُويَّتهم القوميَّة. ولقد أبدى الملك ثيودوريك، ملك الأُستروقوطيِّين **Ostrogoths** ومُؤسِّس المملكة الأُستروقوطيَّة في إيطاليا، تسامحاً كبيراً تجاه رعاياه من أتباع العقيدة الأرثُوذكسيَّة، في حين قام الملك فنداس **Vandals** الآريُوسي باضطهاد أتباع العقيدة النّيقاويَّة اضطهاداً قاسياً بعد أنْ سيطر على الأقاليم الرُّومانيَّة في أفريقيا. ولم يتمّ تحوُّل جميع الشُّعُوب الجرمانيَّة إلى العقيدة النّيقاويَّة إلاَّ في أواخر القرن الميلادي السّادس[1].

المذهب النّسطوري:

بعد المجمعَيْن المسكونيَّيْن الأوَّليَّيْن مجمع نيقية الذي حَكَمَ بإلهيَّة الابن ومُساواته التَّامَّة للآب ومجمع القسطنطينيَّة الذي حَكَمَ بإلهيَّة رُوح القُدُس ومُساواته للآب أيضاً، بقي الخلاف في طبيعة المسيح، وكيفيَّة اتِّحاد اللاَّهوت - المزعوم فيه مع النّاسوت - يتفاعل، إلى أنْ خطب أحد القُسُوس في القسطنطينيَّة، ويُقال له: "أَنسْتَهَاسْيُوس" خُطبةً أنكر فيها تلقيب العذراء المُباركة بوالدة الإله، وقال: إنَّما هي أُمُّ المسيح، وليست أُمَّ الله، فتابعه على ذلك بطريرك أنطاكية نسطوريوس، وتابعه في الأمر الأسقف بيلاجيوس، وكثير من نصارى المشرق، فانعقد لهذا السّبب المجمع الثّالث في مدينة أفسس سنة 431 م، بأمر الإمبراطُور ثيودوسيوس الثّاني، ورئاسة "كيرللس" بطريرك الإسكندريَّة، وكان أعضاؤه نحو 200 أسقفاً، وكان انعقاده لأجل دحض تعليم نسطوريوس وبيلاجيوس، وتمَّ ذلك تحت رئاسة كيرللس بطريرك الإسكندريَّة قبل وُصُول الأساقفة الشّرقيِّين الذين - عند وُصُولهم - اجتمعوا

---

(1) موسُوعة إنكارتا الأمريكيَّة، مادَّة الآريانيَّة **Aryanism**.

تحت رئاسة يُوحنَّا الأنطاكي، وعزلوا كيرللس الإسكندري، فارتفعت الدّعوى إلى الإمبراطُور الذي ختم مع رأي الأكثرين ضدَّ نسطوريوس، أمَّا هذا المجمع؛ فَحَكَمَ بوُجُود اتِّحاد جوهري بين الطّبيعتَيْن في المسيح، وبأنَّ الإله والإنسان في المسيح هُما واحد، وبأنَّ مريم والدة الله، فرفض البطريرك نسطوريوس ذلك المجمع، وبقي على عقيدته التي اتَّبعه عليها الكثيرون في المشرق، وعُرف مذهبهم باسمه؛ أيْ "النّسطوريُّون"، أو النّساطرة، وهُو مذهب يُؤكِّد على التّمايز والفصل بين الطّبيعة الإلهيَّة للمسيح والطّبيعة البشريَّة، فالمسيح ليس طبيعتَيْن فحسب، بل أُقنُومَيْن؛ أي شخصيَّتَيْن مُتمايزتَيْن أيضاً، وهُما شخصيَّة عيسى المسيح الذي كان بشراً، وهذا البشر هُو وحده الذي وُلد من مريم العذراء، وبالتَّالي؛ فمريم هي والدة يسُوع، وليست والدة الله، وكذلك هذا البشر هُو الذي - حسب اعتقادهم - تألَّم، وصُلب، ومات على الصّليب، وليس الله، لأنَّ الله حيٌّ لا يموت[1].

المذهب اليعقوبي (اللاَّخلقيدوني) والمذهب الملكاني (الخلقيدوني):

بعد دحض الكَنيسة الرُّومانيَّة لتعليم آريُوس، ثُمَّ تعليم نسطوريوس، ظهر "أفتيخيوس" في القرن الخامس الميلادي أيضاً، وأراد أنْ يقي ذاته من آراء النّساطرة المذكورين، وكان رئيس ديْرٍ، فأخذ يُعلِّم بأنَّ المسيح حين تجسَّد لم يكن له إلاَّ ذات واحدة وطبيعة واحدة، وأيَّد ذلك "ثيودوسيوس الثّاني" إمبراطُور القسطنطينيَّة بمجمع عقده في أفسس سنة **449** م، تحت رياسة "ديسقوروس" بطريرك الإسكندريَّة، وكان أعضاؤه **135** أسقفاً، حكموا بأنَّ المسيح ذا طبيعة واحدة، مُثبتين بذلك قول الرّاهب "أفتيخيوس"، ومن هُنا؛ تسمَّى القائلون بهذا المذهب؛ أيْ مُقلِّدو "ديسقوروس" بطريرك الإسكندريَّة، بالمُونُوفيزيَّة، يعني القائلون بوحدة الطّبيعة في المسيح، وبعد نهاية هذا المجمع الأفسسي ثار أوباش الرُّهبان على فلافيانوس بطريرك القسطنطينيَّة، وضربوه، حتَّى مات!.

لكنْ؛ بعد ذلك بسنتَيْن، انعقد مجمع آخر في خلقيدونيَّة عام **451** م، بأمر الإمبراطُور مرسيانوس، وكان أعضاؤه **520** أسقفاً، كُلُّهم من أساقفة المشرق، ما عدا اثنَيْن كانا من

---

(1) المصدران السّابقان.

أساقفة أفريقية، وأربعة من المغرب من طرف ليون، وكان انعقاده ضدَّ الرّاهب "أفتيخيوس" وبطريرك الإسكندريَّة "ديسقوروس"؛ حيثُ أبطل تعليمهما بوحدة طبيعة المسيح، واعتبر المجمع الأفسسي الأخير مجمَعَاً باطلاً، وسمَّاه مجمع اللُّصُوص، وفصل بطريرك الإسكندريَّة "ديسقوروس" المذكور عن البطريركيَّة، وعلَّم بأنَّ للمسيح ذاتاً واحدة، ولكنْ؛ **بطبيعتَيْن اثنتَيْن: طبيعة لاهوتيَّة، وطبيعة ناسوتيَّة.**

شكَّلت قرارات هذا المجمع الرّابع الخلقيدوني، لاسيما قرار عَزْل بطريرك الإسكندريَّة "ديسقوروس"، الذي كانت له مكانة عظيمة لدى الأقباط المسيحيِّيْن، الأرضيَّة التي أدَّت إلى حُدُوث أحد أهمِّ الانشقاقات في جسد المسيحيَّة؛ حيثُ رفض الأقباط قرارات مجمع خلقيدونيَّة، وأصرّوا على بطركيَّة "ديسقوروس"، وعلى عقيدتهم المُونُوفيزيَّة (أيْ القائلة بوحدة طبيعة المسيح)، فانعقد مجمع خامس تال في القسطنطينيَّة، سنة 553 م، سُمِّي بالمجمع القسطنطيني الثّاني، بأمر الإمبراطُور "يوستيانوس" ضدَّ "أوريجانوس"، وضدَّ مُعلِّمي الطّبيعة الواحدة، فلم يعد أمام الأقباط وسائر القائلين بالطّبيعة الواحدة من مسيحيِّي المشرق من حلٍّ سوى إعلان الانفصال عن الكَنيسة العامَّة، وبهذا؛ نشأت الكَنيسة الأرثُوذوكسيَّة القبطيَّة، التي مركز كُرسي بطركيَّتها "الإسكندريَّة"، وتبعتها الكَنيسة الحبشيَّة والأريتريَّة، كما انفصلت كذلك الكَنيسة الغريغُوريَّة الأرمنيَّة؛ لأنَّها كانت تُؤمن بالطّبيعة الواحدة أيضاً، كما ظَهَرَ في شمال سُوريَّة الأسقف "يعقوب البرادعي" أسقف أورفا، فشرح العقيدة المُونُوفيزيَّة بصُورة جديدة غَيْرَ صُورتها الأُولى، وأخذ يجمع فُرُوع هذا المذهب، إلى أنْ مات في سنة 578 م، فتبعه كثير من مسيحيِّيْ الشّام، وصار مذهبهم يُعْرَف باسم **المذهب اليعقوبي** الذي كان مذهب الكَنيسة الأرثُوذوكسيَّة السّريانيَّة (أيْ السُّوريَّة) التي كان كُرسي بطركيَّتها في "أنطاكية".

أمَّا بقيَّة المسيحيِّيْن الذين أخذوا بقرارات المجمع الخلقيدوني حول المسيح ذي الطّبيعتَيْن الإلهيَّة والبشريَّة؛ فسُمُّوا **بالملكانيِّيْن**؛ نظراً لأنَّهم أخذوا برأي ملك (أيْ إمبراطُور) الرُّوم البيزنطي الذي ناصر فكْرة الطّبيعتَيْن كما مرَّ[1].

---

(1) المصدران السّابقان، وكتاب مُحاضرات في النّصرانيَّة للشّيخ مُحمَّد أبو زهرة.

وهكذا؛ علاوة على انفصال الآريُوسيِّيْن السّابق، انقسم بقيَّة المسيحيِّيْن إلى ثلاثة مذاهب هي:

(1) **النّساطرة**: وكانوا أقلِّيَّة قليلة العدد في سُوريَّة الطّبيعيَّة وتُركيا وشمال العراق، وسُمُّوا كذلك **بالآشوريِّيْن**، ومن العراق انتشروا نحو فارس والهند؛ حيثُ لا تزال تُوجد منهم أقلِّيَّة في شمال غرب إيران تُدعى بالآشوريِّيْن، وأقلِّيَّة بالهند، وهُم يعتبرون خلافهم مع الكَنيسة الأرثُوذوكسيَّة (الخلقيدونيَّة) خلافاً لفظيَّاً، وقد نَجَحَتْ البعثات التّبشيريَّة الكَاثُوليكيَّة باستمالة العديد منهم إلى المذهب الكَاثُوليكي.

(2) **اليعاقبة**: القائلون بالطّبيعة الواحدة للمسيح، وهُو مذهب السّريان الأرثُوذوكس في بلاد الشّام، ونحوه مذهب الكَنيسة القبطيَّة في مصر التي مركزها الإسكندريَّة، وتتبعها كَنيسة الحبشة وأريتريا، كما هُو مذهب أكثر الأرمن. وهذان هُما من الذين لم يعترفوا بقرارات مجمع خلقيدونيَّة عام **451** م.

قُلتُ: وفي هؤلاء جاء في القرآن الكريم قوله تعالى﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة / 17. وقوله سُبحانه كذلك: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ المائدة / 72.

(3) **الملكانيُّون**: وهُم نصارى مصر وسُوريَّة الذين خضعوا لمقرَّرات **مجمع خلقيدونيَّة**، الذي حرَّم المُونُوفيزيَّة عام **451** م، مُؤكِّداً على أنَّ للمسيح طبيعتَيْن إلهيَّة وبشريَّة. وقد دعاهم المُونُوفيزيُّون بهذا الاسم على سبيل السُّخرية، لأنَّهم انحازوا في موقفهم هذا إلى الإمبراطُور البيزنطي الذي أعلن قبوله تلك المُقرَّرات. وفي العام **1724**، انضوى فريق من الملكيِّين تحت لواء الكَثْلَكَة، في حين صَدَفَ فريق منهم عن ذلك، فعُرفوا بالرُّوم الأرثُوذكس.

والواقع أنَّ هذه الفرَق المسيحيَّة الثّلاثة اتَّفقت على أنَّ المسيح بشرٌ وإلـهٌ بنَفْس الوقـت! وإنَّمـا اختلفـت مـع بعضـها في مـدى تأكيدهـا وإبرازهـا لأحـد الجـانبَيْن الإلـهي أو البشـري في المسـيح؛ أيْ اختلفـت في الأولويَّـات، وليس في أصـل المسـألة، فاليعاقبـة يُؤكِّـدون الجـانب الإلـهي أكثر، وعلى عكسهم النّساطرة الذين يُبرزون أكـثر الجـانب البشـري، في حـين يطـرح الجُمهُور الأعظم رُؤية مُتوازية ومُتعادلة للجانبَيْن الإلــهي والبشـري، دُون ترجيـح أو أولويَّـة لأيٍّ منهما على الآخر.

هذا؛ ولَمَّا كانت الدّولة الرُّوميَّة البيزنطيَّة تحتلُّ بلاد سُوريَّة الطّبيعيَّـة ومصـر، فقـد قـاموا بمُحاولات قويَّة، وباستخدام التّرهيب والـتّرغيب لتحويـل النّسـاطرة واليعاقبـة إلـى مذهبـهم الملكاني أو الخلقيدوني، فلم يكونوا يُعيِّنون في المناصب الكَنَسيَّة إلاَّ مَنْ تحـوَّل إلـى مذهبـهم، وكانوا يُقرِّبون مَنْ صار ملكانيَّاً، ويُبعـدون مَـنْ يرفـض ذلـك مـن أصحـاب المذاهـب المحلِّيَّـة، ولعلَّ ذلك كان من البيزنطيِّيْن بدافع امتزجت فيه السِّياسة مع الدّافع الدِّيني، ذلك لأنَّ تحـوُّل نصـارى المشـرق للمذهـب الـذي يديـن بـه إمـبراطُور بيزنطـة كـان وسـيلة لضمـان ولائـهم لـه وخُضُوعهم وطاعتهم له، أكثر مِمَّا لو بقوا على مذاهبهم المُخالفـة لمذهـب الإمـبراطُور. ومـن هُنـا؛ فقـد كـان مسـيحيُّو بـلاد المشـرق مُتـبرِّمين بـالحُكْم البـيزنطي، ومُتـأذِّين مـن التّمـيـز والاضطهاد المذهبي الذي تُعاملهم به الدّولة الرُّوميَّة المُحتلَّة، مِمَّا جَعَلَ كثـيراً منـهم يتسـاهلون ويتوانون عن الدّفاع عن تلك الإمبراطُوريَّة البيزنطيَّة أمام الفتح العربي الإسـلامي، أمـلاً بـأنْ يرفع عنهم العرب المُسلمون الاضطهاد المذهبي؛ إذْ طالما أنَّهم غير نصـارى، فلـن يتدخَّلـوا في خُصُوصيَّاتهم المذهبيَّة. وكان هذا أحد العوامل الهامَّة التي ساعدت في سُرعة فتح بلاد الشّـام والعراق ومصر من قبَل العرب المُسلمين.

القول بالمشيئة الواحدة للمسيح والكَنيسة المارونيَّة:

المارونيُّون طائفة مسيحيَّة كَاثُوليكيَّة شرقيَّة، تُرْجع هي جُذُور تأسيسها إلى أوائل القـرن الخامس للميلاد إلى ناسكٍ سُوري ظهر في وادي نـهر العـاصي هُـو مـار مـارون (أيْ القدِّيـس مارون) المُتوفَّى حوالي العـام 410 م، كمـا أنَّـها تنتسـب كذلـك إلـى القدِّيـس "يُوحنَّـا مـارون"

بطريرك أنطاكية في الفترة ما بين 685 ـ 707م، والذي تمكَّن المسيحيُّون المحلِّيُّون تحت قيادته من هزيمة جُيُوش الإمبراطُور البيزنطي "جوستينيان الثّاني" الغازية، سنة 684 م، ممَّا أعطى للمارونيِّين ـ حينذاك ـ استقلاليَّة عن الدّولة البيزنطيَّة.

على الرّغم من أنَّ المارونيِّين اليوم يُؤكِّدون أنَّهم كَنيسة كَاثُوليكيَّة مُتَّحدة مع الكُرسي البابوي في رُوما وتابعة له، إلاَّ أنَّ هُناك شواهد تُؤكِّد أنَّهم كانوا ـ لقُرُون عدَّة ـ مُونُوثيليتيِّين؛ أيْ قائلون بالمشيئة الواحدة للسَّيِّد المسيح؛ بمعنى أنَّه كان للسَّيِّد المسيح مشيئة إلـهيَّة فقط، ولم تكن له مشيئة بشريَّة. وهذه العقيدة كانت الكَنيسة التّقليديَّة قد اعتبرتها عقيدة هرطقيَّة عقدت لأجلها المجمع المسكوني السّادس؛ أيْ مجمع قسطنطينيَّة الثّالث سنة 680م، بأمر الإمبراطُور يُوغاناقُوس، الذي دعا لعقده لُمناقشة دعوى بطريرك القسطنطينيَّة "سيرجيوس"، الذي أكَّد بأنَّ المسيح، وإنْ كان له طبيعتان إلهيَّة وبشريَّة، إلاَّ أنَّ له مشيئة واحدة فقط هي المشيئة الإلـهيَّة فحسب. وكان القدِّيس "يُوحنَّا مارون" يتَّفق مع هذه العقيدة. وقد خرج ذلك المجمع، والذي بلغ عدد الُمجتمعين له 289 أسقفاً، بقرارَيْن هامَّيْن:

1 ـ إنَّ المسيح له طبيعتان، وله مشيئتان كذلك.

2 ـ لَعْن وطَرْد كُلّ مَنْ يقول بالطّبيعة الواحدة، أو يقول بالمشيئة الواحدة.

وبحسب ما يذكره الأسقف ويليام من أهل صُور، سعى البطريرك الماروني إلى الاتِّحاد مع البطريرك اللاَّتيني لأنطاكية عام 1182م، إلاَّ أنَّ الاتِّحاد التَّامَّ بين الكَنيسة المارونيَّة الشّرقيَّة واللاَّتينيَّة الغربيَّة لم يتحقَّق بالفعل إلاَّ في القرن السّادس عشر الميلادي، وذلك بفضل المساعي الحثيثة للرّاهب اليسُوعي "جُورج إيليانو"، وهكذا، وفي عام 1584م، أسَّس البابا غريغوري الثّالث عشر، الكُلِّيَّة المارونيَّة في رُوما، والتي بقيت مُزدهرة تحت الإدارة اليسُوعيَّة إلى القرن العشرين، وأصبحت مركز تدريب هاماًّ للأساقفة والزُّعماء الدِّينيِّين.

يُوجد الموارنة اليوم في لُبنان؛ حيثُ يُؤلِّفون كُبرى طوائفه المسيحيَّة؛ كما يُوجد أقلِّيَّات قليلة منهم في سُوريَّة وقُبرص، وقد هاجر كثير منهم إلى عدد من الُمغتربات الأميركيَّة؛ حيثُ يبلغ عددهم في الولايات الُمتَّحدة وحدها ما يربو على 150.000، كما يُوجدون في المكسيك

وكَنَدَا وغيرها من مناطق القارَّة الأمريكيَّة. أمَّا رئيسهم الرُّوحي؛ فهُو بطريرك يُعرف باسم "بطريرك أنطاكية وسائر المشرق"، وكُرسيه في (بكركي) بلُبنان، وهُم يتلون طُقُوسهم بالسّريانيَّة والعربيَّة، وفي طُقُوسهم - أيضاً - تأثُّرٌ بالطُّقُوس اللاَّتينيَّة[1].

الخلاف بشأن تقديس الأيقونات والتّماثيل والصُّور:

مُنذُ القُرُون الأُولى للمسيحيَّة كان هُناك خلاف بين المسيحيِّين حول تقديس التّماثيل والصُّور، أو ما يعرف بالأيقونات، وجواز احترامها والتماس البركة منها، وهل يدخل ذلك تحت نوع من أنواع الوَثَنيَّة أم لا؟ وقد احتدم هذا الخلاف في القرن الثّامن الميلادي - ربَّما تحت تأثير الأفكار الإسلاميَّة التّوحيديَّة المُجاورة المُشدِّدة على التّوحيد ورفض عبادة التّماثيل والصُّور، كما يرى بعض المُؤرِّخين - وَوَصَلَ الخلاف إلى أوجه في عام 754م، حين تَمَّ عَقْدُ مجمعٍ بأمر الإمبراطُور قسطنطين الخامس ليُقرِّر تحريم اتِّخاذ الصُّور والتّماثيل في العبادة، وتحريم طلب الشّفاعة من مريم العذراء. فأوقعت هذه القرارات معركة من الآراء بين مُخالف ومُوافق، ممَّا أدَّى إلى عقد المجمع المسكوني السّابع في نيقية عام 787م، الذي كان مجمع نيقية الثّاني، وذلك بأمر الملكة إيريني، وذلك للنَّظَر في قرارات مجمع الملك قسطنطين الخامس الذي انعقد في عام 754م.، وكان عدد المُجتمعين لهذا المجمع 377 أسقفاً، وخرج بقراراتٍ نَقَضَ فيها قرارات المجمع الذي سبقه، وأكَّد على:

1 - تقديس الأيقونات؛ أيْ صُور المسيح والقدِّيسين.

2 - وضعها في الكنائس، والأبنية المُقدَّسة، والبُيُوت، والطُّرُقات، لأنَّ النَّظَر إلى ربِّنا يسُوع المسيح - على حَدِّ قولهم - ووالدته، والقدِّيسين يُشعرنا بالميل إلى التّفكير فيهم[2].

---

(1) الموسُوعة البريطانيَّة: مادَّة المارونيُّون **Maronites**، ومادَّة الكَنيسة المارونيَّة **Maronite Church**، وكتاب "أضواء على المسيحيَّة"، أحمد يُوسُف شلبي، ص **111**.

(2) كتاب: "أضواء على المسيحيَّة"، أحمد يُوسُف شلبي، ص **111 - 112**.

الفصل الثّاني:

الانشقاق المسيحي الكبير إلى الكنيستَيْن اليُونانيَّة الشّرقيَّة الأرثُوذكسيَّة والرُّومانيَّة الغربيَّة الكَاثُوليكيَّة

- جذُور الانفصال وخلفيَّته التّاريخيَّة والأسباب التي هيَّأت له[1]:

كانت الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة في دور ما قبل المسيح عليه السّلام وفي زمن المسيحيَّة مُقسَّمة - تماماً - إلى قسمَيْن شرقي وغربي. وكان سبب هذا الانقسام اختلاف قبائل سُكَّان كُلٍّ من الشّطرَيْن، ففي الشّطر الشّرقي كان غالبيَّة السُّكَّان من اليُونان، وفي الشّطر الغربي لاتين، وكان لكُلِّ قسمٍ طبيعةٌ خاصَّةٌ ومُيُولُ حياةٍ وفعاليَّةٌ خاصَّةٌ.

يُمثِّل الإمبراطُور الرُّوماني "قسطنطين الأوَّل" نُقطة تحوُّل هامَّة في تاريخ الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة، وفي تاريخ المسيحيَّة على حدٍّ سواء، فقد كان أوَّل إمبراطُور رُوماني يعتنق المسيحيَّة؛ وباعتناقه للمسيحيَّة انتهى عهد الشُّهداء والاضطهاد للرّعايا المسيحيِّيْن؛ حيثُ أصدر في عام 313 م، إعلان براءة ميلانو **Edict of Milan** الذي منح فيه حُرِّيَّة العبادة لجميع الأقلِّيَّات الدِّينيَّة في الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة، ومن جملتهم المسيحيُّون، وبعد أنْ انفرد "قسطنطين الأوَّل" بحُكْم الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة بشقَّيْها، قرَّر - في عام 324 م - نقل عاصمتها من رُوما في إيطاليا إلى ضفاف البُوسفُور. وفي موقع مدينة يُونانيَّة قديمة كان اسمها "بيزنطة" شيَّد "قسطنطين الأوَّل"

---

(1) المرجع الأساسي في كُلِّ هذا الفصل هُو كتاب" تاريخ الكَنيسة المسيحيَّة": المُعرَّب عن اللُّغة الرُّوسيَّة، والذي نقله من اللُّغة الرُّوسيَّة إلى العربيَّة مطران حمص وتوابعها: ألكسندروس، 1964، ثُمَّ الموسُوعات: البريطانيَّة، والأمريكيَّة، والموسُوعة العربيَّة (السُّوريَّة).

عاصمته الجديدة التي أَطلقَ عليها اسم "القسطنطينيَّة" نسبةً لاسمه، والتي دُشِّنت رسمياً عام 330 م، لتكون عاصمة الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة بشقَّيْها الشّرقي والغربي.

نشأت القسطنطينيَّة مدينة مسيحيَّة الطّابع، تقاطر إليها المسيحيُّون من كُلِّ صوب. وكان نقل العاصمة إليها من رُوما، إيذاناً بتحوُّل الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة الوَثَنيَّة إلى إمبراطُوريَّة مسيحيَّة، ونُقطة تحوُّل مُهمَّة في تاريخ الكَنيسة. فقد أصبحت الكَنيسة تُعايش الإمبراطُوريَّة وكأنَّهما كيان واحد من دُون أنْ تذوب الواحدة في الأُخرى. ورأت الكَنيسة في القَيْصَر الابن الرُّوحي الأعلى لها، فأعطتْهُ امتيازاتٍ في داخلها؛ تسليماً بأنَّه يسوس الإمبراطُوريَّة باسم السَّيِّد المسيح. واقتضى ذلك أنْ تقبل الدّولة الإنجيل، وتتَّخذه دُستُوراً، وأنْ يُنفِّذَ القَيْصَرُ قرارات مجامع الكَنيسة.

ومُنذُ عهد "قسطنطين الأوَّل" (القرن الرّابع الميلادي)، سادت بيزنطة نظريَّة تفترض وُجُود مُجتمع مسيحي عالمي واحد تقوده الكَنيسة والإمبراطُوريَّة معاً. فكانت سُلطة بطريرك القسطنطينيَّة مُستمدَّة ـ اسمياً ـ من واقع كونه أسقف "رُوما الجديدة"، وكان يحمل لقب "البطريرك المسكوني" الذي يُشير إلى شأنه السِّياسي في الإمبراطُوريَّة، إلاَّ أنَّه ـ من النّاحية الوظيفيَّة ـ كان يحتلُّ المرتبة الثّانية، بعد أسقف رُوما، في السّلسلة الهَرَميَّة لكبار الأساقفة الخمسة، التي تضمُّ ـ كذلك ـ بطاركة كُلٍّ من الإسكندريَّة وأنطاكية والقُدس. بيد أنَّ سُلطة الثّلاثة الأخيرين تقلَّصت بعد الفتح العربي الإسلامي في القرن السّابع، ولم يبقَ من مُنافس لكَنيسة القسطنطينيَّة سوى الكنائس السّلافيَّة التي نشأت فيما بعد، والتي كانت تُحاول ـ من حينٍ لآخر ـ الاعتراض على مكانة القسطنطينيَّة مركزاً وحيداً للعالم المسيحي الشّرقي.

وكانت الكَنيسة المسيحيَّة التي انتشرت في كُلِّ الإمبراطُوريَّة تتميَّز ـ مُنذُ البدايات ـ إلى جناحَيْن: جناح شرقي وآخر غربي، وذلك بسبب اختلاف السُّكَّان واختلاف أخلاق الشُّعُوب وآدابها ومُيُولها وآرائها وما أشبه. ومُنذُ أزمنة المسيحيَّة الأُولى؛ كُنَّا نرى في الكنائس الشّرقيَّة والغربيَّة بعض الخصائص التي تُميِّز الواحدة عن الأُخرى، وكان أبرز هذه الخصائص ظُهُوراً: اختلاف الثّقافة الكَنَسيَّة.

فالكنائس الشّرقيَّة سمحت باشتراك العقل في قضيَّة الإيمان. فأوضحتْ وفسَّرتْ أُسُسَ تعليم الإيمان المسيحي بالطّريقة العلميَّة. وعلى العكس من ذلك؛ رفضت الكَنيسة الغربيَّة اشتراك العقل في قضية الإيمان، وابتعدت - غالب الأحيان - عن الدّرس العلمي في عقائد الإيمان، وبالإجمال؛ لم تهتمّ بالمسائل اللاَّهوتيَّة النّظريَّة، ولكنَّها وجَّهت انتباهاً عظيماً إلى جهة المسيحيَّة الخارجيَّة؛ أيْ إلى الطُّقُوس والنّظام والإدارة وعلاقة الكَنيسة بالمملكة وبالجماعة، وما أشبه.

ظهرت في الكنائس الشّرقيَّة - عند حلِّ المُعضلات اللاَّهوتيَّة - آراء لاهوتيَّة وعقائديَّة مُتعدِّدة ومُختلفة، كانت الكَنيسة الرّسميَّة تُسمِّيها هرطقات، في حين أنَّه في الغرب لم تظهر تقريباً - في بدايات تاريخ الكَنيسة - هرطقات؛ لأنَّهم لم يهتمّوا - في الغرب - بالمسائل اللاَّهوتيَّة. وحيثُ أنَّه لم تكن هُناك مُحاولات لفَهْم المسيحيَّة عقليّاً، لذا؛ ظهرت هُناك انقسامات فقط. الرّئاسة الشّرقيَّة اجتهدت في دحض كُلِّ ما اعتبرتْهُ هرطقات، ووضع تعليم إيمان أرثُوذكسي على مبادئ ثابتة، في حين اجتهدت الرّئاسة الغربيَّة - بكُلِّ الوسائل المُمكنة - لأجل المُحافظة على التّرتيبات الكَنَسيَّة، وأنْ تضع نفسها في حالة غير مُتعلِّقة بالسُّلطة العلمانيَّة، وأنْ تُقوِّي تأثيرها على الجماعة وعلى المملكة، وبالاختصار؛ كان في الكَنيسة الشّرقيَّة مصالحها ورغباتها، وفي الكَنيسة الغربيَّة مثلها. وهذا الاختلاف في مصالح ومقاصد كنيستَيْ القسمَيْن الشّرقي والغربي من الإمبراطُوريَّة قَسَّمَهُمَا فيما بينهما، لكنْ؛ ليس لدرجة تُحسبان معها غريبتَيْن الواحدة عن الأُخرى، فوحدة الإيمان والأسرار وكُلّ التّرتيب الكَنَسي ربطتْهُمَا مع بعضهما زمناً طويلاً في وحدة تامَّة. ولم يكن من المُمكن أنْ يحصل انقطاع لكُلِّ اتِّصال بين الكنيستَيْن الشّرقيَّة والغربيَّة، إلاَّ إذا قامت إحداهما بهَدْم وحدة الإيمان والأسرار والتّرتيب الكَنَسي. ولسُوء حظِّ كُلِّ العالم المسيحي، قد هدمت الكَنيسة الغربيَّة هذه الوحدة، ممَّا أدَّى إلى وُقُوع الانفصال عن الكَنيسة الشّرقيَّة. ذلك أنَّ الكَنيسة الغربيَّة - وعلى مدى عدَّة قُرُون - أخذت تُدخل - بالتّدريج - أُمُوراً جديدةً، وزيادات اعتبرتها الكَنيسة الشّرقيَّة تحريفاً في الحقل العقيدي والطّقْسي والقانوني. ومن أهمِّ تلك الإضافات كان التّغيير الذي بدأته الكَنيسة الغربيَّة، مُنذُ القرن السّادس حتَّى الحادي عشر، حين بثَّت في كُلِّ الكنائس الغربيَّة التّعليم عن

انبثاق الرُّوح القُدُس من الآب والابن معاً، مع أنَّ دُستُور الإيمان الذي نصَّت عليه المجامع القديمة كان يقتصر على انبثاق رُوح القُدُس من الآب فقط. ومثل هذا التّحريف في العقائد المسيحيَّة الأساسيَّة كانت المسكونيَّة الشّرقيَّة ومعها الغربيَّة تعتبره هرطوقيّاً، وكانت تُفرز المُتمسّكين بأمثاله من جمعيَّتها، ثُمَّ إنَّ الكَنيسة الغربيَّة انفردت بكثير من الأُمُور الطَّقْسيَّة، كالصّوم في السّبت، وإتمام الأفخاريستيا (أيْ العشاء السِّرِّي) على الفطيرة[1]، وإتمام سرّ مسحة زيت الميرون[2] بواسطة الأساقفة فقط، وعدم زواج الإكليروس (أيْ الأساقفة ورجال الدِّين)، وما أشبه. وأخيراً؛ في الحقل القانوني أدخلت الكَنيسة الغربيَّة أُمُوراً جديدة اعتبرتها الكَنيسة الشّرقيَّة بدعةً غريبةً: فقد جَعَلَت البابا رأساً وحاكماً أعلى لكُلِّ الكَنيسة المسكونيَّة، ورأت الكنائس الشّرقيَّة أنَّ هذا التّعليم عن رئاسة البابا ـ الذي جَعَلَه أعلى من المجامع المسكونيَّة ـ يخفض كُلَّ التّرتيبات الكَنَسيَّة التي وضعها الرُّسُل والآباء، ورأت أنَّ تطبيق ذلك المبدأ ـ عمليّاً ـ أمر خطير للغاية؛ إذْ يُمكن أنْ يقود، وقد قاد ـ في نظرهم ـ الكَنيسة الغربيَّة إلى تحريف كُلِّ تعليم الإيمان وكُلِّ المسيحيَّة؛ لأنَّ شخصاً واحداً يُمكنه دائماً أنْ يضلَّ، وبحسب سُلطته المُطلقة، غير حاسبٍ حساباً لأحدٍ، يُمكنه أنْ يُدخل تعليماً جديداً وطُقُوساً جديدة وترتيباً كَنَسيّاً جديداً، وعلى هذه الصُّورة يُمكنه أنْ يُعطي الكَنيسة ليس ذاك الشّكل الذي أعطاها إيَّاه مُؤسِّسها السَّيِّد يسُوع المسيح والرُّسُل. فهذه الإضافات أو التّغييرات التي استَبدَّت بها الكَنيسة الغربيَّة ـ والتي اعتبرتها الكَنيسة الشّرقيَّة ضلالات وانحرافات عن الأنظمة الكَنَسيَّة العامَّة ـ بالإضافة إلى الاختلاف الموجود من القديم في طبيعة واتِّجاه الحياة والفعاليَّة بين الكَنيسة الشّرقيَّة والغربيَّة هيَّأت للانفصال الكبير والتّاريخي بين الكنيستَيْن.

---

(1) أي خُبز الفطير (أيْ الذي لم يُعالج بخميرة)، وليس على الخُبز العادي كما هُو العمل لدى الكَنيسة الشّرقيَّة.

(2) زيت الميرون هُو زيت زيتون ممزوج بعدد من العُطُور، ولفظة ميرون تعود إلى اليُونانيَّة، وتعني العطر السّائل والزّيت المُطيَّب. وقد استُعمل الزّيت مُنذُ العهد القديم لمسح المُلُوك؛ مثل شاول وسُلَيْمَان والكَهَنَة وعُظماء الكَهَنَة، ومازال يُستعمل اليوم حين يُرسم الإنسان كاهناً أو أسقفاً، ويُستعمل ـ أيضاً ـ في مُمارسة سرِّ العماد وسرِّ التّثبيت، وفي مسح المرضى؛ لمنحهم شفاء النّفس، وإذا شاء الله شفاء الجسد. ويُكرِّس الأسقف الزّيتَ يوم الأربعاء في أُسبُوع الآلام، وليلة خميس الفصح الذي أسَّس الرَّبُّ فيه سرَّ القُربان المُقدَّس، واختيار يوم الأربعاء يرتبط بما فعلتْهُ مريم، أُخت لعازر، حين دهنتْ رأسَ يسُوع بالطِّيب، فامتلأ البيت. (نقلاً عن موسُوعة الأديان المُيسَّرة: مادَّة زيت الميرون، حرَّرها: الخُوري جان بُول أبو غزالة؛ كاهن في أبرشيَّة بيرُوت المارونيَّة).

- بدء الانفصال:

توفَّرت أسباب الانقسام - للأسباب التي سَبَقَ ذكْرها - قُبيل نصف القرن التّاسع الميلادي، وكانت تنتظر سبباً مُباشراً - فقط - لكي يبدأ الانقسام الفعلي. وسُرعان ما توفَّر هذا السّبب. ففي سنة 842 م، وبسبب صغر سنِّ الإمبراطُور الرُّوماني (البيزنطي) ميخائيل الثّالث، تولَّى إدارة المملكة البيزنطيَّة، والدته "ثيوذورة"، المعروفة بإعادة احترام الأيقونات، وعمّه القَيْصَر فاردا.

وكان فاردا مُحبّاً للمجد، يسعى إلى الاستقلال بالحُكْم، فعزم على تنحية ثيوذورة عن أعمال الإدارة، فاستخدم تأثيره على الإمبراطُور الحَدَث الذي ربَّاه، واستطاع إقناعه ليحبس "ثيوذورة" في الدَّيْر. فقام ضدَّ ذلك الأمر البطريركُ المُعاصرُ "أغْنَاطِيُوس" الذي كان قد رُفِّعَ إلى العرش البطريركي سنة 847 م، بإدارة "ثيوذورة"، وذلك لأجل تقواه وغَيْرته على الأرثُوذكيسة في زمن اضطراب حرب الأيقونات. وكان "فاردا" اختلف مع البطريرك أغْنَاطِيُوس؛ لأنَّ البطريرك وبَّخه على سُوء آدابه، فصار - الآن - عدوَّه اللّدود. ولَمَّا بلغ "فاردا" أربه بحَبْس ثيوذوره في الدَّيْر؛ تمكَّن من إنزال البطريرك أغْنَاطِيُوس ونَفْيه (سنة 857 م) ونصَّبَ مكانه "فُوتِيُوس" ذا المُؤهِّلات التَّامَّة للمقام البطريركي. ولكنَّ إنزال أغْنَاطِيُوس وتنصيب "فُوتِيُوس" أغضب الكثيرين الذين كانوا يُحبُّون أغْنَاطِيُوس لأجل تقواه وحياته التَّقشُّفيَّة. وأصبح مُحبُّو أغْنَاطِيُوس ينظرون إلى "فُوتِيُوس" نظرة عدائيَّة، خاصَّة أنَّه حتَّى فترة قريبة من ارتقائه عرش البطريركيَّة كان علمانيّاً (أيْ غير إكليركي)، وقبل خمسة أيَّام فقط من ترقيته إلى البطريركيَّة مرَّ بكُلِّ الدّرجات الكَنَسيَّة!. فابتدأ "فاردا" باستخدام الوسائل القاسية لإجبار أغْنَاطِيُوس على الاستقالة من السُّدَّة البطريركيَّة، والاعتراف بفُوتِيُوس بطريركاً شرعيّاً. فلم يُوافق أغْنَاطِيُوس، ممَّا أسخط بالأكثر حزب أغْنَاطِيُوس الذين ازداد عددهم أكثر فأكثر، حتَّى أنَّ البطريركيَّة القسطنطينيَّة انقسمت إلى قسمَيْن: قسم اعترف بأغْنَاطِيُوس بطريركاً شرعيّاً، والقسم الآخر اعترف بفُوتِيُوس، وقد بلغت العداوة بين الحزبَيْن شدَّتها حتَّى صارا يتراشقان باللَّعَنَات. ولأجل إنهاء هذه القلاقل الكَنَسيَّة، قرَّر الإمبراطُور البيزنطي صغير السِّنِّ "ميخائيل الثّالث" أنْ ينصح "فاردا" أنْ يدعو مجمعاً كبيراً، ويدعو إليه البابا نيقولا

الأوَّل. فتعيَّن المجمع في القسطنطينيَّة في سنة 861 م، وأُرسلت إلى البابا رسائل دعوة من الإمبراطُور ومن البطريرك، وإنْ كان الإمبراطُورُ أخفى في تحاريره إلى البابا الغايةَ الحقيقيَّةَ من المجمع، لكنَّ البابا نيقولا الأوَّل عرف أنَّ سببه الاختلاف على الرّئاسة في القسطنطينيَّة، وبما أنَّ البابا كان يسعى لتحقيق فكْرة القوانين الإيسيدوريَّة التي تنصُّ على سُلطة بابا رُوما العامَّة على كُلِّ الكنائس المسيحيَّة في العالم، لذلك أسرع البابا إلى الاستفادة من هذه المُناسبة لكي يجعل نفسه حاكماً على الكَنيسة الشّرقيَّة. فوجَّه إلى المجمع في القسطنطينيَّة قاصدَيْن رسوليَّيْن ومعهما تحارير للإمبراطُور "ميخائيل الثّالث" ولـ "فُوتيْوس". وكَتَبَ البابا معهما إلى الإمبراطُور بكبرياء فيما كَتَبَ؛ مُتَّهماً إيَّاه أنَّه عَمل ضدَّ القوانين الكَنَسيَّة مُقصياً بطريركاً ومُقيماً سواه بدُون معرفة البابا، كما خطَّأ "فُوتيْوس" لقبوله وظيفة بطريرك بطريقةٍ غير شرعيَّةٍ؛ لأنَّ القوانين الكَنَسيَّة تمنع رَفْع العلمانيِّيْن فجأة في كُلِّ درجات الكَنيسة.

وأضاف إلى ذلك بأنَّه لا يعترف به بطريركاً إلى أنْ يَدرُسَ قُصَّادُهُ كُلَّ القضية. وفي سنة 861 م، عُقد المجمع - فعلاً - في القسطنطينيَّة بحُضُور القُصَّاد البابويِّيْن. وهُنا؛ عمل الآباء الشّرقيُّون، خلافاً لما توقَّعه البابا، مُتحرِّرين من تأثيره، فاعتُبر "أغْناطْيُوس" معزولاً و"فُوتيْوس" بطريرك القسطنطينيَّة الشّرعي. وأُرسلت قرارات هذا المجمع إلى البابا مع قُصَّاده للعلم بها. وأضاف "فُوتيْوس" إلى هذا جوابه على كتاب البابا مُفسِّراً له بوقار أنَّه إنَّما قبل الوظيفة البطريركيَّة ليس حُبّاً للعظمة التي لم يطلبها، بل إنَّهم أجبروه ليصير بطريركاً.

أمَّا بشأن إعلان البابا عن أنَّ البطريرك "فُوتيْوس" خَرَقَ القوانين الكَنَسيَّة عند إقامته بطريركاً؛ فقد كَتَبَ إليه "فُوتيْوس" فيما كَتَبَ يقول: إنَّ القوانين المانعة لترقية العلمانيِّيْن رأساً إلى الوظيفة الأسقفيَّة هي قوانين كنائس محلِّيَّة، وليست واجبة الاتِّباع على كَنيسة القسطنطينيَّة، وإنَّ عادة الكَنيسة الشّرقيَّة - وحتَّى الغربيَّة - قد سمحتْ بمثل هذه التّرقية. وفضلاً عن ذلك، يُلاحظ "فُوتيْوس" في كتابه للبابا، بأنَّه وهُو يُقيم ذاته مُهتمّاً بسلام الكَنيسة، يهدمه هُو (أيْ البابا)؛ حيثُ أنَّه يقبل في شركته الإكليريكيِّيْن الهاربين من بطريركيَّة القسطنطينيَّة، بدُون أنْ يكون بيدهم كُتُبُ توصية.

بالطّبع؛ لم يكن البابا "نيقولا" راضياً عن نتيجة أعمال المجمع القسطنطيني، وعن كتاب "فُوتْيُوس". وربَّما كان قَبلَ بفُوتْيُوس بطريركاً لو لم يرَ فيه خصماً عنيداً لادِّعائه الرّئاسة العامَّة على الكَنيسة. لذلك قرَّر بدء الخصام مع الكَنيسة الشّرقيَّة آملاً إنزال "فُوتْيُوس"، ثُمَّ إخضاع الكنائس الشّرقيَّة لتأثيره، كما خضعت الكنائس الغربيَّة. بهذه النّوايا كَتَبَ إلى الإمبراطُور ميخائيل كتاباً بلهجة حاكم يقول فيه بأنَّه لا يعترف بقرارات المجمع القسطنطيني بشأن أغْنَاطْيُوس وفُوتْيُوس، وأنَّه فوَّض قُصَّاده في المجمع أنْ يدرسوا القضيَّة، وليس أنْ يُقرِّروا، وأنَّه - الآن - يُعلن نَزْعَ الوظيفة البطريركيَّة عن "فُوتْيُوس"، ويأمر بإعادة أغْنَاطْيُوس إلى السّدَّة البطريركيَّة، بدُون أي مُحاكَمة، وما أشبه. وبرهن البابا في كتابه إلى "فُوتْيُوس" - أيضاً - على عدم قانونيَّة رَفْعه إلى البطريركيَّة. ويُلاحظ بأنَّه إذا لم تكن تُوجد في كَنيسة القسطنطينيَّة قوانين تمنع رَفْع العلمانيِّيْن رأساً إلى الدّرجة الأسقفيَّة؛ فهي موجودة في كَنيسة رُوما، وبما أنَّ رُوما هي رأس الكُلِّ، فيجب أنْ يقبل الجميع قوانينها، ويعملوا بها. ثُمَّ عقد البابا مجمعاً في رُوما سنة 862، من أساقفته، ولَعَنَ فيه "فُوتْيُوس"، وأرجع أغْنَاطْيُوس، ولم يقف عند هذا الحدِّ، بل أرسل رسالة عامَّة إلى جميع أساقفة الشّرق يأمرهم بأنْ يقطعوا علاقتهم مع "فُوتْيُوس"، ويتصلوا بأغْنَاطْيُوس. فلم يسمعوا للبابا في القسطنطينيَّة. وكَتَبَ إليه الإمبراطُور كتاباً حاداً لم يخجل أنْ يُفصح فيه عن حقيقةٍ مُرَّةٍ بأنَّه - أيْ البابا - يتدخَّل بما لا يعنيه. وأنَّ كَنيسة القسطنطينيَّة لا تعترف له بأنْ يكون رأساً وحاكماً على الكَنيسة المسكونيَّة. فأجاب البابا بكتاب حادٍّ أيضاً، وبدأ الانفصال بين الكنيستَيْن.

وزادت مسألة إدارة الكَنيسة البلغاريَّة من حدَّة التَّوتُّر بين الكنيستَيْن. ففي سنة 864، قَبل بوريس، ملك البلغار، المَعْمُوديَّةَ (أيْ اعتنق المسيحيَّة)، ثُمَّ اقتدى الشّعب البلغاري بملكه، وقبل المَعْمُوديَّة. وكان المُبشّرون اليُونان أوَّل مَنْ بشَّر بالمسيحيَّة في بلغاريا.

وكانت أوَّل رئاسة دينيَّة هُناك يُونانيَّةً أيضاً، سواء من الأساقفة أو الكَهَنَة. ولكنْ؛ تفادياً من الوُقُوع في الارتباط السِّياسي بالقسطنطينيَّة بسبب الارتباط الدِّيني، سعى بوريس للبحث عن ارتباط كَنَسي مع رُوما، وأيضاً، وهُو السّبب الأهمُّ، لأنَّ المُبشِّرين الرُّومانيِّيْن كانوا قد تسرَّبوا إلى بلغاريا. فأرسل الملك بوريس سنة 865، وفداً إلى البابا نيقولا الأوَّل

يطلب إليه إرسال كَهَنَة لاتين إلى بلغاريا. فَسُرَّ نيقولا الأوَّل لهذا العرض، وأرسل إلى بلغاريا أساقفة وكَهَنَة لاتينيِّيْن. وطُردَت بعد هذا الرّئاسة اليُونانيَّة من بلغاريا، ودخلت مكانها الرّئاسة اللاَّتينيَّة.

فَشَرَعَ الأساقفة والكَهَنَة اللاَّتين يُدْخلون الطُّقُوس اللاَّتينيَّة إلى الكَنيسة التي تنتظم حديثاً. وشرعوا يمسحون بالميرون البلغاريِّيْن المُعمَّدين على أساس أنَّ مسحة الميرون التي تمَّمها عليهم كَهَنَة اليُونان غير حقيقيَّة، ورتَّبوا الصّوم في السّبت بدل الأربعاء، وسمحوا بأكل البياض في الأُسبُوع الأوَّل من الصّوم الكبير، وسمُّوا الكَهَنَة اليُونان المُتزوِّجين غير شرعيِّيْن، وَنَشَرُوا التّعليم عن انبثاق الرُّوح القُدُس من الابن أيضاً، وما أشبه. فكان لمثل هذا الثّأر من قبَل البابا وسُلُوك الإكليروس اللاَّتين التّابعين له في بلغاريا التّأثير السَّيِّئ في القسطنطينيَّة. فجمع البطريرك "فُوتْيُوس" مجمعاً محلِّيّاً، وَحَكَمَ فيه على ما أسماه الضّلالات الرُّومانيَّة، وأخبر بذلك جميع بطاركة الشّرق برسالةٍ عامَّة، داعياً إيَّاهم لاجتماعٍ جديدٍ في القسطنطينيَّة لأجل درس الموضوع ذاته بشأن ضلالات الكَنيسة الرُّومانيَّة. وفي سنة 867 م، افتُتح المجمع المُنتظَر في القسطنطينيَّة، وَحَضَرَهُ نُوَّاب عن بطاركة الشّرق، وكثيرون من الأساقفة، وحتَّى الإمبراطُور ميخائيل ذاته مع القَيْصَر الجديد باسيليوس المكدوني. فعرض "فُوتْيُوس" أمام المجمع - حسب الأُصُول - كُلَّ ما أسماه "ضلالات" الكَنيسة الرُّومانيَّة، وكذلك ادِّعاء البابا نيقولا الرّئاسة، ومكائده في الشّرق. ونتيجة لهذا؛ حَكَمَ المجمع على كُلِّ ضلالات الكَنيسة الرُّومانيَّة، وَحَكَمَ بإنزال البابا نيقولا عن العرش، وتقرَّر تنفيذ هذا من قبَل إمبراطُور الغرب ليودفيك.

وتحوَّل الجدال بين الكنائس سريعاً إلى اتِّجاه آخر؛ إذْ قُتلَ الإمبراطُور ميخائيل الثّالث بدسائس باسيليوس المكدوني، وصار هذا إمبراطُوراً. وبما أنَّ قَطْعَ الاتِّصال مع البابا، الذي كان سببه "فُوتْيُوس"، لم يدخل في نواياه السِّياسيَّة، فقد قرَّر - لأجل إعادة العلاقات مع كَنيسة رُوما - إنزال "فُوتْيُوس"، وإعادة أغْنَاطْيُوس. فأرسل وفداً إلى رُوما مصحوباً بكتابٍ إلى البابا من الإمبراطُور مُحطّاً من قَدْر الكَنيسة الشّرقيَّة؛ حيثُ قام الإمبراطُور باسيليوس المكدوني نفسه بإخضاع الكَنيسة الشّرقيَّة للبابا، وسلَّم "فُوتْيُوس" للمُحاكَمة، راجياً تثبيت أغْنَاطْيُوس. ولكنَّ البابا نيقولا لم يبقَ حيّاً إلى مثل هذا الانتصار، بل مات قبل وُصُول

الوفد، فأسرع خليفته البابا "أدريان الثّاني" للاستفادة من هذه الأحوال، التي تنظّمت جيّداً لأجل العرش الباباوي. فعقد مجمعاً في رُوما (سنة 868 م)، لَعَنَ فيه "فُوتْيُوس" ومُؤيِّديه، وَحَرَقَ - عَلَنَاً - قرارات مجمع القسطنطينيَّة سنة 867 م، ضدَّ البابا نيقولا، التي كان قد أرسها إليه الإمبراطُور باسيليوس المكدوني، ثُمَّ أرسل إلى القسطنطينيَّة قُصَّاده لكي يُقرِّروا - نهائيّاً - قضيَّة "فُوتْيُوس" وأغْنَاطْيُوس، ويُبرهن هُناك عن سُلطته. وفي سنة 869 م، عُقد في القسطنطينيَّة مجمع رابع، يعتبره الغرب مجمعاً مسكونيّاً ثامناً. وكان سبب انعقاده المُباشر التّأكيد على تضليل بطريرك القسطنطينيَّة "فُوتْيُوس" في دعواه أنَّ الرُّوح القُدُس مُنبثق من الأب وحده، وتثبيت موقف الكَنيسة الغربيَّة الذي يثبته بابا رُوما، والقائل بأنَّ رُوح القُدُس مُنبثق من الأب والابن معاً، وإعلان عَزْل بطريرك القسطنطينيَّة "فُوتْيُوس"، ويُسمِّي المُؤرِّخون هذا المجمع القسطنطيني سنة 869 م، بالمجمع الغربي اللاَّتيني للنَّظر في قضيَّة انبثاق الرُّوح القُدُس من الأب والابن. وكان من أهمِّ قراراته:

1 - انبثاق الرُّوح القُدُس من الأب والابن معاً.
2 - كُلُّ ما يتعلَّق بالدّيانة المسيحيَّة ينبغي أنْ يُرفَع إلى الكَنيسة برُوما.
3 - كُلُّ المسيحيِّيْن في العالم يخضعون لكُلِّ المراسيم والطُّقُوس التي يقول بها رئيس كَنيسة رُوما.
4 - لَعْنُ وطَرْدُ البطريرك فُوتْيُوس، وحرمانه هُو وأتباعه.

ومع ذلك؛ بقيت قضيَّة الكَنيسة البلغاريَّة بلا حلٍّ!، فرغماً عن كُلِّ إلحاح قُصَّاد البابا الرّسوليِّيْن، الذي أبدوه بعد ذلك المجمع في اجتماع خاصٍّ مع أغْنَاطْيُوس ووُكلاء البطاركة الشّرقيِّيْن، ورغماً عن تهديدهم أغْنَاطْيُوس، بقي وُكلاء البطاركة على موقفهم الثّابت في أنَّه من الحقِّ في النّظام إخضاع كَنيسة بلغاريا لكَنيسة القسطنطينيَّة. وبعد سَفَر القُصَّاد؛ أرسل أغْنَاطْيُوس - في الواقع - إلى بلغاريا رئيسَ أساقفةٍ يُونانيّاً، فقبلوه هُناك بتأثير الإمبراطُور باسيليوس المكدوني. وفي الوقت ذاته؛ أُبْعدَ من بلغاريا الكَهَنَة اللاَّتين. ولمَّا عرف البابا أدريان بهذا مَنَعَ أغْنَاطْيُوس من المُداخلة في إدارة الكَنيسة البلغاريَّة، ولكنْ؛ لم يكترث أحد في القسطنطينيَّة بمَنْعه، فعاد الجدال الذي هدأ بين الكنيستَيْن إلى الاشتعال من جديد، واشتدَّ عندما رجع "فُوتْيُوس" ثانية إلى العرش البطريركي سنة 879 م.

وقصَّة ذلك أنَّه بعد عَزْل البطريرك "فُوتْيُوس" سنة 869 م، أُرْسل إلى المنفى، فاحتمل ضيقته بثبات فائق العادة، وبقي مُصراً على الوُقُوف ضدَّ إخضاع الكَنيسة الشّرقيَّة لرُوما. ولقد تمكَّن من استمالة حزب أغْنَاطْيُوس، والإمبراطُور باسيليوس المكدوني إلى مُشاركته. فاستدعاه باسيليوس من منفاه إلى بلاطه، وسلَّمه تهذيب أبنائه. وفي الوقت ذاته؛ تصالح "فُوتْيُوس" مع أغْنَاطْيُوس. وبموت أغْنَاطْيُوس؛ عَرَضَ باسيليوس المكدوني على "فُوتْيُوس" إشغال الكُرسي البطريركي، لأنَّ باسيليوس لم يعد يهتمُّ - الآن - بالعلاقات السّلاميَّة مع البابا، وبالأكثر؛ لأنَّ البابا المُعاصر يُوحنَّا الثّامن نفسه كان في أحوال صعبة بسبب هُجُوم العرب على إيطاليا، ولهذا؛ لم يتقيَّد باسيليوس برأي البابا، فأرجع "فُوتْيُوس" (إلى البطريركيَّة)، ولأجل رَفْع الحُكْم عن "فُوتْيُوس"؛ تألَّف في القسطنطينيَّة مجمع سنة 879، وبطَلَب الإمبراطُور؛ أرسل البابا يُوحنَّا الثّامن قُصَّاده. لقد وافق على الاعتراف بفُوتْيُوس بطريركاً، وإنْ كان وضع - في رسالته المُرسَلَة مع القُصَّاد - شروطاً لذلك، وهي أنْ يعترف "فُوتْيُوس" أنَّ إعادته إلى البطريركيَّة هُو نتيجة رحمة البابا، وأنْ يرفض إدارة الكَنيسة البلغاريَّة. ولم يُظهر القُصَّادُ في المجمع الشّرطَ الأوَّل؛ لأنَّهم أدركوا - مُنذُ بداية وُصُولهم القسطنطينيَّة - بأنَّ "فُوتْيُوس" - الذي اعترفت كَنيسة القسطنطينيَّة بأنَّه يستحقُّ البطريركيَّة - غير مُحتاج لتثبيت البابا. أمَّا بشأن الكَنيسة البلغاريَّة؛ فقد أوضح المجمع بأنَّ تحديد الأبرشيَّات يختصُّ بالإمبراطُور. وهكذا لم تُنفَّذ الشُّرُوط الباباويَّة. فوجب على القُصَّاد أنْ يُوافقوا على إزالة حُكْم الحرمان والطَّرْد عن البطريرك "فُوتْيُوس"، وإعادة شركته مع الكَنيسة الرُّومانيَّة، وحتَّى إنَّهم لم يعترضوا عندما تُلي في المجمع الدُّستُور النّيقاوي بدُون زيادة عبارة « ومن الابن » (بعد عبارة انبثاق رُوح القُدُس من الآب)، وقد تثبَّتَ عدم تغييره تحت التّهديد بالحرمان. ولمَّا أخذ البابا يُوحنَّا الثّامن أعمال المجمع؛ وعرف أنَّ مطاليبه لم تتمّ، طَلَبَ - بعصبيَّة - من الإمبراطُور بواسطة القاصد مارين إتلاف مُقرَّرات المجمع. ولأجل تفسيرات مارين الوقحة في القسطنطينيَّة وضعوه في السّجن.

فرأى البابا - عندئذ بوُضُوح - بأنَّ "فُوتْيُوس" لا يتنازل له عن شيء، ولا يخضع لتأثيره، لذلك وجَّه إليه حرْماناً جديداً. فابتدأ الجدال من جديد بين القسطنطينيَّة ورُوما، وابتدأ - أيضاً -

الخصام. والباباوات خُلفاء يُوحنَّا عرَّضوا "فُوتْيُوس" للحرمان، حتَّى بلغ عدد الحرمانات المُوجَّهة إليه اثنَيْ عشر حرماناً!.

لكنَّ البطريرك "فُوتْيُوس" ـ الذي استطاع أنْ يعود إلى مركزه ـ لم يأبه لكُلِّ ذلك، بل عمد إلى ما كان قرَّره مجمع القسطنطينيَّة الرّابع عام 869 م، ليُبطله، وليُقرِّر مذهبه هُو في مجمع معاكس دُعيَ من قبَل المُؤرِّخين بالمجمع الشّرقي اليُوناني، وبالمجمع الثّامن للمرَّة الثّانية! أو مجمع قسطنطينيَّة الخامس: 879 م، وكان أهمّ قراراته:

1 ـ رفض كُلّ ما قرَّره المجمع القسطنطيني الرّابع المُنعقد عام 869 م.
2 ـ انبثاق الرُّوح القُدُس عن الأب فقط.

وهُنا؛ يُلاحظ الباحث أنَّ الصّراع الفكْري والقومي في الكَنيسة قد ظهر، فلم تعد المسألة مسألة دين، ولكنَّها مسألة سُلطة وقوميَّة. فكما انفصلت كَنيسة الأقباط المصريَّة بالإسكندريَّة على أثر المجمع الرّابع المُنعقد في خلقيدونيَّة انتصاراً لبطريركها، وانتصاراً لشُعُورها الوطني الذي تراه قد أُهين بما نُسب إلى بطريركها، وما حُكم عليه به من الحرمان، فتعصَّبتْ لمذهبه، ورأتْهُ أنَّه هُو الصّحيح، وإنْ خالفه كُلُّ بطاركة العالم، كذلك انفصلت الكَنيسة اليُونانيَّة الشّرقيَّة، على أثر هذَيْن المجمعَيْن المُنعقدَيْن في مدينة القسطنطينيَّة ـ أيْ الشّرقي اليُوناني (عام 879 م)، وقبله: الغربي اللاَّتيني عام 869 م ـ، انفصلت الكَنيسة اليُونانيَّة عن كَنيسة رُوما، وصارتا كنيستَيْن:

إحداهما: تُسمَّى الكَنيسة الغربيَّة البُطرُسيَّة، أو الكَنيسة الكَاثوليكيَّة: التي تقول إنَّ مُؤسِّسها هُو بُطرُس الرّسول، كبير الحواريِّيْن، وأنَّ الباباوات خُلفاء عنه، كما ترى أنَّها صاحبة السُّلطان الدِّيني على كُلِّ كنائس العالم، وكان سُلطانها يمتدُّ إلى بلجيكا، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا، والبُرتغال.

والأُخرى: تُسمَّى الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثوذكسيَّة: وهي لا تعترف إلاَّ بالمجامع السّبعة التي سبقت مجامع القسطنطينيَّة التي حدث فيها الخلاف والافتراق، كما لا تعترف لبابا رُوما بالسِّيادة، أو الرّياسة، (وإنْ كان موقفها ـ الآن ـ قد تغيَّر لعوامل الزّمن،

ومُحاولة التَّقرُّب، فترى له الأسبقيَّة بالتَّقدُّم لا بالسُّلطان، وترى أنَّ بطريرك القسطنطينيَّة هُـو الذي يليه في الرُّتبة مُباشرة.). ويمتدُّ سُلطانها في بلاد رُوسيا، واليُونان، والصّرب، وجانب من جُزُر البحر الأبيض المُتوسِّط.

الانفصال التَّامُّ بين الكنيستَيْن في نصف القرن الحادي عشر:

بعد "فُوتْيُوس"، وحتَّى نصف القرن الحادي عشر، كانت العلاقات بين الكنيستَيْن الشّرقيَّة والغربيَّة ضعيفة ونادرة، فكان الأباطرة البيزنطيُّون يتَّصلون بالباباوات لأسباب خاصَّة. وأخيراً؛ في نصف القرن الحادي عشر، بدأت الاتِّصالات الفعَّالة التي انتهت بانفصال الكنيستَيْن التَّامِّ. كان البابا في ذلك الوقت لاون التّاسع، وكان يسعى ـ بكُلِّ الوسائل ـ لإعادة نُفُوذ وسُلطان المقام الباباوي الذي تزعزع في الغرب كما في الشّرق. وكانت ـ في ذاك الوقت ـ بعض الكنائس في إيطاليا الجنوبيَّة لا تزال تابعة للبطريركيَّة القسطنطينيَّة. فاجتهد البابا لاون التّاسع ـ قبل كُلِّ شيء ـ أنْ يُثبت سُلطته على هذه الكنائس، فصارت تنتشر في هذه الكنائس آراء لاتينيَّة، وخُصُوصاً عادة الكَنيسة اللاَّتينيَّة بإتمام سرِّ الشُّكر (أيْ العشاء السِّرِّيّ) على الفطير. ثُمَّ اجتهد البابا لاون أنْ يُقيم بطريرك إنطاكيَّة ضدَّ ميخائيل كيرولاري **Michael Cerularius** بطريرك القسطنطينيَّة. فقرَّر البطريرك كيرولاري أنْ يضع حدّاً لدسائس البابا، فأقفل في القسطنطينيَّة الأديارَ اللاَّتينيَّة والكنائس؛ لأجل منع انخداع الأرثُوذكس بالخدمة الإلهيَّة اللاَّتينيَّة، وفوَّض (سنة **1053**م) رئيس أساقفة بلغاريا أنْ يكتب رسالةً يدحض فيها الأُمُور الجديدة التي أدخلها اللاَّتين مُجدَّداً. فبلغت رسالته البابا، وأحدثت اضطراباً شديداً في رُوما. وكَتَبَ البابا لميخائيل كيرولاري جواباً على رسالة رئيس الأساقفة البلغاري يقول: إنَّه لا يُمكن لأحد من البشر المُعرَّضين للموت أنْ يحكم على العرش الرّسولي، ويجب على البطريرك القسطنطيني أنْ تكون علاقته معه (العرش) باحترام لأجل الامتيازات المُعطاة له من الباباوات وما أشبه. وحيثُ أنَّ الإمبراطُور البيزنطي المُعاصر قسطنطين مُونُوماخ (**1042 ـ 1054**م)، ولأغراض سياسيَّة أيضاً، أراد أنْ يكون في علاقات سلاميَّة مع البابا، لذلك قُبل جواب البابا برضا في القسطنطينيَّة. والأكثر لأنَّ الإمبراطُور والبابا أرادا أنْ يُثبتا السّلام بين الكنيستَيْن؛ لأجل ذلك أرسل البابا قُصَّاده إلى القسطنطينيَّة. وكان في عدادهم الكردينال غُومبرت، الرّجل الحادّ، والمُتكبِّر، فكان في تصرُّفه وتعامله

وعلاقة رفاقه مع البطريرك ميخائيل كيرولاري عدم احترام ظاهر. لذلك رفض بطريرك القسطنطينيَّة ميخائيل كيرولاري أنْ تجري بينهم وبينه مُفاوضات، فلم يكترث القُصَّاد لهذا مُتَّكلين على حماية الإمبراطُور، وتحت شكل مُصالحة الكنائس شرعوا يُعلِّمون في القسطنطينيَّة لأجل صالح العرش البابوي، وأصدر غُومبرت دحضاً على رسالة رئيس أساقفة بلغاريا، فوزَّعه الإمبراطُور على الشّعب. وبإلحاح القُصَّاد؛ أجبر الإمبراطُورُ الرّاهبَ نيكتياستيفات أنْ يحرق الذي ألَّفه ضدَّ اللاَّتين. وأخيراً؛ لَمّا فقد القُصَّادُ الأملَ بإخضاع بطريرك القسطنطينيَّة لنُفُوذهم؛ كَتَبوا قراراً بحرم كُلِّ الكَنيسة اليُونانيَّة، ناسبين إليها كُلَّ ما يُمكن من الهرطقات ووضعوه بطريقة احتفاليَّة - إبَّان الخدمة الإلهيَّة - على مائدة كَنيسة الحكمة، وغادروا القسطنطينيَّة. فأزهق عمل القُصَّاد هذا، الجزيء العاري عن العدالة، صبر بطريرك القسطنطينيَّة، وجميع الإكليروس اليُونان، وكان الهياج عظيماً، حتَّى أمسى القُصَّاد في خطر الموت من الشّعب، لو لم يُحافظ الإمبراطُور عليهم. فجمع البطريرك "ميخائيل كيرولاري" مجمعاً (سنة **1054**م) في القسطنطينيَّة، حرم فيه القُصَّاد البابويِّيْن. ثُمَّ أرسل رسالة عامَّة إلى جميع بطاركة الشّرق يُخبرهم فيها بكُلِّ ما جرى في القسطنطينيَّة، وكذلك عن ادِّعاءات وكُفران الكَنيسة الرُّومانيَّة، وحذَّرهم من الشّركة معها. في هذا الوقت؛ توقَّفوا عن ذكْر البابا - في أثناء الخدمة الإلهيَّة - في كُلِّ الكنائس الشّرقيَّة، ومن هذا الوقت؛ استمرَّت الكَنيسة الغربيَّة - بإصرار - في مواقفها العقيديَّة، والطَّقْسيَّة، والقانونيَّة، وانفصلت - نهائيّاً - عن الاتِّحاد مع الكَنيسة الشّرقيَّة.

النّتائج والآثار:

مُنذُ الانفصال التَّامِّ بينهما أصبحت الكنيستان الشّرقيَّة والغربيَّة تعيشان وتعملان مُنفردَتَيْن، وليس لإحداهما أيُّ علاقة مع الأُخرى. وصارت كُلُّ كَنيسة منهما تُوجِّه فعاليَّتها لبُلُوغ منافعها ومقاصدها الخاصَّة. ولم يعد - هُناك - وُجُود للمصالح الدِّينيَّة المُتبادلة. وكانت الكَنيسة الشّرقيَّة ترى نفسها حامية الإيمان المسيحي والتّنظيم الكَنَسي الأصيل المُستقيم بكامله، والقائمة على إيضاحه وتحديده، وأنَّها وضعت لذاتها هدفاً أساسيّاً ألا وهُو المُحافظة الثّابتة وغير المُتغيِّرة على هذا التّعليم والتّنظيم بكُلِّ سلامته ونقائه.

وانتهى ـ بهذا الانفصال ـ عهدُ المجامع المسكونيَّة ، ومع أنَّ الكَنيسة الغربيَّة اللاَّتينيَّـة ؛ أيْ الكَاثُوليكيَّة ، استمرَّت في عقد المجامع بدعوة من الباباوات ورئاستهم والخُرُوج بعقائد وتعاليم جديدة ، إلاَّ أنَّ كُلَّ تلك المجامع لم يعد لها صفة المسكونيَّة ؛ لأنَّ أكثر من شطر العالم المسيحي ؛ أيْ العـالم الأرثُوذوكسـي الشّـرقي بكاملـه ، سـواء منـه الكنـائس الأرثُوذوكسـيَّة اليُونانيَّـة الخلقيدونيَّة حديثة الانقسام ، أو الكنائس الشّرقيَّة الأرثُوذوكسيَّة اللاَّخلقيدونيَّة التي انفصلت مُنذُ قُرُون (كالكَنيسة القبطيَّـة ، والحبشيَّة ، وكَنيسـة السّريان اليعاقبـة ، وكَنيسـة الآشـوريِّيْن ، والكلدان ، وقسم من الأرمن ، وغيرهم) ، لم تعد حاضرة ، ولا مُشاركة فيه ، لذلك لم تكـن لتلك المجامع أكثر من صفة محلِّيَّة ، لا تمثِّل إلاَّ رأي جُزء ـ فقط ـ من العالم المسيحي .

أمَّا الكَنيسة الغربيَّة ؛ فإنَّها عندما اسـتقلَّت عـن الكَنيسـة الشّـرقيَّة ركَّزت علـى مقـاصد أُخرى في حياتها وأعمالها . فقد وضعـت ـ في المقـام الأوَّل ـ العمـل علـى تقويـة سُلطة رئيس الكَنيسة الغربيَّة ـ البابا ـ وَجَعَلَه مُستقلاً عن السُّلطة العلمانيَّة ، وَسَعَتْ ـ أخيراً ـ لأنْ تُخضع لـه كُلَّ العالم المسيحي في القضايـا الرُّوحيَّـة والعلمانيَّـة . ولقـد وجَّـه خُلفـاء افجـاني الرّابـع قبـل الإصلاح كُلَّ اجتهادهم لتثبيت هذه السُّلطة . فأرادوا أنْ يجعلوا دائرة سُلطتهم الكَنَسيَّة مملكة حقيقيَّة على مثال بقيَّة الممالك ، ويجعلوا من ذواتهم مُلُوكاً . ونتيجة لاتِّجاه السِّياسة الباباويَّـة هـذا صـار للباباويَّـة صفـة علمانيَّـة أكثـر مـن أيِّ وقـت مضـى . وهكـذا تحـوَّل رُؤسـاء الكَهَنَـة الأعلون ونُوَّاب المسيح إلى سياسيِّيْن بمعنى الكلمة ، ولمَّا كانت السِّياسة ـ كما يُقال ـ لا أب لها ولا أُمَّ ، لذلـك اضطُرَّ أُولئـك ـ دُون أنْ يشـعروا ـ أنْ يخوضـوا في ألاعيـب السِّياسـيِّيْن ، بمـا تستوجبه السِّياسة والسُّلطة ـ في كثير من الأحيان ـ من خداع ودسائس وحُرُوب واستبداد . . . إلخ . وهكذا أصبح البابا لاون العاشر (سنة 1513 ـ 1521) ، الذي بـدأت حَرَكَة الإصـلاح في عهده ، أشبه بملكٍ علماني مُحبٍّ للـذَّات والجـاه والفَخْفَخَـة ، ومـا الفنُّ والعلـم اللّـذان كـان نصيرهمـا إلاَّ نتيجـة لـهذا الاهتمـام المُفـرط في الجـاه والفَخْفَخَـة الدُّنيويَّـة . أمَّـا رُوح الدّيانـة والكَنيسة ؛ فقد ضعفتا ـ تماماً ـ في عهد هذا البابا .

واستمرَّ النّزاع بين الكنيستَيْن الرُّومانيَّة الغربيَّة واليُونانيَّة الشّرقيَّة مع وُجُود الجُهُود التي بُذلت لمُحاولة التّوفيق بينهما ، ولكنْ ؛ كُلَّما زادت جُهُود التّوفيق زادت كثرة الخلافات ، حتَّى

تُوِّجت بالتَّسلُّط العسكري في الحُرُوب الصّليبيَّة التي شنَّتْهَا الكَنيسة الغربيَّة اللاَّتينيَّـة البُطرُسـيَّة على بلاد الشّرق الإسلامي ، فاستخدم البابا (إنوسنت الثّالث) سُلطانه ، وحثَّ زُعماء الحرب الصّليبيَّة على انتزاع المملكة الشّرقيَّة من بـلاد اليُونـان . يقـول الأُسـتاذ نوفـل بـن نعمـة الله بـن جرجس في كتابه (سوسنة سُـلَيْمَان) : "حـرَّك البابـا (إنوسـنت الثّـالث) قُـوَّاد الصّليبيِّيْـن لنَـزْع المملكة الشّرقيَّة من يد اليُونان ، فاقتحموا القسطنطينيَّة سنة **1204** ، وظلّوا مُتسلِّطين عليها إلى سنة **1261** م ، فاستعملوا ما أمكنهم من (الهَمَجيَّة) في الأرض التي امتلكوها من بـلاد سُـوريَّة وفلسـطين ؛ ليُخضعـوا بطاركـة أُورشـليم ، وجميـع الإكليـروس اليُونـاني بواسـطة الحَبْـس ، وإقفال الكنائس ، حتَّى أَحْوَجُوهُم إلى أنْ يُفَضِّلوا مُوادَّة العرب حُكَّام البـلاد الأصليِّيْـن علـى مُوادَّتهم ، ويختاروا حُكْم شعب يتقـاضى منـهم جزيـة علـى أنْ يتسـلَّط عليـهم ملـك رُوحـي طمعه وطمع قُوَّاده لا يشبعان" .

وحيـثُ وَصَـلَ الأمـر إلـى هُنـا ، فقـد آن الأوان لأنْ نقـوم بشـرح كـاف لأهـمِّ الخصـائص العقائديَّة والتّنظيميَّة التي ميَّزت كُلاً من هاتَيْن الكنيستَيْن المسيحيَّتَيْن الكبيرتَيْن اللّتَيْـن نتجتـا عـن ذلك الانفصال الكبير ، أعني ما صـار يُعـرَف باسـم : الكَنيسـة الشّـرقيَّة الأرثُوذكسـيَّة **Eastern Orthodox Church** ، والكَنيسـة الرُّومانيَّـة الكَاثُوليكيَّـة **Roman Catholic Church** ، مـع إيجاز المسيرة التّاريخيَّة لكُلٍّ منهما ، وبيان مراكز توزُّعهما في العالم ، وعدد أتباعهما :

أوَّلاً : الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة:

Eastern Orthodox Church:

المعنى اللُّغوي والخلفيَّة التّاريخيَّة:

كلمة الأرثُوذكسيَّة **Orthodoxy**[1] كلمة يُونانيَّة الأصـل ؛ مُركَّبـة مـن لفظتَيْـن يُونـانيَّتَيْن : « أرثوس » : وهي صفة لما هُو قويم وسليم ، و « ذُكْسا » : وهي اسم يدلُّ علـى الـرّأي والمُعتقَـد والفكْر ؛ فيكون معنى الكلمة اليُونانيَّة « أرثُوذكسا » : المُعتقد القويم ، أو الرّأي القويم .

---

(1) رجعتُ في موضوع الأرثُوذكسيَّة - بشكل كبير - إلى مادَّة الأرثُوذكسيَّة في الموسُوعة العربيَّة (السُّوريَّة) ، مع إضافة معلومات أُخرى من حلقات "تاريخ الكَنيسة" للشَّمَّاس القبطي الإكليركي عهدي سامي ، منشورة في مجلَّة قبطيَّة .

وتُطلق كلمة أرثُوذكسيَّة ـ لُغةً ـ على ما يُوافق كُلَّ تُراث، دينيّاً كان أم غير ديني، وتُطلَق ـ اصطلاحاً ـ على جماعة كبيرة من المسيحيِّين الذين يقولون إنَّهم حافظوا على المُعتقَد الصّحيح كما حدَّدَتْهُ المجامع المسكونيَّة (المجمع المسكوني مُؤتمر يُدعى إليه أساقفة العالم كُلِّه للتّداول في شؤُون الكَنيسة)، تمييزاً لهم من الذين عُدُّوا هراطقة. وفي مُعظم الأحيان؛ يُطلق الأرثُوذكسيُّون على كنيستهم أسماء «الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة الكَاثُوليكيَّة الشّرقيَّة»، أو «الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة الكَاثُوليكيَّة في الشّرق»، أو «الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة الجامعة»، ذلك أنَّ كلمة الكَاثُوليكيَّة تعني «الجامعة»، أو العامَّة، على أنَّه من الضّروري أنَّ لا تُؤدِّي هذه التّسميات إلى اللّبس. فالكَنيسة التي تعدُّ نفسها الكَنيسة الجامعة الحقيقة، ليست جُزءاً من الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة «الرُّومانيَّة»، ومع أنَّها تُسمَّى «شرقيَّة» فهي لا تقتصر على العالم الشّرقي، ويُطلَق عليها إيجازاً «الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة».

ويشمل مُصطلح الأرثُوذكسيَّة ـ اليوم ـ أُسرتَيْن من الكنائس:

ـ الكنائس الشّرقيَّة غير الخلقيدونيَّة: (التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونيَّة الذي انعقد في العام 451 م)، وتضمُّ الكَنيسةَ الأرمنيَّةَ والكَنيسةَ السّريانيَّة (كَنيسة اليعاقبة) في سُوريَّة والهند، والكَنيسةَ القبطيَّة في مصر وإثيوبية وأريتيريا.

ـ الكنائس الشّرقيَّة الخلقيدونيَّة: وتضمُّ الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينيَّة والإسكندريَّة وأنطاكية والقُدس، والكنائس الحديثة في رُوسية ورُومانية وبلغارية وصربية وجُورجية، فضلاً عن الكنائس في قبرص واليُونان وألبانية وبُولندة وتشيكُوسلُوفاكية وأمريكا.

تنظيم الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة وبنيتها:

الكَنيسة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة أُسرة من الكنائس التي تحكم بنفسها في كَنيسة واحدة جامعة مُقدَّسة رسوليَّة (دُستُور الإيمان). وهي تستمدُّ وحدتها من الوحدة في العقيدة والمُشاركة في الأسرار، فنظامها «مجمعي» لا مركزي، يتمتَّع بقَدْر فائق من المُرُونة والتَّكيُّف مع الظُّرُوف؛ إذْ يُتيح إحداثَ كنائس محلِّيَّة، ثُمَّ إلغاءَها من دُون أنْ يُؤثِّر ذلك في حياة الكَنيسة.

وفي هذا النّظام المجمعي تشغل الكَنيسة المحلِّيَّة موقعاً ذا أهمِّيَّة بالغة. فكُلُّ كَنيسة أرثُوذكسيَّة محلِّيَّة هي كَنيسة الله برعيَّتها، وكُلُّ راعٍ فيها هُو راع في كَنيسة الله الواحدة. والشّعب المُؤمن في رُقعة جَغرافيَّة مُعيَّنة (الرّعيَّة أصلاً، والأبرشيَّة فيما بعد) يجب أنْ يُؤلِّف وحدة تتجلَّى في عشاء الرَّبِّ الواحد. ويؤمُّ هذا الاجتماع الشّيخ المُسمَّى كاهناً، وهُو حارس إيمان الجماعة ومركز وحدتها وحياتها المُقدَّسة، من دُون أنْ يُؤثِّر ذلك في وحدة الكَنيسة الجامعة، أو يتعارض معها. ولذلك يجب ألا يُوجد أكثر من أسقف واحد في كُلِّ مدينة أو أبرشيَّة، وللأسقف المنصب الأسمى بين المناصب الكَهَنُوتيَّة، ولا تعلو سُلطَتَهُ سُلطةٌ أُخرى في أبرشيَّته أو جماعته، ولا يجوز رَسْم أسقف أو توليته ما لم يكن عُضواً في مجمع رسولي أو مجمع كَنَسي (سنودس). ولكُلِّ كَنيسة أرثُوذكسيَّة سنودس خاصٌّ بها يضمُّ المطارنة والأساقفة كافَّة، ويرسم الأساقفة الجُدُد، ويرأسه البطريرك الذي هُو رئيس رُؤساء الأساقفة، ويتمتَّع بصلاحيَّات واسعة في الأُمُور الدِّينيَّة والدُّنيويَّة ضمن حُدُود التّقليد الرّسولي والقوانين الكَنَسيَّة.

والكَنيسة الأرثُوذكسيَّة هي كَنيسة المجامع. وكانت المجامع المحلِّيَّة التي يحضرها أساقفة مُقاطعة ما من مُقاطعات الإمبراطُوريَّة تُعقَد - عُمُوماً - في عاصمة تلك المُقاطعة برئاسة أسقفها الذي يحمل رُتبة مطران (متروبوليت) لمُعالجة القضايا المحلِّيَّة، ووَضْع الأنظمة بحسب مُقتضى الحال. ولَمَّا اتَّسع مدى المجامع في القرن الثّالث الميلادي ازدادت أهمِّيَّة أساقفة المُدُن الكُبرى (العواصم)، ونشأت فيها «كراسيُّ أسقفيَّة» تميَّز من بينها ثلاثة، هي: كراسي أنطاكية ورُوما والإسكندريَّة. وعندما تأسَّست مدينة القسطنطينيَّة، وغدت عاصمة الإمبراطُوريَّة جُعلَ مركزها الأسقفي كُرسيّاً رابعاً. وكان لكُلٍّ من هذه الكراسي سُلطته على أقطار معلومة، وتسودها جميعها عقيدة واحدة، وتُعالج قضاياها الكُبرى التي تخصُّ العقيدة، أو تَهمُّ جميع الكنائس مجامع يحضرها أساقفة الكراسي، أو مُمثِّلوهم.

وقد منحَ المجمع المسكوني الرّابع (مجمع خلقيدونيَّة) أساقفةَ هذه الكراسي لَقَبَ بطريرك، الذي كان قد اختصَّ به بطريرك أنطاكية قبل غيره، وأحدثَ أسقفيَّةَ القُدْس، وَجَعَلَ أسقفها بطريركاً، فسُمِّي البطريرك الخامس، وبذلك نشأ نظام الرّئاسة الخُماسيَّة في

الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة. ومُنذُ النّصف الأوَّل من القرن الثّالث؛ أُطلق على أسقف الكُرسي الإسكندري لَقَبُ البابا، وسُمِّي أسقف الكُرسي الرُّوماني بابا في الرُّبع الأوَّل من القرن السّادس، وفي الرُّبع الأخير من القرن نفسه؛ أطلق أساقفةُ اليُونان على أسقف كُرسي القسطنطينيَّة لَقَبَ البطريرك المسكوني. وفيما بعد؛ صار لَقَبُ البطريرك يُطلَق على رُؤساء الكنائس المُستقلَّة الكُبرى لأسباب دينيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة ـ دوليَّة.

عقيدة الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة:

تُؤكِّد الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة مُحافظتها على إيمان الكَنيسة الأُولى، كما حدَّدَتْهُ وفسَّرَتْهُ المجامع المسكونيَّة وكتابات آباء الكَنيسة، وبقاءها أمينة الماضي باستمراريَّة تقوم على مبدأ تسلُّم الإيمان، ونَقْله. والمرجع الرّئيس في إيمانها هُو الكتاب المُقدَّس، مع أنَّه جُزء من «التّقليد الشّريف» الذي سلَّمه المسيح للرُّسُل، و«التّقليد الشّريف» يعني أسفار الكتاب المُقدَّس، ودُستُور الإيمان، وكتابات آباء الكَنيسة، وقرارات المجامع المسكونيَّة، فضلاً عن القوانين الكَنَسيَّة وكُتُب اللِّيتُرجيا «الطُّقُوس والعبادات»، والأيقونات، وكُلّ ما عبَّرت عنه الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة ـ عبر تاريخها ـ من عقيدة وتنظيم كَنَسي وعبادة وفَهْم، وهي تعدُّ نفسها حارسة لهذا الإرث الكبير، ومن واجبها نَقْلُهُ إلى الأجيال القادمة.

ومع أنَّ الموروث الدِّيني يبقى ـ دوماً ـ موضوع الاحترام، إلاَّ أنَّ عناصر «التّقليد الشّريف» غير مُتساوية القيمة، فثمَّة عناصر تُعدُّ مُطلقة، مُسلَّم بها، لا يجوز تغييرها أو إعادة النَّظَر فيها، وفي مُقدِّمتها الكتاب المُقدَّس الذي يشغل المركز الرّئيس في التّقليد، ودُستُور الإيمان، والتّحديدات العقديَّة الصّادرة عن المجامع المسكونيَّة. أمَّا العناصر الأُخرى؛ فلا تتمتَّع بالقيمة ذاتها، مع الأخذ بالحسبان الفُرُوق بين ما يدخل في «التّقليد الشّريف» وما يُعدُّ من التّقاليد المُتوارثة التي تتغيَّر وتتبدَّل بتغيُّر الزّمان والمكان.

الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة هي كَنيسة المجامع، وإنْ كان «دُستُور الإيمان» الذي وضعه المجمعان الأوَّلان (نيقية 325 م، القسطنطينيَّة 381 م) هُو الدُّستُور الذي تلتزمه نصّاً ورُوحاً.

العبادة والأسرار المُقدَّسة:

إنَّ العبادة في الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة تُمثِّل واحداً من أهمّ العوامل في استمراريَّة هذه الكَنيسة، والمُحافظة على هويَّتها. والمفهوم القائل بأنَّ الكَنيسة قويَّة بجماهيرها المُؤمنة حين تجتمع مُتَّحدة في العبادة هُو الصّيغة الأساسيَّة للتّجربة المسيحيَّة الشّرقيَّة، ومن دُون هذا المفهوم لا يُمكن إدراك الأُسُس الرّئيسة لبنية الكَنيسة في الأرثُوذكسيَّة، ولا عمل الأسقف مُعلِّماً وكاهناً أعلى في الطُّقُوس الدِّينيَّة. وتُعدُّ الطُّقُوس الدِّينيَّة الشّرقيَّة تجربة كاملة تستثير مَلَكَات الإنسان العاطفيَّة والعقليَّة والجماليَّة، وتستخدم تعابير لاهوتيَّة اصطلاحيَّة ومُلاحظات وإيماءات ماديَّة وفُنُوناً مرئيَّة، يُقصد منها نقل الإيمان المسيحي للمُتعلِّمين وغير المُتعلِّمين على حدٍّ سواء.

وتُؤكّد جميع التّعاليم الأرثُوذكسيَّة الشّفويَّة والكتابيَّة المُعاصرة أنَّ الكَنيسة تعترف بسبعة أسرار مُقدَّسة هي: العماد، والمَيْرون، والقُربان المُقدَّس، ورَسْم الكَهَنَة، والتّكفير، ومسحة المرض، والزّواج. بيد أنَّها لم تُحدِّد عدد الأسرار رسميّاً لا في «كتاب الصّلاة»، الذي يتضمَّن نُصُوص هذه الأسرار، ولا في تعاليم آباء الكَنيسة. وفي الواقع؛ لم يعمل أيُّ مجمع كَنَسي اعترفت به الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة على تحديد عدد الأسرار، وقد قُبل العدد سبعة فقط في «الاعترافات الأرثُوذكسيَّة» التي صدرت في القرن السّابع عشر ردّاً على حَرَكَة الإصلاح. ولاهوت الأسرار الأساسي للكَنيسة الأرثُوذكسيَّة يرتكز على الفكْرة القائلة بالجماعة الإكليريكيَّة سرّاً وحيداً تُؤلِّف الأسرار الأُخرى تعبيراً طبيعيّاً عنه.

العلاقة بين الدّولة والكَنيسة الأرثُوذكسيَّة في بيزنطة:

أمَّا العلاقات بين الدّولة والكَنيسة في بيزنطة؛ فقد وُصفت مراراً بأنَّها «قَيْصَريَّة ـ باباويَّة»، وهذا يدلُّ ـ ضمناً ـ على أنَّ الإمبراطُور كان يشغل ـ عمليّاً ـ منصب رئيس الكَهَنَة. بيد أنَّ النُّصُوص الرّسميَّة تصف الإمبراطُور والبطريرك بالحُكُومة الثّنائيَّة، وتُقارن وظيفتهما بوظيفة كُلٍّ من الرُّوح والجسد في الجسم الواحد، وكان للإمبراطُور ـ عمليّاً ـ اليد العُليا في كثير من شُؤُون الكَنيسة الإداريَّة، كما استطاع بعض البطاركة المُتنفِّذين القيام بأدوار سياسيَّة بالغة

الأهمِّيَّة. ولـم تكـن فكْـرة القَيْصَرِيَّـة ـ البابويَّـة تُوائـم البـيزنطيِّيْن، ولاسـيما في ميـدان الدِّيانـة والعقيـدة؛ إذْ لـم يسـتطع الأبـاطرة البيزنطيُّون فَـرْضَ إرادتـهم حـين كـانت تتنـاقض وضمـير الكَنيسة، وقد ظهرت هذه الحقيقـة جليَّة في المُحـاولات الكثيرة للاتِّحـاد مـع رُومـا في أواخـر القُرُون الوُسطى.

الحَرَكَات الرّهبانيَّة في الكَنيسة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة:

استمرَّ تطوُّر الحَرَكَات الرُّهبانيَّة في عاصمة بيزنطيَّة وغيرها من المراكز على النَّحـو الـذي اتَّخذته في العُصُور المسيحيَّة الأُولى. وكان دير ستوديُّون **Studion** في القسطنطينيَّة يضمُّ نحـو ألـف راهـب، وقفـوا أنفسـهم علـى الصّـلاة والطّاعـة والنّسـك. واتَّصـف هـؤلاء الرُّهبـان بمُعارضتـهم للحكُومـة وللرّسـميَّات الكَنَسـيَّة (الإكليريكيَّـة)، مُدافعـين عـن المبـادئ المسـيحيَّة الأساسيَّة في مُواجهـة التّسـويات السِّياسـيَّة. وقـد تبنَّـت أديـرة البنـات قوانـين ديـر سـتوديُّون (مناهج حياة الأديرة)، ولاسيما دير كافس **Caves** الشّهير في مدينة كييف. وفي عـام **963** م، منح الإمبراطُورُ البيزنطي نقفور الثّـاني فوكـاس حمايتـه للقدِّيـس إثناسـيوس الأتوسـي الـذي لا يزال ديره مركـز جُمهُوريَّـة أديـرة جبـل أتـوس المُسـتقلَّة (تحـت حمايـة اليُونـان). وكتابـات القدِّيس سيمون (**949 ـ 1022**) رئيـس ديـر القدِّيـس مامـاس في القسـطنطينيَّة أبـرز مثـال علـى تصوُّف المسيحيَّة الشّرقيَّة، وكان لها تأثير فاعل في التّطوُّرات اللاَّحقة للكَنيسة الأرثُوذكسيَّة.

البعثات التّبشيريَّة:

انتشرت البعثات التّبشيريَّة المسيحيَّة البيزنطيَّـة في شـرقي أُورُوبـة، فـأصبحت بلغاريـة في القرن التّاسع أرثُوذكسيَّة، وأُسِّست بطريركيَّتها المُستقلَّة إداريّاً في عهد القَيْصَر سـيمون (**893** م ـ **927** م)، وهكذا؛ فإنَّ كَنيسـة جديـدة، وليـدة الكَنيسـة البيزنطيَّـة، تتكلـم اللُّغـة السّـلافيَّة، بسطت نُفُوذهـا علـى شـبه جزيـرة البلقـان، بيـد أنَّـها سُـرعان مـا فقـدت اسـتقلالها السِّياسـي والكَنَسي بعد اسـتيلاء الإمـبراطُور البـيزنطي باسـيل الثّـاني عليـها. إلاَّ أنَّ بـذرة الأرثُوذكسـيَّة السّلافيَّة كـانت قـد زُرعـت، وتـأصَّلت فيـها. وفي عـام **988** م، اعتنـق أمـير كييـف فلاديمـير الأرثُوذكسيَّة البيزنطيَّة، وأصبحت رُوسية ـ بعد هذا التّـاريخ ـ مُقاطعـة كَنَسـيَّة يرأسـها مُطـران

يُوناني تُعيِّنه القسطنطينيَّة. وقد تبنَّت رُوسية ـ في تلك المرحلة ـ تُراث الحضارة البيزنطيَّة الدِّيني والفنِّي والاجتماعي، وطورَّتْهُ.

العلاقات مع الغرب والانشقاق الكبير:

كانت العلاقات مع الغرب اللاَّتيني في تلك الآونة تزداد غُمُوضاً؛ فمن جهة؛ عدَّ البيزنطيُّون العالمَ الغربيَّ بكامله جُزءاً من إمبراطُوريَّتهم التي يرأسها إمبراطُور بيزنطة، ويشغل الأسقف الرُّوماني منصب الشّرف فيها، ومن جهة ثانية؛ اعترض أباطرة الفرنجة والألمان على هذه التّسمية، وتحدّوها. واتَّسعت الهُوَّة بين الشّرق والغرب بسبب المُنافسات السِّياسيَّة في إيطالية بين البيزنطيِّيْن والألمان، وبسبب التّغيرات المبدئيَّة التي فرضتها الحَركَة الإصلاحيَّة التي بدأها رُهبان كلوني في فرنسة، ولم تُسفر الجُهُود التّوفيقيَّة التي بُذلت عن شيء، وتبادل الطّرفان الاتِّهامات حول نُقاط المذهب والطُّقُوس الدِّينيَّة، وسُرعان ما أصدر كُلٌّ منهما صكَّ الحرمان الكَنَسي بحقِّ الآخر في عام **1054**م ـ كما سبق بيان تفاصيله ـ، ويُعدُّ هذا العام تاريخ الانشقاق (مع أنَّ الانشقاق حصل تدريجيّاً بعد عمليَّة طويلة ومُعقَّدة، بدأت قبل ذلك بكثير، وأسهمت فيها التّباعدات الثّقافيَّة والسِّياسيَّة والدِّينيَّة، كما سبق شرحه).

وكان ثمَّة أمل ـ في البدء ـ لرأب الصّدع، وإصلاح ذات البَيْن، إلاَّ أنَّ الانفصال تمَّ مُنذُ ذلك التّاريخ، وفُقدت جُسُور الاتِّصال، ولاسيما في زمن الحُرُوب الصّليبيَّة؛ إذْ عمل الصّليبيُّون على إقامة إمارات لاتينيَّة على الأراضي التي كانت تُعدُّ ضمن دائرة نُفُوذ كَنيسة القسطنطينيَّة، ووضعوا أساقفة من اللاَّتين مكان الأساقفة الشّرقيِّيْن في أنطاكية والقُدْس بعد احتلالهم هاتَيْن المدينتَيْن القديمَتَيْن (**1098 ـ 1099**)، وبلغت الأزمة ذروتها حين استولى الصّليبيُّون على القسطنطينيَّة، ونهبوها في عام **1204**، وأقاموا إمبراطُوراً من اللاَّتين على العرش فيها، ونصَّبوا بطريركاً من اللاَّتين على كُرسيها الرّسولي. وهكذا اجتمع الجدل اللاَّهوتي والكراهية الوطنيَّة معاً ليزيدا في هُوَّة الانشقاق أكثر، فأكثر.

وفي غمرة تلك الأحداث سعت الكنيستان البلغاريَّة والصّربيَّة نحو استقلالهما الكَنَسي، فنالت الكَنيسة البلغاريَّة حقَّ الاستقلال الكَنَسي، وإقامة بطريركيَّتها ثانية في ترنوفو

(1235م)، وأسَّس الصّرب كنيستهم المحلِّيَّة، ونصَّبوا أسقفاً مُستقلاً لها في عام 1219 م.
أمَّا الكَنيسة الرُّوسيَّة؛ فحافظت ـ على الرّغم من الغزو المغولي لرُوسية (1237 م ـ 1448 م) ـ على بقائها مُنظَّمة اجتماعيَّة مُتَّحدة وحيَّة في البلاد من جهة، وحاملة لواء التُّراث البيزنطي من جهة ثانية، وظلَّ رئيس الكَنيسة الرُّوسيَّة (مُطران كييف الذي عيَّنه مجمع نيقية) يحظى باحترام الخانات المغول، وخُوِّل سُلطة الاتِّصال برئيسه الأعلى (البطريرك المسكوني)، واكتسب مكانةً رفيعةً، واحتفظ بسُلطةٍ كَنَسيَّةٍ على مناطق واسعة، تمتدُّ من جبال الكربات حتَّى نهر الفُولغا.

وبعد ذلك؛ استعادت أُسرة باليولوغس البيزنطيَّة القسطنطينيَّة من اللاَّتين، وحكمتها بين عامي 1261 م و1453 م، بَيْدَ أنَّها ما استطاعت إعادة الإمبراطُوريَّة إلى ما كانت عليه من قُوَّة ونُفُوذ؛ إذْ كانت المعارك تجري على امتداد حُدُودها، والحُرُوب الأهليَّة تُمزِّقها، ورُقعة أراضيها تتقلَّص حتَّى وقفت عند ضواحي العاصمة نفسها. ومع ذلك؛ حافظت بطريركيَّة القسطنطينيَّة ـ في تلك الآونة ـ على نُفُوذها القديم، فمارست سُلطاتها الشّرعيَّة على رُقعة أوسع؛ ضمَّت رُوسية والقفقاس وأجزاء من الأرضي البلقانية، إلاَّ أنَّها لم تتمكَّن ـ من دُون الدّعم العسكري للإمبراطُوريَّة القويَّة ـ من إعادة فرض نُفُوذها على كنائس بلغارية وصربية.
وفي عام 1346 م، أعلنت الكَنيسة الصّربيَّة نفسها بطريركيَّة، واحتجَّت القسطنطينيَّة على ذلك، بَيْدَ أنَّها عادت، واعترفت بها في عام 1357 م. أمَّا في رُوسيا؛ فتورَّطت الدِّبلُوماسيَّة الإكليريكيَّة البيزنطيَّة في نزاع أهلي عنيف بين كبار أُمراء مُوسكُو وليتوانية للظَّفَر بقيادة الدّولة الرُّوسيَّة المُحرَّرة من المغول، وكان لتأييد السّلك الإكليريكي أثر بارز في انتصار أُمراء مُوسكُو، ممَّا ترك أثراً واضحاً في تاريخ رُوسية اللاَّحق.

الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة بين عامَيْ 1453م و 1821م:

فَتَحَ العُثمانيُّون القسطنطينيَّةَ سنة 1453م، وتركوا للمسيحيِّيْن حُرِّيَّة العبادة، وقد سمح السُّلطان العُثماني في عام 1454م، بانتخاب بطريرك جديد للقسطنطينيَّة سُمِّي « ملة باشي » رئيساً للمسيحيِّيْن جميعاً، يحقُّ له الاضطلاع بالإدارة، وجباية الرُّسُوم، ومُمارسة السُّلطة القضائيَّة على المسيحيِّيْن في الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة، وهكذا استعاد بطريرك

القسطنطينيَّة - في ظلِّ الحُكْم الجديد - حقُوقه السّابقة، وامتدَّت سُلطته الشّرعيَّة، واتَّسعت أكثر، فأكثر، حتَّى بات بوُسعه - بعد أنْ منحه السُّلطان العُثماني امتيازات كثيرة - أنْ يبسط نُفُوذه على نُظرائه من الأساقفة الأرثُوذكس الآخرين، كما اتَّسعت سُلطاته السِّياسيَّة إلى جانب السُّلطات الكَنَسيَّة والرُّوحيَّة.

وكان للنّظام العُثماني الجديد آثار ملحوظة في الكنائس القديمة في حوض البحر المُتوسِّط والبلقان، فالدّعم الذي منحه العُثمانيُّون لأسقف القسطنطينيَّة، الشّخصيَّة الإداريَّة الرّسميَّة «لملَّة الرُّوم»، زاد من سيطرة اليُونانيِّيْن على هيئة الكَهَنُوت، فشغل الأساقفة اليُونانيُّون مراتبها المُتسلسلة كافَّة، وأصبحت البطريركيَّات القديمة في الشّرق الأوسط تخضع لسُلطة الفنار (حيّ في اسطنبول أُقيمت فيه البطريركيَّة الأرثُوذكسيَّة)، كما أنَّ الكنيستَيْن البلغاريَّة والصّربيَّة انتهتا إلى المصير نفسه؛ إذْ فقدتا - رسميّاً - آخر مزايا استقلاهما على يد بطريرك القسطنطينيَّة صموئيل هانتشرلي.

وعلى النّقيض من ذلك؛ فقد بدأت رُوسية تنهض بعزم، حتَّى غدت - في خاتمة المطاف - من الدُّول العُظمى، وحملت لَقَبَ «رُوما الجديدة»، وغدت الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة الرُّوسيَّة - تبعاً لذلك - بطريركيَّة جديدة في عام **1589**م، بمُوافقة القسطنطينيَّة، واعتراف البطريركيَّات الشّرقيَّة الأُخرى، فحصلت على المرتبة الخامسة ضمن التّرتيب الفخري لكراسي الأسقفيَّات الشّرقيَّة بعد بطريركيَّات القسطنطينيَّة والإسكندريَّة وإنطاكية والقُدْس. وكان القياصرة الرُّوس - بعد القرن السّادس عشر - يعدُّون أنفسهم خُلفاء الأباطرة البيزنطيِّيْن، والحُماة السِّياسيِّيْن والمُموِّلين للأرثُوذكسيَّة في البلقان والشّرق الأوسط، وبذلوا جُهُوداً كثيرة للحفاظ على تقاليد المسيحيَّة البيزنطيَّة التي سادت العُصُور الوُسطى. بَيْدَ أنَّ رُوسية القَيْصَريَّة كانت تختلف - تماماً - عن الإمبراطُوريَّة البيزنطيَّة في نظامها السِّياسي والمعرفة الثّقافيَّة الذّاتيَّة: فالوفاق البيزنطي بين القَيْصَر والبطريرك لم يحصل - أبداً - في رُوسية، والأهداف الدُّنيويَّة لدولة رُوسية كانت تحلُّ - على الدّوام - محلَّ المصالح الكَنَسيَّة والدِّينيَّة، ولم يستطيع أساقفة مُوسكُو مُجاراة أسلافهم الأقوياء من البيزنطيِّيْن، فلم يكن لهم حول ولا طول إزاء تجاوز القياصرة للعقائد والتّشريعات الكَنَسيَّة.

وقد شهد القرنان السّابع عشر والثّامن عشر سلسلة من الأزمات الحادَّة بين الكَنيسة والقَيْصَريَّة، انتهت إلى انتصار الأخيرة؛ حين أطاح بُطرُس الأكبر (1682م ـ 1725م) نهائيّاً بالبطريركيَّة في عام 1712 م، وحوَّل إدارة الكَنيسة إلى دائرة حُكُوميَّة عُرفت باسم المجمع الحاكم المُقدَّس، وأصدر قانوناً رُوحيّاً، حدَّد النُّظُم الدّاخليَّة لكُلِّ النّشاطات الدِّينيَّة في رُوسية، وبدأت الكَنيسة ـ بذلك ـ عهداً جديداً في تاريخها استمرَّ حتَّى عام 1917م.

الكَنيسة الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة في القرن التّاسع عشر:

بعد تحرُّر البلقان من السّيطرة التُّركيَّة ظهرت فيه دُول قوميَّة لها كنائس مُستقلَّة تحكم نفسها بنفسها؛ إذْ رافق ضعف الحُكْم العُثماني تقلُّص السُّلطة الفعليَّة التي كانت تُمارسها بطريركيَّة القسطنطينيَّة، فاليُونانيُّون ـ الذين كانوا يرون في البطريركيَّة أمل المُستقبل ـ كانوا أوَّل مَنْ أقاموا كَنيسة قوميَّة لهم في دولتهم الجديدة (1833م)، وصاغوا نظاماً كَنَسيّاً على غرار النّظام الرُّوسي يتألَّف من مجمع كَنَسي مُقدَّس يحكم الكَنيسة بإشراف حُكُومي، وقد اعترفت البطريركيَّة القسطنطينيَّة بالاستقلال الذّاتي للكَنيسة الجديدة في اليُونان عام 1850م.

وفي صربية؛ نال رجال السّلك الكَهَنُوتي الصّربي استقلالهم الذّاتي بعد استقلال صربية عام 1832م، وفي عام 1879م، اعترفت القسطنطينيَّة بالكَنيسة الصّربيَّة كَنيسة تحكم نفسها بنفسها، وفي النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر ظهرت في الإمبراطُوريَّة النّمسويَّة المجريَّة كنيستان تُمارسان السُّلطات الشّرعيَّة على صربية ورُومانية والبلاد السّلافيَّة الأُخرى هُما بطريركيَّة كارلوفتز ومطرانيَّة زرنوفتز (شيرنوفستي اليوم). أمَّا الأبرشيَّات الصّربيَّة في البُوسنة والهرسك التي كانت تحت الإشراف النّمسوي عام 1878م؛ فحافظت على استقلالها الذّاتي؛ إلاَّ أنَّها لم تتمكَّن ـ مُطلقاً ـ من الاستقلال الكامل عن القسطنطينيَّة.

وقيام رُومانية دولةً مُستقلَّة بعد قُرُون من الاحتلال الأجنبي لها حفَّز الكَنيسة الرُّومانيَّة ـ في عام 1865م ـ على التّصريح بأنَّها كَنيسة تحكم نفسها بنفسها، بَيْدَ أنَّ القسطنطينيَّة لم تعترف بها إلاَّ في عام 1885م.

أمَّا في بلغارية؛ فلم تخلُ عمليَّة إعادة تأسيس الكَنيسة البلغاريَّة من المآسي والانقسامات؛ إذْ إنَّها جاءت في الوقت الذي كان يعيش فيه البلغار واليُونانيُّون جنباً إلى

جنب في كُلٍّ من مقدونية وتراقية والقسطنطينيَّة التي كانت ما تزال خاضعة للحُكْم العُثماني الدّاعم لليُونانيِّين على حساب البلغار. وفي القرن التّاسع عشر؛ تفاقم الخلاف بين الطَّرَفَيْن، فكان فَرَمَان السُّلطان العُثماني عام 1870م، الذي قضى بإقامة كَنَسيَّة بلغاريَّة وطنيَّة يرأسها نائب بطريرك بلغاري يُقيم في القسطنطينيَّة، ويحكم جميع البلغار الذين يعترفون به.

وفي رُوسية؛ استمرَّ القانون الرُّوحي الذي وضعه بُطرُس الأكبر ساري المفعول حتَّى قيام الثّورة البلشفيَّة وسُقُوط القَيْصَريَّة الرُّوسيَّة عام 1719م، بَيْدَ أنَّ كثيراً من رجال الكَنيسة عارضوا خُضُوع الكَنيسة للدّولة من دُون أنْ يستطيعوا شيئاً. ومع أنَّ بُطرُس الأكبر وخُلفاءه من بعده نزعوا إلى مُعالجة شُؤُون الكَنيسة مُباشرة، فقد فوَّض القياصرة في القرن التّاسع عشر السُّلطة إلى مُمثِّلين عنهم في الكَنيسة، اختاروهم من بين المُتنفِّذين فيها، بعد منحهم مناصب وزاريَّة في الحُكُومة. وكانت الكَنيسة الرُّوسيَّة أكثر غنىً واتِّساعاً من شقيقاتها في البلقان والمشرق، فأسَّست المعاهد اللاّهوتيَّة والحلقات الدّراسيَّة، ومدَّت يد المُساعدة إلى آلاف المدارس والبعثات التّبشيريَّة.

الكَنيسة بعد الحرب العالميَّة الأُولى:

كان لانحسار المسيحيَّة من آسيا الوُسطى، ولإعادة تجمُّع الكنائس الأرثُوذكسيَّة في البلقان، ولمأساة الكَنيسة على يد الثّورة البلشفيَّة، وللشّتات الأرثُوذكسي في الغرب آثارها البالغة في إحداث تغيُّرات جَذْريَّة في بنية العالم الأرثُوذكسي.

الكنائس الشّرقيَّة اليُونانيَّة الأرثُوذكسيَّة في المشرق:

إثر الحرب اليُونانيَّة التّركيَّة رُحِّل جميع السُّكَّان المُتحدِّرين من أصل يُوناني من تُركية إلى اليُونان، واقتصرت سُلطةُ بطريركيَّة القسطنطينيَّة المسكونيَّة على ما تبقى من الأرثُوذكس في اسطنبول وضواحيها، إلاَّ أنَّها بقيت تُمسك بالزّعامة الفخريَّة بين الكنائس الأرثُوذكسيَّة الأُخرى، وتُمارس سُلطاتها على عدد من أبرشيَّات المُهاجرين الأرثُوذكسيَّة، وعلى الجُزُر اليُونانيَّة، بمُوافقة حكُوماتها.

وتُؤلِّف بطريركيَّات أنطاكية والإسكندريَّة والقُدْس إلى جانب البطريركيَّة المسكونيَّة بقايا الإمبراطُوريَّة البيزنطيَّة الغابرة، بَيْدَ أنَّها ما تزال تمتلك في أوضاعها الرّاهنة فُرصاً للتَّطوُّر:

- فبطريركيَّة الإسكندريَّة مركز للطّوائف الإفريقيَّة المُتنامية، وبطريركيَّة أنطاكية - ومقرُّها دمشق - تُؤلِّف أكبر مركز للتَّجمُّع المسيحي العربي بأبرشيَّاتها في سُوريَّة ولُبنان والعراق، وبطريركيَّة القُدْس خير حارس للأماكن المُقدَّسة في مدينة القُدْس.

- والكنيستان القديمتان، كَنيسة قُبرص وكَنيسة جُورجيَّة، ماتزالان ذاتَيْ شأن بين شقيقاتهما: فالكَنيسة القُبرصيَّة - التي استقلَّت مُنذُ عام 431 م - حافظت على بقائها، واستطاع أساقفتها مُمارسة حُرِّيَّاتهم الدِّينيَّة، ولاسيما في زمن سيطرة المُسلمين على الجزيرة، والكَنيسة الجُورجيَّة شاهدٌ على تقاليد الكَنيسة القديمة، وقد استقلَّت عن أُمِّها كَنيسة أنطاكية في مطلع القرن السّادس الميلادي، وطوَّرت حضارة أدبيَّة وفنِّيَّة بلُغتها الخاصَّة.

الكَنيسة الرُّوسيَّة:

عانت الكَنيسة سلسلة من الأزمات، وتعرَّضت لكثير من الهزّات بعد سُقُوط القَيْصَريَّة، ولاسيما بعد عام 1922 م؛ إذْ صادرت الحُكُومة السُّوفييتيَّة مُمتلكات الكَنيسة، ووضعت البطريرك تحت الإقامة الجَبْريَّة، وأسهمت في تفتيت وحدة الكَنيسة، وأضعفت مُقاومتها. وفي عهد جُوزيف ستالين في العشرينات والثّلاثينيّات من القرن العشرين؛ تعرَّضت الكَنيسة لاضطهادات ذَهَبَ ضحيَّتها الآلاف من رجال الدِّين. ومن عهد البطريرك ألكسيس (1945م - 1970م)، استعادت الكَنيسة بعض حيويَّتها، وتمكَّنت من افتتاح عدد كبير من الكنائس، بَيْدَ أنَّ الحُكُومة شنَّت حملة جديدة عليها، وخفضت عدد الكنائس المفتوحة. ومع مُرُور عشرات الأعوام على الدّعاية المُناهضة للدِّين؛ فقد ظلَّ ملايين الأتباع يحتفظون بولائهم للكَنيسة، كما وجب على زُعماء الكَنيسة - في الوقت ذاته - إظهار ولائهم المُطلق للحُكُومة السُّوفيتيَّة للحفاظ على الكَنيسة من الضّياع.

البلقان وشرقي أُورُوبا:

بعد أنْ سقطت الدّولة العُثمانيَّة والإمبراطُوريَّتان النّمسويَّة والرُّوسيَّة في أعقاب الحرب العالميَّة الأُولى طرأت تغيُّرات مُهمَّة على بنى الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة. ففي الجُمهُوريَّات

المُستقلَّة حديثاً (فنْلَنْدة، ولاتفية، وإستونية، وليتوانيــة) أعلنــت الأقلِّيَّــات الأرثُوذكســيَّة استقلال كنائسها، كما قامت في بُولُونية كَنيسة تحكم نفسها بنفسها. أمَّا التَّغيُّرات في البلقـان؛ فكانت ذات أهمِّيَّـة خاصَّـة، فقـد اتَّحـدت المجموعـات الخمـس لأبرشـيَّات صربيـة تحـت لـواء بطريرك واحد مقرَّه بلغراد عاصمة الاتِّحـاد اليُوغسـلافي (سـابقاً)، كمـا أنَّ أبرشـيَّات رُومانيَّـة ألَّفت بطريركيَّة رُومانية الجديدة في عام 1925م، وهي أكبر الكنائس البلقانيَّة التي تحكم نفسها بنفسها. وفي عام 1937م، اعترفت كَنيسة القسطنطينيَّة باستقلال كَنيسة ألبانيـة. أمَّـا الكَنيسـة اليُونانيَّة؛ فحافظت على مكانتها الشّرقيَّة التـي اكتسبتها مُنـذُ القـرن التّاسـع عشـر، وحظيـت بتأييد جميع الأنظمة التي توالت على اليُونان.

الأرثُوذكسيَّة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة:

ظهرت الكَنيسـة الأرثُوذكسـيَّة أوَّل الأمـر في القـارَّة الأمريكيَّـة في صُـورة بعثـة تبشـيريَّة لمُواطني ألاسكة وجُـزُر أليـوت التـي كـانت أراضـي رُوسـيَّة حتَّـى عـام 1867م. ووَصَـلَ أوَّل المُبشِّرين هُنـاك في أواخـر القـرن الثّـامن عشـر، وأُحدثـت أبرشـيَّة مُسـتقلَّة علـى جُـزُر أليـوت وألسـكة في عـام 1871م، ثُـمَّ انتقـل كُرسـي هـذه الأبرشـيَّة إلـى سـان فرانسيسـكو، وسُـمِّيت «أبرشيَّة جُزُر أليوت وشمالي أمريكـة» (1900م). وأخـذت هـذه الكَنيسـة تُطبِّـق تشـريعاتها الكَنَسيَّة في مُعظم الجُزء الشّمالي من القـارَّة الأمريكيَّـة، وكـانت تقـوم بخدمـة المُـهاجرين مـن اليُونـان وصربيـة وسُـوريَّة وألبانيـة، وغيرهـا. إلاَّ أنَّ بعــض الطّوائـف اليُونانيَّــة والرُّومانيَّــة استدعت قساوسة من بلادها الأصليَّة. وفي عـام 1921م، أقـامت كُلُّ جماعـة قوميَّـة كَنيسـة خاصَّـة بـها، ترتبـط بالكنـائس التـي تنتمـي إليـها تلـك القوميَّـات في العـالم القديـم: أسـقفيَّة يُونانيَّة، وأسقفيَّة سُوريَّة، ومطرانيَّة صربيَّة، ومطرانيَّة رُومانيَّة، وغيرها.

الشّتات الأرثُوذكسي والبعثات التّبشيريَّة:

مُنذُ الحرب العالميَّة الأوَّل؛ توزَّع الملايين من سُكَّان أُورُوبة الشّرقيَّة في مناطق مُختلفة لم يسكنها الأرثُوذكس من قبلُ. فالثّورة الشُّيُوعيَّة تسبَّبت بهجرات واسعة إلى أُورُوبـة الغربيَّـة، ولاسيما فرنسا، وحاولت بطريركيَّة مُوسكُو أنْ تفرض وصايتها على الكنـائس الأرثُوذكسـيَّة في الشّتات (1925م)، بَيْدَ أنَّها لاقت مُعارضة كبيرة من الأسـاقفة الذيـن غـادروا أبرشـيَّاتهم،

وفرّوا من رُوسية ، وحلّوا ضُيُوفاً على الكَنيسة الصّربيَّة ، فحوَّلوا مركز قيادتهم إلى نيُو يُـورك باسم « الكَنيسة الرُّوسيَّة الأرثُوذكسيَّة خارج رُوسية » ، ولم يُقيموا أيَّ علاقات كَنَسيَّة رسميَّة مع البطريركيَّات والكنائس الأرثُوذكسيَّة ، كما وَجَدَتْ « الكَنيسة الأرثُوذوكسيَّة الأُوكرانيَّة في الشّتات » نفسـها في الوضـع الكَنَسـي ذاتـه ، وانضمَّـت مجموعـات أرثُوذوكسـيَّة أُخـرى في الشّتات إلى البطريركيَّة المسكونيَّة .

وبعـد الحـرب العالميَّة الثّانيـة ؛ هـاجر كثير مـن اليُونـانيِّين إلـى أُورُوبـة الغربيَّـة وأُسـترالية ونيُوزلنـدة وإفريقيـة . وفي إفريقيـة ؛ اسـتطاع المُهاجرون اليُونـان اجتـذاب عـدد لا بـأس بـه مـن الأفارقة إلى الأرثُوذكسيَّة ، وتنتشر ـ اليوم ـ الطّوائف الأرثُوذكسيَّة في أُوغندة وكينية وتنـزانية .

الحَرَكَات المسكونيَّة الأرثُوذكسيَّة:

في المرحلـة الفاصلـة بـين الحربَيْـن العـالميَّتَيْن شـارك كثير مـن رجـال الكَنيسـة التّـابعين للبطريركيَّة المسكونيَّة في القسـطنطينيَّة ولكنـائس اليُونـان والبلقـان ومـن المُهاجرين الـرُّوس في حَرَكَات مسكونيَّة أرثُوذكسيَّة . وبعد الحرب العالميَّة الثّانية ؛ لم تُوفَّق الكنائس الأرثُوذكسيَّة في البُلدان الشُّيُوعيَّة بالانضمام إلى المجلس العـالمي للكنـائس في عـام **1948**م . وفي عـام **1961**م ، تغيَّر الوضع فجأة حين تقدَّمت بطريركيَّة مُوسكُو بطَلَـب العُضويَّـة ، وتبعتـها كنـائس أُخـرى . وأعلن الأرثُوذوكسيُّون ـ نحو عام **1961**م ـ أنَّهم عازمون على البحث في أفضل السُّبُل لإعادة الوحدة المسيحيَّة ، وعلى دراسة مسائل العمل المسيحي المُشترك في العالم المُعاصر .

وحين نشطت الكَنيسة الرُّومانيَّة في الحَرَكَة المسكونيَّة بادرت الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة ـ بعـد تردُّد ـ إلى المُشاركة بجهُودها في الجوِّ الجديد . وكانت الاجتماعات الأخـيرة التـي عُقـدت بـين البطريرك والبابا في اسطنبول ورُوما ، ورفع الحُرُم الكَنَسيَّة القديمة ، وغير ذلك ، مُؤشِّرات تدلُّ على التّقارب بين الكنيستَيْن ، وتُفسَّر ـ في بعض الأحيان ـ كما لو أنَّهت الانشقاق نفسه .

ـ الكنائس الأرثُوذكسيَّة اليوم:

الكنائس الخلقيدونيَّة (اليُونانيَّة أو البيزنطيَّة):

وتضمُّ البطريركيَّات الأربع القديمة ، ونحو خمس عشرة كَنيسة يتمتَّع أكثرها باستقلال ذاتي .

1 ـ **بطريركيَّة القسطنطينيَّة المسكونيَّة:** ومقرُّها اسطنبول، وتتمتَّع بالسِّيادة الفخريَّة على الكنائس الأرثُوذكسيَّة، ويحمل بطريركها لَقَبَ البطريرك المسكوني، ومع أنَّه من اليُونانيِّيْن بسبب سيطرة هؤلاء على الكَنيسة في العهد العُثماني، فإنَّ الحُكُومة التُّركيَّة تفرض على مَنْ يُنتخَب لهذا المنصب أنْ يحمل الجنسيَّةَ التُّركيَّة. وقد تقلَّصت رُقعة نُفُوذ هذه البطريركيَّة بعد فَتْح القسطنطينيَّة، ويتبع لها ـ اليوم ـ تُركية وبعض جُزُر بحر إيجة، وبعض أبرشيَّات اليُونانيِّيْن والأُوكرانيِّيْن والبُولُونيِّيْن والألبان في المهجر، وجبل أتوس (عشرون ديراً رهبانيّاً؛ منها سبعة عشر ديراً يُونانيّاً، ودير للصّرب، وآخر للبلغار، وثالث للرُّوس)، ويبلغ عدد رعاياها مُجتمعة نحو ثلاثة ملايين.

2 ـ **بطريركيَّة الإسكندريَّة وسائر إفريقية:** ويحمل بطريركها لقب بابا وبطريرك، وهُو من اليُونانيِّيْن، وتتبع لها كُلُّ إفريقية، ويُقدَّر عدد رعيَّتها بنحو ثلاثمئة ألف.

3 ـ **بطريركيَّة أنطاكية وسائر المشرق:** ومقرُّها دمشق، وتشمل ستَّ عشرة أبرشيَّة، وثماني مُعتمديَّات بطريركيَّة. ويتوزَّع رعاياها (نحو 12 مليُوناً) في سُوريَّة ولُبنان والعراق وأُورُوبا الغربيَّة وأمريكا وأُستراليا.

4 ـ **بطريركيَّة أُورشليم القُدْس وسائر فلسطين:** وهي الرّابع في ترتيب الكنائس الأرثُوذكسيَّة. وتشغل مركزاً بارزاً، لكونها من أقدم الكنائس في أقدس المُدُن المسيحيَّة، وتتولَّى حماية الأماكن المُقدَّسة. وبطريركها ومجمعها من اليُونانيِّيْن، مع كون رعيَّتها في فلسطين والأُردن عرباً، بسبب سيطرة اليُونانيِّيْن على الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة البيزنطيَّة في العهد العُثماني. وعدد رعيَّة هذه البطريركيَّة قليل لا يتجاوز ثلاثين ألفاً.

5 ـ **كَنيسة قُبرص:** وهي أُولى الكنائس المُستقلَّة يرأسها رئيس أساقفة. وكانت تضمُّ خمس أبرشيَّات؛ اثنتان منها في القسم التُّركي من الجزيرة.

6 ـ **كَنيسة سيناء:** وتتكوَّن من دير واحد هُو دير القدِّيسة كاترينا عند سفح طور سيناء، يرأسها رئيس أساقفة ينتخبه الرُّهبان (100 راهب)، ويُقيمه بطريرك القُدْس.

7 ـ **بطريركيَّة مُوسكُو وكُلّ رُوسية:** ومقرُّها مُوسكُو، وقد أُقيمت فيها البطريركيَّة بعد فَتْح القسطنطينيَّة، وعدد رعيَّتها نحو مئة وخمسين مليُوناً.

8 ـ بطريركيَّة صربية: ومقرُّها بلغراد، وكانت تشمل يُوغسلافية السّابقة؛ عدا جُمهُوريَّة الجبل الأسود، التي فصلها النّظام الشُّيُوعي السّابق عن البطريركيَّة، وعدد رعيَّتها نحو عشرة ملايين.

9 ـ بطريركيَّة بلغاريا: وهي أقدم الكنائس السّلافيَّة (القرن العاشر للميلاد)، وتبلغ رعيَّتها ثمانية ملايين.

10 ـ بطريركيَّة رُومانيا: ومركزها بُوخارست، وعدد رعيَّتها اثنا عشر مليُوناً.

وثمَّة إحدى عشرة كَنيسة مُستقلَّة هي:

ـ **كَنيسة اليُونان**: ويرأسها رئيس أساقفة، وعدد رعيَّتها نحو عشر ملايين.

ـ **بطريركيَّة جُورجية والبلاد الكرجيَّة**: انتشرت المسيحيَّة في جُورجية مُنذُ القرن الرّابع، وارتبطت ببطريركيَّة أنطاكية حتَّى القرن الثّامن، ثُمَّ تبعت الكَنيسة الرُّوسيَّة إلى أنْ استقلَّت في عام1917، وعدد رعيَّتها نحو أربعة ملايين.

ـ **كَنيسة ألبانية**: وكانت ترتبط بالقسطنطينيَّة حتَّى عام 1937، مقرُّها تيرانة، وفيها رئاسة أساقفة، وعدد رعيَّتها نحو ثلاثمائة ألف.

ـ **كَنيسة بُولُونية**: وهي رئاسة أساقفة، ومقرُّها وارسو.

ـ **كَنيسة تشيكوسلوفاكية (سابقاً)**: ومقرُّها براغ، وفيها رئاسة أساقفة.

ـ **كَنَسيَّة هنغارية**: ومقرُّها بُودابست، وفيها دير بيزنطي.

ـ **ثلاث كنائس مُستقلَّة ذاتيّاً في فلندة واليابان والصّين** لم تحصل على استقلالها التَّامِّ إلى اليوم. فضلاً عن عدد من الأبرشيَّات الأرثُوذكسيَّة في أُورُوبا الغربيَّة والأمريكيَّتَيْن، وفي آسيا وأُستراليا وإفريقية، وتتبع كُلُّ أبرشيَّة منها لكَنيسة أو لأُخرى، ويتمتَّع بعضها باستقلال ذاتي.

الكنائس الأرثُوذكسيَّة اللاَّخلقيدونيَّة:

وتضمُّ ستَّ بطريركيَّات وكنيستَيْن مُستقلَّتَيْن:

1 - **بطريركيَّة الإسكندريَّة وسائر الكرازة المرقصيَّة للأقباط الأرثُوذكس:** ومقرُّها القاهرة، تُقدَّر رعيَّتها بنحو ثمانية ملايين (والكرازة تعني الوعظ بالحقائق المسيحيَّة).

2 - **بطريركيَّة أنطاكية وسائر المشرق للسّريان الأرثُوذكس:** ومقرُّها دمشق، وتُقدَّر رعيَّتها بنحو مليونَيْ سرياني في سُوريَّة ولُبنان والدُّول الإسكندنافية، فضلاً عن وُجُود نحو مليون سرياني في الهند. لذلك يُدعى بطريركها الرّئيس الأعلى للكَنيسة السّريانية الأرثُوذكسيَّة في العالم.

3 - 4 **بطريركيَّتان أرمنيَّتان للأرمن الأرثُوذكس،** ولا تُسمَّيان - في الواقع - بطريركيَّة، بل تُسمَّيان "كاثوريغوس" **Catholicos**؛ إحداهما: وهي الأهمُّ، في دير اتشميازين **Echmiadzin** الواقع قُرب "يريفن" **Yerevan** عاصمة أرمينيا، ويُسمَّى بطركها: "كاثوريغوس كُلّ الأرمن الأرثُوذكس"، والثّانية: في أنطلياس (لُبنان)، وتُسمَّى "كاثوريغوس بيت كيليكيا الكبير"، وتتبع لها أبرشيَّات سُوريَّة ولُبنان وقُبرص وكريت وإيران والولايات المُتَّحدة.

5 - 6 **بطريركيَّة القُدْس:** وهي تاريخيَّة، وتشمل فلسطين والأُردن، ولها رُبع كَنيسة القيامة، ونصف كَنيسة ميلاد المسيح، وبطريركيَّة القسطنطينيَّة، وهي مركز تاريخي كذلك، وعدد رعيَّتها قليل، وتشمل تُركيا وأجزاء من أُورُوبا.

7 - **كَنيسة الحبشة:** وكانت مُرتبطة ببطريركيَّة الأقباط الأرثُوذكس في القاهرة، ثُمَّ استقلَّت، ورعيَّتها نحو ثلاثين مليُوناً.

8 - **الكَنيسة الآشوريَّة الأرثُوذكسيَّة:** ومقرُّها بغداد، ولرعيَّتها وُجُود في الولايات المُتَّحدة (الكَنيسة الرّسوليَّة الآشوريَّة الأمريكيَّة في شيكاغو)، وفي سُوريَّة ولُبنان والهند وإيران وأُستراليا وإيطاليا، ويصل عدد أفراد رعيَّتها إلى نحو نصف مليون.

الفُرُوقات الرّئيسيَّة بين الأرثُوذكسيَّة والكَاثُوليكيَّة[1]:

يُمكن تقسيم هذه الاختلافات إلى الأقسام التّالية:

1 ـ الاختلافات العقيديَّة:

ـ حول طبيعة السيِّد المسيح Christology : ترى الكنائس الأرثُوذكسيَّة اللاَّخلقيدونيَّة (القبطيَّة والحبشيَّة والسّريانيَّة والأرمنيَّة): «أنَّ الأقنوم الثّاني أقنوم الابن تجسَّد من رُوح القُدُس ومن مريم العذراء، مُصيِّراً هذا الجسد معه واحداً وحدةً ذاتيَّةً جوهريَّةً مُنزَّهةً عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، بهذا؛ صار الابن المُتجسِّد طبيعة واحدة من طبيعتَيْن ومشيئة واحدة»، في حين ترى العقيدة الكَاثُوليكيَّة أنَّ المسيح طبيعتان ومشيئتان لاهوتيَّة وناسوتيَّة.

ـ حول الأقنوم الثّالث رُوح القُدُس: حيثُ ترى جميع الكنائس الأرثُوذكسيَّة ـ سواء الخلقيدونيَّة منها أو غير الخلقيدونيَّة ـ انبثاق الرُّوح القُدُس من الأب فقط، في حين ترى الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة انبثاق رُوح القُدُس من الآب والابن معاً، وتُسمَّى هذه العقيدة بالفيليوق: Filioque.

2 ـ الاختلافات الطَّقْسيَّة:

- ـ في القدَّاس: (أوشية الآباء / قانون الإيمان/ مجمع القدِّيسين).
- ـ في التّناول: عند الأرثُوذكس يتمّ مُناولة المُؤمنين في القُربان المُقدَّس (الأفخاريستيا) كلا الخُبز العادي (ذي الخميرة) والخمر، في حين تقتصر الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة على تقديم خُبز الفطير فقط، أو البرشان (شريحة صغيرة)، دُون الخمر، وأحياناً؛ يُقدِّمونها بعد غمسها بالخمرة.
- ـ يأخذ الأرثُوذكس على الكَاثُوليك الأُمُور الطَّقْسيَّة التّالية:
- ـ عدم الالتزام بالاحتراس 9 ساعات قبل التّناول.
- ـ إقامة أكثر من قدَّاس على نفس المذبح في يوم واحد.

---

(1) مُستفاد من مقالة عن "تاريخ الكَنيسة" للشَّمَّاس القبطي الإكليركي عهدي سامي، منشورة في مجلَّة قبطيَّة، مع إعادة ترتيب وإضافة شرُوح وتوضيحات من مصادر إضافيَّة.

ـ يُمكن للكاهن أنْ يُصلِّي ويتناول في أكثر من قدّاس في اليوم الواحد.

ـ عدم مُناولة الأطفال، وإجراء طقس المُناولة الأُولى من سنِّ 8 سنوات، في حين يُناول الأرثُوذكس الطّفل في وقت أبكر؛ أيْ مع أوّل تعميد له، وهُو لايزال في السّنة الأُولى أو الثّانية من عُمره.

ـ مُناولة غير المُؤمنين (يُمارسها الأساقفة الكَاثُوليك ـ خاصّة في الغرب ـ بدُون قرار واضح رسمي من الفاتيكان).

3 ـ الاختلافات في الأحوال الشّخصيّة:

ـ يسمح الأرثُوذكس بالطّلاق في بعض الحالات، في حين لا يسمح الكَاثُوليك بالطّلاق على الإطلاق، ويستند الأرثُوذكس في موقفهم إلى نُصُوص صريحة تُبيح الطّلاق في بعض الحالات؛ مثل ما وَرَدَ في: متّى 5: 32، متّى 19: 9، مرقس 10: 11، لُوقا 16: 18، أمّا الكَاثُوليك؛ فيتمسّكون ـ فقط ـ بنصّ متّى (19: 6 ـ 9) الذي يقول فيه المسيح: [« فَالذي جَمَعَهُ اللّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إنْسَانٌ ». فَسَأَلُوهُ: « فَلمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلّقُ؟ »، قَالَ لَهُمْ: « إنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ؛ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بأُخرى يَزْنِي، وَالَّذي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي »].

وبسبب منعهم الطّلاق تماماً اضطُرَّ الكَاثُوليك إلى التّوسُّع كثيراً في أسباب بطلان الزّواج؛ أيْ أنّهم عندما يُوقعون الانفصال بين الزّوجَيْن يُوقعونه تحت عُنوان أنّ العقد بينهما كان باطلاً من الأساس؛ لعدم تحقُّق بعض شُرُوطه، وبالتّالي؛ لا يُسمّونه تطليقاً، وإنّما فسخاً للعقد الذي كانت شُرُوطه من البداية غير تامّة.

ـ يسمح الكَاثُوليك ـ أحياناً ـ بالزّواج بغير المُؤمنين، في حين يرفض ذلك الأرثُوذكس. [(التّفسيح البُولُسى) 1كو 7][1].

---

(1) إشارة إلى ما جاء في الإصحاح السّابع من رسالة بُولُس الرّسول الأُولى إلى أهل كورنثوس: « وَأَمَّا الْبَاقُونَ؛ فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا لاَ الرَّبُّ: إنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤمنةٍ وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ فَلاَ يَتْرُكْهَا. وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤمن وهُو يَرْتَضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا فَلاَ تَتْرُكْهُ. لأَنَّ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُؤمن مُقَدَّسٌ فِي الْمَرْأَة، وَالْمَرْأَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَة مُقَدَّسَةٌ فِي الرَّجُل، وإلاَّ فَأَوْلاَدُكُمْ نَجِسُونَ. وَأَمَّا الآنَ؛ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ. ». 1 كورنثوس 7/ 12 ـ 14.

4 ـ الاختلافات من جهة القدِّيسة العذراء مريم:

ـ لا يُؤمن الأرثُوذكس بعقيدة الحَبَل بلا دَنَس **Immaculate Conception** (أيْ العقيدة القائلة أنَّ السَّيِّدة العذراء وُلدت من حنَّة ويواقيم، وهى لا تحمل الخطيَّة الأصليَّة)، وهي عقيدة أقرَّها البابا بيوس التّاسع عام **1854**.

ـ كما ينفي الأرثُوذكس صحَّة عقيدة الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة القائلة إنَّ مريم العذراء شريكة في عمل الفداء، ولا يُؤمنون بقول الكَاثُوليك إنَّه لا تأتى نعمة إلى البشر إلاَّ عن طريق العذراء، ويُسمُّونها "سيِّدة المطهر"، ويرفضون قولهم بعصمة العذراء الكاملة عن الخطأ، ويرون كُلَّ ذلك عقائد تمَّت إضافتها ـ بلا إجماع ـ إلى قانون الإيمان المسيحي.

5 ـ الاختلافات في موضوع الخلاص والغُفران:

ـ لا يُؤمن الأرثُوذكس بالمطهر **Purgatory** الذي قالت به الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، وهُو مرحلة بين الجنَّة والنّار يُعذَّب فيها بعض المُستحقِّين للعذاب لفترة محدودة، ثُمَّ يصيرون إلى الجنَّة.

ـ يأخذ الأرثُوذكس على الكَاثُوليك أنَّهم يُؤمنون أنَّ الإنسان يُمكن أنْ ينال الغُفرانات لعدد من السّنين أو الأيَّام عن طريق تلاوة صلوات مُعيَّنة، أو زيارة أماكن مُقدَّسة مُعيَّنة بأوامر من بابا الكَاثُوليك، ويأخذون عليهم إيمانهم بزوائد القدِّيسين؛ أيْ أنَّ بعض القدِّيسين لهم زوائد من الغُفرانات يُمكن مَنْحُهَا أو توريثها لغيرهم.

ـ يرفض الأرثُوذكس خلاص أحد إلاَّ عن طريق المسيح، والإيمان بفدائه، في حين يُؤمن الكَاثُوليك بإمكانيَّة خلاص غير المُؤمنين بالمسيح من أتباع الدّيانات الأُخرى إذا ما أخلصوا في إيمانهم وعملهم الصّالح، وأنَّ رحمة الله الواسعة ومحبَّته الفائقة تشمل الجميع.

6 ـ اختلافات بخُصُوص الرِّئاسة الكَنَسيَّة:

ـ لا يُؤمن الأرثُوذكس برئاسة بُطرُس الرّسول **Primacy of Peter** على سائر الرُّسُل، وبالتَّالي؛ لا يُؤمنون بأنَّ لبابا رُوما رئاسة دينيَّة مُميَّزة وخاصَّة على كنائس العالم كُلِّها باعتباره خليفة بُطرُس الرّسول.

ـ يرى الكَاثُوليك عصمةَ البابا في كُلِّ ما يقوله من إرشاد وتعليم ديني، في حين لا يرى الأرثُوذكس عصمته، ولا عصمة بطاركتهم، أو باباواتهم، بل الكُلُّ مُعرَّض لأنْ يُخطئ، حتَّى في المسائل العقائديَّة.

7 ـ خلافات أُخرى:

ـ يأخذ الأرثُوذكس على الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة موقفها الأخير (في أواخر القرن العشرين) في تبرئة اليهُود من دم المسيح (المجمع الفاتيكاني الثّاني سنة 1965).

ـ ويأخذون عليها إلغاءها غالبيَّة الأصوام، وتأجيل مسح الأطفال بالميرون إلى سنِّ 8 سنوات.

ـ يسمح الأرثُوذكس للكَهَنَة بالزّواج، بخلاف الكَاثُوليك الذي لا يسمحون بزواج الكَهَنَة (مُلاحظة: هذا التّعليم مُطبَّق خاصَّة لدى اللاَّتين الكَاثُوليك، أمَّا الكَاثُوليك من الأقوام الآخرين كالسّريان الكَاثُوليك والأقباط الكَاثُوليك؛ فقد تساهلت معهم الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، فصارت تسمح للإكليروس منهم بالزّواج).

يقول الشّماس القبطي الإكليركي عهدي سامي، في ختام عرضه لتلك الفُرُوقات بين الكَاثُوليك والأرثُوذكس: [وقد أمكنَ ـ بنعمة الله ـ توقيع اتِّفاق كريستُولُوجي مع الإخوة الكَاثُوليك فيما يختصُّ بطبيعة المسيح، وكان ذلك في عام 1988، وفيما يلي نصُّ هذا الاتِّفاق: "نُؤمن كُلُّنا أنَّ ربَّنا وإلهنا ومُخلِّصنا يسُوع المسيح الكلمة (اللّوغوس) المُتجسِّد هُو كامل فى لاهوته، وكامل فى ناسوته، وأنَّه جَعَلَ ناسوته واحداً مع لاهوته، بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير، ولا تشويش، وإنَّ لاهوته لم ينفصل عن ناسوته، حتَّى إلى لحظة أو طرفة عين. وفى نفس الوقت نُحرِّم كلاً من تعاليم نسطور وأوطاخى"].

الأرثُوذكسيَّة واتِّحاد المسيحيِّيْن:

المبدأ الأساسي الذي يأخذ به الأرثُوذكسيُّون في جميع علاقاتهم المسكونيَّة هُو وحدة الإيمان، وليس وحدة التّنظيم. فالكَنيسة الأرثُوذكسيَّة أُسرة من الكنائس الشّقيقة، الأمر الذي يسمح للمسيحيِّيْن الآخرين بالانضمام إلى الأرثُوذكسيَّة من دُون أنْ يُؤثِّر ذلك في

استقلاهم الذّاتي. الأرثُوذكسيَّة تُطالب الطّوائف المسيحيَّة الأُخرى بتقبُّل التّقليد الشّريف بمُجمله، والتّقليد الشّريف يتميَّز من التّقاليد (العادات)؛ إذْ إنْ كثيراً من الأُمُور التي يُؤمن بها الأرثُوذكسيُّون لا تُؤلِّف جُزءاً من التّقليد الشّريف، بل هي آراء لاهوتيَّة لا يجوز فرضها على الآخرين. فمن المُمكن أنْ يكون النّاس على وحدة كاملة في الإيمان، وفي الوقت نفسه تختلف آراؤهم اللاَّهوتيَّة في بعض الميادين.

والمبدأ الأساسي القائل إنَّه ما من لقاء من دُون وحدة في الإيمان يفضي إلى أنَّه لا يُمكن أنْ يكون ثمَّة مُشاركة في الأسرار بين المسيحيِّيْن المُنتمين إلى طوائف مُختلفة ما لم تُصبح وحدة الإيمان أمراً مُحقَّقاً.

ثانياً: الكَنيسة الرُّومانيَّة الكَاثُوليكيَّة:

***Roman Catholic Church*:**

أصل كلمة "كَاثُوليكي"[1] هُو اللّفظة اليُونانيَّة **Katholikos** "كَاثُوليكوس"، وتعني: العالمي **Universal**؛ حيثُ تمثِّل الكَنيسة الرُّومانيَّة الكَاثُوليكيَّة أكبر تجمُّع مسيحي في العالم؛ إذْ يُقدَّر عدد أتباعها بنحو مليار مسيحي يُمثِّلون حوالي خُمْس سُكَّان العالم، وينتشرون في جميع بقاع المعمورة، فلا يكاد يُوجد بلد على وجه الأرض لا يُوجد فيه للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة أتباع. وقد استُخدمت هذه الكلمة - أيْ "الكَاثُوليكيَّة" - لأوَّل مرَّة من قبَل القدِّيس أغْناطْيُوس الأنطاكي في رسالته إلى السّميرانيِّيْن **Smyrnaeans** سنة **110**م، ثُمَّ استخدمها اللاَّهوتي الإغريقي كليمنت الإسكندراني (**150**م - **215**م)، الذي يُعدُّ أحد الآباء العظام اليُونانيِّيْن للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، لكنَّ الاستخدام الرّسمي لها في التّعبير عن الكَنيسة المسيحيَّة - التي كانت الوحيدة في ذلك الوقت - لم يحدث قبل القرن الثّالث الميلادي.

وقد عبَّر اللاَّهوتي الفرنسي فينسان اللِّيرينسي **Vincent of Lérins** عن المبدأ الأساسي والأسمى للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة كالتّالي: [كُلُّ ما تمَّ الاعتقاد به أينما كان، دائماً، ومن قبل الكُلّ؛ فهذا هُو الكَاثُوليكي حقيقةً، وبالمعنى الدّقيق للكلمة].

---

(1) مراجع هذا الموضوع هُو المعلومات الغزيرة المنشورة بعدَّة لُغات على مواقع عديدة للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة على شبكة الإنترنت، ثُمَّ الموسُوعتَيْن البريطانيَّة والأمريكيَّة، ثُمَّ الموسُوعة العربيَّة العالميَّة، والموسُوعة الفلسفيَّة العربيَّة.

ويقود الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة قداسة البابا ـ الحبر الأعظم ـ، وهُو أسقف رُوما، من مقرِّه بمدينة الفاتيكان، التي تُعدُّ دُويلة صغيرة مُستقلَّة داخل مدينة رُوما عاصمة إيطاليا. ويُساعده في تصريف شُؤُون الكَنيسة وإدارتها في العالم بعض الإدارات والهيئات القضائيَّة والإداريَّة يُطلق عليها اسم كوريا رُومانا **Curia Romana** والتي تضمُّ بعض المحاكم والسِّفارات أو القُنصليَّات البابويَّة التي تُصدر بيانات البابا الرّسميَّة، وبعض الوظائف الوزاريَّة مثل وزارة الخارجيَّة الكاردِيناليَّة للفاتيكان، ومجمع الكَرَادلة المُقدَّس **Sacred College of Cardinals** الذي يُعيِّن البابا أعضاءه الذين يُعتبرون مُستشاريه الرّئيسيِّيْن، ومُعاونيه المُقدَّمين في إدارة شُؤُون الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة. وأبرز مهمَّات هذا المجمع انتخاب البابا الجديد كُلَّما خلا الكُرسي الرّسولي. وإنَّما يتمُّ هذا الانتخاب في خلوة تُعقد وراء أبواب مُغلقة، وبالاقتراع السِّرِّيّ. وكثيراً ما يتطاول أمدُ انتخاب البابا الجديد، فيستغرق أيَّاماً مُتعدِّدة، يُكرَّر فيها الانتخاب المرَّة تلو المرَّة، حتَّى يفوز أحد المُرشَّحين بأكثرية الثُّلثَيْن، مُضافاً إليها صوت واحد. ومن تقاليد انتخاب البابا أنْ تُحرق أوراق الاقتراع بعد خَلْطها بالتِّبن الرَّطب، إثر كُلٍّ جولة، وهكذا يتصاعد من مدخنة الخلوة دُخان أسود يشعر النّاس أنَّ الكَنيسة لا تزال بلا بابا يرئسها. حتَّى إذا تمَّ اختيار البابا الجديد أُحرقت أوراق الاقتراع الأخير كما هي، فيكون في الدُّخان الأبيض المُتصاعد من المدخنة ما يفيد أنَّ رأساً جديداً للكَنيسة قد انتُخب، وعندئذ ـ فقط ـ ينفرط عقد الخلوة، ويرقى تاريخ مجمع الكَرَادلة المُقدَّس إلى القرن الثّامن للميلاد.

وتُوجد ـ أيضاً ـ للكَرَادلة لجان ومجالس، لكُلٍّ منها عمل خاصٌّ به. (وتُشاهَد إلى اليسار كاتدرائيَّة القدِّيس بُطرُس في حاضرة الفاتيكان في رُوما/ إيطاليا، وتُعَدُّ من أقدس الأماكن في العالم بالنّسبة للكَاثُوليك).

وتعتبر الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة نفسها الوريثَ الشّرعيّ الوحيد ـ عبر سلسلة أسقفيَّة مُتواصلة تبدأ من بُطرُس الرّسول تلميذ ووصي وخليفة السَّيِّد المسيح، وتستمرُّ عبر خُلفائه من الآباء (الباباوات) بلا انقطاع إلى يومنا هذا، ـ للتّفويض والسُّلطان الذين منحهما يسُوع المسيح للرُّسُل الاثنَيْ عشر، حين قال: [ثُمَّ دَعَا تَلاَميذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً عَلَى أَرْوَاحٍ نَجسَةٍ، حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ، وكُلَّ ضُعْفٍ. . .

هؤُلاَء الاثْنَا عَشَرَ أرْسَلَهُمْ يسُوع، وَأَوْصَاهُمْ قَائلاً: «. . . . اكْرِزُوا قَائلينَ: إنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَات. 8 اشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أقيمُوا مَوْتَى. أخْرجُوا شَيَاطينَ. مَجَّاناً أخَذْتُمْ مَجَّاناً أعْطُوا. . . . .

16 «هَا أنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ في وَسَطِ ذئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّات، وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَام. 17وَلَكنْ؛ احْذَرُوا منَ النَّاس؛ لأَنَّهُمْ سَيُسْلمُونَكُمْ إلَى مَجَالسَ، وَفي مَجَامعهمْ يَجْلدُونَكُمْ. 18وَتُسَاقُونَ أمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ منْ أجْلي شَهَادَةً لَهُمْ وَللأُمَم. 19فَمَتَى أسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أوْ بمَا تَتَكَلَّمُونَ؛ لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ في تلْكَ السَّاعَة مَا تَتَكَلَّمُونَ به 20لأَنْ لَسْتُمْ أنْتُمُ الْمُتَكَلِّمينَ، بَلْ رُوحُ أبيكُمُ الَّذي يَتَكَلَّمُ فيكُمْ.] إنجيل لُوقا: 10/ 1 ـ 20.

يعيش مُعظم الكَاثُوليك ـ اليوم ـ في أُورُوبا، والأمريكيَّتَيْن: الشّماليَّة والجنوبيَّة، وفي فرنسا، وجُمهُوريَّة أيرلندا، وإيطاليا، وأسبانيا، وينتمي مُعظم السُّكَّان في مُعظم أقطار أمريكا اللاَّتينيَّة إلى الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة. وتقوم الكَنيسة بإدارة المدارس والجامعات والمُستشفيات والملاجئ ودُوْر العَجَزَة في تلك البُلدان. وكوَّن الكَاثُوليك في بعض الأقطار، التي تسكنها غالبيَّة كَاثُوليكيَّة، أحزاباً سياسيَّة قويَّة. وكان للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة أثر كبير في تاريخ أُورُوبا السِّياسي والثّقافي والأدبي والفنِّي.

مُعتقدات الرُّومان الكَاثُوليك:

تثبَّتَتْ عقائد الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، بناءً على المجامع الكَنَسيَّة المسكونيَّة (كلمة المسكونيَّة تعني العالميَّة) المُتتالية بدءاً من مجمع نيقية المسكوني في مطلع القرن الميلادي الرّابع، وحتَّى المجمع الفاتيكاني الثّاني في القرن الماضي، وفي حين تأخذ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة بقرارات جميع المجامع المسكونيَّة التّالية، لا تقبل الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة سوى المجامع المسكونيَّة السّبعة الأُولى منها فقط، ولم يقبل مارتن لُوثر مُؤسِّس البرُوتستانتيَّة سوى قرارات المجامع المسكونيَّة الأربعة الأُولى فقط، وظهر من الشِّيع والنِّحَل المسيحيَّة الجديدة في القرنَيْن الماضيَيْن مَنْ لم يلتزم بقرارات أيٍّ من المجامع تلك، بل اعتمد ـ في أخذ العقيدة والإيمان ـ على فَهْمه المُباشر من الكتاب المُقدَّس فقط لا غير.

وفيما يلي قائمة المجامع الكَنَسيَّة التي تعتبرهـا الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة مجـامع مسكونيَّة، وتأخذ بقراراتها جميعاً:

ECUMENICAL COUNCILS	تاريخ الانعقاد	المجامع المسكونيَّة
Council of Nicaea I	325	1 ـ مجمع نيقية الأوَّل
Council of Constantinople I	381	2 ـ مجمع القسطنطينيَّة الأوَّل
Council of Ephesus	431	3 ـ مجمع أفسس
Council of Chalcedon	451	4 ـ مجمع خلقيدونية
Council of Constantinople II	553	5 ـ مجمع القسطنطينيَّة الثّاني
Council of Constantinople III	681 ـ 680	6 ـ مجمع القسطنطينيَّة الثّالث
Council of Nicaea II	787	7 ـ مجمع نيقية الثّاني
Council of Constantinople IV	870 ـ 869	8 ـ مجمع القسطنطينيَّة الرّابع
Council of Lateran I	1123	9 ـ مجمع لاتيران الأوَّل
Council of Lateran II	1139	10 ـ مجمع لاتيران الثّاني
Council of Lateran III	1179	11 ـ مجمع لاتيران الثّالث
Council of Lateran IV	1215	12 ـ مجمع لاتيران الرّابع
Council of Lyons I	1245	13 ـ مجمع ليون الأوَّل
Council of Lyons II	1274	14 ـ مجمع ليون الثّاني
Council of Vienne	1312 ـ 1311	15 ـ مجمع فيينا
Council of Constance	1418 ـ 1414	16 ـ مجمع كونستانس
Council of Basel – Ferrara - Florence	1442 ـ 1431	17 ـ مجمع بيزل ـ فيرارا ـ فلورانس
Council of Lateran V	1517 ـ 1512	18 ـ مجمع لاتيران الخامس
Council of Trent	1563 ـ 1545	19 ـ مجمع ترِيْنْت
Vatican Council I	1870 ـ 1869	20 ـ مجمع الفاتيكان الأوَّل
Vatican Council II	1965 ـ 1962	21 ـ مجمع الفاتيكان الثّاني

وتتلخَّص أركان العقيدة المسيحيَّة الكَاثُوليكيَّة بالنُّقاط الرّئيسيَّة الأربع التّالية:

1 ـ الثّالوث والخَلْق. 2 ـ الخطيئة والخلاص. 3 ـ طبيعة الكَنيسة. 4 ـ البعث أو الحياة بعد الموت.

الثّالوث والخَلْق: يعتقد الكَاثُوليك بالثّالوث، فيقولون بإله واحد فيه ثلاثة أشخاص: الأب والابن (المسيح) ورُوح القُدُس، وهُو ما يُعرَف بالأقانيم الثّلاثة، ويعتقدون أنَّ كُلَّ واحد من الثّلاثة مُتميِّز، وأنَّه إله حقيقي. ويقولون إنَّ الله خَلَقَ العالم باختياره، وإنَّه يستمرُّ وُفقاً لعنايته.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الله: هُو الكائن، واحد، كامل. . . . ، . . . . . ، ليس بجسم، ولا مادَّة، بل هُو رُوح مُجرَّد مُطلق، إنَّه الأبدي، السّرمدي، اللاَّمُتغيِّر، الماثل في كُلِّ مكان. . . خَلَقَ العالمَ الرُّوحانيَّ، ثُمَّ العالم الماديَّ، ثُمَّ الإنسان. . .

المسيح: هُو كلمة الله التي تجسَّدَت، المُنبثقة عن الله مُنذُ الأزل، الابن الوحيد لله، هُو الله، وذُو شخصٍ (أقنوم) واحد هُو الشّخص الإلهي، له مشيئتان: بشريَّة وإلهيَّة، وله طبيعتان مُتَّحدتان: الطّبيعة البشريَّة والطّبيعة الإلهيَّة، وعند اعتراض العقل هُنا، يردُّ الإيمان قائلاً: هذا سرٌ من أسرار الرُّبُوبيَّة، هُو سرُّ التَّجسُّد الذي هُو فوق الطّبيعة، وخارج نطاق العقل، وخارج عن التّفسير السّببي، والنَّظَر التّحليلي الوضعي، وتقريبه من الذّهن يفرض هُنا تكراراً مفاده أنَّ الله اتَّخذ جسداً، أو حَلَّ في جسدٍ بشري، فيسُوع هُو الإله المُتجسِّد، أو هُو ابن الله المُتجسِّد، وهكذا؛ فهُو بطبيعتَيْن مُتَّحدتَيْن في شخص واحد: إنَّه إله تامٌّ، حقيقيٌّ، وإنسان تامٌّ، جسده لم يهبط من علٍ، وليس مُركَّباً من عناصر سماويَّة، بل هُو جسد مأخوذ من مريم بولادة فعليَّة حقيقيَّة.

هذا؛ وقد عرفنا كيف أنَّه قد بَرَزَ ـ حول الطّبيعة والمشيئة للمسيح ـ الكثير من الانشقاقات التّاريخيَّة داخل المسيحيَّة: الآريُوسيَّة، اليعقوبيَّة، النّسطوريَّة. . . وإذا تساءل العقل والنَّظَر هُنا، فإنَّ الإيمان عند المسيحي يَرِدُّ بالإحالة إلى سرٍّ إلهيٍّ آخر هُو سرُّ الفداء.

فالمسيح مات من أجل البشر، لقد تألَّم، وصُلب، وقُبر محبَّة بالإنسان الذي أخطأ بحقِّ الإله، ومن أجل خلاص الجميع، وسوف يأتي مرَّة ثانية عند نهاية العالم، وسيُحاكم الجميع، وسيلقى كُلُّ إنسان الثّواب أو العقاب بحسب عمله في هذه الدُّنيا.

الرّوح القُدُس: هُو الشّخص (الأقنوم) الثّالث في السِّرِّ المسيحي الأساسي، في السِّرِّ الإلهي، سرِّ التّثليث، والأقانيم الثّلاثة مُتمايزة عن بعضها: الآب، عنه يكون الصّدور أو الانبثاق أو الإنجاب، الابن، وهُو المولود، المُنبثق، الرُّوح القُدُس، وهُو المُرسَل من الأب والابن، والمُنبثق عنهما معاً، ذلك هُو التّثليث: تتَّحد الأشخاص الثّلاثة فيما بينها، ومع الطّبيعة الإلهيَّة، وتتساوى فيما بينها، والأشخاص الثّلاثة من طبيعة واحدة، ومن تلك الطّبيعة الواحدة عينها: فالأب هُو الله، والابن هُو الله، والرُّوح القُدُس هُو الله (بحسب تعريف الكَنيسة للأُلُوهيَّة، في مجمع لاتران الرّابع **Lateran IV**، **1215**م).

مريم: هي مريم العذراء، بريئة من الشّهوة، ومن الخطيئة الأصليَّة (الخطيئة المُميتة)، ومن كُلِّ خطيئة، وقد أعلن مجمع الثّلاثين (**1545-1563**م) براءتها الكاملة، وطهارتها التَّامَّة، ووضَعَها فوق كُلِّ القدّيسين، وكرَّس حقَّها في نوعٍ من التَّعبُّد الخاصِّ (عبادة العذراء / هيبردوليا)، وقد أُدخلت عقيدة الحَبَل بلا دَنَس، التي تُبرِّئ مريم من الخطيئة الأصليَّة، في العام **1854**.

الملائكة: خُلقوا قبل البشر، وهُم كائنات رُوحانيَّة، يَنتظم الملائكة في تَمَرتُبات أُوَّلاها: السِّيرافين (السِّيرافيُّون)، ثُمَّ القروبيُّون، ثُمَّ العروش، وهُناك تمرتبات أُخرى تُذكر بالإقطاع، وتتوازى مع تقسيمات الأرض والسُّلطة في أُورُوبا إبَّان بعض العُصُور.

الخطيئة والخلاص: يعتقد الكَاثُوليك - وُفقاً لما ورد في الإنجيل - أنَّ آدم ارتكب الخطيئة، وعصى الله، وأنَّ خطيئته سَرَتْ في كُلِّ مولود في هذا العالم، وأنَّ الله قد أرسل ابنه (الشّخص الثّاني في الثّالوث) لإنقاذ البشر من كُلِّ الخطايا؛ سواء كانت الخطيئة الأصليَّة التي ورثها الأفراد، أم الخطايا التي ارتكبوها في حياتهم عن طريق خرق القانون الإلهي.

الحياة بعد الموت: إنَّ الحياة في مفهوم الكَاثُوليك لا تنتهي بموت الجسد، بل النّفس تترك الجسد، وتصعد إلى السّماء أو المَطْهَر، وهُو مكان بين الجنَّة والنّار، تتَّصل فيه النُّفُوس

التي لم تصل إلى درجة النّقاء الكامل، فتُعذَّب فيه مُدَّة حتَّى تطهر، وعندئذ يُسمح لها بدُخُول المَلَكُوت. وعقيدة وُجُود المَطْهَر - التي هي من خصائص الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة فحسب - إنَّما تمَّ المصير إليها انطلاقاً من إيمان الكَنيسة العميق برحمة الله البالغة، وشفقته الشّاملة بالخَلْق، فكان المَطْهَر حتَّى لا يبقى الكثيرون ممَّن استحقّوا العذاب في العذاب الأبدي إلى ما لا نهاية. ويقول الكَاثُوليك - أيضاً - بوُجُود ما يُسمَّى باللاَّتينيَّة: "اللّمبوس" **Limbus**، وهُو مسكن أرواح الصّالحين قبل مجيء المسيح، ومسكن الأطفال الذين ماتوا قبل أنْ يتعمَّدوا، وهُو مكان يشعرون فيه بالغبطة والنّعيم، ولكنَّه دُون نعيم الجنَّة الفائق الوصف، والخاصِّ بالذين آمنوا، واعتُمدوا، ونالوا نعمة الخلاص بفداء المسيح.

العبادة والطُّقُوس أو الأسرار الإلهيَّة:

يعبد الكَاثُوليك إلهاً واحداً فيه ثلاثة أشخاص، ولكنَّهم يُقدِّسون - أيضاً - بعض الأشخاص كمريم أُمِّ المسيح، وبعض الأماكن كبيت لحم موطن المسيح، وبعض الأشياء كالصّليب، وأهمّ عُنصُر في الطُّقُوس المسيحيَّة هُو ما يُعرَف باسم الأسرار الإلهيَّة التي تُكوِّن جوهراً محوريّاً في المسيحيَّة، فالالتجاء إلى ما هُو سرٌّ؛ أيْ غامض، أو كامن ومُقدَّس، ظاهرةٌ بارزةٌ في المسيحية، فهُناك - دائماً - إحالة إلى الأسرار، أو إلى تقديم هذه كمُعتقدات فوق العقل وخارجه. وقد يُقال - أحياناً -: إنَّها ليست ضدّ العقل، ولا نقيضاً له، بل هي - فقط - من نطاقٍ خاصٍّ، أو لها منطقٌ خاصٌّ بها: أيْ إنَّنا نحنُ لا نفقهها، ولكنَّها - في حدِّ ذاتها - قابلةٌ لأنْ تُشْرَحَ، وتُكْتَنَهُ.

ما هي - الآن - أسرار الكَنيسة إذنْ؟

تُقرُّ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة - مُنذُ القرن الميلادي الثّاني عش، ومع مجمع "ترنْتْ" **Trent** - سبعةَ طُقُوسٍ أو أسرارٍ كَنَسيَّة هي: المَعْمُوديَّة، التّثليث، القُربان المُقدَّس، التّوبة (الاعتراف)، المسحة الأخيرة، الكَهَنُوت، الزّيجة. هذا؛ والسِّرُّ البيعيُّ صلاةٌ، أو هُو نوع من الحياة ينالها الكَاثُوليكي بواسطة علامة، فيتطهَّر، وتزكو نفسه، ويأخذ النّعمة (النّعمة يهبها الله، وهي مُساعدة إلهيَّة فائقة الطّبيعة، وهي إمَّا سابقة، وإمَّا مُحرّكة، كافية وفعَّالة، مُبرِّرة وحاليَّة. . .).

(1) **المَعْمُوديَّة (أو التّعميد)**: هي السرُّ الكَنَسيّ الذي يُعيد ـ بالماء والكلام ـ الحياةَ التي أَمَاتَتْهَا الخطيئة، وهي تُزيل الذُّنوب، والعقُوبات التي تترتَّب على تلك الذُّنوب، تُسمَّى المَعْمُوديَّة، وهي واحدة لا تتكرَّر، بسرِّ الأموات، ويجب أنْ تتمَّ قبل أيِّ سرٍّ آخر. لها حلَّة خاصَّة، وتُعطي المُعمَّد اسماً، ويُصرَف ماؤها على الأرض الزّراعيَّة النّظيفة، يُديرها أسقف، أو كاهن مُجاز.

(2) **التّثبيت**: يُقصد به تعزيز الحياة الرُّوحيَّة في المعمَّد (المَعْمُود)، وأنْ يقوِّي النّفس على إتمام ما بدأ به السرُّ الأوَّل، وأنْ يَستنزل مواهب الرُّوح القُدُس على ذلك المُعمَّد، ويتمُّ التّثبيت للطّفل بعد بُلُوغ العاشرة، في حفلة خاصَّة على يد أُسقف المدينة: يَدهن الجبهةَ بدهن الميرون (مزيج من البلسم وزيت الزّيتون سبقت مُباركته في يوم الخميس السّابق لعيد الفصح) ويرسم صليباً عليها قائلاً: "أَسِمُكَ بوَسْم الصّليب، وأُثَبِّتُكَ بميرون الخلاص باسم الأب والابن والرُّوح القُدُس"، ثُمَّ يضربه على وجهه صفعة لطيفة خفيفة، تذكيراً بما قد يعترض المُثبَّت من أجل محبَّة المسيح، ثُمَّ يمنح الأسقف تبريكاً للعُمُوم.

(3) **القُربان المُقدَّس**: هُو سرُّ الأسرار، أو سرُّ الأفخاريستيا، أو سرُّ العشاء السِّرِّيِّ. ويُمثِّلُ القُربان أو القدَّاس الاحتفاء بعشاء السَّيِّد المسيح. وفي القدَّاس يرمز الخُبز إلى جسد المسيح، والنّبيذ إلى دمه، وتُسمَّى المُناولة المُقدَّمة، وتُنال بذلك الرّحمة. وتعتقد الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، مثلها مثل الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة ـ بأنَّ القُربان المُقدَّس يحتوي ـ جوهريَّاً وفعليَّاً ـ رُوح المسيح وأُلُوهيَّته داخل الخُبز والخمر، وأنَّ المسيح يُدخل بواسطة تناول هذا القُربان ذاته إلى جسد المُتناول تحت أعراض الخُبز والخمر، فالقُربان يُغذِّي الرُّوح، كما أنَّ الخُبز العادي يُغذِّي الجسد، وهُو يغفر الخطايا، وواجبٌ على الكَاثُوليكي تناول القُربان ـ على الأقلِّ ـ مرَّة في السّنة في موسم عيد الفصح، أو إذا كان في خطر الموت. ومن شُرُوطه: التّوبة، والصّوم عن الطّعام والكُحُول ـ قبل ثلاث ساعات ـ إلاَّ في حالة المرض، وقد أسَّسه المسيح ذاته، وأوصى به، ومادَّته الخُبز اللاَّمُخمَّر (أيْ الفطير)، ونبيذ الكرمة دُون اشتراط لون مُعيَّن، والاحتفال به غير مُبسَّط، وتحكمه عدَّة حَركَات أو رُسُوم ترمز إلى حَركَات تُعاد إلى حياة المسيح، أو تدلُّ عليه، ويتولاَّه ـ فقط ـ الأساقفةُ والكَهَنَةُ. . .

(4) **التّوبة**: هُو سرٌّ اعتراف الخاطئ، يُعترف أمام الكاهن - في خلوة - بالخطايا المُرتَكَبَة ضدَّ وصايا الله والكَنيسة، ويحظى المُعترف بالحلَّة من مُرتكباته تلك، وبالغُفران، بعد أنْ يفي بالمفروض عليه من الكاهن بشكل تعويض من مثل الصّدقات والأمانات الجسديَّة والأصوام. تُعطي الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة أهميَّةً كبيرة لسرِّ التّوبة، فهُو والمَعْمُوديَّة يُعتبران الطّريقَيْن الأوحدَيْن للخلاص، وللسِّرِّ هذا تفصيلات، وشرُوط، وأوضاع، ولحلِّ المُعترف من خطاياه درجات، والمسيح هُو الذي أعطى لتلاميذه سُلطة الحلِّ تلك: فقد قال لبُطرُس: "ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السّماء، وما تحلُّه يكون محلولاً". والمسيح - أيضاً - بعد قيامته قال لتلاميذه: مَنْ غَفَرتُم خطاياهم غُفِرَتْ.

(5) **المسحة الأخيرة** (أو دهن المرضى والعَجَزَة): وسُمِّيت بالمسحة الأخيرة لأنَّها الأخيرة التي ينالها المُتديِّن، وتُعطى للمُحتضر، أو عند خطر الموت، تعزيةً للنّفس، وتعزيزاً للبَدَن؛ قوامُها أنَّ المريض أو هذا الممسوح - الذي يكون في غُرفةٍ نظيفةٍ، وعلى سريرٍ مُغطّىً بخوانٍ أبيض، وبالقُرب من طاولة عليها عدَّة أشياء - يعترف أمام الكاهن الذي يُزوِّد - بعدئذ - بالزّاد الرُّوحاني (القُربان)، ويمسح بزيت الزّيتون (زيت خالص بلا بلسم، ولا خمر، مُبارَك من الأسقف في يوم الخميس المُقدَّس) مناطقَ حواسِّه الخمس، مع تلاوة نُصُوص خاصَّة، ثُمَّ يمنحه غُفراناً بابويّاً كاملاً، لا تسمح الكَنيسة لمَنْ هُم في مرتبة سُفلى مَنْحَ هذا السِّرِّ لأحد.

(6) **الكَهَنُوت** (أو الدّرجات الكَهَنُوتيَّة): هُو سرٌّ به تُمنَح السُّلطة الكَهَنُوتيَّة - التي سلَّمها المسيح إلى تلاميذه - إلى البعض كي يقوموا بخدمة رُوحيَّة للكَنيسة، ويستمر ذلك النَّقْل للسُّلطة إلى حين عودة المسيح في آخر الزّمان، تتمُّ الرّسامة بوَضْع اليد على رأس المرسوم مع تلاوة نُصُوص مُخصَّصة، وشرط أنْ يكون هذا في حال النّعمة، مولوداً من كَاثُوليكي، غير مُرتبط بزواج، راشداً، حائزاً على الثّقافة المطلوبة، ناذراً النّفس للتّبتُّل[1]

---

(1) تشترط الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الغربيَّة عُزُوبيَّة الكاهن، وعدم زواجه مدى الحياة، خاصَّة للكَهَنَة الذين سيرتفعون للمراتب العالية في الكَهَنُوت، خلافاً لسائر الفرَق؛ سواء الأرثُوذكسيَّة أو البرُوتستانتيَّة التي لا تشترط ذلك. ويجدر بالذِّكْر أنَّ الكنائس الكَاثُوليكيَّة الشّرقيَّة لا تتقيَّد بشكل مُلزم بهذا الأمر، بل يُسمح للكَهَنَة فيها بالزّواج، إنْ أرادوا، وإنْ كانت العُزُوبيَّة مُستحبَّة أكثر.

والفقر والطّاعة على مدى العُمر. ولقد قام القطاع الكَهَنُوتي بدورٍ بارزٍ في تطوُّر الوعي الدِّيني والتّاريخي المسيحي، وفي تَمَرتُبه المُتنوِّع المُتفاعل - باستمرار - مع الشُّرُوط الاجتماعيَّة الاقتصاديَّة، وفي تنظيم دقيق للشّعائر والأزياء، ونُظُم كثيرة كالرّهبنات والأعياد.

(7) الزّواج: سرٌّ يربط بين مُعمَّدَيْن بالغَيْن لمدى الحياة بزواجٍ شرعيٍّ، وينالان به نعمة مُزاولة الواجبات العائليَّة، ولا تُقرُّ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة بشرعيَّة الطّلاق إلاَّ ضمن نطاق ضيِّق جداً، ولا تعتبره طلاقاً، بل فَسْخَاً. ويتمُّ سرُّ الزّواج بحُضُور الخُوري أو الكاهن، في احتفال يُسمَّى بالإكليل. . . ، ويخضع لبعض الشّعائر، ولتنظيمات أو قواعد تحكم تأسيسه، وبُطلانه، وأوقاته المُناسبة، إلخ.

طبيعة الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة ووظائفها:

الكَنيسة في النّظرة الكَاثُوليكيَّة جماعة مسيحيَّة تهدف إلى جَذْب النّصارى إلى الوحدة والمُحافظة على العقيدة والنّظام والعبادة التي أرادها المسيح. ويعتقدون أنَّ ذلك استمرار لعمل عيسى (عليه السّلام) في الخلاص. وتتمثَّل وظائف الكَنيسة في:

1 - مُساعدة المُؤمنين (المسيحيِّيْن) على التّحلِّي بالفضائل، عن طريق الوعظ والعبادة.
2 - معرفة التّعاليم المسيحيَّة. 3 - إرشاد المسيحيِّيْن إلى الله.

يقوم رجال الدِّين المسيحي بقيادة المُؤمنين وخدمتهم في مُمارسة الطُّقُوس والقدَّاس والوعظ وإلقاء التّعاليم الدِّينيَّة. وينقسم رجال الكَنيسة إلى درجات ثلاث: المَطَارنَة والقسس والشَّمامسة، ويُشارك العامَّة في أداء بعض وظائف الكَنيسة من نَشْر لتعاليمها، والقيام بالتّدريس في مدارسها، والعمل في مُستشفياتها ومُؤسَّساتها.

إدارة الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة:

البابا: يُمثِّل قداسةَ البابا - ويُدعى الحبر الأعظم - قمَّة الهيكل الإداري في الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، فهُو خليفة القدِّيس بُطرُس الرّسول الذي قال له المسيح: «وأنا أقول لك - أيضاً - أنت بُطرُس، وعلى هذه الصّخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأُعطيك مفاتيح مَلَكُوت السّموات. فكُلُّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السّموات. وكُلُّ ما

تحلُّه على الأرض يكون محلولاً في السّموات » (متَّى 16/ 18 ـ 19). فمقام البابا عند الكَاثُوليك مقام ديني مُقدَّسٌ، أرسى أساسَهُ المسيحُ بنفسه، ولذلك تُسمَّى الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة بالكَنيسة الرّسوليَّة، والبُطرُسيَّة أيضاً. و"البابا" مسؤول عن كُلِّ ما يتعلَّق بالكَنيسة في العالم من النّاحية الإداريَّة والرُّوحيَّة. أمَّا الكَرَادلة؛ فهُم مُستشارو البابا، وهُم جماعة يُكوِّنون مجمع الكَرَادلة الذي تقع عليه مسؤوليَّة اختيار البابا الجديد وقت الضّرورة.

هذا؛ ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ عصمة البابا ـ كما عرَّفها وحدَّدها المجمع الفاتيكاني الأوَّل عام 1870 ـ إنَّما تكون عندما يتكلَّم البابا بصفته ككاهن ومُعلِّم، ويُصرِّح بأنَّ التّعليم الذي يقوله مُلزمٌ للكَنيسة ككُلٍّ، ويكون الموضوع مُتعلِّقاً بالإيمان والأخلاق التي تدخل كجُزء من الوحي الإلهي المُسلَّم من الرُّسُل إلى خُلفائهم (التّسليم الرّسولي). أمَّا وُجهات نَظَر البابا وآراؤه الشّخصيَّة أو الخُصُوصيَّة، أو التي لها علاقة بالأُمُور الدُّنيويَّة؛ فلا تدخل في موضوع العصمة، ولا يُعتبَر فيها معصوماً أبداً.

ولا ينظر الكَاثُوليك إلى هذه العصمة كشيء مُعجز أو نوع من الكَشْف الرُّوحي الخارق الخاصِّ، بل ينظرون إليها على أنَّها هديَّة إلهيَّة وعطيَّة من الله، وتستند إلى أساس لاهوتي وكتابي، كما جاء في الخُطبة الوداعيَّة للسَّيِّد المسيح، التي ينقلها إنجيل يُوحنَّا، والتي وَعَدَ فيها المسيحُ تلاميذَهُ بتأييدهم برُوح الحقِّ الذي سيبقى معهم إلى الأبد؛ فقال: [وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآب فَيُعْطيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ؛ ليَمْكُثَ مَعَكُمْ إلَى الأَبَد. رُوحُ الْحَقِّ الَّذي لاَ يَسْتَطيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ؛ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ، وَلاَ يَعْرفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ؛ فَتَعْرفُونَهُ؛ لأَنَّهُ مَاكثٌ مَعَكُمْ، وَيَكُونُ فيكُمْ.] يُوحنَّا: 15/ 16 ـ 17، ثُمَّ قال: [وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ؛ فَهُوَ يُرْشدُكُمْ إلَى جَميع الْحَقِّ؛ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ منْ نَفْسه، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ به، وَيُخْبرُكُمْ بأُمُورٍ آتيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُني؛ لأَنَّهُ يَأْخُذُ ممَّا لي، وَيُخْبرُكُمْ.] يُوحنَّا 16/ 13 ـ 14.

الإدارة البابويَّة: تتكوَّن من أمين سرٍّ وعدد من اللّجان: لجنة الكَرَادلة؛ وبها فريق يُطلَق عليهم أُمناء السِّرِّ (السّكرتاريَّة)، ويشرفون على المسائل الخاصَّة بالكَنيسة، لاسيما القانونيَّة والإداريَّة واللاّهوتيَّة.

المطارنة (الأساقفة): وهُم مسؤولون أمام البابا، ويتكوَّن مجمع المطارنة من الأساقفة بِمَنْ فيهم البابا الذي يرأس المجمع، والمجمع مسؤول عن قيادة الكَنيسة.

الأسقفيَّات أو الأبرشيَّات Diocese: منطقة حُدُوديَّة من الكَنيسة يُديرها أسقف يتولَّى شُؤُونها الإداريَّة والدِّينيَّة، وتُعتبَر الأبرشيَّات الوحدات التّنظيميَّة التي تتكوَّن منها الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة.

والتّسلسل الهَرَمي للإكليروس (أيْ لرجال الدِّين)، في الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة كالتّالي:

1 - الشَّمَّاس المُساعد **Sub-Deacon**، ثُمَّ الشَّمَّاس **Deacon**، ثُمَّ رئيس الشّمامسة **Archdeacon**.

2 - القسِّيس **Priest** (ويُسمَّى - أيضاً - القسّ والكاهن **Minister**، والأب **Padre** والخُوري)، وكُلُّ هؤلاء لقبهم التّشريفي هُو "المُحترَم"، ويُناديهم الأتباع باسم "أبونا" **Father**.

3 - ثُمَّ الأسقف **Bishop**، أو المطران **Metropolitan**، وأحياناً؛ يكون المطران أعلى من الأسقف؛ حيثُ يرأس عدَّة أساقفة، ثُمَّ رئيس الأساقفة **Archbishop**، ولقبهم التّشريفي "سيادة".. الجزيل الاحترام والوقار، في حين يُخاطبهم الأتباع باسم "سيِّدنا".

4 - البطريرك (أو البطريارك أو الشّيخ الجليل) **Patriarch**، وهُو رئيس الأساقفة، ولقبه التّشريفي: "غبطة" البطريرك..

5 - الكاردينال **Cardinal**، ولقبه التّشريفي "نيافة"، ومنهم يتشكَّل مجمع الكَرَادلة.

6 - وأخيراً؛ البابا **Pope**، ويُلَقَّب بقداسة الحبْر الأعظم **Pontiff**.

- نبذة عن تاريخ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة:

الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة في العُصُور الوُسطى:

تمتدُّ القُرُون الوُسطى من القرن الخامس إلى القرن الرّابع عشر الميلادي. شهدت هذه الفترة انهيار الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة الغربيَّة، وظُهُور ممالك صغيرة. وقد أدَّى هذا إلى ظُهُور الكَنيسة وسُلطتها البابويَّة مركزاً للسُّلطة وطريقاً لوحدة أُورُوبا الغربيَّة بدلاً من الإمبراطُوريَّة

الرُّومانيَّة. وقوي نُفُوذ الكَنيسة، وانتشرت المسيحيَّة في العديد من الدُّول الأُورُوبيَّة. كما شهدت هذه الفترة الانفصال الرّسمي بين الكَنيسة الغربيَّة والكنائس الشّرقيَّة، والذي بدأ مُنذُ فترة مُبكِّرة. وشهدت هذه الفترة ـ أيضاً ـ إنشاء محاكم التّفتيش، واستخدمها لقَمْع حَرَكَات الهَرْطَقَة (البدَع)، ومَنْع ظواهر الانشقاق عن الكَنيسة.

وظهرت في هذه الفترة الحَرَكَة العلميَّة المعروفة بالسّكولاستيَّة (المدرسيَّة) Scholasticism، والتي سعت إلى وَضْع أُسُس عقليَّة للعقيدة المسيحيَّة، والدّفاع عنها، وحلّ المُشكلات الخلافيَّة في اللاَّهوت المسيحي. وقد انبثقت السّكولاستيَّة من المدارس التي أُنشئت في عهد شارلمان، في أواخر القرن الثّامن للميلاد، وظلَّت مُسيطرة على الفكْر المسيحي حتَّى أوائل عصر النّهضة. بُنِيَت على منطق أرسطو ومفهومه لما وراء الطّبيعة، بعد أنْ تعرَّف الأُورُوبيُّون إلى كُتُبَهُ من طريق الفيلسوف العربي ابن رُشْد، واستهدفت ـ في المقام الأوَّل ـ إضفاء صفة عقلانيَّة على اللاَّهوت النّصراني، وإقامة الدّليل على أنَّه لا تعارض بين العقل والدِّين، وكان من أبرز رجالها ألبرتُس ماجنُس الألماني، ورُوجر بيكُون الإنجليزي، والقدِّيس بُونافنتُورا، والقدِّيس تُوما الأكويني الإيطاليَّان.

وبدأت خلال هذه الفترة بوادر الصّراع بين الكَنيسة أو البابويَّة وبين المُلُوك والأباطرة، وحاول الباباوات إخضاع الأباطرة والمُلُوك لسُلطانهم، بينما حاول الآخرون التَّمرُّد على السُّلطة البابويَّة. وصاحب هذا القرار انشقاق داخل الكَنيسة وتنافُس بين رجالها حول مركز البابويَّة، وجدال بين الباباوات وبين المُنظَّمات الإداريَّة والدِّينيَّة الكَنَسيَّة. وقد كان لهذا كُلِّه آثار سيِّئة أضعفت من سُلطة الكَنيسة، وأساءت إلى مركزها الدِّيني والأخلاقي. وبدأت حَرَكَات تدعو إلى الإصلاح الدّاخلي، والعودة بالمُؤسَّسة إلى مركزها الدِّيني، ولكنْ؛ لم تستمرّ هذه الدّعوات أمام مُقاومة السُّلطة الكَنَسيَّة.

فترة الانقسام البابوي:

بدأ الانقسام البابوي عندما تمَّ انتخاب البابا أوربان السّادس Urban VI عام 1378، وكان انتخاباً مشوباً باختلافٍ وتنازعٍ شديدَيْن بين الكَرَادلة، وفعلاً؛ سُرعان ما ظهرت علائم

عدم التّقوى والسُّلُوك المُنحرف على البابا بنحوٍ أراعَ وأفزعَ الكرَادلة الذين انتخبوه، فسارعوا لسَحْب طاعتهم لـه، والإعـلان أنَّ انتخـاب "أُوربـان السّـادس" بـاطلٌ ومُلْغـىً، لأنَّـه تمَّ تحت ضغط وإكراه الشَّغَب الذي حصـل في رُومـا في حينـه، وأعلنـوا أنَّـهم انتخبـوا بابـا جديـداً هُـو كليمنت السّابع Clement VII، لكنَّ "أوربان السّادس" تمسَّك بباباويَّته، وانتقم من "كليمنت السّابع" بإعلانه الحَرْم الكَنَسي بحقِّه هُو وأتباعـه مـن الكرَادلـة، وأوجـد لنفسـه مجموعـة مـن الكرَادلة المُوالين له.

ويرى المُؤرِّخون المسيحيُّون أنَّه من المُستحيل - اليوم - القضاء أو إصدار حُكْم حـول أحقِّيَّـة أحد هذَيْن الباباوَيْن؛ لأنَّ كلاهما انتُخب بالطّريقة المعهودة المُتداولة في الكَنيسة الرُّومانيَّة.

وعلى أيِّ حال؛ فإنَّ البابا الجديد "كليمنت السّابع" لجـأ إلـى مدينـة "أفينيـون" Avignon في جنوب فرنسا، وحصل علـى دعـم وولاء ملـك فرنسـا في حينـه، وهُنـا؛ تعمَّـق الخـلاف، وأخذ صبغة سياسيَّة، وصار ولاء المُلُوك والحُكّام لهذا البابا أو لـذاك يخضـع لمصلحـة الحـاكم وأولويّاته السِّياسيَّة!

وقد تمَّ عرض عدَّة حُلُول لإنهاء هذا النّزاع والانقسام البابوي الذي طال حوالي نصف قرن، كان منها المُطالبة باستقالة كلا البابوَيْن، وانتخاب بابا جديد غيرهمـا، وقـد انعقـد لـهذا الغرض مجلس للكرَادلة والأساقفة في مدينة "بيزا" الإيطاليَّة عام 1409، ولكـنَّ جُـهُودهم لـم تفدْ إلاَّ في إدخال بابـا ثـالث جديـد أُضيـف إلـى حلبـة المُنافسـة بـين الاثنَيْـن السّـابقَيْن، فصـار الباباوات ثلاثة! واسـتمرَّ الأمـر هكـذا حتَّـى مجمـع كُونسـتانس Constance (1414 - 1418) الذي تمكَّن من إقالة أو تنحية الباباوات الثّلاثة، وانتخاب بابا جديـد، تمَّـت المُوافقـة عليـه مـن قبَل الجميع، فأخذ صفة الإجماع العالمي، وكان هُو البابا مارتين الخامس Martin V (الـذي اعتلى السّدَّة البابوية من 1417 وحتَّى 1431).

وقد أعطت فضيحة هذا الانقسام البابوي زخمـاً للمُطالبـات التـي كـانت موجـودة مـن قبلُ بإصلاح إدارة الكَنيسـة الرُّومانيَّـة، وقـوَّت دعـوة المُنـاداة بـالإصلاح، لكـنَّ تلـك الدّعـوة مرَّت بمصاعب ومشاقَّ حتَّى تتوَّجت - في النّهاية - بحُصُول الانشقاق البرُوتستانتي الكبير.

الإصلاح والحَرَكَة المُضادَّة:

طغى على البابويَّة الاهتمام بالأُمُور الدُّنيويَّة والفساد الإداري، واستحداث ما عُرف بصُكُوك الغُفران. وقد جرت مُحاولات للإصلاح، ولكنَّها باءت بالفشل، ومن ثمَّ جهر مارتن لُوثر (1483 ـ 1546) عام 1517م، بأطرُوحاته التي هاجم فيها مُعتقدات الكَنيسة حول الغُفران والمفاسد التي تنشأ عنه. وكان إعلانه بداية لثورة دينيَّة أدَّت إلى ظُهُور حَرَكَة البرُوتستانت، وأدَّت إلى انقسام أُورُوبا الغربيَّة بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت مع نهايات القرن السّادس عشر، وبدأت صراعات وحُرُوب بين الطّائفتَيْن.

ففي إنجلترا مثلاً، أعلن الملك هنري الثّامن نفسه رئيساً للكَنيسة، وأصدر عام 1534م، مرسوم سيادة؛ أصبحت بمُوجبه إنجلترا برُوتستانتيَّة. وتعرَّض الكَاثُوليك للاضطهاد، وفُقدان حُقُوقهم المَدَنيَّة، وسنَّت الحُكُومة ـ فيما بعد ـ قوانين لقَمْع الكَاثُوليك. ورغم أنَّ الكَاثُوليك استطاعوا استرداد حُقُوقهم الدِّينيَّة والسِّياسيَّة في وقت لاحق، إلاَّ أنَّ الصّراع بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت في أيرلندا أصبح جُزءاً من الصّراع من أجل القوميَّة الأيرلنديَّة. ويُوجد ـ الآن ـ نحو خمسة ملايين ونصف مليون كَاثُوليكي في بريطانيا، وأكثر من ثلاثة ملايين في جُمهُوريَّة أيرلندا.

حَرَكَة الإصلاح الكَاثُوليكي المُضادَّة:

ظهرت هذه الحَرَكَة كَرَدِّ فعل لحَرَكَة الإصلاح، قادتها طوائف دينيَّة أُسِّست بين عامَيْ 1524 ـ 1530م، كالبرنابيِّين، والكبوشيِّين، والسِّياتيِّين، وغيرهم من الذين حاولوا إصلاح الحياة الكَاثُوليكيَّة. ولقد أدَّت الجمعيَّة اليسُوعيَّة (الجزويت) التي أنشأها أغْناطْيُوس لُويُولا عام 1534م، دوراً مُهمّاً في ذلك الصّراع الطّائفي؛ إذْ استطاعوا إيقاف تقدُّم البرُوتستانت، واكتسبوا مناطق كبيرة كانت تحت سيطرة البرُوتستانت في بلجيكا، ولُوكسمبرج، وهُولندا، وفرنسا، وشرق أُورُوبا، ووسطها.

كما أسهمت قرارات مجمع تْرِيْنْت Trent (1545 ـ 1563م) حول القدَّاس وصُكُوك الغُفران وتدريب القُسس، في تجديد الحياة الكَاثُوليكيَّة وإحداث بعض الإصلاحات في الكَنيسة.

رافق حَرَكَة الإصلاح المُضادَّة هذه عدَّة حُرُوب دينيَّة شرسة بين الطّائفتَيْن، كان من أشدِّها الحُرُوب الدِّينيَّة بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت الفرنسيِّيْن خلال الأعوام (1562 ـ 1598)، وحُرُوب الثّلاثين عاماً (1618 ـ 1648م)، التي شملت مُعظم أقطار أُورُوبا، وانتهت باتِّفاق صُلح "ويستفاليا"، الذي نصَّ على أنَّ كُلَّ سُكَّان دولة ينبغي أنْ يتَّبعوا ديانة حاكمهم.

ولرُبَّما كان أشهر نموذج لتجديد دور الكَنيسة خلال القرن السّابع عشر، حدث في فرنسا؛ حيثُ قامت مُؤسَّسات نصرانيَّة وجمعيَّات خيريَّة لخدمة الفُقراء ونَشْر الخير والتّركيز على الجانب الرُّوحي والشُّعُور الدِّيني المسيحي.

الحَرَكَة الغاليكانيَّة Gallicanism:

حَرَكَة نشأت في فرنسا، ودعت إلى استقلال الكَنيسة الإداري، في البُلدان الكَاثُوليكيَّة، عن سيطرة البابا. ترقى جُذُورها إلى القرنَيْن الثّامن والتّاسع للميلاد، عندما كان يحصل التّنازع بين بعض مُلُوك فرنسا والسُّلطان البابَاوي حول مُمارسة السُّلطة، وحول جمع الضّرائب.

وللحَرَكَة الغاليكانيَّة ثلاث شُعب: الأُولى: الغاليكانيَّة الإكليركيَّة: وتقوم على مبدأ أنَّ قرارات المجامع الكَنَسيَّة المسكونيَّة أسمى سُلطةً من البابا، وأنَّ البابا ليس معصوماً، وأنَّ جميع الأساقفة مُنصَّبون بالحقِّ الإلهي خُلفاء مُباشرين للرُّسُل، والشّعبة الثّانية: الغاليكانيَّة المَلَكيَّة: وتُؤكِّد على الاستقلال المُطلق لملك فرنسا عن سُلطة البابا في الأُمُور الدُّنيويَّة، ونفس الأمر بالنّسبة لكُلِّ بلد أُورُوبي يحكمه ملك كَاثُوليكي، والشّعبة الثّالثة: هي الغاليكانيَّة البرلمانيَّة، وهُو موقف اتَّخذه البلاط المَلَكي في فرنسا، أو البرلمان، وكان موقفاً أكثر جَذْريَّة وهُجُوميَّة على السُّلطان البابَاوي من الموقفَيْن السّابقَيْن؛ حيثُ أكَّد لُزُوم خُضُوع جميع الكنائس ضمن فرنسا لسُلطة الدّولة الفرنسيَّة، وأنَّ الحُكُومة الفرنسيَّة لها حقُّ التَّدخُّل في الشُّؤُون الماليَّة، والتّنظيميَّة للكنائس ورجال الدِّين.

بلغت الحَرَكَة أوجها خلال القرن السّابع عشر، في النّزاع بين لويس الرّابع عشر والبابا إينوسينت الحادي عشر، حين أعلن المجمع العامّ الفرنسي برئاسة الأسقف ج. ب. بُوسووي J.B.Bossuet البُنُود الغاليكانيَّة الأربعة التي تضمَّنت مبادىء الغاليكانيَّة الإكليركيَّة والمَلَكيَّة

المذكورة أعلاه، وبالتَّالي؛ استقلال الأساقفة الفرنسيِّين عن سُلطة البابا (عام 1682)، وقبلها الملك. وقد حذا حُكَّام نابولي وسردينيا وأسبانيا والبُندُقيَّة حذو فرنسا، ولكنَّ لويس الرّابع عشر ما لبث أنْ تنكَّر للغاليكانيَّة (عام 1693م). ولكنَّ البابا سارع - فوراً - إلى رَفْض كُلِّ تلك المبادئ جميعاً؛ ممَّا اضطُرَّ الملك لويس - فيما بعد - إلى رَفْضها أيضاً. ولكنَّها بقيت تُدرَّس في الجامعات، وتدور في النّدوات والأوساط الفكْريَّة الفرنسيَّة حتَّى قيام الثّورة الفرنسيَّة عام 1789، التي أنَّهت أيَّ سُلطة سياسيَّة مَدَنيَّة للبابا على فرنسا، ولكنَّ الأسقفيَّة في فرنسا تراوحت في القرن التّاسع عشر، بين الاستقلال والتّبعيَّة للسُّلطان البابوي، إلى أنْ جاء قرار المجمع الفاتيكاني الأوَّل سنة (1869 - 1870)، الذي أعلن عصمة البابا من جهة، وانتصار تيار الأُلترامُونتانيَّة Ultramontanism المُطالب بتبعيَّة رجال الدِّين الكاثُوليك الفرنسيِّين التَّامَّة للكُرسي الرّسولي وقداسة الحبْر الأعظم أي البابا، وكان هذا يُمثِّل انتهاء الحَرَكَة الغاليكانيَّة.

الحَرَكَة أو النّزاع الجانسيني Jansenism:

تُعتبر الجانسينيَّة - في تاريخ الكَنيسة الكَاثُولكيَّة الرُّومانيَّة - نوعاً من الحَرَكَة الإصلاحيَّة، أو بتعبير أصحّ، حَرَكَة مُخالفة لبعض العقائد الكَاثُوليكيَّة، ظهرت في فرنسا، وبلغت شأواً هامّاً في القرنَيْن السّابع عشر والثّامن عشر الميلاديَّيْن.

ويعود اسم الحَرَكَة إلى اللاَّهوتي الفْلمَنْكي (نسبة لشعب الفلاندر القاطن شمال بلجيكا الحاليَّة، والذي يتكلم اللُّغة الفْليمانكيَّة القريبة من الهُولانديَّة) وأسقف إيبر Ieper: "كورنيليس جانسين" Cornelis Jansen الذي لخَّص أفكاره في رسالته المُسمَّاة أوغسطينوس Augustinus (1640). دافع الأسقف جانسين - مُعتمداً على تفسيره الضَّيِّق جداً لأحد جوانب الفكْر الفلسفي للقدِّيس أوغسطينوس - عن عقيدة التّقدير السّابق المُطلق لجميع الأفراد، بنحو يكون فيه الأفراد غير قادرين على أنْ يفعلوا شيئاً من الخير من دُون معونة النّعمة والفضل الإلهي الذي يناله الإنسان لمُجرَّد الاختيار الإلهي السّابق له؛ حيثُ أنَّ الله سبق - ومُنذُ الأزل - اختار قلَّة من النّاس لنَيْل الخلاص، وآخرين (الأكثرين) للهلاك الأبدي. وقد قلَّلت هذه الحَرَكَة من شأن حُرِّيَّة الإنسان، وأنكرت عقيدة أنَّ المسيح مات من أجل البشريَّة جميعاً. وكانت عقيدة "جانسين" - من هذه النّاحية - مُماثلة - تماماً - للعقيدة

الجَبْريَّة المُتزمِّتة التي نادى بها المُصلح البرُوتستانتي "جان كالفن"، ولهذا السّبب؛ اتُّهم الأسقف "جانسين"، هُو وأتباعه، بأنَّهم برُوتستانت، كنوع من النّبز بالألقاب، مع أنَّهم كانوا يُؤكِّدون التزامهم وتقيُّدهم التَّامَّ بالكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة، وإيمانهم بأنَّه لا خلاص مُمكن خارجها. ونادت الحَركَة الجانسينيَّة ـ كذلك ـ بضرورة الالتزام بنوع صارم من التّقوى والسُّلُوك الأخلاقي الدّقيق والمُتزمِّت، خلافاً للتَّيَّار السّائد ضمن الكَاثُوليك، وخاصَّة اليسُوعيِّيْن الذي كانوا أكثر تسامحاً في هذا المجال، ولا يُمانع من الحفلات الدِّينيَّة الثَّريَّة والمُفَخْفَخَة.

مثَّل دَيْر "بورت رويال دي شامب" Convent of Port-Royal-des-Champs قُرب باريس، الذي كان يلجأ إلى العبادة فيه عدد وافر من النُّبُلاء والقُضاة المَلكيِّيْن والمُثقَّفين المُتعاطفين مع الجانسينيَّة، مركز تلك الحَركَة. وقد هاجم البابا عقيدة الأسقف "جانسين" لما فيها من جَبْريَّة وتضييق للرّحمة الإلـهيَّة، كما حاربها اليسُوعيُّون؛ ممَّا أحدث تمزُّقاً بين الكَاثُوليك في فرنسا، وَجَعَلَ عديداً من الجانسينيِّيْن يتضامنون مع الحَركَة الغاليكانيَّة؛ ممَّا أدَّى لاستقلال الكثير من أساقفة فرنسا الكَاثُوليك، وانشقاقهم عن رُوما. وقد نال الحزب الغاليكاني ـ الجانسيني انتصاراً كبيراً عندما قرَّرت الحُكُومة الفرنسيَّة طَرْدَ جماعة اليسُوعيِّيْن من فرنسا عام 1760، ومن حينها؛ بدأ شأن الجانسينيِّيْن يتضاءل، واستمرَّت بقيَّة منهم في القرنَيْن التّاسع عشر والعشرين.

عصر العقل:

يُطلَق على الفترة التي تمتدُّ ما بين نهاية القرن السّابع عشر ونهاية القرن الثّامن عشر الميلاديَّيْن. تميَّزت هذه الفترة بالهُجُوم على الدِّين عُمُوماً، وعلى الكَاثُوليك على وجه الخُصُوص، ونادت بأنَّ خُضُوع رجال الدِّين لرُوما يُعدُّ خرقاً لسيادة فرنسا. وقد قاد هذه الحَركَةَ كبارُ فرنسا من أمثال دينس ديدُور، وجان جاك رُوسُو، وفُولتير.

ثورة المُلُوك الكَاثُوليك:

تُطلَق على الفترة بين حرب الثّلاثين عاماً 1648م، ونُشُوب الثّورة الفرنسيَّة (1789 ـ 1799م) ثورة المُلُوك الكَاثُوليك، وقد تميَّزت بالصّراع بين الكَنيسة والدّولة والنّزاعات العقديَّة التي مزَّقت الكَنيسة.

اضطهاد جمعيَّة اليسُوعيِّين:

شهد النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر اضطهاد اليسُوعيِّين، وقمع حَرَكَتهم في العديد من الدُّول؛ مثل أسبانيا، وفرنسا، والبُرتغال، وغيرها. ورغم أنَّ الاضطهاد لم يقض على الحَرَكَة؛ إلاَّ أنَّه أدَّى إلى تدهور خطير في نشاط الكَاثُوليك التّعليمي والتّبشيري.

القوميَّة والكَنيسة:

انتشرت في أُورُوبا ـ مُنذُ بداية الثّورة الفرنسيَّة وحتَّى نهاية القرن التّاسع الميلادي ـ الدّعوة إلى الدِّيمُقراطيَّة والقوميَّة مصحوبة بمشاعر العداء القويَّة ضدَّ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة.

وقد كان للثّورة الفرنسيَّة أثر خطير على الكَنيسة؛ إذْ اختفت مُعظم الأديرة الكبيرة في أُورُوبا، واختفى معها نُفُوذ الطّوائف الرُّهبانيَّة. وفَقَدَتْ الكَنيسة نصف رجال الدِّين فيها أثناء الثّورة، وأُودع بعض القسس السّجنَ، وماتوا فيه، وترك آخرون الكَنيسة، وتخلَّت الكَنيسة عن مُمتلكاتها للدّولة العلمانيَّة الجديدة. وبنهاية القرن الثّامن عشر؛ انحصرت حُدُود البابَاويَّة في مدينة الفاتيكان، وفَقَدَتْ الكَنيسةُ السّيطرةَ على الحياة العامَّة، وأصبحت معاهدها العلميَّة وجامعاتها خاضعة لنظام التّعليم الذي تُموِّله الدّولة.

حاولت الكَنيسة ـ رغم هذه الانتكاسات ـ تنشيط الحياة الدِّينيَّة، فأسهمت بعض الجمعيَّات النّسائيَّة والمُنظَّمات الدِّينيَّة كاليسُوعيِّين في تطوير القيَم المسيحيَّة في الحياة الاجتماعيَّة. كما دعا البابا بيوس التّاسع (1846 ـ 1878م) إلى عقد مجمع الفاتيكان الأوَّل (1869 ـ 1870م)، وفيه أُعلنت سيادة البابا على الكَنيسة وعصمته، وحُدِّدت فيه ـ بدقَّة ـ مسائل العقيدة والأخلاق، ثُمَّ جاء البابا ليو الثّالث عشر، وبدأ عصراً جديداً في تاريخ الكَنيسة؛ إذْ حاول إقناع الحُكُومة اللِّيبراليَّة بإمكانيَّة التّعايش مع الكَنيسة في سلام، ولكنَّ الحُكُومة اللِّيبراليَّة قابلت اقتراحاته هذه بمشاعر عدائيَّة في كُلِّ مكان من فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، لدرجة أنَّ الحُكُومة الفرنسيَّة أجازت عام 1880م، قوانين مُناهضة للكَنيسة، طَرَدَتْ بمُوجبها الطّوائف الدِّينيَّة من فرنسا، ومُنع التّعليم الدِّيني في المدارس، وتكرَّرت نفس هذه المشاعر العدائيَّة للكَنيسة في إيطاليا التي خرجت فيها المُظاهرات ضدَّ المسيحيَّة والبابويَّة.

الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة حول العالم:

حقَّقت الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة نجاحاً كبيراً في العالم الجديد، في الوقت الذي تخلَّت فيه عن أراضيها في أُورُوبا للبرُوتستانت، وقد ارتبط ذلك النّجاح بموجة الاستعمار الأسباني والفرنسي والإنجليزي آنذاك. وتبعاً لذلك انتشرت المسيحيَّة في آسيا وأمريكيا اللاَّتينيَّة.

في آسيا: استطاع الكَاثُوليك نَشْر المسيحيَّة في الفيليبِّين، واليابان، والهند؛ حيثُ يُشكِّل المسيحيُّون - الكَاثُوليك في مُعظمهم - 83٪ من سُكَّان الفيليبِّين؛ البالغ عددهم - اليوم - ما يربو على الثّمانين مليُوناً.

في أمريكا اللاَّتينيَّة: ادَّعت أسبانيا والبُرتغال ملكيَّتهما لتلك المناطق؛ مُنذُ أنْ اكتشفها كريستوفر كُولمبوس عام 1492م. وصاحبت الكَنيسة المُكتشفين والمُستعمرين، فتنصَّر مُعظم سُكَّان تلك البلاد نتيجة للضُّغُوط الاستعماريَّة. ولذلك تدهورت الكَنيسة في أمريكا اللاَّتينيَّة خلال القرن التّاسع عشر، بعد أنْ نالت مُعظم المُستعمرات استقلالها عن أسبانيا والبرتغال. وكان للكَنيسة علاقات وثيقة بالقوى الاستعماريَّة، وعارض مُعظم رجال الدِّين حَركَات الاستقلال. ونتيجة لذلك أصبح مُعظم الأمريكيِّين اللاَّتينيِّين أعداء للكَنيسة، وفَقَدَتْ الكَنيسة مُعظم نُفُوذها في الحياة الأمريكيَّة اللاَّتينيَّة.

وهُناك - اليوم - إحياء للكَاثُوليكيَّة في أمريكا اللاَّتينيَّة، وذلك نتيجة لاهتمام الأساقفة بالمُشكلات الاجتماعيَّة، وإسهامهم في تكوين جمعيَّات تسعى لسدِّ حاجات النّاس المادِّيَّة من طعام وماء وكهرباء وصرف صحِّي. ولَمَّا كانت تلك الحَركَات الاجتماعيَّة والإصلاحيَّة يقودها أناس عاديُّون، فقد اتُّهم القساوسة بأنَّهم يدعمون الثّورة الاجتماعيَّة العنيفة.

في الولايات المُتَّحدة: تعود أُصُول الكَاثُوليكيَّة في المُستعمرات الإنجليزيَّة التي كانت تتَّسم بإتاحة الحُرِّيَّة الدِّينيَّة في الغالب، ممَّا أعطاها فُرص نجاح أكبر في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة.

نشأت الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الأمريكيَّة خلال القرن العشرين، ونسَّق الأساقفة الأمريكيُّون أنشطتهم المُختلفة عن طريق تكوين أنفسهم، ومُراجعة ذلك التّكوين من خلال مُؤتمرات عقدوها في الأعوام (1917، 1919، 1922، 1966). وقد نشطت الكَنيسة في

التَّصدِّي للقضايا الاجتماعيَّة، والمُشاركة في حلِّها، رغم أنَّها لم تبدأ بمُعالجة قضيَّة التَّمييز العُنصُري ضدَّ السُّود إلاَّ في الأربعينيَّات من القرن العشرين. وممَّا يدلُّ على ازدياد نُمُوِّ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة أنَّ عدد الإرساليَّات الأمريكيَّة إلى الدُّول الأُخرى زاد من 14 إرساليَّة، عام 1906م، إلى 60.000 في أواخر الثّمانينات من القرن العشرين، كما انتشر التّعليم الكَاثُوليكي، وشمل جميع الولايات، وأصبح الكَاثُوليك عاملاً سياسيّاً قويّاً لاسيما في المُدُن الكُبرى. وكان جُون كينِدي الكَاثُوليكي قد انتُخب رئيساً للولايات المُتَّحدة عام 1960م.

الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة اليوم:

تُعدُّ فترة تولِّي بيوس العاشر البابويَّة (1903 ـ 1914م) أبرز فترة نشاط كَنَسي مُنذُ مجمع ترينْت في القرن السّادس عشر الميلادي؛ إذْ شملت النّشاطات ـ التي قام بها ـ الطُّقُوسَ الدِّينيَّةَ، والعشاء السِّرِّيَّ، والتّعليمَ في المعاهد اللاَّهوتيَّة، والدّراسات الإنجيليَّة، وقانونَ الكَنيسة. وإضافة إلى ذلك؛ فقد عارض بيوس ـ بقُوَّة ـ حَرَكَة الحداثة **Modernism**، وهي الحَرَكَة المسيحيَّة التي سعت إلى تأويل تعاليم الكَنيسة وتفسيرها في ضوء المفاهيم الفلسفيَّة والعلميَّة السّائدة في أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وقد عقدت الكَنيسة ـ خلال العشرينيَّات والثّلاثينيَّات من القرن العشرين ـ عدَّة اتِّفاقيَّات مع دُول عديدة لضمان حُرِّيَّتها وسُلطتها الرُّوحيَّة على الكَاثُوليك في تلك الدُّول. كما طوَّرت الكَنيسة من وسائل نشاط بعثاتها النّصرانيَّة الإرساليَّة في أنحاء العالم.

واجهت الكَنيسة الحُكُومات الاستبداديَّة في ألمانيا، وإيطاليا، والاتِّحاد السُّوفييتي (سابقاً)، ودُول شرق أُورُوبا. وعمل البابا بيوس الثّاني عشر جاهداً من أجل الحفاظ على الحُرِّيَّة الدِّينيَّة للكَاثُوليك الذين كانوا يعيشون في ظلِّ تلك الحُكُومات. حَدَثَتْ نُقطة تحوُّل كبير في تاريخ الكَنيسة حينما دعا البابا جُون الثّالث والعشرون مجمعَ الفاتيكان الثّاني للانعقاد (1962 ـ 1965م)، وأصدر المجمع 16 وثيقة اهتمَّت بالحَرَكَة المسكونيَّة وتوحيد كُلِّ النّصارى في العالم. كما أصدر البابا يُوحنَّا بُولُس الثّاني عام 1983م، مجموعة من القوانين أظهرت الكثير من التَّغيُّرات التي بدأت بمجلس الفاتيكان الثّاني، ومن ذلك زيادة دَوْر العامَّة في المجالس الاستشاريَّة للأبرشيَّات والأسقفيَّات.

ازدياد اهتمام الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة بمسيحيِّيْ الشّرق الأدنى وقضايا العالم الأفرو ـ آسيوي[1]:

لن نكون مُبالغين إذا قُلنا إنَّ العلاقات مع الشُّعُوب غير الأُورُوبيَّة وثقافاتها تُمثِّل واحداً من الاهتمامات الرّئيسة للكَاثُوليكيَّة المُعاصرة، وهُو ما يُؤثِّر جَذْريّاً في التَّوجُّه الاجتماعي ـ الثّقافي للكَنيسة العالميَّة، فالانتقال التّدريجي لمركز المسيحيَّة باتِّجاه العالم غير الأُورُوبي يُنظَر إليه من اللاَّهوتيِّيْن كعمليَّة ذات أهمِّيَّة كبيرة بالنّسبة للعصر الحاضر كُلِّه؛ حيثُ أصبحت في حُكْم الماضي تلك الأزمنة، التي كان الغرب فيها يُمثِّل الكَنيسة العالميَّة، وبدلاً من ذلك؛ صارت الكَاثُوليكيَّة ـ في كثير من الحالات ـ مُرتبطة بـ « الكنائس الفتيَّة النّاشئة » في البُلدان النّامية.

وبدءاً من أواسط القرن التّاسع عشر؛ تنامى اهتمام الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة بمسيحيَّة الشّرق الأدنى[2]، ففي رسالته العالميَّة، التي كان عُنوانها « in Suprema Petri Apostoli Sede » (1848)، نصح البابا بيوس التّاسع الكنائسَ الشّرقيَّة بتناسي الشّقاقات القديمة، والعمل من أجل الاتِّحاد، بينما أشارت رسالة البابا ليون (لاون) الثّالث « Arientalium Dignitas » (1894)، إلى ضرورة الدّراسة المُتعمِّقة، والاهتمام الجادِّ بطُقُوس الكَنيسة الشّرقيَّة، التي تُشكِّل ـ بالنّسبة لمسيحيِّيْ العالم كُلِّه قيمة لا تُقدَّر(159). أمَّا البابا بينديكت (بينديكتس) الخامس عشر؛ فقد أسَّس في عام 1917 « أمانة شُؤُون الكَنيسة الشّرقيَّة » (أصبح اسمها بعد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثّاني "أمانة شُؤُون الكنائس الشّرقيَّة") والمعهد البابوي للدّراسات الشّرقيَّة في رُوما، وقد دعت رسالة البابا بيوس الحادي عشر « Rerum Orientalium » (1928)، إلى دراسة أكثر عُمقاً وموضوعيَّة للمُشكلة الشّرقيَّة، وإلى ضرورة إشراك الكوادر العلمانيَّة في هذا الاتِّجاه.

---

(1) المرجع الأساس في هذه الفقرة والفقرتَيْن التّاليتَيْن كتاب "المسيحيَّة والإسلام"، ألَّفه (باللُّغة الرُّوسيَّة): أليكسي جُورافسكي، ترجمه للعربيَّة خلف مُحمَّد الجراد، نَشَرَهُ المجلس الوطني للثّقافة والفُنُون والآداب ـ الكُويت، ضمن سلسلة "عالم المعرفة"، العدد 215، بتاريخ 1996، الفصل السّادس: الرُّؤية الكَاثُوليكيَّة المُعاصرة لمسألة الحوار مع الإسلام: الصّفحات من 131 ـ 158، مع تصرُّف واختصار يسيرَيْن، اقتضاهما سياق الكتاب.

(2) يشتمل الشّرق الأدنى على البُلدان الواقعة ما بين غربي البحر المُتوسِّط، وشرقي الخليج العربي، ويعني ـ بشكل تفصيلي ـ الدُّول التّالية: سُوريَّة، ولُبنان، وفلسطين، والأُردن، والعراق.

في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ أنشأ المُبشِّرون الكَاثُوليك مجموعةً من المراكز العلميَّة في البُلدان العربيَّة: جامعة القدِّيس يُوسُف الكَاثُوليكيَّة في بيرُوت، (الجزويت/ اليسُوعيُّون)، المعهد الدُّومينيكَاني للدّراسات الشّرقيَّة في القاهرة (الدُّومينيكَانيون)، معهد دراسات «الآباء البيض»[1] في تُونُس، وهي اليوم ليست مراكز علميَّة ضخمة للاستشراق فقط، ولكنَّها «مفاصل» رئيسة - أيضاً - للحوار الإسلامي - المسيحي.

وتُبيِّن الوثائق الكَنَسيَّة من عامَيْ 1945 - 1959، أنَّ السُّلطة الكَاثُوليكيَّة العُليا، أصبحت تُدرك - بصُورة مُتزايدة - حتميَّة استقلال العالم الأفرو - آسيوي، وأخذت بتكييف نفسها وتوجُّهاتها مع هذه العمليَّة الكَوْنيَّة، ففي رسالة الميلاد لعام 1945، ركَّز البابا بيوس الثّاني عشر على أنَّ «الكَنيسة - أُمّ الأُمم والشُّعُوب كُلِّها. . . . فهي لا تخصُّ شعباً دُون غيره، ولا ترتبط بأيِّ شعب أكثر من غيره، بل هي تخصُّ الجميع، وبصُورة مُتساوية».

وبعد عشر سنوات؛ تحدَّث البابا بيوس الثّاني عشر في رسالته إلى أسقف أوغسبورغ (Augsburg/ فرنسا) المُؤرَّخة في 27حُزيران 1955، بتحديد أكثر، مُركِّزاً على أنَّ «الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة لا تُطابق نفسها - بأيِّ شكل من الأشكال - مع الثّقافة الغربيَّة، كما أنَّها لا تُطابق نفسها - بشكل عامٍّ - مع أيِّ ثقافة مُعيَّنة، بل إنَّها تسعى للاتِّحاد مع كُلٍّ منها» (162). ويتَّضح من خلال هذه الرّسالة المُهمَّة كيف أنَّ الكَنيسة لم تتحدَّث عن طابعها الكَوْني بعبارات عامَّة فقط، وإنَّما بدأت تبتعد عن تصوُّراتها التّاريخيَّة السّابقة، المُنطلقة من هيمنة الثّقافة الغربيَّة ذات المنحى المسيحي - الكَاثُوليكي.

في خريف العام نفسه (1955)، وفي تحيَّته للمُؤتمر الدّولي العاشر للعُلُوم التّاريخيَّة؛ عاد البابا بيوس الثّاني عشر إلى هذه الفكْرة المُهمَّة مُجدَّداً: «ما يُسمَّى بالغرب أو العالم الغربي تعرَّض - من القُرُون الوُسطى - إلى تغيُّرات عميقة... فالعقلانيَّة واللِّيبراليَّة قادتا إلى دولة القرن التّاسع عشر، إلى سياسة تقوم على القُوَّة إلى الحضارة العلمانيَّة، والتَّغيُّر فيما يخصُّ العلاقة بين الغرب والكَنيسة الكَاثُوليكيَّة أصبح حَتْمياً. . . .».

---

(1) الآباء البيض: جمعيَّة من الكَهَنَة الكَاثُوليك؛ أسَّسها الكاردينال لافيجري أسقف الجزائر، للعمل في أفريقيا (1868)، لها معاهد عديدة في شمال أفريقيا، وفي الشّرق. (المُترجم).

أمَّا التَّحوُّلات الجدِّيَّة في موقف الكَنيسة من قضيَّة إزالة الاستعمار ومُقاومة وتُطوُّر البُلدان الأفرو - آسيويَّة ؛ فقد جرت في فترة جلُوس يُوحنَّا الثَّالث والعشرين على كُرسي البابويَّة (1958 - 1963) ؛ حيثُ إنَّ الوثائق الرَّسميَّة لتلك المرحلة استبدلت أطرُوحات الكَنيسة المُتفرِّقة عن شموليَّتها، وعن طبيعتها العالميَّة . . . . إلخ ، بتوجيهات أكثر رُسُوخاً وتحديداً ، وتأكيد ضرورة إيلاء الاهتمام لكُلِّ ثقافة على حدة ، وضرورة تكييف المسيحيَّة مع ظُرُوف كُلِّ بلد . والفرق - هُنا - مُهمٌّ للغاية ، وإذا كانت رسالة البابا (بينديكتس) الخامس عشر « **Maximum illud** » شدَّدت على أنَّه يتوجَّب على المُبشِّرين أنْ يضعوا - نُصب أعينهم ، وقبل كُلِّ شيء - مصالح « السَّماء » ؛ أيْ الطَّابع الكَوْني (المسكوني) للكَنيسة ، الذي يُنْظَر إليه وكأنَّه خارج التَّاريخ ، وفوق الثَّقافة . . . إلخ ، فإنَّ الكلِّيانيَّة (العالميَّة) الكَاثُوليكيَّة - اليوم - تتأكَّد وترسَّخ عبر قُدرة الكَنيسة على التَّوافق مع كُلِّ مرحلة تاريخيَّة ، ومع كُلِّ ثقافة . أضف إلى أنَّ المسألة التَّبشيريَّة لم يعد يُنظَر إليها في إطار ديني بحت ، وإنَّما في سياق التَّطوُّر الاجتماعي - الاقتصادي والثَّقافي للبُلدان الأفرو - آسيويَّة . وفي الرِّسالة البابَاويَّة « **Pacem in terries** » (**1963**) يجري تأكيد حقِّ الشُّعُوب المُستعمَرَة في الاستقلال ، وفي التَّطوُّر الاجتماعي .

بينما ناقشت رسالة البابا - التي كان عُنوانها « **Mater et Magistra** » (**1961**) - العلاقة بين الشُّعُوب من وُجهة نَظَر عدم التَّماثل في تطوُّرها الاقتصادي ؛ حيثُ أشارت إلى ضرورة التَّكافؤ والتَّماثل التَّدريجيَّيْن في مُستويات النُّمُوِّ والتَّطوُّر بين البُلدان المُتقدِّمة (صناعيَّاً واقتصاديَّاً) والبُلدان السَّائرة في طريق النُّمُوِّ ، مُركِّزة على حقيقة أنَّ المُشكلات الأساسيَّة الرَّاهنة ذات الطَّابع الاقتصادي ، والتِّقني ، والعلمي ، والاجتماعي - السِّياسي ، والثَّقافي ترتدي - اليوم - أهمِّيَّة على مُستوى وطني بصفة عامَّة ، وعلى أهمِّيَّة عالميَّة على حدٍّ كبير - بشكل خاصٍّ - إلى مُشكلة مُهمَّة للغاية تتمثَّل في المُساعدات الواجب تقديمها للبُلدان النَّامية .

أمَّا المجمع المسكوني الفاتيكاني الثَّاني ، الذي نَشَرَ رسميَّاً برئاسة البابا يُوحنَّا الثَّالث والعشرين من حُزيران **1959** ، رسالته المُعنونة « **Ad Petri Cathedram** » ؛ فقد دعا لدراسة أكثر تفصيلاً وشُمُوليَّة للخطِّ الجديد للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة ، وعلى الكيفيَّة التي يجب أنْ تكون الكَاثُوليكيَّة عليها في البُلدان الآسيويَّة والأفريقية ، ونوعية علاقاتها بالتَّقاليد الثَّقافيَّة - الدِّينيَّة

لشعُوب تلك البُلدان. وقد نُوقشت هذه المسائل في المجمع المُشار إليه ضمن الموضوعات والمُشكلات الأساسيَّة وذات الأولويَّة الكُبرى. وممَّا يلفت النَّظَر أنَّ المجمع ضمَّ - للمرَّة الأُولى - أساقفة من بُلدان آسيا وأفريقيا: من آسيا 237 أسقفاً (5. 20٪)، ومن أفريقيا 186 أسقفاً (10٪)، ومن أُورُوبا 728 أسقفاً (38٪).

التَّحوُّل الهامُّ لموقف الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة تجاه الإسلام في المجمع الفاتيكاني الثَّاني:

لأوَّل مرَّة في تاريخ الكَنيسة ناقش المجمع الفاتيكاني الثَّاني (1962- 1965) على مُستوى مذهبي - عقائدي مُشكلة العلاقة بين الكَنيسة والدِّيانات غير المسيحيَّة؛ حيثُ خصَّص لهذه المسألة المُهمَّة تصريحاً خاصّاً حول «علاقة الكَنيسة مع الدِّيانات غير المسيحيَّة»، والذي نُوقشت بعض جوانبه - بصُورة أو بأُخرى - في عدد من الوثائق الصَّادرة عن المجمع: في «الدُّستُور العقائدي في الكَنيسة»، وفي «الدُّستُور الرَّعوي في الكَنيسة وعالم اليوم»، وفي القرارات المجمعيَّة: «في رسالة العلمانيِّين»، و«في مهمَّة الأساقفة الرَّعويَّة في الكَنيسة»، وفي القرارات المجمعيَّة: «في رسالة العلمانيِّين»، و«في مهمَّة الأساقفة الرَّعويَّة في الكَنيسة»، و«في نشاط الكَنيسة الإرسالي»، وفي البيانات والإعلانات الصَّادرة عن المجمع «في الحُرِّيَّة الدِّينيَّة»، و«في التَّربيَّة المسيحيَّة». كما أُولى هذا المجمع اهتماماً خاصَّة للإسلام، فللمرَّة الأُولى، مُنذُ أربعة عشر قرناً من وُجُود المسيحيَّة والإسلام، يتحدَّث مجمع مسكوني كَاثُوليكي بصُورة إيجابيَّة عن المُسلمين، مُعترفاً بوَضْعهم الدِّيني المُتميِّز، ولهذا؛ شَبَّهَتْ المطبوعات الكَاثُوليكيَّةُ التَّغيُّرَ الحاصل في موقف الكَنيسة تجاه الإسلام بـ «الانقلاب الكُوبرنيكي». وهُو تشبيه غير مُبالغ فيه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أنَّ رسالة البابا بيوس الثَّاني عشر «Fidei Donum»، الصَّادرة في أواخر الخمسينيَّات (1957)، رأت في انتشار الإسلام في أفريقيا «خطراً على الكَنيسة»، وأنَّ كتاب «تاريخ الإرساليَّات الكَاثُوليكيَّة»، المُؤلَّف من أربعة مُجلَّداً والصَّادر في المرحلة نفسها، نَظَرَ إلى نشاط الإسلام وفعَّاليَّته العالميَّة، ككارثة، تُضاهي خَطَرَ الشُّيُوعيَّة.

إنَّ فكْرة إصدار وثيقة مُستقلَّة، حول مُشكلة العلاقات بين الكَنيسة (الكَاثُوليكيَّة) والدّيانات غير المسيحيَّة، ولُدت أثناء أعمال المجمع الفاتيكاني الثّاني، وبصُورة مفاجئة، حتَّى بالنّسبة لكثير من أعضائه. ففي المرحلة التّحضيريَّة للمجمع (1960ـ 1961)، تحدَّث عدد محدودة من المُؤتمرين (من أساقفة آسيا وأفريقيا بالدّرجة الأُولى) عن ضرورة إصدار مثل هذه الوثيقة، مع أنَّه كان بين هذا العدد (غير الكبير أصلاً) عدم اتِّفاق؛ حيثُ إنَّ بعضهم كان يرى وُجُوب التَّحدُّث عن المُسلمين (في الوثيقة المُقترَحَة) برُوح إيجابيَّة، ولكنْ؛ دُون الوُقُوع في النّسبيَّة الدِّينيَّة المُطلقة؛ في حين تمسَّك آخرون بوُجهة النّظر التّقليديَّة، التي ترى في الإسلام بدعة خطيرة وتهديداً حقيقيّاً للكَنيسة، ومن ثمَّ؛ فقد طالبوا بإدانته دُون تحفظ، عدا أنَّه لم يجر تكليف أيٍّ من لجان العمل المُتفرِّعة عن الهيئة التّحضيريَّة للمجمع بدراسة مثل هذه الوثيقة.

ولكنْ؛ في عام 1960، كلَّف البابا يُوحنَّا الثّالث والعشرون الكاردينالَ "بيا" إعداد مُسوّدة نصٍّ مجمعي « عن اليهُود »، يُزيل عنهم تُهمة « قَتْل الله ».

وبعد اتِّصالات ومُداولات واستشارات دامت عامَيْن؛ وَضَعَ الكاردينال بيا مُسوّدة (مشروع) النَّصِّ المجمعي في حُزيران سنة 1926، التي عُرضت على اللّجنة المركزيَّة، لكنَّ هذا المشروع وُضع جانباً نَظَراً لما أثاره من احتجاجات واسعة في البُلدان العربيَّة، وَبَرَزَتْ أصداؤها من خلال مُناقشات ومُداخلات واعتراضات أساقفة هذه البُلدان المُشتركين في المجمع. وقد أظهرت المُناقشات مُقاومة قويَّة من بطريرك أنطاكية للكَاثُوليك طبوني وبطريرك الأقباط الكَاثُوليك إسطفانس الأوَّل، يُؤازرهما عدد لا بأس به من أساقفة الكَاثُوليك الشّرقيِّيْن، الذين أجمعوا على أنَّ التَّطرُّق إلى موضوع اليهُود ونَفْي التُّهمة التّاريخيَّة عنهم قد يُؤدِّي إلى الاعتراف (بدولة إسرائيل) من قبَل الفاتيكان من جهة، وقد يخدم مصلحة اليهُود سياسيّاً في نزاعهم مع العرب من جهة ثانية.

أمَّا بطريرك الرُّوم ـ الكَاثُوليك مكسيموس الرّابع؛ فقد أشار إلى أنَّ المُسوّدة المُقترَحَة « عن اليهُود » يُمكن أنْ تُقَرَّ وتَصْدُر فقط في حال، إذا كانت الكَنيسة ستتحدَّث عن ديانات أُخرى، بما في ذلك عن الإسلام.

رَفَعَ الكاردينال "بيا" إلى البابا كتاباً يُلِحُّ فيه على مُناقشة الموضوع نافياً عنه كُلَّ صبغة أو توجُّهات سياسيَّة، ونَظَراً لما أثاره المشروع من مُناقشات واعتراضات طُرِح على الآباء في دورة المجمع الثّانية؛ ليُشكِّل فصلاً من مرسوم الحَرَكَة المسكونية، وقُوبل مُجدَّداً باعتراضات كثيرة؛ ممَّا أدَّى إلى رَفْضه وعَزْله عن المرسوم في **21** تشرين الثّاني **1963**. وقبل انعقاد الدّورة الثّالثة من المجمع؛ كانت اللّجنة المُختصَّة قد عمدت إلى إجراء تعديلات واسعة في النَّصِّ؛ بحيثُ حذفت منه عبارات خلافيَّة مثل تلك التي تنفي عن اليهُود تُهمة « قَتْل الله ».

غير أنْ تطوُّرات مُهمَّة، جذبت اهتمام المجمع ـ أخيراً ـ صوب الإسلام؛ حيثُ جرت وقائعها في المرحلة بين الدّورتَيْن الثّانية والثّالثة للمجمع، ويأتي في مُقدِّمتها زيارة البابا بُولُس السّادس إلى منطقة الشّرق الأدنى في كانون الثّاني من سنة **1964**؛ إذْ توجَّه في خطاباته ـ التي ألقاها في عمَّان والقُدْس ـ « بتحيَّة أَخَويَّة إلى المُسلمين »، كما شدَّد في رسالته في السّادس من كانون الثّاني **1964**، إلى احترام الكَنيسة المسكونيَّة الخاصَّة، لأُولئك « الذين يعتنقون الأديان التّوحيديَّة، والذين يعبدون معنا إلهاً واحداً وحقيقيّاً ». وفي أيَّار من العام نفسه؛ أعلن البابا بُولُس السّادس عن إنشاء أمانة سرٍّ (سكرتاريَّة) لشؤُون الدّيانات غير المسيحيَّة، وحدَّد مهمَّتها الأساسيَّة في إقامة « حوار مُخلص مع أُولئك الذين يؤُمنون بالله، ويعبدونه ». وفي شهر آب من العام ذاته (**1964**)، وجَّه البابا بُولُس السّادس رسالة كَنيسة جامعة، ركَّزت إلى ضرورة الحوار مع كُلِّ المُؤمنين وذوي الإرادة الصّالحة لإرساء علاقات جديدة بين الكَنيسة والدّيانات الأُخرى القائمة في العالم، وعلى ضرورة التّقارب والحوار مع المُسلمين بصفة خاصَّة.

وكانت اللّجنة المُختصَّة قد اتَّخذت قراراً ـ قُبيل انعقاد الدّورة الثّالثة من المجمع ـ بعَزْل الفصل الرّابع عن مرسوم الحَرَكَة المسكونيَّة في وثيقة مُستقلَّة، ونَشرَه تحت عُنوان « تصريح عن اليهُود وغير المسيحيِّيْن »، وقراراً آخر بتشكيل لجنة فرعيَّة حول مسألة الإسلام، كان من بين أعضائها خُبراء من « المعهد الدُّومينيكَاني للدّراسات والأبحاث الشّرقيَّة » في القاهرة، ومن « المعهد البُونتيفيكاتي (الآباء البيض/ الكَاثُوليك) للدّراسات الشّرقيَّة » في تُونُس (عُلماء إسلاميَّات مشاهير على مُستوى عالمي: مثل ج. كُوك، ج. قنواتي، ر. كاسبار، ج. كُوربُون). وفي الوقت نفسه؛ قرَّرت اللّجنة المُكلَّفة إعداد مشروع الدُّستُور العقائدي

« الكَنيسةَ » أنْ تضمَّ إلى فصل « شعب الرَّبِّ » قسماً عن غير المسيحيِّيْن ؛ حيثُ يُولي هذا القسم اهتماماً خاصّاً للمُسلمين : « وأُولئك الذين لم يأخذوا بالإنجيل بعد، ولكنَّهم - بدرجة مُختلفة (أو بصُورة أُخرى/ خ . ج .) - ينتمون إلى شعب الرَّبِّ، وأوَّلهم - ذلك الشّعب، الذي منحهم الرَّبُّ العهود والمواثيق، والذين منهم المسيح - حسب الجسد - (رسالة بُولُس الرّسول إلى أهل رُومية، الإصحاح التّاسع : 4 - 5)، الشّعب الذي من جهة الاختيار منهم أحبَّاء من أجل الآباء، لأنَّ هبات الله ودعوته هي بلا ندامة (رسالة بُولُس الرّسول إلى أهل رُومية، الإصحاح الحادي عشر : 28 - 29) ؛ لأنَّ الخلاص سيشمل أُولئك الذين يعترفون بالخالق، وأوَّلهم المُسلمون، الذين يعتقدون، أنَّهم يتبعون ملَّة إبراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد الحيّ القيُّوم الرّحيم، الذي سيُحاسب النّاسَ يوم الدِّين، الإله الذي خَلَقَ العالم وكُلَّ ما فيه، الذي يُعطي الجميع حياةً ونفساً وكُلَّ شيء (أعمال الرُّسُل، الإصحاح السّابع عشر : 25 - 28)، لأنَّ المُخلِّص يُريد أنَّ جميع النّاس يُخلَّصون (رسالة بُولُس الرّسول الأُولى إلى تيماثاوس، الإصحاح الثّاني : 2 - 4)، أُولئك الذين ليس بذنبهم لا يعرفون إنجيل المسيح وكنيسته، ولكنَّهم يبحثون بإخلاص عن الرَّبِّ، وبتأثير النُّبل والخير يسعون لأنْ يُنفِّذوا بأعمالهم إرادته ؛ حيثُ يقودهم إلى ذلك ضميرهم، وبذلك يُمكن أنْ يحوزوا على الخلاص الأبدي. فالإرادة الإلهيَّة لا ترفض مَنْحَ المُساعدة لأجل الخلاص لأُولئك، الذين ليس لهم ذنب في عدم بُلُوغهم المعرفة الواضحة للرَّبِّ، ولكنَّهم يتبعون حياة صحيحة بعون الرَّبِّ ذاته، والكَنيسة تنظر إلى أنَّ كُلَّ ما تمكَّنوا من بُلُوغه من خير وصالح وحقيقي إنْ هُو إلاَّ تهيئة للإنجيل، وهبة من ذلك الرَّبِّ، الذي يهدي كُلَّ فرد، وبالتَّالي ؛ فإنَّه يملك الحياة ذاتها في نهاية المطاف ».

ومن اللاَّفت للانتباه حقّاً، أنَّ المجمع أشار للمرَّة الأُولى إلى المُسلمين في إطار مُعالجته مكانة غير المسيحيِّيْن في عقيدة الخلاص، ومُشكلة « خلاص غير المسيحيِّيْن » - واحد من الموضوعات الحادَّة، التي أثارها اللاَّهوتيُّون الكَاثُوليك، وطرحوا إشكاليَّاتها أمام هذا المجمع، ففي الأربعينيَّات والخمسينيَّات وَجَدَتْ هذه المسألةُ أصداءها في ما يُسمَّى بـ « لاهوت الكمال المسيحي/ المُتحقِّق » (ج . دانييل، غ . أورس فون بالتزار، أ . دي لوباك، ج . دورن)، و « لاهوت المسيحيَّة الخفيَّة » (ك . رانير). وكان سير المُناقشات بين هؤلاء

اللاّهوتيِّيْن إلى النّحو التّالي تقريباً: باعتبار أنَّ الفداء التّكفيري الذي قدَّمه المسيح كان من أجل النّاس جميعاً، بصرف النَّظَر عن عقائدهم ومُنطلقاتهم الدِّينيَّة، فإنَّ « المسيحيَّة التّاريخيَّة »، التي لا تشمل سوى جُزء من البشريَّة، إذنْ؛ ليست هي الطّريق الوحيد للخلاص. وتتركّز تلك الأطرُوحات على التّسليم بأنَّ أشكال الغُفران والخلاص الإلهي مُتنوِّعة في العالم، وأنَّ الثّقافة يُمكن أنْ تكون أحد تلك الأشكال، وكُلُّ إنسان يتقبَّل - في عمق اختياره الشّخصي - موضوع خَلْق الكون كقيمة مُطلقة بحدِّ ذاتها، فإنَّه سيقبل الرَّبَّ - أيضاً - كأساس داخلي لهذه القيمة. « فالثّقافة، التي تُعمِّق في كُلِّ إنسان سَعْيَهُ الأزلي إلى بُلُوغ القيَم السّامية، تُصبح أحد الأشكال غير الصّريحة (الخفيَّة) للتَّعرُّف على ذلك الذي خَلَقَ الكونَ كُلَّه، والنّاس جميعاً »، وبالتّالي؛ فإنَّ خلاص الإنسان، يُنْظَر إليه هُنا، في سياق الوسط الثّقافي الذي ينتمي إليه.

وهكذا؛ بعد تصحيحات وتعديلات كثيرة أثناء مُناقشات أعمال الدّورتَيْن الثّالثة والرّابعة، جرى الاقتراع في جلسة عَلَنيَّة في الخامس عشر من تشرين الأوَّل سنة **1965**، إلى نصِّ التّصريح الخاصِّ بـ « علاقة الكَنيسة مع الدّيانات غير المسيحيَّة »، فوافق عليه **2226** أسقفاً، في حين عارضه **88** صوتاً فقط.

يتألَّف « تصريح حول علاقة الكَنيسة بالدّيانات غير المسيحيَّة » من خمسة أقسام غير كبيرة الحجم، أوّلها « المُقدِّمة » التي تُشير إلى أنَّ العصر الحاضر الذي يتّحد فيه الجنس البشري اتِّحاداً وثيقاً، وتنمو فيه العلاقات المُختلفة بين الشُّعُوب، تنظر الكَنيسة باهتمام بالغ إلى طبيعة علاقاتها بالدّيانات غير المسيحيَّة. وانطلاقاً من مهمَّتها، التي تقوم على مبدأ تعزيز الوحدة والمحبَّة بين النّاس والأُمم، تبحث - بعُمق - عمَّا هُو مُشترَك بين النّاس، وما يقودهم إلى مصير واحد. وفي القسم الثّاني من « التّصريح » يجري الحديث عن « مُختلف الدّيانات غير المسيحيَّة » بشكل مُقتضب، انطلاقاً من سعي الإنسان مُنذُ أقدم العُصُور لإدراك القُوَّة الخفيَّة السّاهرة على مجرى الأُمُور وحوادث الحياة البشريَّة، وأنَّ الدّيانات حاولت - بأشكال مُختلفة - أنْ تُجيب عن الأسئلة الكبيرة ذاتها، وهذا ما تقصَّتْهُ الهندُوسيَّة بجُهُودها الفلسفيَّة الثّاقبة، وبأساليبها الزُّهديَّة والتَّأمُّليَّة، وما حاولتْهُ البُوذيَّة على مُختلف أنواعها وألوانها من

بُلُوغ التَّحرُّر النّفسي الكامل، والوُصُول إلى الإشـراق النّفسـي بالجُـهُود الفرديَّـة الذّاتيَّـة. أمَّـا الكَنَسيَّة الكَاثُوليكيَّة؛ فإنَّها لا ترذل شيئاً ممَّا هُو حقٌّ ومُقدَّسٌ في هذه الدّيانات، بل تنظـر بعـين الاحترام إلى تلك الطُّرُق، وإلى تلك القواعد والتّعاليم التي - غالباً - تحمـل شُعاعاً مـن تلـك الحقيقة التي تُنير كُلَّ النّاس، وهي تحثُّ أبناءها على أنْ يعرفوا ويُعزِّزوا تلـك الخُيُـور الرُّوحيَّـة والأدبيَّة، وتلك القيَم الاجتماعيَّة والثّقافيَّة الموجودة لدى الدّيانات الأُخرى، وكُرِّس القسـم الثّالث من «التّصريح» للدّيانة الإسلاميَّة، والقسم الرّابع منـه للدّيانـة اليهُوديَّـة، أمَّـا القسـم الأخير من «التّصريح»؛ فيتحدَّث عن «الأُخوَّة الشّـاملة التـي تنفـي كُـلَّ تمييز»، ويتضمَّـن وُقُـوف الكَنيسـة ضـدَّ كُـلِّ نظريَّـة أو تصـرُّف يُفـرِّق بـين إنسـان وإنسـان، وبـين أُمَّـة وأُمَّـة، في ما يتعلَّق بالكرامة الإنسـانيَّة، وبـالحُقُوق النّابعـة منـها، وشَـجْب الكَنيسـة كُـلّ تفرقـة أو جـور يلحق بالبشر؛ بسبب عرْقهم، أو لونهم، وبسبب وضعهم، أو ديانتهم.

ويهمُّنا - في هذا المقام - الوُقُوف عند النَّصِّ النّهائي لتصريـح المجمـع بشـأن ديـن الإسـلام والمُسلمين، الذي جـاء فيـه: «إنَّ الكَنيسـة تنظـر بعـين الاعتبـار - أيضـاً - إلـى المُسـلمين الذيـن يعبدون الإله الواحـد الحـيّ القيُّـوم الرّحيـم القـادر علـى كُـلِّ شـيء، خـالق السّـماء والأرض ومُكلِّـم البشـر، الذيـن (أيْ المُسـلمين) يجتـهدون في أنْ يخضعـوا بكُلِّيَّتـهم حتَّـى لأوامـر الله الخفيَّة، كما خضع له إبراهيـم، الـذي يُسـنَد إليـه - بطيبـة خـاطر - الإيمـان الإسـلامي، وأنَّـهم يُجلُّون يسُوع كنبيّ، وإنْ لم يعترفوا به كإله، ويُكرمون أُمَّه مريم العـذراء، كمـا أنَّـهم بتقـوى يتضرَّعون إليها أحياناً، علاوة على ذلـك؛ فإنَّـهم ينتظـرون يـوم الدِّيـن عندمـا يُثيـب اللهُ كُـلَّ البشر القائمين من المـوت، ويُعظِّمـون الحيـاة الأخلاقيَّـة أيضـاً، ويُـؤدُّون العبـادةَ لله، لاسـيما بالصّلاة، والزّكاة، والصّوم.

وإذا كـانت قـد نشـأت - علـى مرِّ القُـرُون - مُنازعـات وعـداوات كثيرة بـين المسـيحيِّين والمُسلمين، فالمجمع المُقدَّس يحضُّ الجميع علـى أنْ يتناسـوا المـاضي، وينصرفـوا - بـإخلاص - إلى التّفاهم المُتبادَل، ويصونـوا، ويُعـزِّزوا - معـاً - العدالـة الاجتماعيَّـة، والخُيُـور الأخلاقيَّـة، والسّلام والحُرِّيَّة لفائدة النّاس جميعاً».

ولكنَّ المجمع سَكَتَ عن أيِّ إشارة إلى الاعتراف بصدق نُبُوَّة سيِّدنا مُحمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ومكانته الرّساليَّة، مع أنَّ هذه المسألة جرى التَّعرُّض لها أثناء المُناقشات والمُداولات؛ حيثُ اقترح بعض المُؤتمرين إدخال تعديل على القسم السّادس عشر من مُسوّدة الدُّستُور العقائدي «في الكَنيسة» يُؤكِّد أنَّ المُسلمين «يعبدون معنا الإله الواحد الرّحيم، الذي كلَّم النّاس بالأنبياء»، إلاَّ أنَّ اللّجنة اللاَّهوتيَّة المُختصَّة ألْغَتْ هذه العبارة، نَظَراً لأنَّها يُمكن أنْ تُؤوَّل بشكل مُثير للإشكال، كأنْ يُفهَم منها أنَّ الله «تكلَّم عبر مُحمَّد»، في حين أنَّ «التّصريح» الختامي صاغ هذه العبارة بصُورة مُقتضبة: «.... الذي كلَّم النّاس».

إنَّ قضيَّة الوضع الدِّيني لنبيّ الإسلام مُحمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، هي واحدة من الإشكاليَّات المُعقَّدة في الحوار المُعاصر بين المسيحيَّة والإسلام، فاللاَّهوتيُّون الكَاثُوليك يعترفون بـ«الدّور الإيجابي التّاريخي لمُحمَّد»، لكنَّهم لم يُوفَّقوا ـ بعدُ ـ إلى عبارات إنشائيَّة مُناسبة لوصف المآثر المُحمَّديَّة بصيغ لاهوتيَّة ـ عقائديَّة مسيحيَّة. ويحضرنا في هذا السِّياق مثال المُؤتمر الإسلامي ـ المسيحي الثّاني، الذي عُقد في آذار 1977 (في قُرطبة)، وكُرِّس لمُناقشة موضوع «تبجيل مُحمَّد وعيسى في الإسلام والمسيحيَّة»، والذي اشترك فيه أكثر من مائتَيْ لاهوتي وعالم إسلاميَّات، ولكنَّ مجموعة من الأقطار العربيَّة رفضت إرسال مندوبين عنها إلى المُؤتمر، مُحتجَّة بعدم جدوى أيِّ حوار بين الدّيانتَيْن، «مادام أنَّ الكَنيسة لن تُغيِّر ـ رسميّاً ـ موقفها من النّبي مُحمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)».

الحوار الإسلامي ـ المسيحي بعد المجمع الفاتيكاني الثّاني:

لقد قُوبلت دعوة المجمع الفاتيكاني الثّاني «الجميع على أنْ يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التّفاهم المُتبادل» بارتياح وترحيب؛ سواء ضمن أوساط الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة ذاتها، أو في العالم الإسلامي، إلاَّ أنَّ التّطبيق العملي بدا أكثر صُعُوبة وتعقيداً؛ إذْ تبيَّن أنَّه تُوجد ـ قبل كُلِّ شيء ـ مُعارضة للحوار في الكَنيسة نفسها؛ حيثُ تركَّزت الأصوات المُعارضة في المجمع بين أساقفة بعض بُلدان آسيا وأفريقيا، التي يُشكِّل فيها المُسلمون أقلِّيَّة (في حين أنَّ أساقفة البُلدان ذات الأغلبيَّة المُسلمة، على العكس من ذلك، أيَّدوا ـ بقُوَّة وفعَّاليَّة ـ فكْرة الحوار). ففي مرحلة ما بعد المجمع الفاتيكاني الثّاني بَرَزَتْ في الكَاثُوليكيَّة ثلاث نزعات من

حيثُ الموقف تجاه الحوار مع الإسلام، أنصار النّزعة الأساسيَّة (الأكبر عدداً) يُؤسِّسون موقفهم المُؤيِّد للحوار؛ انطلاقاً من قرارات المجمع، ووثائق الفاتيكان، والرّسائل البابويَّة اللاّحقة، مُنطلقين من الاعتراف بـ « الصّلة الرُّوحيَّة » القائمة بين الدّيانتَيْن، والتي ستُؤدِّي إلى التّفاهم المُتبادَل والصّون والتّعزيز المُشترك « للعدالة الاجتماعيَّة والسّلام ».

ويرى اللاَّهوتيُّون المُختصُّون والمُؤيِّدون لهذا التَّوجُّه، أنَّ السُّلُوك العمليَّ من أجل صون العدالة الاجتماعيَّة وتعزيز السّلام الإنساني الشّامل، انطلاقاً من فكْرة التّوحيد، يُشكِّل الأساسَ المُمكن للتّفاهم المُتبادَل، والتّعاون المرجوِّ، بين المسيحيِّيْن والمُسلمين.

أمَّا أنصار النّزعة الثّانية؛ فإنَّهم لا يُمانعون ـ من حيثُ المبدأ ـ في إقامة الحوار بين الدّيانتَيْن، لكنَّهم يشترطون إقامته ضمن المجال الدُّنيوي البحت؛ بحيثُ ينأى الحوار عن مُناقشة الإشكاليَّات والمسائل الدِّينيَّة، التي تتَّصل بمفهومَيْ « الأُمَّة »، و « الكَنيسة العالميَّة ».

وقد صيغ هذا الموقف ـ بصُورة واضحة ـ في رسالة أساقفة شمال أفريقيا؛ وعُنوانها: « مسيحيُّو أفريقيا: معنى لقاءاتنا » (1979)، الذين ينطلقون أساساً من وضع المسيحيِّيْن في بُلدان شمال أفريقيا؛ حيثُ يُشكِّلون أقلِّيَّات، وهُم في حالة شتات (« دياسبورا » كما تقول الرّسالة/ خ. ج.)، لكنَّ دعوتهم إلى الحوار الدُّنيوي تُؤسَّس على مبادئ لاهوتيَّة، فهُم يرون أنَّ « نعمة الخلاص » الإلهي تشمل كُلَّ إنسان في هذا العالم، بصرف النَّظَر عن انتمائه الدِّيني والطّائفي والمذهبي، وأنَّه في كُلِّ ثقافة تُوجد قيَم مُحدَّدة، تكفي لأنْ يُنفِّذ المسيحيُّون رسالتهم العالميَّة، التي هي ـ قبل كُلِّ شيء ـ « خدمة السّلام »، فالمسيحيُّون ـ وُفق رأي هؤلاء الأساقفة ـ يجب أنْ يتقبَّلوا ويملكوا القيَم الثّقافيَّة للأكثريَّة، وأنْ يُسهموا في تجسيدها وتحقيقها في الحياة.

بينما تتجلَّى مواقف أنصار النّزعة الثّالثة ومُنطلقاتهم في رسالة الأسقف اللُّبناني ب. بسيم إلى الكاردينال بينيدولي، الذي ترأس أمانة سرِّ اللّجنة الخاصَّة بشُؤُون الدّيانات غير المسيحيَّة (1977)؛ فبعد أنْ يُعمِّم بعض الآراء السِّياسيَّة ـ التّشريعيَّة الإسلاميَّة، يُؤكِّد ب. بسيم أنَّ الشّكل الوحيد المقبول لدى المُسلمين ـ فيما يخصُّ النّسق الاجتماعي ـ السِّياسي ـ هُو « الأُمَّة »؛ أيْ الجماعة الإسلاميَّة ـ الثّيُوقراطيَّة، التي تضع المُسلمين (الأغلبيَّة) في مرتبة

« الحامي » و « الرّاعي » لدّيانات (الأقلّيّات) الأُخرى ، وتأخذ منهم الجزية ، ولـهذا ، فإنَّه في حُدُود العالم الإسلامي لا يُمكن الحديث عن أيِّ مُساواة ، بما في ذلك في الحُقُوق المَدَنيَّـة ، بـين المُسلمين وأتباع الدّيانات الأُخرى . وهذا الواقع يحول وحـده ـ حسـب رأي ب . بسـيم ـ دُون إقامة أيِّ حوار مُفيد بين الدّيانتَيْن .

ولكنْ ؛ للحقيقة ، فإنَّه يجب القول إنَّ النّزعة الأخيرة ليست شائعة ، وليسـت تيَّاراً أو اتِّجاهاً مُؤثِّراً وكبيراً في الكَاثُوليكيَّة المُعاصرة . ومع ذلك ؛ فإنَّه لا يجوز ـ أيضاً ـ التَّسرُّع بإعطاء تنبُّؤات حول مُستقبل العلاقات الإسـلاميَّة ـ المسيحيَّة ؛ إذْ أنَّ عشرين سـنة فقـط مـن الحـوار الوُدِّي ، لا يُمكن مُقارنة نتائجها بأربعة عشر قرناً من التّنافس والمُخاصمـات الدِّينيَّـة . وتظـهر المُبادرات الحاصلة بعد المجمع الفاتيكاني الثّاني من طـرف الكَنيسـة أنَّ الدّعـوة إلـى الحـوار مـع الدِّين الإسلامي ليست مُناورة سياسيَّة ـ أيديُولُوجيَّة ، أَمْلَتْهَا المصالح الآنيَّة ـ الظَّرْفيَّة ، بل هـي نهج ، أو خطٌّ مُتكامل ، طويل المدى .

فالهيئة المركزيَّة الرّسميَّة للكَنيسة ، المُكلَّفـة إجـراء الحـوار مـع المُسـلمين ، أصبحـت هـي أمانة السِّرِّ (السّكرتارية) لشُؤُون الدّيانات غير المسيحيَّة ، والتي تكوَّنت في إطارها ثلاثة أقسـام في بادئ الأمر : للشُّؤُون الإسلاميَّة ، للشُّؤُون البُوذيَّة ، ولشُؤُون الدّيانات الأفريقيَّـة التّقليديَّة (أمَّا القسم الخاصُّ بالشُّؤُون اليهُوديَّة ؛ فإنَّه يتبع السّكرتارية الخاصَّة بشُؤُون الوحدة) .

في تشرين الأوَّل من عام 1974 ، تحوَّل القسم الخاصُّ بالشُّؤُون الإسلاميَّة إلى لجنة ، لها رئيس ؛ هُو سكرتير شُؤُون الدّيانات غير المسيحيَّة (أوَّل رئيس لها كـان الكاردينـال "مـاريلا" ، وحلَّ محله الكاردينال "بينيد ولي" في سنة 1973) ، الأعضاء الدّائمون في هذه السّكرتارية هُـم أغلبيَّة الكَرَادلة والأساقفة مـن بُلـدان آسيا وأفريقيـا ، أمَّـا المُستشـارون في الشُّؤُون الإسـلاميَّة (عددهم أحد عشر عُضواً) ؛ فيُنْتَخَبُون لمُدَّة خمس سنوات . ، وقد ترأس « القسـم الإسـلامي » من 1964 ولغاية 1974 ج . كُوك (الآباء البيض ، جمعيَّة مُبشِّري أفريقيا) ، ومـن عـام 1974 ، تـرأس هـذا القسـم الأب أبو مـخّ (سُوري ، مُمثِّل بطريـرك الرُّوم ـ الكَـاثُوليك مكسـيموس الخـامس حكيـم في رُومـا) . أمَّـا المـهمَّات الأساسيَّة للسّكرتاريَّة ؛ فقـد لخَّصـها أمـين سـرِّها

المُونسنيُور رُوسانو على النّحو التّالي: المُساعدة من أجل التّفاهم المُتبادَل، خُصُوصاً في ميدان القيَم الدِّينيَّة، بين مُمثِّلي الدّيانات المُختلفة، وتنسيق التّعاون مع الكنائس الوطنيَّة الكَاثُوليكيَّة، ويُحدَّد نشاط أمين السِّرِّ (السّكرتير) ضمن التَّوجُّهات التّالية: طَبْعُ ونَشْرُ الأدبيَّات المُتعلِّقة بمسائل الحوار الدِّيني، تنظيم لقاءات تشاوُريَّة عالميَّة، ومُؤتمرات وندوات فكْريَّة بين مُمثِّلي العقائد المُختلفة، وإقامة حلقات بحث مُنتظمة ومُحاضرات في الفاتيكان، يُدعى إليها ـ بصفة خاصَّة ـ العُلماءُ واللاَّهوتيُّون المُسلمون البارزون.

وبدءاً من 1979؛ أصبحت السّكرتارية تُنظِّم نوعاً من المدارس الصّيفيَّة للقساوسة والمُبشِّرين، العاملين في البُلدان الإسلاميَّة، بهَدَف رَفْع تأهيلهم في حقل العُلُوم الإسلاميَّة، وتُصدر مجموعة من الدّوريَّات المُهمَّة: من عام 1966، تصدر شهريّاً مجلّة عُنوانها «نَشْرة السّكرتارية» (باللُّغتَيْن الإنكليزيَّة والفرنسيَّة)، أضفْ إليها من سنة 1974، مجلَّة شهريَّة بعُنوان «لقاء غير مُتوقَّع»، «من غير موعد»، وهي مُكرَّسة لبحث قضايا الإسلام من وُجهة نظر كَاثُوليكيَّة، ومن عام 1975، تُصدر هذه السّكرتارية ـ بالاشتراك مع المعهد البابوي للدّراسات العربيَّة والإسلاميَّة ـ مطبوعة سنويَّة بعُنوان «إسلام ومسيحيَّة» تنشر دراسات وأبحاثاً جادَّة في حقل العُلُوم الإسلاميَّة. وفي عام 1970، أصدرت السّكرتارية مُؤلَّفاً لمجموعة من اللاَّهوتيِّين والمُستشرقين عنُوانه «للدِّين: الموضوعات الأساسيَّة في ضوء التّفاهم الحواري المُتبادَل»؛ حيثُ يُحلِّل كتابه خصائص المبادئ والمُنطلقات العقائديَّة في كُلٍّ من المسيحيَّة، والإسلام، والبُوذيَّة، والهندُوسيَّة، والكُونفُوشيَّة، والتَّاويَّة (الطَّاويَّة)، والمُعتقدات البدائيَّة تجاه المُشكلات والمسائل الكُبرى في الحياة والكون: كالدِّين، والإنسان، وطريق الخلاص، والإله أو المُطلق الكوني، وتجاه مفاهيم الخير والشَّرِّ والسّعادة... إلخ.

وقد طبعت السّكرتارية مرَّتَيْن (في عام 1969 وفي عام 1979) دليلاً عمليَّاً مُساعداً للحوار، بعُنوان: «آفاق الحوار الإسلامي ـ المسيحي». وكانت الأهداف ذاتها وراء إصدار مجموعة من الكُتُب، أهمّها: «نحو لقاء الأديان» (1967)، و «الإنسان والدِّين» (1968)، وكُرَّاس «الأمل الذي فينا» (1968)، الذي تضمَّن صياغات وعبارات مُقتضبة حول أُسُس الإيمان المسيحي، مُوجَّهة ـ بالدّرجة الأُولى ـ إلى أتباع الدّيانات غير المسيحيَّة.

في الحادي والثّلاثين من آذار 1965 تحدث كاردينال الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة ف. كينيغ أمام العُلماء المُسلمين في جامعة الأزهر (بالقاهرة). وهُو حدث ذو أهمِّيَّة رمزيَّة بالنّسبة للكَنيسة. إذْ إنَّه للمرَّة الأُولى مُنذُ ألف سنة تقريباً من وُجُود هذا المركز العلمي الأضخم في العالم الإسلامي يتحدث فيه عالم مسيحي.

ومُنذُ ذلك الحين (آذار 1965)؛ تجري لقاءات إسلاميَّة - مسيحيَّة بصُورة مُستمرَّة، ونُشير - هُنا - إلى أكبرها وأكثرها أهمِّيَّة:

- في نيسان 1974، قام سكرتير (أمين سرّ) أمانة شُؤُون الدّيانات غير المسيحيَّة الكاردينال بينيدولي بزيارة للسُّعُوديَّة، التقى - خلالها - الملكَ فهدَ. وفي العام نفسه؛ زار القاهرة أيضاً. في تشرين الأوَّل/ أُكتُوبر من السّنة ذاتها؛ قام وفد من العُلماء المُسلمين (من المملكة العربيَّة السُّعُوديَّة) بردِّ الزّيارة إلى الفاتيكان. في نيسان 1978، دُعي الكاردينال بينيدولي إلى جامعة الأزهر.

- عُقد مُؤتمران عالميَّان ضخمان للحوار الإسلامي - المسيحي في قُرطبة (في أيلول 1974، وفي آذار 1977).

- تمَّ تنظيم مُلتقيَيْن عالميَّيْن بين المُسلمين والمسيحيِّيْن في تُونُس: خُصِّص أوَّلهما لدراسة مُشكلات التَّطوُّر المُعاصر (في أيلول 1974)، وخُصِّص ثانيهما لمُناقشة مسائل «الوحي والتّاريخ»، و«الوحي، العقل، العلم» (نيسان وأيَّار 1979).

- في شُباط 1976، عُقدت في طرابلس (ليبيا) حلقات بحث عالميَّة إسلاميَّة - مسيحيَّة، صَدَرَتْ - في ختامها - وثيقتان حول - «الأُسُس النّظريَّة العامَّة للدّيانتَيْن، والميادين المُختلفة للقاءاتهما»، و «الأعمال الضّروريَّة للقضاء على الخُرافات وسُوء التّفاهم، التي تُجزِّئنا».

- في حُزيران 1976، نُظِّم في شامبيزي (سويسرا) مُؤتمر بعنُوان «الرّسالة المسيحيَّة والدّعوة الإسلاميَّة».

- في أيَّار - حُزيران 1977، عُقد في ميدلينغ (النّمسا) مُؤتمر تحت عنُوان «قضايا الإله في الإسلام والمسيحيَّة».

ـ في ليشبونة (البُرتغال)، عُقد مُؤتمر للدّيانـات التّوحيديَّـة الثّلاث، موضوعـه « العـالم المُتغيِّر ـ تحدِّي دياناتنا » (تشرين الثّاني 1977).

ـ في تشرين الثّاني من عام 1977، عُقد لقاء مسـيحي ـ إسـلامي تشـاوري تحت شـعار: « الإيمان ـ العلم ـ التّقانة ومُستقبل البشريَّة » (مدينة بيرُوت).

ـ في مدينـة سـالزبروغ (النّمسـا)، عُقـدت في شُـباط 1978، حلقـة مُناقشـة تحـت عُنـوان « الكَنيسة والمُسلمون في أُورُوبا ».

ـ في حُزيران 1978، عُقدت في مدريد (أسبانيا) ندوة فكْريَّـة لُمناقشـة المُشـكلات المُتعلِّقـة بصياغة المعلومات الخاصَّـة بتـاريخ الإسـلام والثّقافـة العربيَّـة ـ الإسـلاميَّة في المنـاهج والكُتُـب المدرسيَّة الأُورُوبيَّة للحلقة المُتوسِّطة (الإعداديَّة).

ـ في حُزيران 1979، نُظِّـم مُلتقـى إسـلامي ـ مسـيحي في شـانتيليه (فرنسـا) تحـت عُنـوان « الإيمان وعدم الإيمان في العالم المُعاصر ».

ـ في آب 1979، وأيَّـار 1980، عُقـد في أُسـتراليا (ملبـورن وكـانبيره) مُؤتمـران دوليَّـان للمسيحيِّيْن والمُسلمين في أُستراليا.

ـ في تشرين الثّـاني 1979، نُوقشـت مُشـكلات الحـوار الدِّيـني في المُلتقـى، الـذي نظَّمتـه فيدراليَّة الأساقفة الآسيويِّيْن في كوالا ـ لامبور (ماليزيا).

ـ في أيَّار 1980، قام البابا يُوحنَّا بُولُس الثّاني بجولة في بعض البُلـدان الأفريقيَّـة، التقـى ـ أثناءها ـ مُمثِّلي الجماعات الإسلاميَّة في نيروبي (كينيا) وأكرا (غانا). وفي الشّـهر نفسـه؛ زار باريس، والتقى فيها وفداً من المُسلمين، الذين يعيشـون في فرنسـا، وفي آذار مـن عـام 1981، قام البابا بجولة في بُلدان الشّرق الأقصى؛ حيثُ استقبلَ ـ أثناءها ـ في مدينة مـانيلا (الفيليبِّـين) مُمثِّلي الأقلِّيَّات المُسلمة في جُزُر الفيليبِّين.

ـ أمَّـا في الشّـرق الأدنـى؛ فقـد عُقـدت مُؤتمـرات إسـلاميَّة ـ مسـيحيَّة ضخمـة في بـيرُوت (1972، 1980)، وفي القُدْس (آذار 1984).

ـ في زغـرب (يُوغسـلافيا)، عُقـد في آذار 1981، مُؤتمـر الكنـائس الأُورُوبيَّـة لبحـث موضوع « المُناقشات اللاَّهوتيَّة عن الإسلام في أُورُوبا ».

ـ في آذار ـ نيسان 1982 ، عُقد في كُولُومبُو (سريلانكا) مُلتقى عالمي لمُناقشة « مُشكلات العيش الإسلامي المسيحي المُشترَك ».

ـ في تشرين الأوَّل 1973 ، عُقد في باليرمو (إيطاليا) مُؤتمر عالمي إسلامي ـ مسيحي . وفي هذا العام وحده جرى سبعة عشر لقاء إسلامياً ـ مسيحياً على مُستويات مُختلفة .

ـ في يومَيْ السّادس والسّابع من أيّار 1985 ، شهدت رُوما مُلتقى فكْرياً للأديان تحت عُنوان « القداسة العربيَّة والإسلاميَّة » . وفي هذَيْن اليومَيْن ـ أيضاً ـ عُقد في مُونبيليه (فرنسا) لقاء فكْري آخر حول موضوع « الإله الواحد » ، اشترك فيه مُمثّلون عن الدّيانات التّوحيديَّة الثّلاث .

ـ في التّاسع عشر من آب ، وبدعوة من الملك الحسن الثّاني ، قام البابا يُوحنّا بُولُس الثّاني بزيارة إلى المغرب ، ألقى فيها كلمة أمام ثمانين ألفاً من الشّباب في الملعب الرّياضي بالدّار البيضاء .

ـ في السّابع والعشرين من تشرين الأوَّل 1986 ، وبدعوة من البابا يُوحنّا بُولُس الثّاني التقى في مدينة « أسيزي » (إيطاليا) ، والتي تحدَّر منها القدّيس الشّهير فرنسيس الأسيزي (مُؤسِّس أخويَّة الفرنسيسكان) عُلماءَ ومُفكِّرين معروفين ، يُمثّلون ستّين ديانة وعقيدة من أجل إقامة الصّلاة المُشتركة للسّلام العالمي .

ـ في عقدَيْ السّبعينيَّات والثّمانينيَّات نشطت جمعيَّات الحوار الإسلامي ـ المسيحي بصُورة واسعة ، مثل « رابطة الصّداقة الإسلاميَّة ـ المسيحيَّة » ، التي نظَّمت مُؤتمرات الحوار المُنعقدة في قُرطبة أسبانيا) ، مجموعة الدّراسات الإسلاميَّة ـ المسيحيَّة « مسيحيَّة وإسلام » في أسبانيا ، الحلقة الثّقافيَّة « شرق المُتوسِّط » في باليرمو ، « رابطة الكُتّاب الفرنكفُونيّيْن ـ المُؤمنين » ، التي تُعدُّ حلقة بَحْث يهُوديَّة ـ مسيحيَّة ـ إسلاميَّة سنويَّة في فرنسا[1] .

ولازالت هذه المُؤتمرات واللّقاءات والحوارات مُستمرَّة ومُتنامية إلى يومنا هذا .

---

(1) "المسيحيَّة والإسلام" ، تأليف : أليكسي جُورافسكي ، ترجمة خلف مُحمَّد الجراد ، نَشْر المجلس الوطني للثّقافة والفُنُون والآداب ـ الكُويت ، ضمن سلسلة "عالم المعرفة" ، العدد 215 ، بتاريخ 1996 ، ص 151 ـ 158 .

الفصل الثّالث:

الرّهبانيّات والحَرَكَات التّبشيريّة الكَاثُوليكيّة وتعاظُم دورها

- تمهيد عن نشأة الأديرة والحياة الرُّهبانيَّة في المسيحيَّة:

عانى المسيحيُّون في عهد الاضطهاد - أيْ في القُرُون الثّلاثة الأُولى بعد رَفْع المسيح - صُنُوفاً من التَّعسُّف والقسوة والاضطهاد من قبَل الرُّومان الوَثَنِيِّين، وكان ذلك - كما يقول بعض الكُتَّاب المسيحيِّين - تدريباً للمسيحيِّين على التّضحية وحُبِّ الفداء. فلمَّا بدأ عهد الحُرِّيَّة - عندما اعتنق الإمبراطُور البيزنطي قسطنطين المسيحيَّة سنة 330 م - تحسَّر أُولئك الذين فاتهم ركْب التّضحية بالرُّوح والدّم في سبيل الإيمان، فقرَّروا أنْ يُضحُّوا بمُتَعهم؛ إذْ فاتهم أنْ يُضحُّوا بدمائهم، ولجؤوا للتَّفرُّد بالجبال، والابتعاد عن مفاتن الحياة، والحرمان، وتعذيب الجسم بالجُوع والعطش وخشن الثّياب، والتَّبتُّل، وعدم الزّواج، والعُكُوف على العبادة؛ طَلَبَاً لتنقية النّفس وطهارتها التَّامَّة من كُلِّ شوائب الآثام، وتقديراً للسَّيِّد المسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر، وبخاصَّة؛ أنَّهم أدركوا بُطلان هذا العالم، وخداع مظهره الخلاَّب. وقد مرَّت الرّهبنة بمراحل، فكانت في المرحلة الأُولى هُرُوباً من النّاس، وبُعْداً عن المُدُن والقُرى الزّاخرة بالأناس، وانطلاقاً في الصّحارى والبراري، ولُجُوءاً إلى الكُهُوف، بقصد مُحاربة شهوة الجسد التي تُوقع في الزّلل، والإكثار من العبادة والتَّأمُّل، مع المُحافظة على الوحدة والتَّفرُّد. وبمُرُور الزّمن؛ كثر عدد الرّاغبين في التَّرهُّب، ومال هؤلاء إلى نوعٍ من الاجتماع والمُعاشرة؛ إذْ تعرَّض بعضهم إلى عُدوان اللُّصُوص والمُجرمين، فبنوا لهم صوامع مُتجاورة، ثُمَّ انتهى بهم الأمر إلى بناء أسوار عالية، تضمُّ بداخلها عدداً من الصّوامع، فنشأ عن ذلك الدَّيْر، وكثرت - بعد ذلك - الأديرة، وانتشرت هُنا وهُناك[1].

---

(1) كتاب مُقارنة الأديان، ج 2، المسيحيَّة: أحمد شلبي، والموسُوعة البريطانيَّة والأمريكيَّة: مادَّة الرّهبنة Monasticism.

على أنَّ الرّهبنة لم تنشأ ـ فقط ـ بسبب الرّغبة في التّضحية والفداء بعد أنْ توقّف الاضطهاد، بل إنَّ المسيحيِّيْن ينسبون أُسسها إلى السَّيِّد المسيح، الذي يروون عنه قوله للشَّابِّ الغني الذي جاءه يطلب منه أنْ يدلَّه على طريق الخلاص، فقال له في البداية: « إنْ أردتَ أنْ تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا. قال له: أيَّة وصايا؟ فقال يسُوع: لا تقتلْ. لا تزن. لا تسرقْ. لا تشهد بالزُّور. أكرمْ أباكَ وأُمَّكَ. وأحبَّ قريبكَ كنفسكَ »، فقال له الشَّابُّ السّائل: « كُلُّها حفظتُهَا مُنذُ حداثتي. فماذا يعوزني بعد؟ فقال له يسُوع: إنْ أردتَ أنْ تكون كاملاً فاذهَبْ، وبعْ أملاكَكَ، وأعْطِ الفُقراء، فيكونُ لَكَ كَنْزٌ في السَّماء، وتَعَالَ اتّبَعْني. » متَّى 19/ 16 ـ 21. وقال المسيح في موضع آخر: « مَنْ أَحَبَّ أباً أوْ أُمَّاً أكْثَرَ منِّي فَلاَ يَسْتَحقُّني، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أو ابْنَةً أكْثَرَ منِّي فَلاَ يَسْتَحقُّني. وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَليبَهُ وَيَتْبَعُني فَلاَ يَسْتَحقُّني. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ منْ أَجْلي يَجدُهَا » متَّى 10/ 37 ـ 39. [وكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً، أوْ إخْوَةً، أوْ أَخَوَات، أوْ أباً، أوْ أُمَّاً، أو امْرَأةً، أوْ أوْلاَداً، أوْ حُقُولاً منْ أَجْل اسْمي يَأْخُذُ مئَةَ ضعْف، وَيَرثُ الْحَيَاةَ الأَبَديَّةَ] متَّى 19/ 29. [فتقدَّم كاتبٌ، وقال له: يا مُعلِّم؛ أتبعُكَ أيْنَمَا تَمْضي؟ فقال له يسُوع: « للثَّعالب أوْجرَةٌ، وَلطُيُور السَّمَاء أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإنْسَان؛ فَلَيْس لَهُ أَيْنَ يُسْندُ رَأْسَهُ ». وَقَالَ لَهُ آخَرُ منْ تَلاَميذه: « يَا سَيِّدُ؛ ائْذَنْ لي أَنْ أَمْضيَ أَوَّلاً، وَأَدْفنَ أَبي ». فَقَالَ لَهُ يسُوع: «اتْبَعْني، وَدَع الْمَوْتَى يَدْفنُونَ مَوْتَاهُمْ »] متَّى 8/ 19 ـ 22. فكانت هذه النُّصُوص هي الأساس في نشأة الرُّهبانيَّة المسيحيَّة.

ومن أُسُس الرّهبنة عدم الزّواج؛ أيْ التَّبتُّل، وهُو مُقتبس من قول السَّيِّد المسيح: « لأَنَّهُ يُوجَدُ خصْيَانٌ وُلدُوا هكَذَا منْ بُطُون أُمَّهَاتهمْ، وَيُوجَدُ خصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْل مَلَكُوت السَّمَاوَات. مَن اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْتَمل، فلْيَحْتَملْ » متَّى 19/ 12.

أمَّا اللُّجوء إلى الجبال والبراري؛ فمُقتبسة من السَّيِّد المسيح الذي كان يصعد إلى الجبل حين يُريد أنْ يُصلِّي، أو يُعلِّم الجُمُوع، ومن يُوحنَّا المَعْمَدَان الذي كان يعيش في البرِّيَّة، ويكرز فيها.

وأمَّا التَّقشُّف والفقر وتعذيب الأبدان بالجُوع والعطش وخشن اللّباس؛ فقد أعاده المسيحيُّون إلى الاقتداء بالسَّيِّد المسيح في زُهده واحتماله الآلام، وبما جاء في أعمال الرُّسُل: إنَّه بمُضايقات كثيرة ينبغي أنْ ندخل مَلَكُوت الله. وأمَّا الطّاعة التَّامَّة التي يدين بها الرُّهبان لرؤسائهم؛ فيُرجعونها إلى قول المسيح: مع كونه ابناً تعلَّم الطّاعة.

ويجد الباحث في مُقارنة الأديان أنَّ المسيحيِّيْن في رهبانيَّتهم هذه اتَّبعوا منهجاً مُماثلاً ـ لحدٍّ ما ـ لمنهج الرّياضات الرُّوحيَّة والتَّصوُّف الهندي والبُوذي القديم، فالتَّرهُّب والتَّبتُّل وتعذيب الجسم وعدم الكَسْب والاعتماد على التَّسوُّل والصّدقات... هُو منهج الرّهبنة الهندُوسيَّة والبُوذيَّة، ولازلنا ـ إلى اليوم ـ نجد الرُّهبان البُوذيِّيْن في بُلدان جنوب شرق آسيا يُمارسون هذا النّوع من الرّهبنة؛ فيُطلِّقون الحياة، والسّعي فيها نهائيّاً، وينعزلون في الأديرة، ويلبسون الثّياب الأرجوانيَّة، ويحملون طاسةً للتَّسوُّل بأيديهم؛ ليتصدَّق عليهم النّاس فيها، ويصرفون كُلَّ حياتهم في التَّأمُّل والعبادة والرّياضات الرُّوحيَّة، مع وُجُود فارق أساسي هامٍّ بين الرّهبانيَّة المسيحيَّة ورهبانيَّة أديان الشّرق الأقصى؛ وهُو أنَّ الأخيرة تقتصر على الانعزال عن الحياة، والسّعي للخلاص الرُّوحي للنّفس، في حين أنَّ الرّهبانيَّات المسيحيَّة، مع سعيها لخلاص نُفُوس المُنتظمين فيها بانعزالهم وتنسُّكهم التَّامِّ، إلاَّ أنَّ برنامج الخلاص عندها يتضمَّن العمل في تقديم الخدمات الإنسانيَّة المجانيَّة لجميع النّاس، لا سيما المرضى، والجرحى، والمُحتاجين، والأرامل، والأيتام، والمساكين... إلخ.

هذا؛ وليس الالتحاق بالرّهبنة شيئاً يسيراً، فَطَالبُ الالتحاق يُختَبَر، ويمرُّ بتجارب حتَّى يعترف الرُّهبان بأنَّه مُستحقٌّ، وحينئذٍ؛ يرقد على ظهره أمام الهيكل، ويُصلِّي الرُّهبان عليه صلاة خاصَّة، مضمونها أنَّ هذا الرّجل قد ترك العالم كأنَّه مات، ولم يُحسَب ضمن أبناء هذا العالم؛ أيْ ضمن العلمانيِّيْن.

ويرى الباحثون الأقباط أنْ نظام الرُّهبان نشأ في مصر أوّل ما نشأ، ثُمَّ نَقَلَهُ الرُّهبان الأقباط إلى إيطاليا، وفرنسا، وغيرهما من الدُّول.

أوَّلاً: الرّهبانيَّات أو الأخويَّات التّبشيريَّة:

ظهرت[1] في القُرُون الوُسطى؛ أيْ من القرن الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلادي، عديدٌ من الحَرَكَات والجمعيَّات الرّهبانيَّة المسيحيَّة الغربيَّة، تهدف إلى مُقاومة فساد الأخلاق وقلَّة الإيمان، الذي عمَّ كُلَّ طبقات المُجتمع في الغرب؛ وبينها الرّهبنة. والواقع أنَّه ـ مُنذُ

(1) المرجع الرّئيسي حول الرّهبانيَّات كتاب "تاريخ الكَنيسة المسيحيَّة": ترجمه عن اللُّغة الرُّوسيَّة مطران حمص وتوابعها: ألكسندروس، 1964، ثُمَّ الموسُوعتان: البريطانيَّة والأمريكيَّة.

القرن العاشر الميلادي - بدأت تظهر مُحاولات لأجل إعادة الحياة الرّهبانيَّة بكُلِّ صرامتها، كما أوصى بها المُؤسِّس والأب الرُّوحي للحياة الرّهبانيَّة الغربيَّة القدِّيس بينيدكت النّورسيسكي[1] (480 - 547م) Saint Benedict of Nursia (Norcia). ففي مطلع القرن العاشر الميلادي؛ وبالتّحديد سنة 910 م، قام "ويليام الأكيتيني" William of Aquitaine بتأسيس الرّهبنة الكْلونياكيَّة Cluniac Order في دير الرُّهبان المركزي في مدينة "كلوني" Cluny في فرنسا - التي كانت تُمثِّل مركزاً دينيّاً رهبانيّاً هامّاً في ذلك الوقت - كمُحاولة جادَّة لإحياء الرّهبنة الأصيلة المُلتزمة بشكل صارم ودقيق بأُصُول الرّهبنة البينيدكْتيَّة، وظهر ما سُمِّي بالاتِّحاد الكليوني، الذي أحيا قانون بيندكت للحياة الرّهبانيَّة، وأكَّد على ضرورة تفقُّه الرُّهبان بتعاليم الكتاب المُقدَّس، وتطوير الاحتفالات والمراسم الكَنَسيَّة، وانتشر هذا الإصلاح الرّهباني في أديرة ألمانيا، وإيطاليا، وأسبانيا، وإنجلترا.

بيد أنَّ الاتِّحاد الكليوني لم ينجح إلاَّ قليلاً في إعلاء شأن الأخلاق من جديد؛ لأنَّ سُوء الأخلاق قد سيطر - بكُلِّ قُوَّة - في القرن الحادي عشر، وما بعده بين العلمانيِّيْن (أيْ النّاس العاديِّيْن من غير رجال الدِّين)، والإكليروس (أيْ رجال الدِّين) وحتَّى بين الرُّهبان. وضعف النِّظام الرّهباني على مُرُور الزّمن حتَّى في أديرة الكليوني. ولذلك لم تزل تجري إلى ذلك العهد المُحاولات الحثيثة لتحقيق فكْرة الحياة المسيحيَّة الحَقَّة بواسطة مثال الحياة الرّهبانيَّة. فكان النّاس ذوو المُيُول التَّقويَّة يخرجون من الحياة الدُّنيويَّة، ويجمعون حولهم المُريدين، ويُؤسِّسون جمعيَّات رهبانيَّة جديدة، أو ما يُسمُّونه في الغرب أخويَّات Orders، والتي لكُلٍّ منها قوانين حياتيَّة خاصَّة، ونُذُور مُعيَّنة، يُشكِّل إتمامها الدّليل المُميِّز لصحَّة الانتماء إلى تلك الرّهبنة. وكان الباباوات يُحافظون على تلك الأخويَّات الرّهبانيَّة أو

---

(1) بينيدكت النّورسيسكي قدِّيس إيطالي المولد، وُلد سنة 480 م، في "نورسيا" في مملكة اللُّومبارديين (مُقاطعة في شمال إيطاليا على الحُدُود مع سويسرا)، وأسَّس دَيْره الذي عُرف باسم الدّير البينيدكتي Benedictine Monastery على جبل كاسِّينو (على مسافة 140 كم جنوب شرق رُوما) عام 529م، واعتُبرَ الأب الرُّوحي للرّهبنة المسيحيَّة الغربيَّة، وواضع قواعدها ونُظُمها، والتي أصبحت تحكم - من الآن - فصاعداً نظام الحياة الرّهبانيَّة في كُلِّ البلاد الأُورُوبيَّة: الشّرقيَّة منها والغربيَّة. هذا؛ ونَظَراً للخدمات الجليلة التي قدَّمَتْهَا الرّهبانيَّات البينيدكتيَّة في نَشْر المسيحيَّة في أنحاء أُورُوبا في القُرُون الوُسطى والتّأثير المسيحي العميق الذي تركتْهُ في الحضارة الأُورُوبيَّة؛ مَنَحَ البابا بُولُس السّادسُ عام 1964، القدِّيس بينيدكت النّورسيسكي، لقب "رئيس قدِّيسي كُلّ أُورُوبا" The patron saint of all Europe.

الجمعيَّات المُنظَّمة جديداً ؛ لأنَّهم وجدوا فيها دعامة لسُلطتهم ، ومن جُملة الأخويَّات الرّهبانيَّة التي ظهرت في الكَنيسة الغربيَّة في القُرُون مُنذُ الحادي عشر وإلى الخامس عشر - الأكثر شهرة - الرّهبانيات التّالية :

1 - رهبانيَّة السِّيستيريسيان ثُمَّ رهبنة البرناردِيِّيْن:

أسَّسها سنة 1098م ، أحد الوُجُوه من شامباني اسمه القدِّيس "رُوبير المولسمي" Saint Robert of Molesme ، فقد دخل "روبير" هذا في حداثته أحد أديار البنديكت ، ولكنْ ؛ لَمَّا وَجَدَ حياة الرّهبنة في ذلك الوقت لا تتَّفق ورغبته في النّسك انفرد في مكان قفر اسمه "سيتو" Citeaux جنوب مدينة ديجون جنوب فرنسا ، وأسَّس هُناك ديره ، مع بعض رفاقه ذوي المُيول المُشابهة لمُيوله . وفي هذا الدّير تأسَّست أخويَّة السِّيستيريسيان Cistercian Order . وكان النّظام الذي سلَّمه "رُوبير" للأخويَّة مُستعاراً - على الأخصِّ - من نظام البينديكت الصّارم القديم ، والقائم على "الابتعاد التَّامِّ عن العالم ، ورفض كُلِّ فَخْفَخَة ورفاه في الحياة" (حتَّى أنَّه لم يكن في الهياكل أقلّ زينة) وعلى الحياة النّسكيَّة الصّارمة . ثُمَّ ثبَّت البابا باسكال الثّاني Pope Paschal II (1099ـ 1118) هذه الأخويَّة الرّهبانيَّة ، ولكنْ ؛ بسبب الصّرامة الشّديدة لقوانين تلك الرّهبانيَّة ؛ كان عدد أعضائها قليل في بادئ الأمر ، لكنَّها بدأت تنمو عندما انضمَّ إليها (سنة 1113م) شخصيَّة استثنائيَّة بارزة هي القدِّيس "برنارد كليرفوا" (1090 - 1153م) Saint Bernard of Clairvaux فَمَنْ هُو هذا القدِّيس؟ وما الدّور الذي لعبه؟

القدِّيس "برنارد كليرفوا" (1090 - 1153م) :

وُلد القدِّيس برنارد قُرب مدينة "ديجون" جنوب فرنسا ، وأصبح راهباً مُنذُ عام 1113م ، في دير "سيتو" جنوبي مدينة "ديجون" التّابع لرهبانيَّة السِّيستيريسيان ، ثُمَّ أصبح رئيساً لدير آخر في منطقة "كليرفو" شمال مدينة "ديجون" ، ومن هُنا ؛ أخذ هذا القدِّيس اسمه ، فأصبح يُسمَّى "برنارد كليرفوا" Saint Bernard of Clairvaux أيْ برنارد الكليرفويّ نسبةً لاسم الدّير الذي كان يرأسه . ومُنذُ ذلك الحين ؛ أصبح ذلك الدّير أشهر وأهمَّ دير في الرّهبانيَّة السِّيستيريسيانيَّة . وقد نُسبَت إلى القدِّيس "برنارد" الكثير من المُعجزات والخوارق ، وكان واعظاً مُفوَّهاً ، جذبتْ مواعظُهُ الكثيرَ من الحُجَّاج إلى ديره . وفي خلال الفترة الواقعة

بين 1130 و 1145 فقط، تمَّ تأسيس 90 ديراً تحت إشراف وتوجيه دير "كليرفو" هذا، وانتشر تأثير القدِّيس "برنارد كليرفوا" في الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة في كُلِّ أنحاء العالم.

فقد اكتسب برنارد ـ بحياته الصّارمة وبموهبة الفصاحة المُقنعة ـ احترام مُعاصريه، حتَّى اعتبروه قدِّيساً وهُو لا يزال حيّاً ـ كما سيأتي ـ وخضع لنُفُوذه وتأثيره ليس الشّعب البسيط فحسب، بل الباباوات والأُمراء أيضاً.

وقد علا صيتُهُ، واشتهر أكثر عندما قام بتأسيس قواعد "رهبانيَّة فُرسان الهيكل" الصّليبيَّة[1] التي تمكَّن من أنْ يحصل من البابا على مُصادقة عليها عام 1128م. كما كان للقدِّيس "برنارد" دور هامٌّ في حلِّ النّزاع البابوي الشّهير الذي وقع بين البابا إينّوسنت الثّاني Innocent II ومُنافسه المُعادي له "آناكليتوس الثّاني" Anacletus II؛ حيثُ لعب دوراً حاسماً في انتصار البابا الأوَّل (إينّوسنت الثّاني) على خصمه.

وفي عام 1146، وبأمر من البابا أوجينوس الثّالث، بدأ القدِّيس "برنارد كليرفوا" بدعوة المسيحيِّين ووعظهم للمُشاركة في الحملة الصّليبيَّة الثّانية في الأراضي المُقدَّسة (فلسطين)، وقد أثارت خُطبته في "فيزيلاي" Vézelay الحماسَ والغليانَ في جميع أنحاء فرنسا، وبهذا؛ تمَّ إقناع ملك فرنسا لويس السّابع بالمُشاركة والانضمام إلى الحملة الصّليبيَّة الجديدة، وبدأ القدِّيس برنارد يُنظِّم المُتطوِّعين الآتين من شمال فرنسا وفلاندريا Flanders (التي تُشكِّل القسم الغربي الشّمالي من بلجيكا الحاليَّة؛ حيثُ يتكلَّم السُّكَّان اللُّغة الهُولانديَّة) وألمانيا، ولكنَّ فَشَلَ تلك الحملة شكَّلَ صفعةً قويَّةً له.

وفي سنة 1174م، أعطته الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة لقب قدِّيس. وبعد سبعة قُرُون ـ أيْ في عام 1830م ـ اعتبرتْهُ عالماً لاهوتيّاً، أو أُستاذاً في اللاَّهوت في الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة. ويقع عيده في 20 آب / أغسطس من كُلِّ سنة.

كان القدِّيس "برنارد" عدوّاً لدوداً للهرطقات واللاَّهوت العقلاني كالذي طرحه في فرنسا مثلاً الفيلسوف اللاَّهوتي بيتر آبيلارد Peter Abelard. كما كَتَبَ "القدِّيس برنارد"

---

(1) سنتحدَّث عنها بالتّفصيل لاحقاً.

عدداً كبيراً من التّراتيل والخُطب الدِّينيَّة، ولا تزال بعض ترتيلاته وترنيماته تُتلى في الكنائس الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة والكنائس البرُوتستانتيَّة إلى يومنا هذا.

والحاصل؛ أنَّه بفَضْل هذا القدِّيس انتشرت واتَّسعت رهبانيَّته السِّيستيريسيانيَّة بسُرعة كبيرة؛ حيثُ لم يأت عام 1153م، إلاَّ وتأسَّس أكثر من 300 دير للرُّهبان السِّيستيريسيانيِّيْن. وبعد موته عام 1153م، انتشرت رهبانيَّة السِّيستيريسيان في كُلِّ أُورُوبا: في فرنسا، وإيطاليا، وأسبانيا، وألمانيا، وإنجلترا، والدّنمَارك، والسّواحل الشّرقيَّة للبحر المُتوسِّط (سُوريَّة ولُبنان وفلسطين)، وغيرها. وبلغ عدد أديرة الرّهبنة السِّيستيريسيانيَّة في نهاية العُصُور الوُسطى 700 دير. وقد تحوَّل اسم رهبانيَّة سيستيريسيان إلى الرّهبانيَّة البرناردية إكراماً للقدِّيس برنارد المذكور، ولكنْ؛ مع انتشار هذه الرّهبانيَّة ـ بتلك الصُّورة ـ بدأت الأديرة تحرز أموالاً ومبالغ وغنىً عظيماً، فأخذ ذلك يُؤثِّر أثره السّلبي المعروف، ممَّا جرَّ وراءه ضعف النّظام الدّيري، وصارت الأديرة البرناردية ـ التي اشتهرت يوماً ما بحياة أخويَّتها الصّارمة ـ صارت ـ على مُرُور الزّمن ـ مُتساوية مع بقيَّة الأدْيرَة الغربيَّة.

2 ـ الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة:

أسَّسها الرّاهب الإيطالي فرانسيس الأسّيزي **St. Francis of Assisi**. وُلد فرانسيس سنة 1182م، في مدينة أسّيسي في منطقة "أومبريا" في وسط إيطاليا، وكان أبوه تاجراً. وكان فرانسيس ذا قلب لطيف مُحبٍّ، فعزم ـ مُنذُ حداثة سنِّه ـ على تكريس ذاته بكُلِّيَّتها لخدمة الله والبشريَّة. وقد أثَّرت فيه دعوة كلمات الإنجيل عن الإرساليَّة للوعظ بلا ذهب وفضَّة، وبلا عصا ومزود[1]. فقبل فرانسيس نَذْر الفقر التَّامّ، وصار سنة 1208م، واعظ التّوبة المُتجوِّل، وواعظ المحبَّة للمسيح. فاجتمع حوله ـ بسُرعة ـ بضعة تلاميذ، وألَّف منهم رهبانيَّة الإخوة الصّغار، أو مينُوريت (الاسم الأوَّل لرهبنة الفرنسيسكان).

---

(1) إشارة إلى ما جاء في الإنجيل من وصية المسيح لحوارِيّيه وتلاميذه قائلاً: «اكْرِزُوا قَائلينَ: إنَّهُ قَد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَات. 8 اشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّاناً أَخَذْتُمْ، مَجَّاناً أَعْطُوا. 9 لاَ تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاساً في مَنَاطقكُمْ. 10 وَلاَ مِزْوَداً للطَّرِيق، وَلاَ ثَوْبَيْن، وَلاَ أَحْذِيَةً، وَلاَ عَصاً؛ لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحقٌّ طَعَامَهُ.» إنجيل متَّى: الإصحاح 10 / 7 ـ 10.

وكانت أهمُّ نُذُور هذه الرّهبانيَّة: الفقر التَّامّ (الرّسولي)، والعفاف، والتّواضع، والطّاعة، وأهمّ أعمالهم عن التّوبة والمحبَّة للمسيح. وعلى هذه الصُّورة؛ وضعت رهبانيَّة فرنسيس على ذاتها واجب مُساعدة الكَنيسة في عمل خلاص النُّفُوس البشريَّة.

ويُقصَد بالفقر التَّامّ الرّسولي - الذي نذرتْهُ الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة على نفسها - عدم الكسب؛ أيْ عدم القيام بأيّ عمل لأجل الحُصُول على أجر ماليّ أو ماديّ، وبالتَّالي؛ عدم امتلاك أيّ شيء من مال الدُّنيا ومتاعها، لا بنحو فردي، ولا جماعي. بل أنْ يُقدِّم الرُّهبان كُلّ أعمالهم الخيريَّة للنّاس مجَّاناً، ولوجه الله فقط، وأنْ يعتمدوا في العيش على التَّسوُّل، والصّدقات، وإحسان المُحسنين، وأهل الخير. وتُسمَّى الرّهبانيَّات المسيحيَّة - التي تعتمد هذا النَّذْرَ - بالرّهبانيَّات الفقريَّة **Mendicant Friars**، وقد واجه هذا النّوع من النّذر - في البداية - اعتراض بعض أساقفة الكَنيسة، لكنَّه تمَّ قبوله فيما بعد[1].

سمح البابا إينوسنت الثّالث **Pope Innocent III**، الذي حَضَرَ فرنسيس أمامه، سنة **1209**م، سمح له ولرفاقه بالاشتغال بالوعظ والتّبشير، وإنْ كان لم يُثَبِّت جمعيّته الرّهبانيَّة قانونيّاً، ولكنْ؛ في سنة **1223**م، تمَّ تثبيت هذه الرّهبانيَّة - بصُورة احتفاليَّة - بمرسوم البابا غريغوريوس الثّالث، وأعطى لهم الحقّ بالوعظ في كُلّ مكان وإتمام الاعتراف. وفي الوقت ذاته تألَّفَ نصف الرّهبانيَّة النّسائي. فَجَمَعَتْ البتول كلير من اسِّيز **Saint Clare of Assisi** سنة **1212**م، حولها بعض النّسوة اللّواتي التقينَ، وأسَّسْن رهبانيَّة فُقراء كلير **Poor Clares** (أخذت اسمها من اتِّباعها منهج الفقر الاختياري التّامّ) وقد سَلَّمْنَهَا إلى قيادة القدِّيس فرانسيس في سنة **1224**م، قانونيّاً، وقد بلغت رهبانيَّة فُقراء كلير (النّسائيَّة) أوْجَهَا عام **1630**م؛ إذْ بلغ عد الرّاهبات فيها **34000** راهبة في **925** دير للرّاهبات.

قبل وفاة مُؤسِّس الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة عام **1226**م، انقسمت الرّهبانيَّة عام **1525**م، على نفسها؛ حيثُ نشأت الرّهبانيَّة الكبوشيَّة بوَصْفها حَرَكَة إصلاحيَّة، ضمن نطاق الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة، ثُمَّ استقلَّت الرّهبانيَّة الكبوشيَّة عن الفرنسيسكانيَّة - نهائيّاً - عام **1619**م.

---

(1) أشهر الرّهبانيَّات الفقريَّة أربعة: الفرنسيسكان (نالوا تأييد البابا **1209**م)، والدُّومينيك (**1216**م)، والكَرْمليت **Carmelites** (**1245**م)، والأُغوسطينيِّين **Augustinians** (**1256**م)، ثُمَّ انضمَّت إليهم رهبانيَّة خامسة هي السّيرفيت **Servites**، التي تأسَّست عام **1233**م، واعتُرِف فيها كرهبانيَّة فقريَّة عام **1424**م.

بعد وفاة فرانسيس (سنة 1226م)، انتشرت رهبانيَّته في كُلِّ جهات أُورُوبا الغربيَّة، وكانت تضمُّ أُلُوف الرّاهبات، وتُعتَبَرُ الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة أهمَّ وأكبر الرّهبانيَّات الكَاثُوليكيَّة في العالم، فقد قدَّمت 98 قديساً، وجاء منها ستَّةٌ اعتلوا عرش البابويَّة في رُوما.

ولا يزال أفراد الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة يعيشون عيش الكفاف؛ وقد تولّوا مهمَّة الإشراف على الأماكن المُقدَّسة المسيحيَّة في فلسطين مُنذُ القرن الخامس عشر، ولهُم نشاط واسع في حقل التّبشير، عبر مُختلف الوسائل التي أهمّها إنشاء المدارس التّعليميَّة.

3 ـ الرّهبانيَّة الدُّومينيكَانيَّة:

تأسَّست في وقت واحد مع الرّهبانيَّة الفرنسيسكانيَّة. أسَّسها عام 1215م، في "أوسما" من أسبانيا، القدِّيس الأسباني دُومينيك، الذي كان ـ أيضاً ـ كاهناً ذا علم ومعرفة بالقوانين والعقيدة. وُلد دُومينيك سنة 1170م؛ أيْ في نهاية القرن الثّاني عشر وبدء الثّالث عشر، وهُو وقت كان بدأ يظهر فيه ـ بين أتباع كَنيسة رُوما الغربيَّة ـ هراطقة كثيرون، وجدوا لهم ملجأ في جنوب فرنسا، وأحدثوا هُناك اضطرابات عظيمة. وقد مرَّ القدِّيس دُومينيك في جنوب فرنسا بسُكَّانها الهراطقة، فقرَّر تأسيس رهبانيَّة خاصَّة لأجل إرجاع الهرطقة. فأعطاه البابا اينّوسنت الثّالث **Innocent III** إذناً في ذلك سنة 1215م.

أمَّا هُونُوريُوس الثّالث **Honorius III**؛ فثبَّتَ قانون هذه الرّهبانيَّة، وكانت أوَّل أعمال هذه الرّهبانيَّة ـ بمُوجب ذلك القانون ـ هي إرجاع الهراطقة إلى الطّريق القويم (الكَثْلَكَة). وفوَّض هُونُوريُوس الثّالث لهذه الرّهبانيَّة، لأجل تثبيت الإيمان الكَاثُوليكي، أنْ يعظوا في كُلِّ مكان، وأنْ يُتمِّموا الاعتراف. وقد دُعيت رهبانيَّة دُومينيك ـ مُنذُ زمن تثبيتها ـ رهبانيَّة الإخوة الواعظين؛ بسبب عملهم في الوعظ، ثُمَّ دُعيَت ـ فيما بعد ـ رهبانيَّة دُومينيك لإكرام مُؤسِّسها. في سنة 1220، أوجد دُومينيك تغييراً هاماً في نظام رهبانيَّته؛ حين أضاف الفقر على النُّذُور الرّئيسيَّة للإخوة، على مثال رهبانيَّة الفرنسيسكانيِّين.

بدأت رهبانيَّة الدُّومينيكَان نشاطها ـ أوَّل ما بدأته ـ في مدينة تُولُوز بفرنسا، وكانت أوَّل رهبنة كَاثُوليكيَّة أخذت على عاتقها التّبشير بالعقيدة المسيحيَّة، وهي مهمَّة كانت تُعتَبَرُ ـ من

قبلُ - وَقْفَاً على الأساقفة (ومندوبيهم)، وامتيازاً لهم. وقد تميَّز الدُّومينيكَانيُّون الأوَّلون بثقافة تخطَّت اللاَّهوت إلى مُحاولة التَّوفيق بين اللاَّهوت والفلسفة أيضاً.

وبالإجمال؛ كانت رهبانيَّة الدُّومينيك قريبة جداً من رهبانيَّة الفرنسيسكانيِّيْن، والفرق بينهما ينحصر - فقط - فيما يأتي: بما أنَّ واجبات هذه الرّهبانيَّة إرجاع الهراطقة وتثبيت الإيمان الكَاثُوليكي لذلك كان اتِّجاهها علمياً بنوع خاصٍّ، وعملت كجماعة مُثقّفة بين الطّبقات العالية. وبعد موت القدِّيس دُومينيك (سنة 1221) انتشرت رهبانيَّته - نظير رهبانيَّة الفرنسيسكانيِّيْن - في كُلِّ أُورُوبا الغربيَّة.

لم تنلْ أيُّ رهبانيَّة - باستثناء رهبانيَّة اليسُوعيِّيْن (الجزويت) فيما بعد - في الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة، أهمِّيَّةً عظيمةً كالتي أحرزتها رهبانيَّتا الفقر الفرنسيسكانيَّة والدُّومينيكيَّة، والسّبب ينحصر في الصّفة الخاصَّة الُميِّزة لهاتَيْن الجمعيَّتَيْن أو الأخويَّتَيْن عن بقيَّة الرّهبانيَّات، وفي اتِّجاه وظيفتَيْهما، فحين كان من الواجب على رهبان بقيَّة الرّهبانيَّات الغربيَّة - بمُوجب نُذُورهم - أنْ يعيشوا بعيداً عن النّاس ويهتمّوا بشأن خلاصهم فقط، ولم يفوَّض إليهم المُساهمة في أعمال الكَنيسة، حتَّى أنَّ الأعمال الرّعائيَّة - التي كان يُمكنهم بواسطتها أنْ يُظهروا تأثيراً على الشّعب - مَنَعَهَا عنهم الباباوات؛ كانت الرّهبانيَّتان أو الجمعيَّتان الفرنسيسكانيَّة والدُّومينيكَانيَّة، على العكس من ذلك، قد عيَّنها مُؤسِّسوها - مُنذُ البدء - للعمل بين الشّعب لخدمة ولصالح الكَنيسة، والباباوات ليس أنّهم لم يمنعوها من ذلك فحسب، بل سهَّلوا عليهم ما عُيِّنوا لأجله، مانحين أعضاء هاتَيْن الجمعيَّتَيْن صلاحيَّات واسعة في الأعمال الرّعائيَّة في كُلِّ مكان. وعلى هذا النّحو؛ شغل الفرنسيسكانيُّون والدُّومينيكَانيُّون مكاناً في مُحيط الكَنيسة، أو بالأحرى كوَّنوا من ذاتهم نوعاً من الرّئاسة الرُّوحيَّة موضوعة مُباشرةً تحت إدارة العرش البابوي. وبفضل هذه المكانة في الكَنيسة، ساهم الرُّهبان الفُقراء - في بادئ الأمر - مُساهمةً فعَّالةً في كُلِّ أنواع الأعمال الرُّوحيَّة. فكانوا مُبشِّرين، ووُعَّاظ، وأساتذة جامعات، ومُستشارين، ومُراسلين للباباوات، وما أشبه. وفضلاً عن ذلك؛ فقد عُهدَ لجمعيَّتيهم سنة 1232م، إدارة محاكم التّفتيش، فظهروا في دور الحُكَّام على الهراطقة.، وبالإجمال؛ ضدَّ أعداء الإيمان والكَنيسة. وفي الوقت ذاته؛ كان

الفرنسيسكان والدُّومينيكَان لا يزالون ـ على الأقلِّ في بادئ الأمر عندما كانوا يُحافظون على نذر الفقر بكُلِّ دقَّة ـ كانوا لا يزالون يُمثِّلون الحياة التّقويَّة. وكُلُّ هذه الصّفات مُجتمعة ثبَّتتْ مكانتهم الهامَّة في الكَنيسة، ولكنْ؛ بسبب علاقة الجمعيَّتَيْن الفقريَّتَيْن مع البابويَّة وخدمة مصالحها، بدأ ينالهما انحراف عن الخطِّ الذي تعيَّنَتا لأجله، ألا وهُو المُساعدة في خلاص النُّفُوس البشريَّة دُنيويّاً وأُخرويّاً. فقد صارتا تبذلان كُلَّ ما أُوتيتا من فعَّاليَّة وتأثير لأجل نَشْر وتوطيد السُّلطة البابويَّة فقط، في حين ضَعُفَ النّذر الرّئيسي لهاتَيْن الجمعيَّتَيْن: أيْ الفقر الرّسولي، واستُبدل بنظامهما الصّارم، نوع خاصٌّ في القرن الخامس عشر، بالمُيُوعة.

4 ـ الرّهبنة الكَرْمليَّة أو جماعة الكَرْمليِّيْن:

أسَّس هذه الرّهبانيَّة في فلسطين الرّاهب الصّليبي الإيطالي (من كلابريا): القدِّيس سان برتولد **St. Berthold**؛ حيثُ سكن مع بعض أصدقائه على جبل الكَرْمَل في شمال فلسطين في نصف القرن الثّاني عشر، وعاش على مثال النُّسَّاك الشّرقيِّيْن القُدماء. وفي بدء القرن الثّالث عشر؛ أعطى البطريرك اللاَّتيني لأُورشليم (القُدْس)، نُسَّاكَ الكَرْمَل، أعني الرُّهبان الكَرْمليِّيْن، قانوناً. وفي سنة **1238**م، وبعد هزيمة الصّليبيِّيْن في فلسطين عام **1238**م، وفُقدانهم سطوتهم على تلك البلاد، انتقل الكرمليُّون إلى قُبرص، وصقلية، وفرنسا، وإنكلترا، ومُختلف بُلدان أُورُوبا الغربيَّة. وبما أنَّ حياة النّسك في الغرب لم تكن مألوفة أو كان النّاس يألفونها بصُعُوبة؛ لذلك ترك الكرميليُّون قانونهم الرّهباني الفلسطيني الأصلي، بإجازةٍ من البابا، وقبلوا قانون إحدى الرّهبانيَّات الفَقْريَّة الفرنسيسكانيَّة. ثُمَّ بعد ذلك في القرن السّادس عشر؛ اشتهرت رهبانيَّة الكرميليِّيْن بنصفها النّسائي على عهد الرّاهبة الكرميليَّة تيريزيا (الاباتا).

ونرى من الضّروري أنْ نذكر في جملة الحَرَكَات الرّهبانيَّة في كَنيسة رُوميَّة في القُرُون من التّاسع إلى الخامس عشر الرّهبانيَّة الأوغوسطينيَّة **Augustinian Monastery** التي ظهرت في نصف القرن الثّالث عشر، ونالت امتياز الرّهبانيَّة الفقيرة. وإلى هذه الرّهبانيَّة انتسب ـ فيما بعد ـ زعيم حَرَكَة الإصلاح الشّهير مارتن لُوثر.

ثانياً: مُنظَّمات الفُرسان الرُّوحيَّة:

ظهرت في الكَنيسة الغربيَّة في القُرُون الوُسطى مُنظَّمات أو جمعيَّات نصف رهبانيَّة ونصف علمانيَّة، وهي المدعوَّة: جمعيَّات (أو رهبانيَّات) الفُرسان الرُّوحيَّة، وبظُهُورها؛ أصبح الاتِّجاه السّائد في الحياة الغربيَّة في القُرُون الوُسطى واضحاً تماماً، فقد سيطرت الكَنيسة على كُلِّ مناحي الحياة، وجذبت لخدمتها كُلَّ طبقات المُجتمع، وفي عدادها الفُرسان. وكان أقرب سبب لظُهُور رهبانيَّات الفُرسان الرُّوحيَّة هُو الحملات الصّليبيَّة.

كانت أوَّل الرّهبانيَّات الرُّوحيَّة للفُرسان هي فُرسان القدِّيس يُوحنَّا، أو الإسبتاريَّة Hospitalers ، ثُمَّ نشأت - بعدها - جماعة فُرسان الهيكل Knights Templars .

1 - رهبانيَّة فُرسان القدِّيس يُوحنَّا أو الإسبيتَاريَّة:

قبل الحملة الصّليبيَّة الأُولى بزمن بعيد، أسَّس أحد النُّبلاء الفرنسيِّيْن - ويُدْعى "جيرارد" Gerard سنة 1048 في القُدْس - مأوى باسم "مأوى غُرباء القدِّيس يُوحنَّا المَعْمَدَان" لأجل العناية بالحُجَّاج الفُقراء والمرضى. وبُني في مأوى الغُرباء أخويَّة عُرِفَتْ باسم أخويَّة، أو رهبنيَّة القدِّيس يُوحنَّا. واعترف البابا باسكال الثّاني Paschal II بهذه الرّهبانيَّة عام 1113م، وحصر حقَّ الانتساب إليها بالأشخاص المولودين من طبقة النُّبلاء فحسب. وفي سنة 1118م، أُضيف إلى واجبات الرّهبانيَّة واجب الدّفاع بالسّلاح عن الحُجَّاج. وتحوَّل هذا الواجب الأخير - بسُرعة - ليُصبح هُو الهدف الرّئيسي للأخويَّة، وليُكرِّس فُرسان القدِّيس يُوحنَّا أو الحنَّاويُّون أنفسهم بنوع خاصٍّ للقتال ضدَّ غير المُؤمنين (أيْ غير المسيحيِّيْن). وعلى هذه الصُّورة؛ تألَّفت رهبانيَّة الفُرسان الرُّوحانيِّيْن، التي ثبَّتها البابا إينوسنت الثّاني (سنة 1130م - 1143م). وقد انقسم اليُوحنَّاويُّون إلى ثلاث طبقات: الفُرسان، والكَهَنَة، والإخوة الخادمين. وكان على رأس الرّهبانيَّة رئيس غروسميستر.

وانطلاقاً من إعلانها أنَّها تأسَّست لتقوم بالجهاد ضدَّ الكَفَرَة (!) (أيْ غير المسيحيِّيْن) في الأراضي المُقدَّسة (أيْ فلسطين)، نالت هذه المُنظَّمة، تحبيذاً وتشجيعاً في أُورُوبا، ونتيجة لذلك أخذ أُمراؤها يُغدقون المُساعدات السّخيَّة على فُرسان القدِّيس يُوحنَّا، حتّى صاروا

ـ بسُرعة ـ أغنياء ملاَّكين في جميع البُلدان المسيحيَّة. وسيطر فُرسان يُوحنَّا على ثلاث قلاع مُهمَّة وهي "قلعة الحصن" الشّهيرة، وقلعة "المرقت" **Margat** وقلعة بلفوار **Belvoir**. بَيْدَ أنَّ فُرسان القدِّيس يُوحنَّا تراجعوا عن الأخلاق الأُولى الصّارمة. وعندما حرَّر صلاحُ الدِّين الأيُّوبي القُدْسَ سنة **1187**م، انسحب أعضاؤها من فلسطين إلى قُبرص عام **1291**م. وفي عام **1309**م، استولوا على رُودس، فعُرفوا ـ مُنذُئذ ـ بـ "فُرسان رُودس"، ثُمَّ أخرجهم العُثمانيُّون المُسلمون منها عام **1522**م، فَمَنَحَهُم الإمبراطُور شارل الخامس السِّيادة على مالطة عام **1530**م، فعُرفوا بـ "فُرسان مالطة"، وظلُّوا يحكمون هذه الجزيرة، وشكَّلوا درعاً للمسيحيَّة فيها، مَنَعَ المُسلمين الأتراك من احتلالها، والتَّوسُّع ـ من خلالها ـ نحو الغرب، حتَّى انتزعها منهم نابوليون بونابرت عام **1798**م، ثُمَّ تمَّت مُصادرة مُمتلكات الرّهبانيَّة في فرنسا على أثر قيام الثّورة الفرنسيَّة هُناك عام **1789** ـ**1799**م. وهكذا نُقل مَنْ بقي من الفُرسان ديرهم ـ بعد سُقُوط مالطة ـ إلى "تريسته" **Trieste** في إيطاليا، ثُمَّ إلى مدينة رُوما نفسها. وفي العام **1961**م، اعترف البابا يُوحنَّا الثّالث والعشرون ببقايا فُرسان القدِّيس يُوحنَّا كجمعيَّة دينيَّة ضمن الكَنيسة الكاثُوليكيَّة، ولا تزال هذه الجمعيَّة إلى يومنا هذا تقوم بإدارة المُستشفيات، والاعتناء بالمرضى وباللاَّجئين والنّازحين وجرحى الحُرُوب، وهُو الأمر الذي لم يتخلّوا عنه ـ في الواقع ـ طوال تاريخهم، والواقع أنَّ اسمهم مُشتقٌّ من لفظة **Hospital** باعتبار أنَّهم بدؤوا نشاطهم في مُستشفى للحُجَّاج المرضى، شيَّدوه في القُدْس على مقربة من كَنيسة القدِّيس يُوحنَّا المَعْمَدَان.

2 ـ رهبانيَّة فُرسان الهيكل Knights Templars:

في الوقت نفسه؛ الذي نشأت فيه جماعة فُرسان القدِّيس يُوحنَّا، نشأت ـ كذلك ـ جماعة أُخرى مُوازية، كانت ـ مُنذُ بدايتها ـ مُنظَّمة عسكريَّة دينيَّة، أنشأها نَفَرٌ من الفُرسان الفرنسيِّيْن في فلسطين، أثناء الحُرُوب الصّليبيَّة، عام **1119**م، بحُجَّة القيام بواجب حماية الحُجَّاج الوافدين إلى بيت المقدس، وَدَعَتْ نفسها رهبانيَّة التمبلير **Knights Templars** أيْ: "فُرسان الهيكل". نشأت هذه المُنظَّمة أو الأخويَّة عندما اتَّحد تسعة فُرسان فرنسيِّيْن صليبيِّيْن برئاسة أحد النُّبلاء الفرنسيِّيْن المُحاربين باسم هوغ دي باين **Hugh de Payens**

مُشكِّلين نُواة مُنظَّمة رُوحيَّة رهبنيَّة عسكريَّة، وضعوا على نُفُوسهم ـ فضلاً عن النُّذُور الرّهبانيَّة ـ نذراً آخر؛ وهُو الدّفاع عن الحُجَّاج، والقيام بمُحاربة مَنْ يُسمُّونهم الكَفَرَة (أيْ المُسلمين!). ولمَّا رأى بلدوين الثّاني ملك القُدْس المُحتلَّة الصّليبي آنذاك أنَّ وُجُود مثل هذه الجمعيَّة نافع لأجل مملكته الضّعيفة، قدَّم قسماً من قصره ـ المبني في مكان هيكل سليمان، أو بالقُرب منه ـ لسَكَن الفُرسان، ومن هُنا؛ صار اسم الفُرسان تامبلير (أيْ الهيكليِّيْن). وثبَّت البابا هُونُوريُوس الثّاني Honorius II (سنة 1128م) رهبانيَّة "فُرسان الهيكل" كجماعة فُرسان رُوحيَّة. ومُنذُ بدء نشأة رهبانيَّة فُرسان الهيكل وقع تنافس وصراع عنيف بينها وبين فُرسان القدِّيس يُوحنَّا، بسببه تعارض المصالح المادِّيَّة، فقد صادفت هذه الرّهبانيَّة ـ مثل رهبانيَّة فُرسان يُوحنَّا ـ تحبيذاً في الغرب، وصار الغنَى ينهال عليها بكثرة، كما كان ينهال على فُرسان القدِّيس يُوحنَّا. وكان تنظيم رهبانيَّة فُرسان الهيكل مثل تنظيم رهبانيَّة فُرسان القدِّيس يُوحنَّا. وبعد تحرير القُدْس (سنة 1187)؛ ثُمَّ سقوط عكَّا (سنة 1291)، انسحب فُرسان الهيكل من فلسطين إلى جزيرة قُبرص، ومن هُناك؛ انتقلوا ـ بسُرعة ـ إلى أُورُوبا الغربيَّة، وعاشوا في أملاكهم الغنيَّة. وكانت العاصمة الفرنسيَّة باريس نُقطة ارتكازهم، فخشي الملك الفرنسي فيليب الرّابع الجميل نوايا فُرسان الهيكل ضدَّ المملكة، وأراد أنْ ينتزع منهم غناهم العظيم. فبدأ ـ مُنذُ سنة 1307م ـ ينسب للرّهبانيَّة جرائم مُخيفة. ثُمَّ حجز ـ بسُرعة ـ على ممتلكات الرّهبانيَّة، ووَجَّه ضدَّ الفُرسان محاكم التّفتيش (المحاكم مع التّعذيب). واضطُرَّ البابا كليمنت الخامس، الذي كان يعيش في هذا الوقت في "افينيون"Avignon جنوب فرنسا، وكان تابعاً تماماً للملك فيليب، اضطُرَّ أنْ يُساعد على إبادة هذه الرّهبانيَّة؛ حيثُ قام عام 1312م ـ نُزُولاً عند رغبة فيليب الرّابع ملك فرنسا ـ بإصدار مرسوم بابوي يقضي بحلِّ مُنظَّمة فُرسان الهيكل باعتبارها هرطوقيَّة ومُلغاة.

3 ـ الفُرسان التّيُوتُونيُّون (الألمان) The Teutonic Knights:

لم تكن مُنظَّمتا فُرسان يُوحنَّا وفُرسان الهيكل المُنظَّمتَيْن الرّهبانيَّتَيْن العسكريَّتَيْن الوحيدتَيْن اللَّتَيْن نشأتا في القُرُون الوُسطى، بل ظهرت في أُورُوبا ـ أثناء الحُرُوب الصّليبيَّة ـ عدَّة رهبانيَّات عسكريَّة أُخرى مثلهما، ولمثل مقاصدهما. فقد نشأت في عكَّا عام 1190م

ـ أثناء الاحتلال الصّليبي لها ـ رهبانيَّة أُخرى باسم الرّهبانيَّة التّيوتُونيَّة[1] **Teutonic Order** اقتصر أعضاؤها على مجموعة من النُّبلاء الألمان فقط، كان هدفها ـ في البداية ـ مُعالجة المرضى والجرحى من الصّليبيِّين أثناء حصار المُسلمين الطّويل للمدينة (عكّا)، لكنْ؛ سُرعان ما تحوّلت الجماعة من رهبانيَّة خيريَّة محضة إلى رهبانيَّة عسكريَّة مُقاتلة تهدف إلى مُساعدة القوّات الصّليبيَّة في صدِّ هجمات الأتراك المُسلمين، الذين كانوا يسعون لتحرير الأراضي المُقدَّسة (أيْ فلسطين) من يد الصّليبيِّين، ثُمَّ حصلت جماعة الرُّهبان التّيوتُونيِّين على الاعتراف الرّسمي من قِبَل البابا "إينّوسنت الثّالث" عام **1199**م، ومُنحَت حقّ لبس القُمصان البيضاء المرسوم عليها شارة الصّليب باللّون الأسود.

كان نُمُوُّ واتِّساع مُنظَّمة الفُرسان التّيوتُونيِّين بطيئاً في البداية، وذلك لعدم قُدرتها على مُنافسة رقيبَيْها السّابقَيْن فُرسان يُوحنَّا وفُرسان الهيكل. وفي عام **1210**م، تولَّى قيادة الجماعة "هيرمان فون سالزا" **Hermann von Salza** فبدأت المُنظَّمة تتَّسع وتقوى في عهده بسُرعة كبيرة؛ بفضل قيادته الحازمة والقويَّة. وقد نقلت المُنظَّمة ساحة عملها الأساسيَّة من فلسطين إلى أُورُوبا الشّرقيَّة، وذلك عندما دعا ملك هنغاريا الرّهبانيَّة إلى المُشاركة في حملاته الصّليبيَّة التّبشيريَّة ضدَّ السّلاف، الذين كانوا يُشكِّلون ـ آنذاك ـ قبيلة كبيرة غير مسيحيَّة؛ تقطن أغلب منطقة البلطيق في أُورُوبا الشّرقيَّة، وما لبث الفُرسان التّيوتُونيُّون أنْ استقرَّ بهم المقام هُناك، وبقوا فيه. وفي عام **1226**م، طَلَبَ الفُرسان التّيوتُونيُّون من الإمبراطُور الرُّوماني المُقدَّس فريديريك الثّاني أنْ يمنحهم أرض برُوسيا **Prussia** (التي تضمُّ أغلب المناطق الشّماليَّة لدولة بُولاندا الحاليَّة)، فاستجاب لطلبهم؛ بشرط أنْ يعملوا على إدخال الأهالي المحلِّيِّين لتلك البلاد في المسيحيَّة. وفي عام **1234**م، منح البابا غريغوري التّاسع "الفُرسان التّيوتُونيِّين" السّيطرة على كُلِّ المناطق التي يحتلُّها ـ أو يقطنها ـ السّلاف. فقام التّيوتُونيُّون ببناء القلاع الحصينة في مناطق السّلاف، والتّحصُّن فيها، وشنِّ الحملات العسكريَّة المُتواصلة والمُتلاحقة ضدَّ السّلاف. وخلال الخمسين سنة اللاّحقة؛ سيطر التّيوتُونيُّون ـ بنحو كامل ـ على كُلِّ أرض برُوسيا (شمال بولاندا)، وساعدهم ـ في تحقيق هذه

---

(1) تيوتونيَّة نسبة إلى التّيوتُوني **Teutonic** واحد التّيوتُون: وهُم شعب جرماني (ألماني) أو سلتي قديم.

الفتُوحات ـ تعاونهم مع فُرسان رهبانيَّة عسكريَّة أُخرى حديثة النّشأة هي رهبانيَّة "حملة السّيف"، أو الرّهبانيَّة اللّيفونيَّة، التي تأسَّست في ليفونيا عام 1202م، ثُمَّ انضمَّت ـ عام 1237م ـ إلى رهبانيَّة الفُرسان التّيُوتُونيِّيْن، وأصبحت جُزءاً منها. كان أغلب السُّكَّان المحلِّيِّيْن يُجْبَرون على اعتناق المسيحيَّة، وإلاَّ فإنَّهم كانوا يُساقون خارج قراهم ومنازلهم، أو يُقْتَلون. وكان التّيُوتُونيُّون يُشجِّعون الجرمانيِّيْن (الألمان) على التَّوطُّن في تلك المناطق، والتي أصبحت ـ مُنذُ ذلك الزّمن ـ مناطق ألمانية.

ومُنذُ عام 1300م، أصبح الفُرسان التّيُوتُونيُّون أقوى قُوَّة عسكريَّة مسيحيَّة في أُورُوبا الوُسطى والشّرقيَّة، وأصبحوا يُسيطرون على منطقة شاسعة، تمتدُّ من ليفونيا **Livonia** (التي تشمل أغلب دولتَيْ لاتفيا وإستونيا الحاليَّتَيْن)، مُرُوراً ببرُوسيا، ووُصُولاً إلى أجزاء من ألمانيا. كان الفُرسان يُحافظون على سيطرتهم على تلك المناطق عن طريق شنٍّ ما لا يقلُّ عن ثمان حملات عسكريَّة سنويّاً. وبالإضافة لذلك، وبعد أنْ أعفى البابا رهبانيَّة التّيُوتُونيِّيْن من نذر الفقر، تحوَّلوا إلى مُنظَّمة تجاريَّة قويَّة سيطرت على تجارة الحُبُوب في كُلِّ المنطقة.

استمرَّت سيطرة التّيُوتُونيِّيْن فترة طويلة من الزّمن في تلك المناطق تخلَّلتها حُرُوب ونزاعات مع السّلاف وأهالي بُولاندا وليثوانيا، إلى أنْ قام ملك بُولاندا سنة 1409م، بدعوة جميع أعداء التّيُوتُونيِّيْن للانضمام إليه لحربهم، والقضاء عليهم، فانضمَّ إليه جيُوش من تشيكيا، وهنغاريا، والتّتار واللّيثوانيِّيْن، والقوقازيِّيْن، فأوقعوا بالفُرسان التّيُوتُونيِّيْن هزيمة ساحقة في "تانبرغ" **Tannenberg** في برُوسيا **Prussia**. ومُنذُ ذلك الحين؛ بدأ شأن "الفُرسان التّيُوتُونيِّيْن" يضمحلُّ شيئاً، فشيئاً، حتَّى قام نابليون الأوَّل بإصدار قرار بحلِّهم نهائيّاً عام 1809م، لكنَّهم ظهروا ثانية في النّمسا بعد عام 1834م، إلاَّ أنَّهم تحوَّلوا ـ مُنذُ ذلك الحين ـ إلى مُجرَّد رهبانيَّة خيريَّة تملك عدداً من الأديرة الكَاثُوليكيَّة في النّمسا، وألمانيا، وإيطاليا.

الفصل الرّابع:

حَرَكَة الإصلاح الدِّيني ونشأة الكنائس البرُوتستانتيَّة

أوّلاً: إرهاصات الإصلاح[1] :

الاستياء العامُّ من كَنيسة رُوما والسّعي في إصلاحها:

كان ظُهُور عديد من جمعيَّات المُنشقِّين عن كَنيسة رُوما ـ أو المُبتدعين كما كانت تُسمِّيهم الكَنيسة الرُّومانيَّة آنذاك ـ في الغرب، علامةً واضحة على تنامي احتجاجٍ شديدٍ ضدَّ مفاسد الكَنيسة الغربيَّة. ولم يكن هؤلاء المُنشقُّون أو المُبتدعون وحدهم الذي كانوا يقومون ضدَّ الكَنيسة السّائدة، في القُرُون الوُسطى (أيْ من القرن الحادي عشر حتَّى الخامس عشر)، بل أصبحنا نرى كثيرين من جميع طبقات المسيحيِّيْن الغربيِّيْن غير راضين عن الأعمال الكَنَسيَّة المُعاصرة. إلاَّ أنَّ أُولئك المُستائين لم ينفصلوا عن الكَنيسة نظير المُنشقِّين، ومع وُجُودهم فيها طلبوا تجديداً كَنَسيّاً. ففي القرن الرّابع عشر الميلادي ـ وخُصُوصاً في القرن الخامس عشر الميلادي، الذي بلغ فيه سُوء استعمال البابويَّة وجشعها الدُّنيوي، وأطماعها الرّئاسيَّة أقصى درجاته ـ صار طَلَبُ الإصلاح الكَنَسي يتردَّد في كُلِّ مكان، وبإلحاحٍ خاصٍّ. فقد شوَّهت البابويَّةُ المسيحيَّةَ، حتَّى أنَّ الكَنيسة ـ التي هي مملكة الله ـ تحوَّلت إلى مملكةٍ بشريَّةٍ استبداديَّةٍ دُنيويَّةٍ يكرهها الجميع. فالمُلُوك مع حكُوماتهم والعُلماء والأساقفة والإكليروس والشّعب أصبحوا يُطالبون جميعاً ـ باسم الإنجيل والمسيحيَّة الرّسوليَّة ـ بإصلاح الكَنيسة برأسها وأعضائها.

---

(1) المرجع الأساسي في كُلِّ هذا الفصل الرّابع هُو كتاب "تاريخ الكَنيسة المسيحيَّة"، المُعرَّب عن اللُّغة الرُّوسيَّة، والذي نَقَلَهُ إلى العربيَّة مطران حمص وتوابعها: ألكسندروس، 1964، ثُمَّ الموسُوعة البريطانيَّة، وموسُوعة إنكارتا الأمريكيَّة.

طلبوا من البابا أنْ يتخلَّى عن سُلطته العلمانيَّة، وأنْ يقنع بالسُّلطة الرُّوحيَّة، وأنْ يستخدم السُّلطة الرُّوحيَّة بدُون اغتصاب ولا استبداد، ضمن الحُدُود التي وضعتها القوانين الكَنَسيَّة، وأنْ تسير حياة الرِّئاسة والإكليروس بمُوجب نظام صارم، وبالإجمال؛ طلبوا تحسين سُلُوك الجميع، كما طالبوا بأنْ يُزال كُلُّ أشكال سُوء الاستعمال الكَنَسي، ومن جُملة ذلك بيع الغُفرانات، وأنْ تُنقَّى المعرفة الدِّينيَّة من التّلويثات السّكولاستيكيَّة (المدرسيَّة الفلسفيَّة العقليَّة)، وتتأسَّس على الكتاب المُقدَّس فحسب، وأنْ ينتشر بين الشّعب التّهذيب الدِّيني. وبالإجمال؛ طلبوا بأنْ تعمَّ التّقوى الكَنَسيَّة...إلخ، وبرهن العُلماء اللاَّهوتيُّون الإصلاحيُّون بتآليفهم ـ بنحو جيد ـ على ضرورة مثل هذه الإصلاحات. وكانت جامعة باريس أحد أهمِّ المراكز الذي انتشرت منه الأفكار الإصلاحيَّة؛ حيثُ خرج عدد من العُلماء المُدافعون عن الإصلاح من هُناك، من أمثال رئيس جامعة باريس يُوحنَّا جرسون **Jean de Gerson** (مات سنة 1429م)، ورئيس الجامعة ـ كذلك ـ نيقولا فُون كليمنج (مات سنة 1440م)، وأمثالهما، الذين كانوا يُعبِّرون عن إرادة كُلِّ المُجتمع المُعاصر لهم. لكنَّ الباباوات ـ في البداية ـ لم يُريدوا أنْ يسمعوا شيئاً عن الإصلاح، عندئذٍ؛ أخذت السُّلطات الزّمنيَّة على عاتقها ـ ومثلها بعض الأشخاص ـ مُحاولة تحقيق ذلك الإصلاح. فاجتهدت السُّلطة بواسطة مجامع إصلاحيَّة ـ البيزنسي والكونستانسي وبازيل ـ في تحقيق بعض الإصلاحات، كما بذلت شخصيَّات مُتميِّزة؛ مثل البُروفيسُور جُون ويكلف **John Wicliff** (1330م ـ 1384م) في إنكلترا، وجُون هُوس **John Huss** في بُوهيميا[1] والأسقف الدُّومينيكي "غيرولامو سافونَارُولا" **Girolamo Savonarola** في إيطاليا، جهدها للإصلاح، مُعتمدةً على تأييد العُلماء وجماهير الشّعب. بَيْدَ أنَّ كُلَّ تلك المُحاولات بقيت مُجرَّد مُحاولات ضئيلة التّأثير، ولم تُحدث ذلك الإصلاح الجَذْري والتّغيير الكامل المطلوب.

فالمُجتمع المسيحي الغربي كان لا يزال مأخوذاً بتأثير السُّلطة البابويَّة، ويخشى أنْ يخطو خُطوة حازمة ضدَّها. ومن جهة أُخرى؛ كان باباوات القرن الخامس عشر على مقدار

---

(1) بُوهيميا: اسم لمنطقة في وسط أُورُوبا ذات أهميَّة في تاريخها، وهي تُشكِّل ـ في الخريطة السِّياسيَّة الحاليَّة لأُورُوبا ـ ثُلثَيْ ما يُعرَف ـ اليوم ـ بجُمهُوريَّة التّشيك. يحدُّ هذه المنطقة بُولاندا من الشّمال، ومنطقة مُورُوفيا من الشّرق، والنّمسا من الجنوب، وألمانيا من الغرب.

جيِّد من البراعة، تمكَّنوا - بواسطتها - من إيجاد وسائل لتهديم كُلِّ الخُطط الإصلاحيَّة. بَيْدَ أنَّ هذه المُحاولات مهَّدت طريق الإصلاح الحقيقي.

اللاَّهوتي الإنكليزي "جُون ويكلف": الإصلاح الجَذْري:

تقدَّم اللاَّهوتي الإنكليزي "جُون ويكلف" (1324م - 1384م) باجتهاده الإصلاحي في النّصف الثّاني من القرن الرّابع عشر؛ حيثُ كانت الأحوال مُواتية. ففي ذلك الوقت (في عهد الملك إدوارد الثّالث)؛ كانت الحُكُومة الإنكليزيَّة قد بدأت تتحرَّر قليلاً فقليلاً من وصاية البابويَّة، ولذلك نظرت بعين الرّضا إلى خُصُومها، فاستفاد "ويكلف" من هذا الوضع، وقدَّم سنة 1356م، تأليفاً «عن آخر أزمنة الكَنيسة»، ثُمَّ عندما وقع النّزاع بين جامعة أكسفورد والرُّهبان الفُقراء (مُنذُ سنة 1360م)، أخذ "ويكلف" يُبرهن - شفاهاً وكتابةً - فشل الرّهبنة. وفي هذه المرحلة ألَّف كتابه الشّهير «عن فقر المسيح»، الذي شرح فيه حال الرُّهبان الفُقراء بطريقة لا تُرضيهم. وعندما حصل النّزاع الطّويل بين ملك إنجلترا إدوارد الثّالث والسُّلطة البابويَّة في رُوما حول دفع الجزية المُستحقَّة للبابا، والتي كان الملك ومعه البرلمان الإنجليزي كارهين لدفعها، وأعلنت الحُكُومة الإنكليزيَّة سنة 1366م، رفضها دَفْع الجزية للبابا، انبرى "ويكلف" بتأليف كتابٍ يُدافع فيه عن الحُكُومة الإنجليزيَّة، ويُثبت فيه - دينيَّاً - حقَّها في تحديد سُلطة البابا عليها. فَبَرَزَ شأن "ويكلف" لهذا السّبب، وأُقيم أُستاذاً ودُكتُوراً للاَّهوت في جامعة أكسفورد (سنة 1372م). وفي سنة 1374م؛ توجَّه "ويكلف" بتفويض من حُكُومته، مع عدد آخرين، إلى القصر البابوي في أفينيون (جنوب فرنسا) لأجل التّفاوض بشأن الأعمال الكَنَسيَّة. وهُنا اطَّلع "ويكلف" شخصيَّاً، وتعرَّف - عن كَثَب - على انحراف البابويَّة. وفور عودته شرع يخطب - عَلَنَاً - بأنَّ البابا هُو «ضدَّ المسيح»، وبلغ "ويكلف" في هُجُومه على البابويَّة إلى درجة رَفْض الكَهَنُوت من أساسه، مُرتئياً بأنَّه ليست السِّيامة هي التي تُعطي شخصاً ما حقَّ الرّئاسة، وإتمام الخدمة الإلهيَّة في الكَنيسة، وإنَّما هي تقواه الحقيقيَّة وسيرته العمليَّة التي تُعطيه ذلك الحقَّ. واتَّخذ الرُّهبان المُتعصِّبون أفكار "ويكلف" هذه وأمثالها حُجَّةً لرميه بالهَرْطَقَة. فاستخرجوا من تآليفه ومُحاضراته تسعة عشر موضوعاً، وأرسلوها إلى البابا غريغوري الحادي عشر (1370 - 1378م) كدليلٍ على هَرْطَقَته. وتعيَّنت مُحاكَمة ويكلف سنة 1378م. ولكنَّه نجا من الحُكْم عليه - هذه المرَّة - بفضل دفاع الحُكُوميَّة الإنكليزيَّة

عنه، ولأنَّه تمكَّن من إقناع المحكمة بتفاسير لائقة. وفي هذه الأثناء؛ وقعت فضيحة الانقسام البابوي الخطير والمعروف[1]. فانبرى "ويكلف" مُجدَّداً ضدَّ البابويَّة، وتقدَّم أكثر في مواضيعه الإصلاحيَّة؛ فرفض - تماماً - الدّرجات الأسقفيَّة في الكَنيسة، ودعا إلى العودة إلى ترتيب القسوسيَّة الرّسوليَّة، كما رفض - تماماً - "التّقليد المُقدَّس"، وَجَعَلَ "الكتاب المُقدَّس" - فقط - المصدر الوحيد، والدّعامة لتعليم الإيمان. ورفض - أيضاً - التّعليم عن المَطْهَر والغُفرانات، ولم يعترف بضرورة تقديس الزّيت، وعدَّ الاعتراف الشّفوي اغتصاباً للضّمير، ودعا إلى الاكتفاء بتوبة الإنسان الدّاخليَّة أمام الله، ورفض التّعليم عن حُضُور المسيح الواقعي في سرِّ العشاء السِّرِّيِّ؛ أيْ الأفخاريستيا، وقَبِلَ - فقط - بحُضُوره الرُّوحي، ورفض الخدمة الإلهيَّة مع فُنُونها الاصطناعيَّة والطُّقُوس الباهرة، ودعا إلى أنْ تكون أبسط بقَدْر الإمكان، ودعا إلى أنْ يُمْسَح للكَهَنَة بالحياة الزّوجيَّة، رافضاً إيجاب العُزُوبيَّة والتَّبتُّل عليهم، كما نادى بإزالة الطّبقة الرّهبانيَّة، أو على الأقلِّ أنْ يُعَدَّ الرُّهبان مُتساوين مع العلمانيِّين (أيْ مع عامَّة النّاس). وبالإجمال؛ اجتهد "ويكلف" في أمر الإيمان في أنْ يتمَّ إلغاء كُلِّ وساطة بين الله والإنسان، وأنْ يكون خلاص الإنسان مُتوقِّفاً على علاقته الشّخصيَّة بالفادي؛ أيْ المسيح. ولأجل نَشْر المعارف الدِّينيَّة في الشّعب أسَّس "ويكلف" جمعيَّة الرّجال الأتقياء الذين يتوجَّب عليهم وَعْظ الشّعب بالإنجيل. وفي الوقت ذاته؛ بدأ بترجمة الكتاب المُقدَّس إلى اللُّغة الإنكليزيَّة. كُلُّ هذا - وخُصُوصاً مُحاولة تمكين الشّعب من قراءة الكتاب المُقدَّس - كان سبباً لإثارة الاضطهادات مُجدَّداً ضدَّ "ويكلف". في سنة **1382**م، في مجمع لندن حُكم على تعليمه في أربع وعشرين قضيَّة كتعليم هرطقي، وطُرد من جامعة أوكسفورد. ولم يتمكَّن الملك الإنجليزي الضّعيف ريتشارد الثّاني من الدّفاع عن "ويكلف". فابتعد عن أكسفورد إلى "ليوتروورث" **Lutterworth**، ومات هُنالك. وكَتَبَ في وحدته - قبل موته بقليل - تأليفاً سمَّاه "تريالوغوس" بسَّط فيه أفكاره الإصلاحيَّة. وبعد ذلك حُكم على "ويكلف" مراراً بالهَرْطَقَة، فقد حكَمَ عليه البابا يُوحنَّا الثّالث والعشرون في مجمع "رُوما" سنة **1412**م، وفي مجمع "كُونستانس" سنة **1415**م، بالهَرْطَقَة، وزاد في المجمع الأخير مُهمَّاً بإصداره أمراً بحَرْق

(1) إشارة إلى الانقسام البابوي الكبير الذي وُجد خلاله باباوان (وفي فترة؛ غدوا ثلاثة بابوات) كُلُّهم يدَّعي الشّرعيَّة، وكُلُّ واحد يحرم الآخر كَنَسياً، وقد دام هذا الانقسام قرابة نصف قرن (بين 1378 وحتَّى 1417). ولمزيد الاطّلاع راجعْ فقرة "فترة الانقسام البابوي" أثناء الكلام عن نبذة من تاريخ الكَنيسة الرُّومانيَّة الكَاثُوليكيَّة في الفصل السّابق.

جثّة "ويكلف"، وذرّ رمادها، فتمَّ ذلك، بعد أنْ كان قد مضى على وفاته 28 عاماً! لكنْ؛ رغم ذلك كُلّه بقي لويكلف أتباع، ليس في الأوساط الشّعبيَّة فحسب، بل في طبقات المُجتمع العالية. واشتهروا باسم الهَرَاطقة اللُّوللرديِّيْن **Lollards**. ولَمّا كانت الحُكُومة - بسبب ضغط البابويَّة عليها - تمتنع من العطف عليهم، لا بل كانت تساعد الكَنيسة في اضطهادهم، لذلك لم يستطيعوا أنْ ينتشروا ويُؤثّروا تأثيراً ذا أهمِّيَّة. ومع ذلك؛ مدَّت أفكار "ويكلف" جُذُورها عميقاً في إنكلترا، وفي جهات أُخرى أيضاً.

اللاَّهوتي التّشيكي "جُون هُوس" شهيد الإصلاح:

وفي مُحيط أكثر جاذبيَّة، ظهر بطل آخر من أبطال الإصلاح هُو البُروفيسُور "جُون هُوس" (أو يُوحنَّا هُوس) أُستاذ اللاَّهوت في جامعة "براغ" في بُوهيميا. وإذا كان "جُون ويكلف" قد ذَهَبَ بعيداً في مُحاولته الإصلاحيَّة إلى حدٍّ رفضه عددٍ من الأُمُور ذات الأهمِّيَّة الكبيرة في نَظَر الكَنيسة الرُّومانيَّة؛ فإنَّ "جُون هُوس" - على العكس منه - اقتصر على نقد سُوء استعمال الكَنيسة الرُّومانيَّة لسُلطتها، وبقي مُحافظاً على العقائد الكَنَسيَّة التّقليديَّة، بل أكثر من ذلك، إنَّه كان مُدافعاً عن الأرثُوذكسيَّة القديمة.

وُلد هُوس سنة 1369م، في مكان صغير في بُوهيميا الجنوبيَّة يُسمَّى غُوسّينتس، وحصَّل عُلُومه في جامعة غوسّينتس براغ، التي شغل فيها سنة 1398م، كُرسي اللاَّهوت. في ذاك الوقت؛ كان يشغل أذهان الكثيرين فكْرة أنَّ الكَنيسة قد تشوَّهت. وظهرت هذه الأفكار في بُوهيميا، وأُضيف إليها ظُهُور اجتهاد في بُوهيميا في القرن الرّابع عشر لإحياء الأرثُوذكسيَّة القديمة التي بشّر بها هُناك القدِّيسان كيرللس ومثوذيوس. وكان الموضوع الأوَّل الذي يُريده البُوهيميُّون هُو الخدمة الإلهيَّة باللُّغة السّلافيَّة، ومُناولة العلمانيِّيْن (أيْ عامَّة المُؤمنين) تحت الشّكلَيْن[1]. فصار "جُون هُوس" - الذي شغل كُرسي اللاَّهوت - مُدافعاً حارّاً عن إصلاح الكَنيسة؛ بمعنى إعادتها إلى الأرثُوذكسيَّة القديمة. وقد تهيَّأ له إعلان مُيُوله الإصلاحيَّة بشكل شرعي أو قانوني. ففي سنة 1402م، شغل وظيفة واعظ في مُصلَّى بيت لحم (هكذا دُعيت

(1) يُقصَد بقضيَّة التّناول تحت الشّكلَيْن (التي ستتكرَّر الإشارة إليها فيما بعد)، أنْ يتناول عامَّة النّاس المُشاركين في القدَّاس - أيْ العشاء السرِّيّ؛ أي الأفخاريستيا - كلا الخُبز والخمر، بعكس التّقليد الذي اتَّبعته الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الغربيَّة في طقس المُناولة في القدَّاس، والذي اقتصرت فيه على مُناولة المُؤمنين خُبز الفطير فقط، دُون الخمر.

الكَنيسة التي بناها البُوهيميُّون مُجدَّداً)، فأخذ يُعلِّم الشّعب، بمواعظه التي كان يُلقيها باللُّغة السّلافيَّة، الإيمان والحياة بمُوجب الإنجيل فحسب. وعند ذلك؛ تسنَّى له أنْ يلفظ شهادات قاسية ضدَّ الكَهَنَة الكَاثُوليك والرُّهبان. وفي الوقت ذاته؛ تعرَّف "هُوس" على مُؤلَّفات "ويكلف" المنقولة من أكسفورد بواسطة صديقه إيرونيم البراغي، ونظر إليها نظرة رضا. ولكنَّه - مع ذلك - لم يُشارك "ويكلف" بجميع آرائه المُتطرِّفة. ولكنَّ هذا لم يمنع أبطال اللاَّتينيَّة من أنْ ينسبوا إلى "هُوس" هَرْطَقَةَ "ويكلف". وقد حدث الاصطدام سريعاً. فقد حَضَرَ إلى براغ لاهوتيَّان إنكليزيَّان من أتباع "ويكلف"، وأبرزا - بين الأشياء الأُخرى - صُورتان، وكان مرسوماً على إحداهما دُخُول المسيح إلى أُورشليم يُرافقه تلاميذه، وعلى الثّانية دُخُول البابا إلى رُوما يُواكبه الكَرَادلة. وكان المُخلِّص مرسوماً بإكليل الشّوك، وأمَّا البابا؛ ففي التّاج المُثلَّث الذّهبي...إلخ. وبدأت التّفاسير في الجامعة بشأن هاتَيْن الصُّورتَيْن. فلم يُحبِّذ "هُوس" سُلُوك الإنكليز. ومع ذلك؛ صرَّح ضدَّ البابويَّة بنفس رُوح تصريحات "ويكلف". ولكنْ؛ كانت أغلبيَّة الأصوات في الجامعة للأجانب[1] الذين - لأسباب قوميَّة محضة - كانوا ضدَّ "هُوس" وأعضاء الجامعة البُوهيميِّيْن. لذلك ألَّف أعضاء الجامعة الأجانب سنة **1408**م، قراراً حكَموا فيه على موادٍّ ويكلف الأربع والأربعين. ولكنَّ "هُوس" فاز بطلبه من الملك فينتسيسلاس **King Wenceslas** (سنة **1409**م) بمرسوم جَعَلَت فيه أكثريَّة الأصوات لأعضاء الجامعة البُوهيميِّيْن. وعلى هذه الصُّورة؛ تغلَّب الحزب البُوهيمي الوطني الإصلاحي. فأخذ البُوهيميُّون برئاسة "هُوس" يُصرِّحون - بكُلِّ حزم - ضدَّ الكَنيسة الرُّومانيَّة. فانبرى رئيس أساقفة براغ "سبينوك" **Archbishop Zbynok** ضدَّ "هُوس"، وأرسل ضدَّه شكوى إلى رُوما، وجاء منها سنة **1410**م، بأمر بإحراق تأليفات "ويكلف"، وجرَّ أتباعه إلى المُحاكَمة. وأُضيف - إلى ذلك - مَنْع الوعظ في كنائس خاصَّة. فأرسل "هُوس" إلى البابا استئنافاً، برهن فيه بأنَّه يُوجد في تأليف "ويكلف" حقائق كثيرة. ولم يكفّ عن الوعظ في كَنيسة بيت لحم. فطلبه البابا إلى رُوما. ولكنْ؛ بفضل وساطة الملك والجامعة، انتهى أمر "هُوس" في براغ بسلام. ولكنْ؛ سُرعان ما وقع مُجدَّداً الاصطدام بين "هُوس" والرّئاسة الرُّومانيَّة، وذلك حين جهَّز البابا يُوحنَّا الثّالث والعشرون حملةً صليبيَّةً ضدَّ خُصُومه السِّياسيِّيْن، وأرسل سنة

---

(1) كان للبُوهيميِّيْن صوت واحد، وللنّمساويِّيْن والبُولُونيِّيْن ثلاثة أصوات.

1412م أمراً إلى بُوهيميا أعطى فيه غُفرانات كاملة لجميع الصّليبيِّين. فقام هُوس ضدَّ هذا الأمر في مواعظه وتآليفه.

أمَّا صديقه إيرونيم البراغي؛ فقد أحرَقَ أمْرَ البابا. ومال الشّعب إلى جهتهما. وبدأت الاضطرابات. فجاء من رُوما أمرٌ آخر سنة 1413م، يقضي بفَصْل "جُون هُوس" من الكَنيسة، وطرده خارج براغ. فَكَتَبَ هُوس تمييزاً إلى الرَّبِّ يسُوع المسيح نفسه، بما أنَّه لم يأمل أنْ يجد عدالة على الأرض. وفي الوقت ذاته؛ قدَّم تأليفاً «عن الكَنيسة» برهن فيه بأنَّ الكَنيسة الحقيقيَّة يجب أنْ تتألَّف من المُؤمنين؛ وحيثُ أنَّ البابا قد سقط من الإيمان - على حدِّ تعبيره - فليس هُو عُضواً في الكَنيسة، وحَرْمُهُ لا أهميَّة له. ومع هذا؛ تمكَّن رئيس أساقفة براغ من طَرْد هُوس خارج براغ. وفي تلك الأثناء؛ افتُتح مجمع كُونستانس (سنة 1414م). وبما أنَّ هُوس كان قد قدَّم - قبلاً - استئنافاً إلى المجمع المسكوني، لذلك طلبوه إلى كُونستانس. وقد سلَّمه الإمبراطُور سغيزموند رسالة للمُحافظة على حياته. ولمَّا حَضَرَ "هُوس" إلى كُونستانس، وجب عليه أنْ ينتظر الاستنطاق زماناً طويلاً. وبعد الاستنطاق سُجنَ. فلم يشأ الإمبراطُور سغيزموند أنْ يُلحَّ بطلب إطلاقه، بقَطْع النَّظَر عن الكتاب المُعطى له لأجل المُحافظة عليه. فعامل المجمع "هُوس" بقساوة؛ إذْ خُيِّل إليه بأنَّ طَلَبَ "هُوس" أنْ يُبرهنوا كذب آرائه على أساس الكتاب المُقدَّس هُو بحدِّ ذاته هَرْطَقَة، لأنَّه رفضٌ ضمنيٌّ للتّقليد المُقدَّس أيضاً!. وبالاجمال؛ فإنَّ مجمع كُونستانس واجه المُطالبة بإصلاح الكَنيسة بنظرة ضيِّقة، وفَهِمَ بأنَّ هذا الإصلاح يُراد به الحدّ من السُّلطان البابوي، بقَطْع النَّظَر عن وُجُود بعض أعضائه الأحرار. وبقي "هُوس" في السّجن تحت الاستنطاق ريثما ينتهي المجمع من النَّظَر في قضيَّة البابا يُوحنَّا الثّالث والعشرين. وبعد سجنه سبعة أشهر؛ دعوه مُجدَّداً إلى جلسة المجمع العَلَنيَّة. ولكنَّه لمَّا أصرَّ على طلبه أنْ يدحضوا آراءه على أساس الكتاب المُقدَّس حكموا عليه كهرطوقي بالحَرْق. وفي السّادس من تمُّوز سنة 1415م، مات "جُون هُوس" حرقاً مربوطاً على خشبة. وكذلك صديقه إيرونيم البراغي، الذي جاء برفقته إلى كُونستانس، أُعدم بالحَرْق بعد سَجْنه مُدَّة طويلة.

وهكذا نُلاحظ أنَّ المجامع الأسقفيَّة التي كانت - في بداية أمر المسيحيَّة - وسيلة للدّفاع عن الإيمان المسيحي، ثُمَّ أصبحت - بعد ذلك - أداة في يد إمبراطُور بيزنطة لتنفيذ أغراضه، مُستغلاً

ـ في ذلك ـ مطامع بعض الأساقفة وطُمُوحهم إلى الجاه والنُّفُوذ والسُّلطان، وَصَلَ بها الأمر ـ في ذلك الزّمن ـ إلى أنْ أصبحت أداة تكفير وحَرْم وفَصْل ومُعاداة للإصلاح، بعد أنْ كانت أداة بناء، ممَّا فتح الباب على مصراعَيْه للخُصُومة والشّقاق بين المسيحيِّيْن في البلاد المُختلفة؛ واستمرَّ هذا النّحو من الاستغلال السّيِّئ للمجامع، في القُرُون الوُسطى، وبعد الانشقاق الكبير الأوّل للكَنيسة الغربيَّة الرُّومانيَّة عن الشّرقيَّة، وبعد الانشقاق الكبير الثّاني للكنائس البرُوتستانتيَّة عن الكَنيسة الرُّومانيَّة؛ حيثُ كثيراً ما كانت وسيلةً بيد البابا للحُكْم على مُخالفيه في الرّأي، أو خُصُومه الفكْريِّيْن، وحَرْمهم، أو الحُكْم عليهم بالهَرْطَقَة والحَرْق!.

هذا؛ ولكنَّ الحَرَكَة الإصلاحيَّة في بُوهيميا لم تنته بحَرْق "هُوس"؛ لأنَّ البُوهيميِّيْن الذين عضدوه قبل المجمع وفي زمن انعقاده، هبُّوا ـ بعد موته، بإجمالهم تقريباً ـ ضدَّ كَنيسة رُوما.

وقد سارت القضيَّة على الصُّورة الآتية: أتباع "هُوس" المدعوون هُوسيُّون أدخلوا عندهم بمُوافقته مُناولة العلمانيِّيْن تحت الشّكلَيْن. وعندما رفض مجمع كُونستانس ـ بعد حَرْق هُوس ـ هذه المُناولة، واعتبرها هرطقيَّة، قرَّروا الحُصُول على الكأس بقُوَّة السّلاح. وانضمَّ إلى الهُوسيِّيْن كثيرٌ من البُوهيميِّيْن الوطنيِّيْن والأشراف بقيادة يُوحنَّا جيشكا. فتحصَّن على أحد الجبال مع أربعين ألف من الأتباع، مُسمِّياً هذا الجبل ثابور. (من هُنا؛ دُعي الهُوسيون تابوريتي). وبدؤوا نضالاً قاسياً مع المُدافعين عن الكَنيسة اللاَّتينيَّة.

فامتدَّ النّزاع ـ بسُرعة ـ إلى مسافات واسعة. في سنة **1419**م، مات ملك بُوهيميا فينتسيسلاس، فَخَلَفَهُ الإمبراطُور سينغزموند، لكنَّ البُوهيميِّيْن رَفَضُوا مُبايعته لأجل خيانته في قضيَّة "هُوس". وعلى هذه الصُّورة؛ نهضت كُلُّ بُوهيميا. فأرسل البابا مارتين الرّابع **Martin IV** عدَّة حملات صليبيَّة إلى بُوهيميا، لكنَّه لم ينل شيئاً؛ لأنَّ الهُوسيِّيْن تمكَّنوا من دَحْر كُلِّ تلك الهَجَمَات بنجاح. وألقى قائدهم الثّاني (مُنذُ سنة **1424**م) بروكوب الكبير ـ بانتصاراته على الصّليبيِّيْن ـ الرُّعب في البلاد المُجاورة.

هكذا كانت الأحوال قبل افتتاح مجمع بازيل (سنة **1431**م) الذي أخذ على عاتقه ـ بين القضايا الأُخرى ـ الاهتمام بمُصالحة الهُوسيِّيْن مع الكَنيسة عن طريق المُفاوضات والتّنازل.

وقُبيل هذا الوقت؛ انقسم الهُوسيُّون في آرائهم الإصلاحيَّة إلى فريقَيْن: فالفريق الأوَّل - وهُو الأكثر اعتدالاً - وافق على الاتِّفاق مع الكَنيسة، شريطة أنْ تصير المُناولة تحت الشّكلَيْن، ويُسمَح بالوَعْظ باللُّغة الوطنيَّة، وتُؤخذ من الإكليروس الأموالُ الكَنَسيَّةُ، ويُحالون إلى مُحاكَمة كَنَسيَّة صارمة. وعُرفَ هؤلاء الهُوسيُّون باسم كالكستينيِّيْن (من الكأس كاليكس) واوتراكفيست (من كلمة اثنَيْن). أمَّا الهُوسيُّون الآخرون (تابوريت)، الذين ساروا بعيداً أكثر في مُخالفتهم ومُحادَّتهم ضدَّ كَنيسة رُوما؛ فطلبوا - فضلاً عن ذلك - إزالة احترام الأيقونات، وإلغاء سرِّ الاعتراف، وما أشبه. فدعا مجمع بازيل نُوَّاباً هُوسيِّيْن لأجل المُفاوضات في الأمر، فحَضَرُوا سنة 1433م، وعددهم ثلاثمائة، فلم تُحرز المُفاوضات الطّويلة نجاحاً. فرجع الهُوسيُّون أدراجهم. فأرسل المجمع في أثرهم سفارة مع عرض التّنازل، أعني أنَّ المجمع اتَّفق على إتمام أربعة من مطالب الكلكستيِّيْن، ولهذا؛ انضمَّ هؤلاء إلى الكَنيسة، وإنْ كانوا لم يستفيدوا مُدَّة طويلة من التّساهل المُتَّفق عليه. وفي سنة 1462م، أعلن البابا بيوس الثّاني أنَّ كُلَّ التّساهلات التي أعطاها مجمع بازيل للهُوسيِّيْن غير نافذة. وبعد هذا؛ صار الكلكستيُّون يتناولون - سرّاً فقط - تحت الشّكلَيْن (أيْ يتناولون الخُبز وكأس الخمر في العشاء السِّرِّيّ)؛ أمَّا التّابوريُّون؛ فرغم بعض التّنازلات الجُزئيَّة التي قدَّمها مجمع بازيل لهم ظلُّوا أعداء ألدَّاء للكَنيسة. ولكنْ؛ لمَّا انتصر عليهم الجُنُود الكَاثُوليك في سنة 1434م، انتصاراً باهراً اضطُرُّوا أنْ يخلدوا إلى السّكينة. وبعد ذلك؛ أيْ في نحو سنة 1450م، شكَّل الباقون منهم جمعيَّة صغيرة باسم الإخوة البُوهيميِّيْن والمُورافيِّيْن، التي رفضت استعمال السّلاح، واجتهدت في بناء حياة أعضائها في هُدُوء الانفراد، على أساس العليم الإنجيلي الصّحيح. فانتشرت هذه الجمعيَّة - بنوع خاصٍّ - في القرن السّادس عشر، فصارت مُتساوية مع الجمعيَّات الدِّينيَّة الأُخرى التي ظهرت على أساس الإصلاح.

الرّاهب سافونَارُولا الإيطالي شهيد آخر للإصلاح:

ظهرت مُحاولة جريئة أُخرى لإصلاح الكَنيسة في إيطاليا نفسها، وقريباً من البابويَّة ذاتها. فقد بَرَزَ في فلورنسا، عام 1490م، مُصلح كَنَسي هُو الرّاهب الدُّومينكاني "غيرولامو سافونَارُولا" **Girolamo Savonarola**. كان "سافونَارُولا" إنساناً ذا حياة صارمة، لكنَّه حادٌّ

الطّبْع، ومُتهوِّر. وفي زمانه؛ ابتدأ الاجتهاد في ايطاليا في دَرْس الفلسفة الكلاسيكيَّة القديمة لقُدماء اليُونان الوَثَنِيِّين، الأمر الذي أحدث تأثيراً مُهلكاً على آراء الإيطاليِّين الدِّينيَّة. وقادت الآراء الوَثَنيَّة المُختلطة بالآراء المسيحيَّة المُجتمع الإيطالي إلى وَثَنيَّة جديدة (كلاسيكيَّة). وتعقَّد المفهوم الدِّيني بهذا المقدار في رُوما، حتَّى اختلط - غالباً - المسيح بالإله "مبركوري"، والمادونا مع فينيرا. وأُقيمت طُقُوس دينيَّة لإكرام فيرغيلي وغوراتسي وأفلاطون وأرسطو. حتَّى أنَّ الكَرَادلة والأساقفة نظروا إلى الإنجيل كنظرتهم إلى ميثُولُوجيا يُونانيَّة (أُسطُورة). فَرَاعَ انتشارُ الكُفْر - مع فساد أخلاق البابويَّة والإكليروس وكُلّ المُجتمع الإيطالي - الرّاهبَ الصّارمَ "سافونَارُولا"، ودعاه للقيام بنهضة إصلاحيَّة. ورأى أنَّ الوسيلة الوحيدة لأجل تغيير كُلِّ شُرُور المُجتمع الدِّينيَّة والأخلاقيَّة هي إقامة الأخلاق الصّالحة بقُوَّة الإيمان، والنّعمة في المُحيط الإكليركي، وبواسطته في مُحيط كُلِّ المُجتمع؛ حيثُ أنَّه إذا صلُح العُلماء - أي صلُح الإكليروس (رجال الدِّين) - صلُحَ النّاس بصلاحهم. لذا؛ قرَّر إدخال هذا الإصلاح بنفسه في الوعظ، وإقامة أنظمة الحياة الكَنَسيَّة الصّارمة. وقد أرسلته رهبانيَّته في سنة **1490**م، إلى مدينة فلورانسا بصفة واعظ.

فبدأ "سافونَارُولا" يُوبِّخ البابويَّة والإكليروس والمُجتمع، من على المنبر الكَنَسي، مُدهشاً - في الوقت ذاته - سامعيه بإخباره عن تنبُّؤات عن غضب الله الذي سيحلُّ وشيكاً على إيطاليا؛ لأجل عدم إيمان السُّكَّان، وبُعْدهم عن التّقوى، وكُفْرهم. فأحدث "سافونَارُولا" تأثيراً خارق العادة على الشّعب بصرامة عيشته، وفصاحته المُدهشة المُتَّحدة بالحيويَّة والتّهديدات التَّنبُّؤيَّة. فخضع سُكَّان "فلورانسا" له كخُضُوعهم لنبيّ، وكانوا على استعداد لإتمام كُلِّ ما يأمرهم به. فأدرك البابا ألكسندر السّادس (سنة **1492** - **1503**م) أيَّ خطر يُهدِّد البابويَّة بسبب مواعظ "سافونَارُولا"، وأراد أنْ يجذبه إلى جهته. وعرض عليه - سرّاً - الكردياليَّة - بواسطة شخص موثوق، لكنَّ "سافونَارُولا" رفض من على المنبر الكَنَسي أمام سامعيه ما عرضه عليه، وأخذ يُهاجم - بقُوَّة أشدّ - فساد أخلاق البابويَّة. ولمَّا وثق "سافونَارُولا" من خُضُوع أهالي "فلورانسا" لدعوته، أقام - قبل كُلِّ شيء - في المدينة حكُومة دينيَّة إلهيَّة مسيحيَّة، على غرار الحُكُومة الدِّينيَّة في اليهُوديَّة، وأعطى لنفسه دور القاضي

الإسرائيلي، ثُمَّ شرع بإصلاح آداب الإكليروس والشّعب الفلورانسي، فرتّب أصواماً خاصَّة، وتوبة عَلَنيَّة، وصلوات عامَّة، وأخرج الأغاني الدُّنيويَّة الفاسقة من الاستعمال البيتي، وأبدلهَا أناشيدَ الخدمة الإلهيَّة، وذمَّ التَّبرُّجَ، وجَمَع الصُّورَ من بُيُوت السُّكَّان، والكُتُب العلمانيَّة، والأدوات الموسيقيَّة، وحَرَقَهَا كُلَّها في السّاحات باحتفال، وما أشبه. وعلى هذه الصُّورة؛ أخضع "سافونَارُولا" - بجاذبيَّته الصّارمة - "فلورانسا" عدَّة سنوات، لكنَّه لم يبلغ إلى إصلاح الأخلاق، فالإكليروس الفلورانسي الذي خضع له مُرغماً، كان له خَصْماً.

وتكوَّن في المُحيط الفلورانسي حزبٌ غيرُ راضٍ عن طريقة الحياة الصّارمة التي أدخلها "سافونَارُولا". فاستغلَّ البابا هذا الاستياء، وقام في سنة **1497**م، بفَصْله عن الكَنيسة كهرطوقي. فقوي الحزب المُخاصم له في "فلورانسا"، فَسَجَنَهُ، وسلَّمه للملكة، وفي سنة **1497**م، حُكم عليه بالإعدام كهرطوقي ومُضلِّل للشّعب، فأُعدم حَرْقاً بالنّار!.

لقد قام "سافونَارُولا" - في أوَّل الأمر - كمُصلح كَنَسي فقط، ثُمَّ مزج - بعد ذلك - السِّياسة بعمله، وظهر في دور خطيب شعبي، فأثار غضب أولياء الأُمُور والدُّنيويِّين عليه، فانتقموا منه، وقضوا عليه. هذا؛ وقد تحقَّق الكثير من نُبُوءات "سافونَارُولا" التي كانت تختصُّ - غالب الأحيان - بالحوادث التي لا مفرَّ منها، والقريبة جداً، ولكنَّه قال بنُبُوءات فاشلة أيضاً؛ كنُبُوءته مثلاً عن ارتداد الأتراك القريب إلى المسيحيَّة.

ثانياً: ثورة مارتن لُوثر ضدَّ كَنيسة رُوما وانتشار دعوة الإصلاح في ألمانيا:

في القرن الخامس عشر؛ وَصَلَ الاستياء العامُّ من الكَنيسة الرُّومانيَّة ومن جشع وتسلُّط باباواتها ومفاسدها العديدة في العالم المسيحي الغربي؛ كضَرْبها الفرائض الباهظة، وقَتْلها وحَرْقها للمُعارضين والمُصلحين بتُهمة الهَرْطَقَة، وحَجْرها على العُقُول في فُرُوع العُلُوم الطّبيعيَّة، وتحريمها قراءة الإنجيل إلاَّ باللُّغة اللاَّتينيَّة التي لا يعرفها عامَّة النّاس، وتحريمها الزّواج على كُلِّ القساوسة والرُّهبان، وَصَلَ الاستياء من هذه الأُمُور وأمثالها إلى ذروته، وكانت مهزلة بَيْع صُكُوك الغُفران لتأمين النّفقات الباهظة، والبَذْخ في بناء كاتدرائيَّة القدِّيس بُطرُس في رُوما بمثابة القشَّة التي قَصَمَتْ ظهر البعير، وكان أوَّل من علا صوته ضدَّ هذا

الإجراء وضدَّ سائر انحرافات الكَنيسة البابويَّة هُو الرّاهب الأوغسطيني الألماني، دُكتُور اللاَّهوت مارتن لُوثر Martin Luther الذي تحوَّلت احتجاجاته وانتقاداته إلى حَركَة ألهبت ألمانيا، وانتشر لهيبها إلى البُلدان المُجاورة؛ مُؤسِّسة لحَركَة مفْصَليَّة في تاريخ الكَنيسة، أدَّت إلى انفصال جُزء كبير من العالم المسيحي في أُورُوبا عن كَنيسة رُوما الغربيَّة الكَاثُوليكيَّة؛ لتُوجد ما صار يُعرَف باسم الكنائس البرُوتستانتيَّة. فَمَنْ هُو هذا المُصلح؟ وما قصَّة دعوته الإصلاحيَّة التي تجاوز تأثيرها البرُوتستانتيَّة وحتَّى النّصرانيَّة نفسها، إلى التّأثير على مناحي من الحياة الأُورُوبيَّة بشكل عام؟!

وُلد مارتن لُوثر سنة 1483م، في مدينة آيسليبن الصّغيرة في سكسونيا، وسط ألمانيا (ومات في نفس هذه المدينة 1546)، في أُسرة فقيرة من الفلاَّحين، كان أبوه يعمل فيها عامل منجم نُحاسٍ. ربَّاه والداه بصرامة، ما كان يُخفِّف من غلوائها سوى الحُبّ، ثُمَّ تلقَّى تعليماً جيِّداً في "ماغدبورغ" وأيزناخ"، فنال شهادة البكالُوريُوس في الآداب من جامعة إرفورت سنة 1502م، ثُمَّ شهادة الماجستير في الفُنُون الحُرَّة سنة 1505م، ودرس - أيضاً، ابتداء من عام 1505 - القانونَ، حسب رغبة والده، الذي كان يبغي توجيه ذلك الابن الموهوب في طريق اليُسر والمكارم، لكنْ؛ بعد أنْ سار لُوثر في هذه الوُجهة الجديدة بوقت قليل، نذر أنْ يدخل الدّير تحت وقع الرُّعب الذي انتابه في أثناء عاصفة كاد أنْ يهلك فيها، وهكذا انتسب - في سنة 1505م - إلى رهبانيَّة القدِّيس أُوغُوسطينُوس التي كانت من الرّهبانيَّات الفقريَّة (أيْ رهبانيَّات الصَّدَقَة)، وقد تصرَّف لُوثر على هذا النَّحْو كرجل من العصر الوسيط الكَاثُوليكي عاش على الدّوام في أوساط تقويَّة؛ سواء في البيت الأَبوي، أو في أثناء الدّراسة، ولم تُؤثِّر فيه لا الفلسفات الهرطوقيَّة أو الشَّكِّيَّة، ولا النّزعة الإنسانيَّة العصريَّة، بل كان يحتمل في صدره إيمانٌ عميقٌ براء من كُلِّ شكٍّ، وعندما دخل الدّير طَلَباً لحياة من الاتِّصال الحميم بالله وللقداسة، ما كان يفعل، مثله مثل الكثيرين ممَّن تقدَّموا عليه، سوى إتِّباع كنيسته، وقد تقيَّد أتمَّ التَّقيُّد بالنّظام الدّاخلي لرهبانيَّته، وبالتّوجيهات التي كانت تُعطى إليه في الاعتراف، وغالى كُلَّ المُغالاة في التَّقشُّف والزُّهد، لكنَّه لم يَفُزْ بالسّلام، وبعد سيامته كاهناً في نيسان 1507م، وحُصُوله على درجة البكالُوريُوس في الكتاب المُقدَّس سنة 1509م، عُيِّنَ مُدرِّساً

للاَّهوت، وأتاح له تبحُّره في فكْر القدِّيس أُوغُوسطينُوس، ثُمَّ الكتاب المُقدَّس، أنْ يُدرك سبب قلق نفسه، فقد علَّموه أنْ يُولي أعماله الصّالحة أهمِّيَّة أكبر ممَّا ينبغي، والنّعمة الإلهيَّة أقلّ ممَّا ينبغي، مع أنَّ هذه النّعمة هي المصدر الوحيد لغُفران الخطايا، وبفرح مُتنام مُستمدٍّ من كلام الإنجيل المحض، فطَنَ إلى أنَّ طريق اليأس والقلق الرُّوحي صار بالنّسبة إليه مساراً شاقّاً، وأنَّ خلاص النَّفْس لا يتمُّ إلاَّ بنعمة الله نفسه، وحسب.

بعد الخيبة التي عادت بها عليه دراسة اللاَّهوت المدرسي، جاءت الانطباعات المُنفِّرة التي رجع بها من رُوما عندما زارها بين عامَيْ 1511 و1512، فقد ذَهَبَ إلى رُوما بحثاً عن شُهداء وغُفرانات سَمْحَة، فما وَجَدَ أمامه سوى رُوما البابويَّة الدُّنيويَّة لعصر النّهضة، وبُعَيد ذلك بقليل، وبعد نَيْله شهادة الدُّكتُوراه في الكتاب المُقدَّس، حصل في عام 1512م، على كُرسي الكتاب المُقدَّس في جامعة فيتنبرغ (ويتمبيرج Wetenberg) النّاشئة، التي كان أعطى فيها بعض الدُّرُوس في عامَيْ 1508 ـ 1509م، وقد خلف فيها المُدير العامّ لرهبانيَّته "شتاوبتز" الذي كان له خير سَنَد في صراعاته الرُّوحيَّة، كما ألقى فيها سلسلة من الشُّرُوح على المزامير (1513 ـ 1515)، وعلى الرّسالة إلى أهل رُوما (1515 ـ 1516)، وعلى الرّسالة إلى أهل غلاطية (1516 ـ 1517)، وعلى الرّسالة إلى العبرانيِّيْن (1517 ـ 1518)، ومن خلال تلك الشُّرُوح؛ أرسى لُوثر أُسُس لاهوته، الذي سمَّاه لاهوت الصّليب، وتابع فيه خطَّ القدِّيس أُوغُوسطينُوس، وبعد أنْ أذاعت تلك الشُّرُوح صيتَهُ، ساور مارتنَ لُوثر الأملُ في عام 1517م، بتجديد اللاَّهوت بالتَّقدُّم بقضايا مُناوئة للمدرسيِّيْن، لكنَّه لم يلقَ أيَّ صدى.

لذلك كانت مُفاجأته كبيرة إزاء الوَقْع الشّديد والزّوبعة التي أحدثتها القضايا الـ 95 حول براءات الغُفران التي علَّقها في 31 تشرين الأوّل 1517م، على باب كَنيسة قصر فيتنبرغ، وهاجم فيها مُتاجرة الكَنيسة بصكُوك الغُفران، وذلك بمُناسبة افتتاح مُناقشة أكاديميَّة، فقد نَكَأَ بقضاياه جُرحاً كان كثير من المُثقَّفين واللاَّهوتيِّيْن قد شكَوا منه من قبلُ، فعن طريق بَيْع صكُوك الغُفران الصّادرة عن رُوما كانت الإدارة البابويَّة تسدُّ الحاجات الماليَّة الكُبرى التي نشأت عن بناء كاتدرائيَّة القدِّيس بُطرُس، وقد أقبل الشّعب على شرائها؛ إذْ دخل في اعتقاده أنَّه من المُمكن افتداء الخطايا بالمال.

وتقاطرت الـرُّدُود بين إيجاب وسَلْب على لُوثر، فكانت مُناسبة لتوضيح فكْره في رسالته "تعليقات على القضايا الـ 95" (1518م)، وقد أهدى هذا النَّصَّ، الذي كان أخضعه لرقابة أسقفيَّة مُسبقاً، إلى البابا ليُو العاشر Leo X بأمل أنْ يقتنع البابا منه، ويضع حدّاً لذلك الشَّطَط في بَيْع الصُّكُوك، لكنَّ أساقفة ماينتز أقاموا عليه في رُوما دعوى هَرْطَقَة. وتدخَّلت اعتبارات سياسيَّة (انتخاب شارل الخامس إمبراطُوراً في عام 1519) لتُؤخِّر إصدار قرار بالحَرْم إلى عام 1520، حين أعلن البابا ليو العاشر الحرمان الكَنَسي بحقِّ لُوثر من شركة المُؤمنين، وطَرْده من سلْك رجال الكَنيسة، واعتباره هرطوقيّاً خارجاً على الكَنيسة! وفي أثناء ذلك؛ دارت في "لايبتزغ" مُساجلة بين "يُوهان ايك" و"مارتن لُوثر"، فكانت مُناسبة لهذا الأخير ليعي مدى خُطُورة الشُّكُوك التي تنتابه بصَدَد مُؤسَّسة البابويَّة بالذّات، وليجد نفسه مُنقاداً إلى تصوُّر جديد للكَنيسة؛ بحيثُ تُشاد - حسب تعليم العهد الجديد - لا على مبدأ التّسلسل الهَرَمي، بل على أساس وحدة المُؤمنين. وقد عرض أفكاره الجديدة في رسالته في حُرِّيَّة المسيحي (1520)، ثُمَّ في كتاباته الإصلاحيَّة، وبخاصَّة في خطابه إلى النُّخبة المسيحيَّة للأُمَّة الألمانيَّة (1520)، وفي الأَسْر البابلي للكَنيسة (1520) الذي ضمَّنه تحليلاً نقديّاً واسعاً لتعليم كَنيسة رُوما بصدد الأسرار المُقدَّسة. فلُوثر ما عاد - من جهته - يعترف إلاَّ بالأسرار التي ورد ذكْرها بالاسم في العهد الجديد؛ أيْ سرّ المَعْمُوديَّة، وسرّ القُربان فقط لا غير.

قسَّمت هذه الكتاباتُ الآراءَ في ألمانيا، لكنَّها وَجَدَتْ لها أنصاراً كُثُراً في الأوساط الشّعبيَّة، كما في أوساط العلمانيِّين (غير رجال الدِّين)، وأوساط الكَهَنَة والرُّهبان. فما زادت الكَنيسة إلاَّ تصميماً على مُحاربة لُوثر. فَبَعْدَ حرمانه الكَنَسي من قبَل البابا، طَلَبَ الإمبراطُور تشارل الخامس من لُوثر الرُّجُوع عن آرائه، فرفض ذلك، فوقَّع الإمبراطُور وثيقة إدانة له تعتبره خارجاً على القانون، وتُبيح دمه، ولكنَّ أمير سكسونيا بَسَطَ عليه حمايته، واستمرَّ لُوثر في الدّفاع عن آرائه التي انقسم النّاس حولها بين عدوٍّ مُخالف، ومُناصرٍ مُوافقٍ له اتَّخذَ آراءه أساساً لحَرَكَة الإصلاح الدِّيني.

وبما أنَّه لم يَعُدْ في وُسع لُوثر - بعدئذ - أنْ يُجازف بالاعتقال، وربَّما حتَّى بالتّعذيب، فقد اختبأ في فارتبورغ، قُرب ايزناخ، تحت حماية الدُّوق الكبير فريدريك الحكيم، أمير إقليم

السّاكس، الذي أراد إنقاذ حياته، وإنْ لم يكن من تلاميذه. وهُناك كُتُبُ القدّاس الخاصّ والنُّذر الرّهبانيَّة (1521)، وترجم العهد الجديد (1522) إلى اللُّغة الألمانيَّة الشّعبيَّة، عاملاً ضدَّ تلك الحقيقة التي كانت تُسلِّم بها الكَنيسة، والتي تقول إنَّه خير للمرء ألاَّ يقرأ الكتاب المُقدَّس من أنْ يقرأه بلُغته الأُمِّ! وقد أسهم لُوثر بترجمته تلك مُساهمة كُبرى في تطوُّر اللُّغة الألمانيَّة الحديثة، وتحقيق الوحدة العقليَّة لأبنائها، وفي زَرْق الشّعر الألماني بقوى لا ينضب لها معين، وقد كان لدور لُوثر في تاريخ المُوسيقى - أيضاً - الأهمِّيَّة نفسها، التي كانت لإسهاماته للأدب الألماني واللُّغة الألمانيَّة، وقد كسب لُوثر لحزبه كثرة من الأُمراء الألمان ممَّن وجدوا - أيضاً - في الاستيلاء على أملاك الكَنيسة الرُّومانيَّة الكثيرة في بلادهم طمعاً مُغرياً.

حَمَلت الآراء التّجديديَّة المُتطرِّفة - التي روَّج لها بعض الغُلاة من تلاميذ لُوثر في فيتنبرغ - هذا الأخير على مُبارحة ملجئه ضدَّ مشيئة الدّوق الكبير، وبعد أنْ أقرَّ الهُدُوء من جديد، قضى السّنوات التّالية في إرساء أُسُس الجماعة المُؤمنة الجديدة، التي وضع لها قدَّاساً باللُّغة الألمانيَّة في كتابه القدَّاس الألماني (1526)، كما أنَّه وَضَعَ في كتابه في السُّلطة الزّمنيَّة وحُدُود الطّاعة الواجبة لها (1523) حجر الزّاوية في النّظريَّة اللُّوثريَّة عن الدّولة: الطّاعة في المسائل الزّمنيَّة، وإنَّما العصيان والمُقاومة متى ما تدخَّلت الحُكُومة المَدَنيَّة في شُؤُون الاعتقاد والضّمير.

بَيْدَ أنَّ لُوثر ما لبث - في زمن لاحق - أنْ مال إلى التَّشدُّد في تعليمه عن السُّلطة، ولاسيما في أثناء "حرب الفلاَّحين" (1525) التي عارض فيها - بقُوَّة - الفلاَّحين الثّائرين، قائلاً لهم كلمته الشّهيرة:

" تقولون (المُخاطبون هُم الفلاَّحون الثّائرون) إنَّه لا يجوز أنْ تكون هُناك عُبُوديَّة؛ لأنَّ يسُوع المسيح جَعَلَكُم جميعاً أحراراً، لكنْ؛ ألا تكونون بذلك قد جَعَلْتُم من الحُرِّيَّة المسيحيَّة حُرِّيَّة جَسَديَّة؟ إنَّ القرن المسيحي يمتلك الحُرِّيَّة المسيحيَّة ".

على أنَّه لا يجوز لنا أنْ نُفسِّر مواقفه هذه، بازدراءٍ مزعومٍ لمطالبهم الاجتماعيَّة (التي كان يعتبرها - على العكس - مُبرَّرة في أكثرها) وإنَّما سببه كون الفلاَّحين خاضوا غمار تلك الثّورة الدّمويَّة باسم المسيح، وقد بدا لُوثر - بمُكافحته هذا التّحوير السِّياسي للإنجيل - حليفاً

للأُمراء، على الرّغم من أنَّه كان ندَّد ـ بقُوَّة ـ بنزُوعهم إلى الظُّلم والإجحاف، وممَّا عزَّز ـ أيضاً ـ ذلك الانطباعَ طَلَبَاتُ المُساعدة التي وجَّهها لُوثر إلى الأُمراء لإعادة تنظيم الكَنيسة، ومع أنَّ لُوثر لم يُفكِّر ـ إطلاقاً ـ بأنْ يجعل من الأُمراء قادة للكَنيسة، نظير ما آلت إليه الحال في التّاريخ اللاَّحق للُّوثريَّة، فقد بدا أنَّ لُوثر انتقل من موقف ثوري إلى موقف مُحافظ وسُلْطَوي، ولكنْ؛ هذا ظاهر الأمر ليس إلاَّ، أمَّا الحقيقة؛ فهي ـ فقط ـ أنَّ لُوثر كان ـ في كُلِّ زمان وآن ـ عدواً للثّورة العنيفة، بَيْدَ أنَّه لم يشأ ـ قطُّ ـ أنْ يخلط بين الكَنيسة والدّولة، ولا أنْ يمنح الدّولة حُقُوقاً على اعتقاد المُواطنين وضميرهم.

كان على لُوثر ـ في أثناء سنة حرب الفلاَّحين نفسها (1525) ـ أنْ يرسم في مضمارَيْن آخرَيْن حُدُودَ فكْره، فقد كان إراسموس ـ الذي يعدُّه الكثيرون نصيراً للُوثر ـ هاجمه في المُحاولة في حُرِّيَّة الاختيار (1524)، فأجابه لُوثر في رسالة في عُبُوديَّة الاختيار (1525)، وهذا الكتاب الغني بالدّلالة الرُّوحيَّة ـ غالباً ـ ما أُسيء فَهْمُهُ؛ فلُوثر ليس جَبْريَّاً، وليست المسألة "الفلسفيَّة" المُتعلِّقة بحُرِّيَّة الاختيار هي ما يطرحه، وإنَّما المسألة الدِّينيَّة، فهُو يرى في الخطيئة استلاباً للحُرِّيَّة الإنسانيَّة، وفي النّعمة ـ وحدها ـ انعتاقاً لها، وفي ذلك العام نفسه؛ افترق لُوثر ـ في رسالته الرَّدّ على الأنبياء السّماويِّيْن ـ عن المُتصوِّفة الرُّوحيِّيْن (التّيُوزُوفيِّين)، من أمثال كاليشتات، وتُوماس مُونذر، إلخ. ممَّن كانوا يطلبون الوحي الإلهي، لا في الكتاب المُقدَّس، وإنَّما في الكَشْف الرُّوحي، والإشراق الدّاخلي.

في السّنوات التّالية أخيراً؛ اندلعت المُناظرة الكُبرى حول العشاء السِّرِّيِّ مع المُصلحين البرُوتستانتيِّيْن السُّويسريِّيْن، أولريخ (أو هُولدرايخ) زْفِيْنْغْلي (أو زُوينغلي) **Ulrich or Huldreich Zwingli (1484 ـ 1531)** وأُوكولامباد وأنصارهما من الألمان الجنوبيِّيْن، فعلى حين لم يجد هؤلاء في طبيعة القُربان المُقدَّس (أيْ العشاء السِّرِّيّ؛ أيْ الأفخاريستيا)؛ أيْ سرّ خاصّ سوى المعنى الرّمزي، أصرَّ لُوثر بعاطفة مشوبة ـ وعلى الأخصِّ في رسالته حول العشاء السِّرِّيّ (الأفخاريستيا) السِّرِّيّ (1528) ـ على الحُضُور الواقعي للمسيح، ولم تُؤدِّ مُساجلة ماربورغ الدِّينيَّة في عام 1529م إلى أيَّة تسوية، وما أمكن التّوفيق بين الألمان الجنوبيِّيْن وألمان

فيتنبرغ إلاَّ في عام 1536م، بفضل جُهُود مارتن بوسر بوجه خاصٍّ، علـى حـين بقـي انشـقاق سويسرا بلا حلٍّ.

علـى أنَّ مجهـود لُوثـر الرَّئيسـي انصـبَّ علـى مُتابعـة تعاليمـه النّظاميَّة حـول الكتـاب المُقدَّس، فقد اجتمع طَلَبَةٌ، قدموا من جميع أنحاء أُورُوبا، حول كُرسيِّه وكُرسيّ ميلانختـون Melanchthon، وتجلَّـى اهتمامـه بتربيـة الشّبيبة في ندائـه إلـى أعضـاء المجلـس، أنَّه يتوجَّـب عليهم إنشاء مدارس مسيحيَّة (1524)، وتجلَّى ذلك ـ على الأخصِّ ـ في كتابه الشّهير "التّعليـم المسيحي الأصغر" (1529)، الذي بقي إلى يومنـا هـذا الكتـاب المدرسـي الكلاسـيكي للتّعليم الإنجيلي، ثُمَّ كَتَبَ لأجل أرباب الأُسر والمُعلِّمين في المدارس "التّعليم المسيحي الأكبر" 1529، الذي ضمَّنه خُلاصةَ تعليمه، وعمـل علـى تجميـل القـدَّاس بكتابتـه "أناشـيد مُقدَّسـة" (1521ـ 1528)، تولَّى بنفسه تلحين بعضها، نخصُّ بالذِّكْر منها: "إنِّي آت من أعالي السّماء"، و"مـن قاع شدَّتي أهتف إليكَ"، أو كذلـك نشـيد الإيمـان: الله حصننـا (1529)، وهكـذا دشَّـن لُوثـر تقليداً شعريّاً دينيّاً ستأخذ به الكَنيسة الإنجيليَّة على مدى قُرُون عدَّة، وأخيراً؛ تـابع العمـل في ترجمة الكتاب المُقدَّس، وتجلَّى فنُّه الأدبي في الأقسام الشّعريَّة من العهد القديم، وبقـي حتَّـى آخر أيَّام حياته يُنقِّح ذلك العملَ الكبيرَ.

من وُجهـة النَّظَـر السِّياسيَّة؛ لـم يرغـب لُوثـر في قيـام تحـالف عسـكري مـن الأُمـراء ضـدَّ الإمـبراطُور، ولكـنْ؛ عندمـا هـدَّد الأتـراكُ شـارلَ الخـامس طـالب لُوثـر بـأنْ تـهبَّ كُـلُّ الـدُّول البرُوتستانتيَّة لُمساعدته، وعندما هاجم البابا الإمبراطُورَ، وقف المُصلح إلى جـانب هـذا الأخـير في نصٍّ له بالغ الحدَّة: الرَّدّ على بابويَّة رُوما (1545)، كما بَرَزَ رفضه لقاء البابا في أحد المجامع في كتاب بعُنوان (في المجامع وفي الكَنيسة) 1539، وهُو الوثيقة الأبلغ دلالة على علمه الكَنَسي.

وفيما يلي؛ شهادات بعض المُفكِّرين الألمان الكبار بشأن لُوثر، تُلقي مزيـداً مـن الضّـوء على الأثر الذي تَركَهُ في ألمانيا والمسيحيَّة بشكل عامٍّ:

ـ "كان لُوثر زوجاً وربَّ أُسرة ملْؤه الحنان، وقد تزوَّج في عام 1525، لا بداعي العاطفـة وإنَّما ليضرب لأنصاره قُدوة. وكان صديقاً وفيّاً لأصدقائـه، وعـدوّاً لـدوداً لأعدائـه. وكـان

يجهل اللاَّمبالاة والحكْمة الدِّبلُوماسيَّة، وكان ميَّالاً إلى الكآبة وإلى المُزاح معاً، وكانت وفاته عام 1546، في أيسلبن، مسقط رأسه، وقليل من الرّجال مَنْ أحدثوا ما أحدثه من تغيُّرات في العالم، وما ذلك، لا بالعلم، ولا بالقُوَّة العسكريَّة، بل بقُوَّة الإيمان، وبالجدِّ الذي أعاد به طَرْحَ مسألة الله، والمبدأ الإنجيلي، ولأنَّ الكَنيسة أدانتْهُ بدُون أنْ تفهمه، تمخَّض إصلاح الكَنيسة الذي كان يُجاهد في سبيله عن انشقاق كبير في المسيحيَّة، وليست الكنائس الجديدة هي - وحدها - التي انبثقت عن إصلاحه، بل إنَّ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة نفسها أفادت منه، وفيما وراء حُدُود الدِّين الخالص، كان له دور كبير في إدخال شطر واسع من العالم إلى عصر جديد، فانطلاقاً من حُرِّيَّة الإيمان الشّخصي التي رفع لواءها؛ بدأت بالنّماء والتَّفتُّح حضارة قائمة على الشّخصيَّة والضّمير والحُرِّيَّة" [من نصٍّ للمُفكِّر الألماني: هاينريخ بُورنكام].

- "كان لُوثر وطنيّاً كبيراً، وقد عُرف - مُنذُ زمن طويل - بأنَّه مُربِّي الأُمَّة الألمانيَّة، ومُصلح أُورُوبا المُستنيرة كُلِّها، وحتَّى الشُّعُوب التي لم تعتنق مذهبه الدِّيني قطفتْ ثمار إصلاحه، فقد هاجم الاستبدادَ الرُّوحي الذي كان يخنق كُلَّ فكْر حُرٍّ وصحيح، وأعاد إلى الشُّعُوب قاطبة - كما لو أنَّه هرَقْل حقيقي - الحاجة إلى العقل، وعلى الأخصِّ؛ في مضمار الأشياء الأكثر صرامة؛ أيْ الرُّوحيَّات". [هردر].

- "ما صار الألمان شعبنا لأوَّل مرَّة إلاَّ بلُوثر... وإنَّنا لا نكاد نُفكِّر بكُلِّ ما ندين به للُوثر ولحَركَة الإصلاح، فعن سبيلها انعتقنا من أغلال الظّلاميَّة، وصرنا قادرين على تطوير ثقافتنا الخاصَّة، وعلى العودة إلى الينابيع، وعلى البُلُوغ إلى المسيحيَّة في نقائها". [الشّاعر الألماني الكبير: غُوته Goethe].

- " إنَّه لمن الأهمِّيَّة الأزليَّة أنْ يكون الشّعب - بالتّرجمة اللُّوثريَّة للكتاب المُقدَّس - قد حصل على كتاب في مُتناوله يستطيع أنْ يجد فيه حكْمة أزليَّة، وحسّاً عظيماً بالحياة... ولقد قام لُوثر بإصلاح كبير في الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة نفسها". [هيغل].

- "نرى لُوثر يُوجِّه سلاحه - دوماً - في اتِّجاهَيْن: ضدَّ البابويَّة التي تُحاول أنْ تستعيد الأرض التي خسرتها، وضدَّ الشّيع العديدة التي كانت تُهاجم إلى جانبه الكَنيسة والدّولة

معاً . . . فكيف كان للوثر أنْ يرضى بأنْ يقوم ـ في المُعسكر المُناوئ ـ ذلك الخَلْط بين العُنصُرَيْن الزّمني والرُّوحي الذي طالما استفظعه في البابويَّة ؟..." [رانكة].

ثالثاً: أُولريخ زْفِيْنْغْلي السُّويسري وبداية الحَرَكَة الإصلاحيَّة في سويسرا:

وُلد المُصلح البرُوتستانتي السُّويسري الشّهير أُولريخ (أو هُولدرايخ) زْفِيْنْغْلي (أو زُوينغلي) Ulrich (or Huldreich) Zwingli في 1 كانون الثّاني 1484، في فلدهاوس Wildhouse في شرق سويسرا. وقُتل وهُو في السّابعة والأربعين من عُمره في 11 تشرين الأوَّل 1531، في معركة كابل Kappel. نشأ في وسط تصطرع فيه المصالح السِّياسيَّة والمَدَنيَّة. وربَّاه عمُّه الخُوري تربية كَاثُوليكيَّة سَمْحَة ومُنفتحة على التَّيَّارات الإنسانيَّة. وقد تعاظم تأثير هذه التَّيَّارات عليه عندما غادر منطقته الجبليَّة ليُتابع دراسته في المُدُن الكبيرة بازل وبرن وفيينا. وقد تأثَّر ـ أيضاً ـ بكتابات بيكُو دي لا ميراندُولا، وعلى الأخصِّ برسالتَيْه: "في كرامة الإنسان"، و"في الوُجُود والوحدة". ولابُدَّ ـ هُنا ـ أنْ نُشير ـ أيضاً ـ إلى تأثير ابن أخي الأفلاطوني الفلورنسي (بيكُو دي لا ميراندُولا)، (جيوفاني فرانشيسكُو) مُؤلِّف كتاب "في العناية الإلهيَّة"؛ إذْ يُمكن أنْ نلمس أثره واضحاً في (العناية الإلهيَّة) لزْفِيْنْغْلي، على أنَّ إراسموس هُو الذي ترك فيه أبلغ الأثر، وإنْ مُتأخِّراً.

تخرَّج زْفِيْنْغْلي عام 1506، أُستاذاً في الفُنُون، وقبل أنْ يُسامَ كاهناً، عُيِّن ـ بتوسُّط من عمِّه ـ خُوريّاً لبلدة (غلاريس Glarus)؛ حيثُ سيُمارس كَهَنُوته إلى عام 1516، وقد ارتحل عنها بعد ذلك ليصير واعظاً في دير القدِّيسة مريم في اينسدلن. وكان هذا الدّير الشّهير محجّاً لكُلِّ سويسرا وألمانيا الجنوبيَّة لوُجُود صُورة (أيقونة) عجائبيَّة فيه، يزورها شعب كثير للسُّجُود. وبَرَزَ زْفِيْنْغْلي لأوَّل مرَّة أمام الزّائرين بصفة مُصلحاً، وأخذ يعظ ضدَّ زيارة الأماكن المُقدَّسة، والسُّجُود للأيقونات، وما أشبه، مُبرهناً بأنَّه يُوجد وسيط سماوي واحد ـ فقط ـ هُو المسيح!

ومن جهةٍ أُخرى؛ كان ذلك الدّير الذي كان يعظ فيه زْفِيْنْغْلي، وبفضل مُديره (ديبولد فُون جيرُولدسك)، مركزاً كبيراً للمذهب الإنساني. وكانت مكتبته الغنيَّة تصلها ـ حال

طبعها في بال - مُؤلّفات إراسموس وشرُوحه على آباء الكَنيسة ، فكانت تُقرأ ، وتُدرَس بتوقير. وكان زْفينْغْلي - الذي تشرّف بالتّعرُّف إلى إراسموس سنة 1515 - شغوفاً بكتابات آباء الكَنيسة اللاّتينيِّين ، وقد عمل على تجويد معرفته باللُّغة اليُونانيَّة ، ووقف بنفسه على دراسة شخصيَّة للعهد الجديد على أساس طبعة إراسموس لعام 1515 ، ونَسَخَ رسائل القدِّيس بُولُس ، وعن القدِّيس بُولُس تحديداً ، وكذلك عن القدِّيس أُوغُوسطينُوس ، أخذ رُؤية شخصيَّة للمسيحيَّة تُشبه - في بعض جوانبها - رُؤية لُوثر ، وإنْ بقيت مُستقلَّة ، وقد تعلَّم - أيضاً - العبريَّة ، ومال مع إراسموس والآباء الشّرقيِّين إلى تأويل مجازي للعهد القديم ، وبدأ يحلم بنهضة إنسانيَّة للكَنيسة .

اقترنت مُؤهِّلات زْفينْغْلي العقليَّة والإنسانيَّة ، بوعي سياسيٍّ حادٍّ ، حَدَا به إلى مُعارضة تجنيد المُرتزقة في خدمة الدُّول الأجنبيَّة ، لما يُمثِّل هذا التّجنيد من عواقب وخيمة أخلاقيّاً ، وإنْ يكن فيه نفع ماديٌّ كثير لطبقة النُّبلاء. وقد رافق زْفينْغْلي - بصفته مُرشداً رُوحيّاً عسكريّاً ، قُوّات غلاريس إلى موقعة نُوفارا (1513) ، وإلى موقعة مارينيان (1515) ، وفي أواخر عام 1518 ؛ عُيِّن واعظاً في كاتدرائيَّة زوريخ ، وفي تلك الفترة تحديداً ؛ اندفع في حملته الإصلاحيَّة ، فقد عارض في مواعظه - تماماً مثلما فعل لُوثر - بَيْعَ صُكُوك الغُفران ، وأيَّده - في مُعارضته هذه - التَّقدُّميُّون من رجال الدِّين ، وأسقف كُونستانتز ، وبالفعل ؛ حظرت بقيَّة الكانتونات (المُقاطعات) السُّويسريَّة في سنة 1519 ، بَيْعَ صُكُوك الغُفران ، وقرَّر مجلس زوريخ في سنة 1520 - بناء على مواعظ زْفينْغْلي - بأنَّه يجب على الواعظين أنْ يتمسَّكوا - بشدَّة - بالتّعليم الإنجيلي الصّرف. وراح تأثير لُوثر - ابتداء من ذلك التّاريخ - يتعمَّق ، ووجَّه زْفينْغْلي الإنساني الإراسمي نحو مواقع إصلاحيَّة أكثر جَذْريَّة ، وانتهك بعض مُواطني زوريخ - في حُضُور زْفينْغْلي وإقراره - صيام الفصح ، فوجَّه إليهم أسقف كُونستانتز Konstanz تأنيباً شديداً ، فدافع زْفينْغْلي عن موقفه مُؤكِّداً أنَّ كُلَّ قَصْده كان التّأكيد على الحُرِّيَّة المسيحيَّة ، وعرض وُجهة نَظَره هذه في كُتيِّب بعُنوان "في اختيار الأطعمة وحُرِّيَّتها" (1522) ، وكانت هذه الحادثة بداية لمُطالبات الحزب الإصلاحي ، ففي صيف ذلك العام ؛ حرَّر زْفينْغْلي عريضةً تتضمَّن 67 بنداً أو فقرةً ، مَهَرَها عشرةُ كَهَنَة بتواقيعهم ، تُطالب بحقِّ

الزّواج لرجال الكَنيسة ، وبحقِّ الكَرْز والتّبشير بالإنجيل طبقاً لأفكار حَرَكَة الإصلاح . وكَتَبَ - بعد ذلـك ، باللاَّتينيَّة - دفاعـاً مُفصَّـلاً عـن تلـك العريضـة ، وتتلخَّـص المطـالب الإصلاحيَّة لزْفِيْنْغْلي بالنُّقاط الرّئيسيَّة التّالية :

1 - الكَنيسة مولودة من كلمة الله ، ورأسها الوحيد هُو السَّيِّد المسيح .

2 - قوانين الكَنيسة ليست مُلْزِمَة ؛ إلاَّ إذا اتَّفقت وانطبقتْ مع الكتاب المُقدَّس .

3 - تبرُّر الإنسان هُو بالمسيح فحسب .

4 - الكتاب المُقدَّس لا يُعلِّم حُضُور المسيح الفعليّ الحقيقيّ ضمن الخُبز والخمر المُتناولَيْن في العشـاء السِّرِّيِّ ، والخُبز والخمـر ليسـا سـوى علامـات - فقـط - تُذكِّرنـا بـآلام المُخلِّص ، وتُستخدَم لأجل تمتين إيماننا في حقيقة الفداء .

5 - إجراء القدّاس بالطّريقة والمفهوم المعمول به إهانة كبيرة لتضحية وفداء وموت السَّيِّد المسيح . وبهذا ؛ يكون زْفِيْنْغْلي قد أقصى - بحزمٍ - كُلَّ طَقْسٍ من الخدمة الإلهيَّة .

6 - لا يُوجد أيُّ مُستند في الكتاب المُقـدَّس لوسـاطة القدِّيسـين ، أو شـفاعة الموتـى ، ولا لتقديس التّماثيل ، والصُّور ، والأيقونات ، وتعظيمها ، والحجّ إليها ، وعَدَّ زْفِيْنْغْلـي إكرام الأيقونات مُساوياً لعبادة الأصنام .

7 - لا مُستند في الكتاب المُقـدَّس لعقيـدة وُجُـود المَطْـهَر **Purgatory** الـذي يكـون بـين الجنَّة والنّار .

8 - الزّواج يجب أنْ يكون مُتاحاً للجميع ، بمَنْ فيهم رجال الكَنيسة .

وقد أقدم زْفِيْنْغْلي - كترجمةٍ لقناعاته الفكْريَّة إلى أفعال عمليَّة - على الزّواج - سرّاً - من "آنا راينهارد" ، ثُمَّ بعد عامَيْن ؛ أعلن عن هذا الزّواج جهاراً ، وكانت "آنا" أرملـةً ، وأُمّاً لأحـد تلاميذه ، ثُمَّ أحرزت حَرَكَة الإصلاح في زوريخ نصراً حاسماً على إثر المُناقشـات العامَّـة التـي دارت في 22 كانون الثّاني 1522 ، و26 و28 تشرين الأوَّل من العام نفسه ، وقـد قـدَّم زْفِيْنْغْلـي في المُناقشة الأُولى سبعاً وستِّين قضيَّة ، نَشَرَهَا بالألمانيَّة تحـت عُنـوان "عـرض القضايـا وأدلّتـها" 1523 . أمَّا مُؤلَّفه الرّئيسي "في الدِّين الحقِّ والكاذب" ؛ فَصَدَرَ عام 1525 .

وابتداءً من تلك الأعوام؛ توحَّدت سيرة زْفينْغْلي مع أحداث حَرَكَة الإصلاح البرُوتستانتي في زوريخ وسويسرا الألمانيَّة، وصرَّح سكَّان زوريخ عَلَناً بأنَّهم مع الإصلاح. وفي سنة (1524 ـ 1525)؛ أدخل الإصلاحيُّون عندهم تنظيماً كَنَسيّاً جديداً: ألغوا فيه خدمة القدَّاس، وأدخلوا في الخدمة الإلهيَّة اللُّغة المحلِّيَّة، وأُخرجت الأيقونات من الكنائس، وتحوَّلت أديرة الرُّهبان إلى مدارس ومؤسَّسات خيريَّة. . إلخ، وانتشر إصلاح "زْفينْغْلي" الكَنَسي إلى أماكن أُخرى في سويسرا، فضلاً عن زوريخ؛ مثلاً في بازيل، وبرن، وشافغوزن، وغيرها، وبقيت (ليوتسرن، وشفيتس، وأُوري، وغيرها) مُخلصة لكَنيسة رُوما؛ لأنَّ الإصلاح الكَنَسي مسَّ مصالحها السِّياسيَّة، وبسبب ذلك؛ حَدَثَ بين الإصلاحيِّيْن والكَاثُوليك مُخاصمات أدَّت إلى اصطدامات مُسلَّحة بين الفريقَيْن.

كان الإصلاح الذي سار فيه زْفينْغْلي ذا طبيعة أكثر جَذْريَّة ـ بمعنى من المعاني ـ من الإصلاح اللُّوثري، سواء من حيثُ تبسيط شعائر العبادة أم من حيثُ الفكْر اللاَّهوتي الذي، وإنْ يكن أقلّ أصالةً وعُمقاً، فإنَّه أكثر تجاوباً مع المُتطلَّبات العقلانيَّة للمذهب الإنساني، ومع الحياة المَدَنيَّة المُكلفة للكانتونات (أيْ المُقاطعات) السُّويسريَّة. وقد سعى زْفينْغْلي ـ بصفته مُنظِّماً ـ إلى نَشْر الإصلاح في سويسرا الألمانيَّة، وإلى توحيد قوى الكانتونات (الولايات) البرُوتستانتيَّة، وإلى عقد الأواصر مع الإصلاح الألماني: لكنْ؛ ـ هُنا بالتَّحديد ـ باءت مُحاولته بالفَشَل، بالنَّظَر إلى الخلاف في التَّصوُّر بينه وبين لُوثر حول العشاء السِّرِّيِّ (الأفخاريستيا) (العقلي والرّمزي ـ فقط ـ لدى زْفينْغْلي، والصُّوفي والواقعي لدى لُوثر)، وقد كرَّست مُباحثات ماربُورغ (1529)، الانفصالَ النّهائي بين الإصلاحيَّيْن.

وجاءت مسألة مدِّ الإصلاح إلى بعض الأقاليم التي كان فيها للمُقاطعات الكَاثُوليكيَّة والمُقاطعات البرُوتستانتيَّة حُقُوق مُشتركة لتُشعل فتيلَ صدام مُسلَّح بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت، وبدت على تحالف "برْن" و "زوريخ" البرُوتستانتي علائم الخور، وتردَّدت القُوَّات البرْنيَّة في نجدة الزّوريخيِّيْن؛ ومُنيَ الجيش البرُوتستانتي **canton** الشّعبي الصّغير، المُؤلَّف من ألفَيْن وخمسمائة رجل بهزيمة على أيدي الميليشيَّات الكَاثُوليكيَّة في معركة كابِّل **Kappel** في **11** تشرين الأوَّل **1521**، وانهزم زْفينْغْلي ـ الذي رافق الزّوريخيِّيْن بالخوذة

والدّرع بصفة مُرشد رُوحي عسكري - مع المُنهزمين، ولقي مصرعه، وجرى التَّعرُّف على جُثّته، فقُطِّعت أوصالُها، وأحرقَهَا الجلاَّد. وكان من نتائج معركة كابِّل - التي هلك فيها خمسمائة رجل من أكثر مُناضلي الإصلاح السُّويسري فعَّاليَّةً - جمودٌ في حَرَكَة توسُّعه. وقد نُشر - أيضاً - لزْفينْغْلي بعد وفاته عرضٌ مُقتضبٌ وواضحٌ للدِّين المسيحي باللاَّتينيَّة سنة 1536، ونُقل عن لُوثر قوله عن زْفينْغْلي: « إنَّ موت زْفينْغْلي هُو العقاب المُستأهل على كبريائه التي لا تُقاسُ! ». وقال عنه "بُوسويه": « لابُدَّ من الاعتراف بأنّه كان ذا قُوَّة ذهن كبيرة، وما كان ينقصه شيء سوى القاعدة الضّابطة التي لا يُمكن الحُصُول عليها إلاَّ في الكَنيسة، وتحت نير سُلطة شرعيَّة ». أمَّا فُولتير؛ فكان يقول: « عندما أسَّس زْفينْغْلي المشهور ذاك شيعته، بدا أكثر حماسةً للحُرِّيَّة منه للمسيحيَّة. ».

رابعاً: حَرَكَة اللاَّهوتي الفرنسي جان كالفن الإصلاحيَّة:

بعد وفاة زْفينْغْلي؛ خَمَدَت ثورته الكَنَسيَّة التي أحدثها في سويسرا الألمانيَّة. ولكنْ؛ سُرعان ما وُجدَ أعلامٌ آخرون واصلوا مسيرته في التّغيير والإصلاح، وكان أشهرهم غليوم فاريل Guillaume Farel (1509 - 1564) الذي ظهر في جنيف سنة 1532م، وعمل هُنالك بنجاح، جَعَلَ السُّكّان في سنة 1535م، يُعلنون عن أنفسهم، بحزم، أنَّهم من مُؤيِّدي الإصلاح. وبدأوا في السّنة التّالية يُدْخلون تنظيماً كَنَسيّاً جديداً يتّفق وتعليم زْفينْغْلي. إلاَّ أنَّ التّنظيم النّهائي على مبادئ الإصلاح للجمعيَّة الدِّينيَّة الجديدة التي نشأت في سويسرا، كانت مدينةً لجُهُود اللاَّهوتي الفرنسي في جنيف القسِّيس الإصلاحي الجافِّ المُتشدِّد جان كالفن John Calvin (1509 - 1564).

وُلد جان كالفن في مدينة نوايون Noyon في فرنسا عام 1509، ومات في مدينة جنيف Geneva في الجُزء الفرنسي من سويسرا عام 1564. أراد ذووه أنْ يدخل السّلك الكَهَنُوتي، وأرسلوه في الرّابعة عشرة من العُمر إلى باريس للدّراسة. فَدَرَسَ - أوّلاً - على ماتوران كُوديه، أحد مُؤسِّسي علم التّربية الحديث، ثُمَّ انتقل - بعد ذلك - إلى معهد مُونتيغو Montaigue (فرع لجامعة باريس)؛ حيثُ انحفرت في ذاكرته دُرُوس أنطوان كُورُونل في

المنطق، ودُرُوس اللاَّهوتي الاسمي جان مير. وقد اتَّصل بالأوساط الإنسانيَّة[1] في العاصمة الفرنسيَّة، وتعرَّف العالم الإنساني الفرنسي الشّهير " غوْيُّوم (أو غليوم) بُوده" (1467 ـ 1540) **Guillaume Budé** عن طريق أبناء غليوم كُوب، طبيب فرانسوا الأوَّل. وأرجح الظَّنِّ أنَّه سمع ـ مُنذُ ذلك الحين ـ بكتابات لُوثر وميلانختون، ولكنْ؛ بدُون أنْ يُزعزع ذلك وفاءه للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة. ونحو عام **1529** ـ وكان حصل على درجة الأُستاذيَّة في الفُنُون ـ عزف عن اللاَّهوت، وتوجَّه ـ بناء على أمرٍ من أبيه ـ إلى أُورليان **Orléans** ليدرُس القانون على بيير دي لتوال، وهُو واحد من خيرة الحُقُوقيِّين الفرنسيِّين في ذلك العصر. وبعد ذلك بعدَّة أشهر قصد بُورج **Bourges**، وقد اجتذبه إليها شُهرة الحُقُوقي الإيطالي ألسياتو. وتشرَّب بالمناهج الحُقُوقيَّة الجديدة، وتحصَّلت له معرفة متينة بالقانون الرُّوماني.

لكنْ؛ ظلَّت الدُّرُوس الأدبيَّة تجتذبه. وعليه؛ وعندما صار سيِّد مصيره غداة وفاة والده (**1531**)، تبع في باريس دُرُوس القُرَّاء المَلَكيِّيْن المُعيَّنين من قبَل فرانسوا الأوَّل. وكان يعمل ـ آنذاك ـ في وَضْع أوَّل ملفَّاته، وهُو عبارة عن "شرح لكتاب سنيكا في التّسامح" **Commentary on Seneca's De Clementia**، وقد نَشَرَه سنة **1532**، وفيه أثبت كالفن أنَّه علاَّمة ضليع من مُستوى إراسموس، وبُوده. إنَّه عمل إنسي (**Humanistic**) أغرتْهُ الأخلاقيَّة الرّواقيَّة، واستحوذ على اهتمامه المفهوم الرُّوماني عن السِّيادة. وسيبقى كالفن ـ حتَّى نهاية حياته ـ وفيَّاً لمنهج الإنسيِّيْن، وإلى حدٍّ كبير، لرُّوحهم ولإعجابهم بالقُدامى. أمَّا هجماته على الإنسيِّيْن؛ فستستهدف الموقف الشّخصي لبعضهم، ولكنْ؛ ليس المذهب الإنسي بحدِّ ذاته.

إنَّ انضواء كالفن تحت لواء الإصلاح الدِّيني، الذي اقترح له الدّارسون تواريخ مُتباينة جداً، لا يُمكن أنْ يُوضع قبل ربيع **1534**، يوم تنازل عن امتيازاته الكَهَنُوتيَّة. وعن خطأ، فيما يبدو، يُسند إليه الخطاب المشهور الذي ألقاه في عيد جميع القدِّيسين سنة **1533**، صديقه

---

(1) الإنسانيَّة **Humanism** حَرَكَة فلسفيَّة وأدبيَّة انطلقت في إيطاليا، وعمَّتْ غرب أُورُوبا في القرنَيْن الرّابع والخامس عشر الميلاديَّيْن، قوامها التّأكيد على قيمة الفرد؛ أيْ الإنسان وكرامته ومنزلته، وأنَّ الإنسان كائن عاقل ينزع ـ في جوهره ـ إلى الحقيقة والخير. وقد أخذت هذه الحَرَكَة في إيطاليا منحىً أدبياً وفنيّاً، في حين توسَّع مجالها في سائر دُول أُورُوبا الوُسطى والغربيَّة، لاسيما فرنسا وألمانيا؛ لتأخذ ـ بالإضافة لذلك ـ منحىً تربوياً ولاهوتياً أيضاً، وكانت وراء انطلاق حَرَكَة النّهضة الأُورُوبيَّة **Renaissance**.

الخُوري نيقولا كُوب، وكان هذا الخطاب التّحريضي يعكس - في الحقيقة - أفكار الإصلاحيِّين الكَاثُوليكيِّين أكثر ممَّا يعكس أفكار البرُوتستانتيِّين. وقد اضطرُّ كالفن - الذي كانت علاقاته بكُوب معروفة - إلى مُغادرة العاصمة، وَطَلَبَ الملاذ لدى صديقه الكاهن تييه، ثُمَّ قصد بلاط مرغريت دي نافار؛ حيثُ التقى لُوفيفر ديتابل الشّهير، وفي أثناء مقامه الثّاني في أُورليان؛ حرَّر رسالته في نوم النُّفُوس، وهاجم فيها مذهب بعض القائلين بتجديد العماد، ممَّن كانوا يدَّعون أنَّ النُّفُوس تنام بعد الموت، وحتَّى يوم الحشر.

أخلى التّسامح النّسبي - الذي كانت تُبديه الحُكُومة الفرنسيَّة إزاء «اللُّوثريِّين» - مكانه لاضطهاد فظٍّ، عندما علَّق بعض المجهولين مُلصقات ضدَّ القدَّاس حتَّى باب القصر المَلَكي (تشرين الأوَّل **1534**). واضطرُّ على الأثر جميع أُولئك الذين كان يُشتبه بأنَّ لهم - من قريب أو بعيد - ضلعاً بالمُؤامرة التي اتُّهم بها أنصار الإصلاح إلى الاختباء، أو إلى اللّواذ بالفرار. وبما أنَّ كالفن كان - مُنذُ « ارتداده » - يقوم بدعاية نشطة لصالح الأفكار الجديدة، لم يجد - هُو الآخر - مناصاً من مُبارحة المملكة.

في الأسابيع الأُولى من **1535** أقام في بال (سويسرا)، وعكف يُطالع بنَهَم، واستطاع - في مدى بضعة أشهر - أنْ يُنجز كتابه باللاَّتينيَّة "تأسيس الدّيانة المسيحيَّة" **Institutes of the Christian Religion** الذي لم يخرج من المطبعة - مع ذلك - إلاَّ في آذار **1536**. كان أوَّل كتاب يعرض - بمنطق وتلاحم وشُمُول - فكْر الإصلاح الدِّيني. وسُرعان ما ترجمة مُؤلِّفه نفسه إلى الفرنسيَّة، وقد ظلَّ يُجري عليه تنقيحات مُتواصلة حتَّى ليجوز أنْ نعدَّه كتاب حياة بتمامها. ومهما تكن أهمِّيَّة كتابات كالفن اللاَّهوتيَّة الأُخرى، فإنَّ كتابه "التّأسيس" يتضمَّن أوفى عرض، وأكمل تركيب لأفكاره. ولقد ضمَّنه - أوَّل بأوَّل - حصيلة تأمُّلاته وتجاربه. وهكذا تضخَّم الكتاب عام **1536**، حتَّى صار سفْراً في أربعة مُجلَّدات وثمانين فصلاً (**1559 - 1560**).

ما كاد كالفن يشهد صُدُور ذلك المُؤلَّف الكبير الأوَّل حتَّى انتقل - لأسباب غير معلومة جيِّداً - إلى فيراري، مع صديقه تييه، قاصداً بلاط الدُّوق رينه دي فرانس الذي كان لاذ بحماه عدد من اللاَّجئين لأسباب دينيَّة.

وعلى الرّغم من جسامة المُجازفة؛ قصد ـ فيما بعد ـ باريس، ليُسوِّي فيها مع إخوته الإرث الأبوي. ومن هُناك؛ أراد الانتقال إلى ستراسبورغ، لكنَّ نُشُوب القتال بين جيُوش فرانسوا الأوَّل وشارل الخامس أرغمه على الانعطاف نحو جنيف، الأمر الذي سيترك أثراً دامغاً في الشّطر الثّاني من حياته.

فبناء على إلحاح من غوْيُّوم (أو غليوم) فاريل **Guillaume Farel (1509 ـ 1564)**، الزّعيم الرُّوحي لأنصار حَرَكَة الإصلاح الدِّيني في جنيف، قَبِلَ كالفن بأنْ يُعاونه في مهمَّته. وللحال؛ انقلب العالم الشّابُّ إلى واعظ ومُعلِّم ومُنظِّم للكَنيسة الجديدة. وقد أخضع المقالات بخُصُوص تنظيم الكَنيسة والعبادة والتّعليم واعتراف بالإيمان، لرقابة مجالس المدينة (وقد قبس هذا الأخير من كتابه التّأسيس). وكان من المفروض أنْ يحظى كتابه "الاعتراف بالإيمان" بمُوافقة جميع أرباب الأُسر، الأمر الذي أثار صُعُوبات. كما ثارت صُعُوبات أُخرى بصدد الانضباط الكَهَنُوتي الذي أراد كالفن وفاريل فرض العمل به، والذي رفضته مجالس المدينة. ومع ذلك؛ عُدَّت هذه المجالس مُتسامحة أكثر ممَّا ينبغي مع دُعاة الإصلاح، فاستُبدلت في عام **1538**، أعضاء من المُعارضة. وانفجر الصّراع الكامن عندما شاء والي المدينة أنْ يُطبِّق ـ بدُون استشارة القساوسة ـ الشّعائرَ العباديَّةَ المعمول بها في مدينة برن. فقد رأى كالفن وفاريل في هذه المُبادرة مساساً باستقلال الكَنيسة الذّاتي، ورفضا الانصياع للأمر، فأُقيلا، واضطُرَّا إلى مُغادرة المدينة **(1538)**.

قَبِلَ كالفن دعوة الإصلاحيَّيْن بُوسر، وكابيتون، للقُدُوم إلى ستراسبورغ، والتَّوطُّن فيها: وكانت هذه المدينة ـ بفضل ذينكَ الإصلاحيَّيْن، وبفضل العبقريَّة السِّياسيَّة لجاك ستورم ـ قد أضحت ـ في مدى سنوات قليلة ـ واحداً من أهمِّ مراكز البرُوتستانتيَّة الأُورُوبيَّة. وعلى مدى السّنوات الثّلاث التي أمضاها كالفن في ستراسبورغ؛ عمَّق معارفه اللاّهوتيَّة، نتيجة لاتِّصاله ببُوسر، واستكمل إنشاء تصوُّراته الكَهَنُوتيَّة بما قبسه من معين المُؤسَّسات السّتراسبورغيَّة. وَوَضَعَ ليتورجيا جديدة اعتمدتْها ـ فيما بعد ـ كنيستا جنيف وفرنسا البرُوتستانتيَّتان. ولمَّا عُيِّن أُستاذاً في المدرسة العُليا، مهد جامعة ستراسبورغ، علَّم فيها إنجيل يُوحنَّا، ورسائل بُولُس الرّسول. وفي عام **1539**، أصدر "الشُّرُوح على رسالة بُولُس إلى أهل

رُوميَّة"، وكانت بمثابة فاتحة باهرة لسلسلة طويلة من التّصانيف الشّرحيَّة التي ظلَّ يعمل فيها إلى آخر حياته. وفي عام 1541، صدرت له "مقالة صغيرة في العشاء السِّرِّيّ"، حاول فيها أنْ يُوَضِّح - برسم الجُمهُور العريض - وُجْهة نَظَره الخاصَّة في الحُضُور الواقعي والرُّوحي للمسيح في العشاء السِّرِّيّ. وقد أثبت كالفن - في هذا النَّصّ، وفي ترجمته الفرنسيَّة لتأسيس الدّيانة المسيحيَّة - أنَّه من أطول النّاثرين الفرنسيِّيْن في القرن السّادس عشر باعاً. والحقُّ أنَّه كان - بأُسلُوبه الواضح والمرن والباتر - واحداً من خالقي الفرنسيَّة المُحْدَثَة.

عن طريق أهل ستراسبورغ؛ اتصل كالفن بالبرُوتستانتيَّة الألمانيَّة: فقد التقى ميلانختون **Melanchthon** في فرانكفورت سنة **1539**، وَحَضَرَ ندوة راتسبون (**1541**) بصفته مندوباً رسمياً عن ستراستبورغ، إلى جانب ستورم، وبُوسر. وبدا وكأنَّ كالفن سيُقيم إلى آخر حياته في ستراسبورغ، فساعده أصدقاؤه على تأسيس منزل، وفي آب **1540**، تزوَّج من ايدليت دي بور، أرمل رجل من دُعاة تجديد المَعْمُوديَّة كان هداه إلى البرُوتستانتيَّة.

بيد أنَّ حياة كَنيسة جنيف أصابها خَلَلٌ واضطراب من جرَّاء نَفْي قسِّيها الرّئيسيِّيْن. وواصل كالفن اهتمامه بمصير الطّائفة الجنيفيَّة: وقد تدخَّل لتسكين المُنازعات التي أشعل رحيلُهُ فتيلَهَا، وَنَشَرَ في عام **1935**، "رسالة إلى الكاردينال سادوليه" ردّاً على رسالة كان وجَّهها هذا الأخير إلى أهل جنيف داعياً إيَّاهم إلى العودة إلى حُضن الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة. لكنَّه لمَّا دُعي إلى الرُّجُوع إلى جنيف، لم يُلبِّ الدّعوة إلاَّ بعد تردُّد طويل. وفي **13** أيلول **1541**، عاد - أخيراً - إلى الظُّهُور على ضفاف بُحيرة ليمان، مع برنامج مُحدَّد جيِّداً، ومع العزم على تحويل جنيف إلى مركز للدّعاية البرُوتستانتيَّة برَسْم فرنسا.

بالإضافة إلى دُرُوسه الشّرحيَّة ومواعظه اليوميَّة وَجَدَ كالفن عام **1542**، الوقت ليُحرِّر باللاَّتينيَّة كتابه: "الدّفاع عن مذهب جَبْريَّة الاختيار"، داحضاً حُجج الكَاثُوليكي بيغيوس حول حُرِّيَّة الاختيار. وفي السّنة التّالية **1543**، ظهر له بالفرنسيَّة مقالة الذّخائر (أيْ الأيقونات)، التي شنَّ فيها هُجُوماً عنيفاً على عبادة الذّخائر، و"المقالة المُقتضبة حول ما ينبغي أنْ يفعله رجل مُؤمن بين البابويِّيْن"، وأتبعهما في عام **1544**، برسالته "الاعتذار للسّادة

النّيقُوديميِّيْن"؛ حيثُ هاجم «النّيقُوديميِّيْن»؛ أيْ أنصار حَرَكَة الإصلاح الدِّيني الذين لا يجسرون على المُجاهرة بإيمانهم.

كان جُلُّ أنصار كالفن ومُعاونوه من اللاَّجئين الفرنسيِّيْن الذين كانوا يتدفَّقون على جنيف. وكان جُلُّ خُصُومه من «الزّنادقة» (الرُّوحيِّيْن) الذين كانوا يعرضون ما يعتبرونه تعدِّياً من قبَل الهيئات الدِّينيَّة على مضمار السُّلطة المَدَنيَّة. وضدَّ هؤلاء كَتَبَ كالفن في عالم 1545، الرَّدَّ على شيعة الزّنادقة الخياليَّة، كما كَتَبَ مُقدِّمات لخُلاصة ميلانختون، ولتوراة جنيف، وتتمَّة الشُّرُوح التّوراتيَّة التي شملت أسفار مُوسى الخمسة، وسفْر يُوشع، والمزامير، وسفْر الأنبياء، وكُلّ العهد الجديد؛ باستثناء رُؤيا يُوحنَّا.

في أثناء ذلك؛ كانت المُعارضة ضدَّ كالفن تقوى، وتشتدُّ. وفي عام 1554، فاز «الزّنادقة» الرُّوحيُّون بالغالبيَّة في الانتخابات، ولكنَّ موقع كالفن لم يتزعزع بالنَّظَر إلى تدفق أعداد جديدة من المُهاجرين. على أنَّه في الوقت الذي كان فيه بأمسِّ الحاجة لكُلِّ قواه ليُحبط مكائد أعدائه، راحت صحَّته ـ الواهنة مُنذُ عهد شبابه ـ تتدهور، بينما حلَّ الحداد بمنزله بوفاة زوجته (آذار 1549). وفي عام 1553، انفجرت قضيَّة سرفيتوس الشّهيرة. فمُنذُ عام 1531، كانت الطّبيب الأسباني ميخائيل سرفيتوس[1] Michael Servetus قد اعترض ـ في رسالةٍ له ـ على التّعاريف التّقليديَّة لعقيدة الثّالوث. ولَّما لجأ إلى فيينا عام 1540، حرَّر فيها ـ سرّاً ـ "إحياء النّصرانيَّة"، داعياً إلى العودة إلى المسيحيَّة الأُولى، ومُنتقداً الكَنيسة الكاثُوليكيَّة، والإصلاحيِّيْن البرُوتستانتيِّيْن في آنٍ معاً. وتبادل سرفيتُوس بعضَ الرّسائل مع كالفن، فَدَحَضَهُ هذا بإيجاز (1545). وفي عام 1533، طُبِعَ الكتاب، ووصلتْ نُسخة منه إلى جنيف، فَبَعَثَ غليوم دي تري ـ وهُو صديق حميم لكالفن ـ بخبره إلى مُراسلين له من مدينة ليون، فاستطاع هؤلاء أنْ يتعرَّفوا شخص مُؤلِّفه. ودُعي سرفيتوس إلى المُثُول أمام

---

(1) الطّبيب الأسباني ميخائيل سيرفيتوسMichael Servitus (1151 ـ 1553): تأثَّر بحَرَكَة الإصلاح البرُوتستانتيَّة، لكنَّه خطا في الإصلاح خُطوات جَذْريَّة وجريئة أكثر، فرأى بُطلان عقيدة التّثليث، ورأى عدم أُلُوهيَّة المسيح، وكان يُسمِّي الثّالوث بـ" الوحش الشّيطاني ذي الرُّؤُوس الثّلاثة!" وقام بحَرَكَة نشطة جداً في الدّعوة إلى التّوحيد التَّامِّ، وقد اتَّهمَتْهُ الكَنيسة بالهَرْطَقَة، واعتقلتْهُ، ثُمَّ أعدمتْهُ حَرْقاً، لكنَّ أفكاره وكتاباته انتشرت في وسط وشرق أُورُوبا، وصار لها عشرات الأُلُوف من الأتباع والمُؤيِّدين، وسيأتي الكلام عليه عند الكلام على الحَرَكَة السُّوسيانيَّة.

محكمة فينيا الأسقفيَّة؛ وحتَّى يُثبت دي تري التُّهمة عليه أبرز الرّسائل التي كان «المُجدِّف!»، بَعَثَ بها إلى كالفن (وقد اختلسها من هذا الأخير اختلاساً). وأفلح سرفيتوس في الهرب، لكنْ؛ شاء له عدم تبصُّره أنْ يمرَّ بجنيف، فأُلقي القبض عليه. وعلى الرّغم من أنَّ مجلس المدينة لم يكن يتعاطف مع كالفن، فقد قرَّر أنْ يُتابع القضيَّة. وأصرَّ الطّبيب "سرفيتوس" على موقفه الصّلب، وعقيدته في التّوحيد، ونَفْي التّثليث، فاتَّفق كالفن والمجلس - على الرّغم من كُلِّ شيء - على أنْ يجعلا المُتَّهم عبرةً لَمنْ يَعتبر!، يُؤيِّدهما في ذلك إجماع كنائس سويسرا. وفي 26 تشرين الأوَّل حُكم على "سرفيتوس" المُوحِّد بالإعدام حَرْقاً، ووافق كالفن على عُقُوبة الحَرْق، رغم أنَّه كان يُفضِّل عليها عُقُوبة قَطْع الرّأس!. ولقي الشّهيد "سيرفيتوس" المصير عينه الذي كان الكَاثُوليك والبرُوتستانت على حدٍّ سواء قد خبَّؤوه، من قبله، للمئات ممَّن أسموهم، بـ «الهراطقة اليابسي الرُّؤُوس!» ودُعاة تجديد المَعْمُوديَّة **Anabaptists**. وقد حظي موقف كالفن باستحسان غالبيَّة اللاَّهوتيِّيْن (!)، ولم يجرؤ سوى سيباستيان كستيليون على الدّفاع عن جانب التّسامح، ممَّا جلب عليه ردّاً لاذعاً من جانب كالفن (تصريح للحفاظ على الإيمان الحقِّ بالثّالوث، **1554**)، وخرجت سُلطة المُصلح من هذه المَعْمَعَة مُعزَّزة، لكنَّ المُعارضة الجنيفيَّة لم تلقَ السّلاح. ولكنْ؛ في عام **1555**، استطاع الكالفنيُّون أنْ يستحوزوا على الغالبيَّة في المجالس في جنيف. ومُذَّاك؛ عُقد إزار النّصر للقضيَّة بصُورة نهائيَّة. وفي عام **1559**، نال كالفن حقَّ البُورجوازيَّة.

حرَّر كالفن - في أثناء ذلك - عدداً آخر من المُؤلَّفات؛ دفاعاً عن بعض نُقاط المذهب. ونخصُّ - هُنا - بالذِّكْر مقالة الفضائح (**1550**)، التي كَتَبَهَا ضدَّ الانحرافات الوَثَنيَّة للبشريَّة. وعلى إثر التَّهجُّمات التي تعرَّض لها مذهبه في الجَبْر، ردَّ بمقالة "في الجَبْر الأزلي" (**1552**). وبعد ذلك بثلاث سنوات؛ نشبت الخُصُومة بينه وبين اللُّوثري "وستفال الهامبورغي" حول العشاء السِّرِّيِّ، وكَتَبَ كالفن في **1555** و**1556** و **1557**، على التّوالي ثلاثة دُحُوض هي بمثابة آية في الحجاج اللاَّهوتي. وفي عام **1558**، استرعت انتباهه الدّعاوي التي كانت رائجة في أوساط المُهاجرين الطّليان بجنيف ضدَّ عقيدة الثّالوث، فحرَّر - بهذه المناسبة - بالفرنسيَّة "الإجماع حول أُلُوهيَّة يسُوع المسيح، والرّدّ على الإخوة البُولُونيِّيْن" (**1560**)، وكان كتابه "التّأسيس" قد

اكتسب شكله النّهائي قبل سنتَيْن. وفي السّنتَيْن الأخيرتَيْن من حياته نَشَرَ كالفن - علاوة على ذلك - دُرُوساً حول الأنبياء، وَسَمَحَ بطَبْع عدَّة مجموعات من المواعظ حول العديد من أسفار التّوراة، وكان - في الوقت نفسه - يُراسل - بغزارة - برُوتستانتيِّيْ فرنسا وباقي أُورُوبا (ترك أكثر من 1300 رسالة). ولنذكر - أخيراً - أنَّه توَّج عمله في عام 1559، بإنشائه أكاديميَّة جنيف، التي صارت مركزاً لدِّراسات الإنسانيَّة واللاَّهوتيَّة للبرُوتستانتيِّيْن النّاطقين بالفرنسيَّة.

كان المرض ينهش جسمه مُنذُ عدَّة سنوات، وتفاقم على نحو في شُباط 1564، فودَّع في نهاية نيسان زُملاءَهُ، وَحَضَرَتْهُ الوفاة في 27 أيَّار 1564، وترك وراءه نتاجاً راح تأثيره يتعاظم، ويمتدُّ إلى ما وراء الحاضرة الجنيفيَّة، ليسمَ بمَيْسَمه الكنائسَ البرُوتستانتيَّةَ في أُورُوبا وأمريكا قاطبةً.

وجَّه "كالفن" نشاطه، وهُو يُتابع عمل زْوينغلي على رأس الحزب الإصلاحي في "جنيف"، وجَّه نشاطه - بنوع خاصٍّ - إلى إصلاح الآداب، مُطبِّقاً إيَّاها على تعليمه عن القَدَر المُحدَّد السّابق لكُلِّ إنسان (أيْ عقيدة الجَبْر)؛ حيثُ كان يرى أنَّ عقيدة الجَبْر أو القَدَر السّابق التّحديد التي لا يعلم أحدٌ فيها هل هُو مُعيَّنٌ للخلاص أم للهلاك، يجب - حسب رأيه - أنْ تُنبِّه شُعُور الإيمان والاستسلام لإرادة الله لدى الإنسان، وتميل به نحو الحياة الأخلاقيَّة الصِّرفة، وما أشبه. ولهذا؛ كان يطلب من تابعيه المُعينين للخلاص حياةً نسكيَّةً صارمةً. فكانت قوانين الحياة التي سلَّمها لأهل "جنيف"، والتي ارتقتْ - بفضل مساعيه - إلى درجة أنْ أصبحت في سنة 1538م - بواسطة مجلس "جنيف" - قوانين حُكُوميَّة نافذة تشمل كُلَّ حياة النّاس، واتَّصفت بالتَّزمُّت والصّرامة والجفاف، فقد منعت تلك القوانينُ - مثلاً - النّساءَ من إظهار التَّبرُّج على أنواعه، وَمَنَعَتْ النّاس من إقامة الحفلات، والغناء الدُّنيوي، والمُوسيقى، والألعاب، وتعقَّبتْهَا، وعاقبت عليها بعُقُوبات تأديبيَّة مُختلفة، وبشدَّة لا هوادة فيها، فمثلاً؛ كان يترتَّب على المُخالفة الحقيقيَّة ضدَّ الإيمان والآداب (كالتّجديف والاستهزاء وحياة الخلاعة) يترتَّب عليها النَّفْي من البلاد، وحتَّى عُقُوبة الإعدام. وقد أثارت تلك القوانينُ القاسيةُ الكثيرين ضدَّ "كالفن"، وتشكَّل حزبٌ قوميٌّ من النّاقمين، أجبره على الهَرَب من

"جنيف"[1]، ولم يتمكَّن من العودة إليها؛ إلاَّ بعد أنْ انتصر أتباع "كالفن" في "جنيف" على خُصُومهم في سنة 1541م، فأخضع لتأثيره عند ذاك كُلَّ سُكَّان "جنيف"، وتسلَّط عليهم ـ بلا حُدُود ـ في مدى عشرين سنة وأكثر، تمكَّن ـ خلالها ـ من تسيير العمل إلى النّهاية. وَجَعَلَ عقيدة القَدَر السّابق التّحديد عقيدةً أساسيَّة للجمعيَّة الجديدة التي أسَّسها، وأدخل في حياتها ـ أيضاً ـ المبادئ الأخلاقيَّة الصّارمة، كوُجُوب الابتعاد عن كُلِّ الحفلات الدُّنيويَّة، حتَّى التّسليات البريئة، أو التي لا أهمِّيَّة لها بنَظَر القواعد الأخلاقيَّة، وبالتَّالي؛ صار الاحتقار التَّعصُّبي للغنى ولحفلات الغناء، وصرامة الآداب البالغة حتَّى الأُمُور التّافهة في الحياة البيتيَّة والعُمُوميَّة، وترافقها مع عدم التّسامح والتَّعصُّب ضدَّ المُخالفين لدرجة التّكفير والإعدام، كما حصل تجاه الطّبيب المُوحِّد "سيرفيتُوس"، كُلُّ ذلك صار من الصّفات المُميِّزة لأتباع "كالفن". وعلى مثال زْفِيْنْغْلي؛ ذَهَبَ "كالفن" أبعد من "لُوثر" في إصلاح الخدمة الإلهيَّة (أيْ العبادة في الكَنيسة)، فقد أبْعَدَ من الكنائس كُلَّ ما يُذكِّر بالكَثْلَكَة ـ الأيقونات، الصُّلبان، الموائد، وغيرها. وأخرج حتَّى المُوسيقى، والزّخارف، والزّينات الكَنَسيَّة المُتنوِّعة. واختُصرت الخدمة الإلهيَّة ذاتها على الوَعظ، وتلاوة الصّلوات، وترتيل المزامير ترتيلاً بسيطاً بلا فنٍّ، وأُلغي كُلُّ نوع من الطُّقُوس. وقد تمسَّك "كالفن" بسرَّيْن: المَعْمُوديَّة والمُناولة، وكان يُتمِّم الأوَّل بالرَّشِّ وحده بالماء، بدُون علامة الصّليب، والثّاني بصُورة كَسْر الخُبز لكُلِّ واحد من الحاضرين بالدَّوْر وهُم جُلُوس. ورفض "كالفن" الرّئاسة مثل "لُوثر"، واستعاض عنها بالمُعلِّمين والوُعَّاظ، وأقام ـ وُفق ذلك ـ وظيفة الشُّيُوخ لأجل الرّقابة على حياة أعضاء كُلِّ جماعة، والشّمامسة لأجل إدارة المُؤسَّسات الخيريَّة، وسلَّم انتخابات كُلِّ هؤلاء الأشخاص المُوظَّفين ليس للسُّلطة العلْمانيَّة نظير "لُوثر"، بل للجماعة ذاتها. وعندما مات "كالفن" في سنة 1564م، دُعيَت الجمعيَّة البرُوتستانتيَّة التي أسَّسها في "جنيف" بالجمعيَّة الإصلاحيَّة، ودُعيت ـ أيضاً ـ باسم الكالفينيَّة.

---

(1) إنَّ الاستياء من إصلاح "كالفن" ابتدأ مُنذُ مجيئه إلى "جنيف"، ونما دائماً. ونشأت في مُحيط المُستائين شيعةٌ إصلاحيَّة ليبراليَّة، رفضت ـ بالاستناد إلى تعليم كالفن عن القَدَر سابق التّحديد ـ كُلَّ أنواع القواعد الأخلاقيَّة، وأدخلت الحُرِّيَّة التَّامَّة والإرادة المُطلقة في سُلُوك الإنسان على أساس سابق التّحديد؛ حيثُ تصبح الحياة الأخلاقيَّة أو غير الأخلاقيَّة لا أهمِّيَّة لها في أمر الخلاص، وهذا الأمر أحْدَثَ قلاقلَ كثيرة في "جنيف".

والخُلاصة أنَّ أهمَّ ما ميَّز الكالفينيَّة كان التَّزمُّت الدِّيني الصّارم ، والتّأكيد الشّديد على عقيدة القَدَر السّابق ، والإيمان بلُزُوم تبعيَّة الحُكُومة ، والنّظام الاجتماعي كُلّه للتّعاليم الدِّينيَّة ، وخُضُوع الكُلِّ لأوامر ووصايا الله . فالكالفينيَّة تختلف - تماماً - وتتناقض مع العلْمانيَّة التي تُطالب بفَصْل الدِّين عن الدّولة ، والتي نادى بها - فيما بعد - بعض المُنشقِّين عن البرُوتستانتيَّة ؛ مثل المينُونيُّون (فرع من فرقة الأَنَابَابْتيسْت القائلون بإعادة العماد) .

- انتشار التّعليم الكالفيني في فرنسا وهُولاندا واسْكُتْلاندا :

انتشرت الكالفينيَّة من "جنيف" إلى سائر أنحاء سويسرا الفرنسيَّة والألمانيَّة ، وصارت هي المذهب المُسيطر هُنالك ، وفوق هذا دخلت - أيضاً - في بلاد أُخرى من أُورُوبا ، وبنوع خاصٍّ في فرنسا ، وهُولاندا واسْكُتْلاندا . وقد ساعدت جامعة "جنيف" - التي أسَّسها "كالفن" - كثيراً على نَشْر الكالفينيَّة ؛ حيثُ تلقَّى فيها العُلُومَ كثيرون من الغُرباء برُوح الكالفينيَّة الصّريحة .

انتشار الكالفينيَّة في فرنسا :

دخلت الكالفينيَّةُ فرنسا في حياة "كالفن" ذاته ، الذي أرسل إلى هُناك وُعَّاظاً لنَشْر تعليمه . وقد وَجَدَ التّعليمُ الجديدُ أتباعاً كثيرين بين النُّبلاء والإكليروس وسُكَّان المُدُن والشّعب البسيط . ، حتَّى أنَّ بعض أبناء الأُسرة الفرنسيَّة المالكة صاروا من أتباع الكالفينيَّة . وكان من نتيجة ذلك ظُهُور جماعات كالفينيَّة مُنظَّمة على مثال جماعات "جنيف" في كُلِّ فرنسا ، وخُصُوصاً في جنوبها .

وحيثُ أنَّ مُلُوك فرنسا المُعاصرين لهذه الحَرَكَة الإصلاحيَّة (فرانسيسك الأوَّل الذي مات سنة **1547** ، وهنري الثّاني الذي مات سنة **1559** ، وفرانسيسك الثّاني الذي مات سنة **1560**) ظلُّوا أُمناء لكَنيسة رُوما ؛ مارسوا ضدَّ الكالفينيِّين وسائل قَمْع قاسية مُختلفة الأنواع (مثلاً كانوا يحكمون بعُقُوبة الإعدام لأجل نَشْر أيِّ كتاب كلفيني) ، ولكنَّ هذه الاضطهادات جَعَلَتْ الكالفينيِّين المضغوط عليهم ، أو كما كانوا يُسمُّونهم في فرنسا "هُوغُونُوت" **Huguenots** - جَعَلَتْهُم يبحثون عن سند في جمعيَّتهم ذاتها ، فألَّفوا من جماعاتهم حزباً سياسيّاً قويّاً .

وفي سنة 1562 ، في أيَّام الملكة كاترينا مادیتشي ، التي تولَّت إدارة المملكة نيابة عن ابنـها القاصر كارل التّاسـع ، قـرَّرت الحُكُومـة الفرنسـيَّة أنْ تُعلـن حربـاً عَلَنيَّـة ضـدَّ كُـلِّ الكـالفينيِّيْن إجمـالاً . ونتيجـة لذلـك ؛ تسـلَّح الـهُوغُونُوت أيضـاً ، ونشبت في فرنسـا حـرب أهليَّـة دينيَّـة طويلة ، مصحوبة بقساوة مُتطرِّفة من قبَل أتباع الكَثْلَكَة . وفي ليلة برثُولُوماوس الشّهيرة (سـنة 1572) ، والأيَّـام التّاليـة لـها قَتَـلَ الكَـاثُوليك اللاَّتينيُّـون عشـرات الأُلُـوف مـن الـهُوغُونُوت . ولكنَّ كُلَّ تلك المذابح الدّمويَّة لم تفن الكالفينيَّة في فرنسا . ولكي تُعيـد الحُكُومـة الـهُدُوء إلـى البلاد ؛ اضطُرَّت ـ أخيراً ـ أنْ تمنح الكالفينيِّيْن الحُقُوق الدِّينيَّة والمَدَنيَّة . وفي سـنة 1598 ، وقبـل جُلُوسه على العرش ؛ أصدر الملك هنري الرّابع النّفاري ، المنسـوب إلـى حـزب الكـالفينيِّيْن ، أصدر لصالحهم ما سُمِّيَ بمرسوم نانت ، مَنَحَهُم فيه الحُرِّيَّة بالاعتراف بإيمانهم ، وإقامة الخدمة الإلهيَّة عَلَنَاً ، حتَّى ولو كانت في أماكن مُعيَّنـة ، وحـقَّ طَبْـع كُتُبـهم الدِّينيَّـة ، وأنْ يشـغلوا كُـلَّ الأماكن والوظائف في الدّولة . . . . إلخ . وفي سنة 1629 ، على عهد ليُودُوفيك الثّالث عشر تثبَّتت ـ من جديد ـ حُقُوق الكالفينيِّيْن في فرنسا بما يُسمَّى بالمرسوم العطوف المُعطى في نيم .

انتشار الكالفينيَّة في هُولندا:

انتقلت الأفكار الإصلاحيَّة إلى هُولندا مع تأليف "لُوثر" . لذلك ؛ فالفارق الدِّينيُّ الذي بدأ هُنالك كان له ـ في بادئ الأمر ـ شكلٌ "لُوثري" . ولكنْ ؛ بعد ذلك ، وبسبب قُرب الاتِّصـال مع سويسرا وفرنسا دخلت إلى هُناك الكالفينيَّة أيضـاً ، واكتسبت شـعبيَّة وغالبيَّـة هامَّـة ، وفي السِّنين الخمسين من القرن السّادس عشر كان في هُولندا جماعات كثيرة كالفينيَّـة مُنظَّمـة علـى مثال "جنيف" . ولم يتمكَّن الإمبراطُور كارل الخامس ، الذي كان لـه ، بصفتـه ملـك أسـبانيا ، سُلطان على الهُولنديِّيْن أيضاً ، لم يتمكَّن من إيقاف انتشـار التّعـاليم الدِّينيَّـة الجديـدة مـع كُـلِّ قسـوته ومُحاربتـه لـها . وفكَّـر خليفتـه فيليـب الثّـاني (1556 ـ 1598) في حفْـظ الـهُولنديِّيْن في حظيرة الكَثْلَكَة عن طريق إقامة أسقفيَّات جديدة ، وإدخال الحُكْم الإرهابي لمحاكم التّفتيـش . ولكنَّ الاضطهادات الدِّينيَّة التي ابتدأت بعد ذلك ، والإعدامات الكثيرة العدد ، سبَّبت الثّورة في هُولندا (سنة 1566) ، ولم تفدْ فيليب لا الإعدامات ، ولا المُحاكمات ، ولا التّعذيب الـذي مارسه ؛ لأنَّ الهُولنديِّيْن نـاضلوا ببسـالة (أمثـال فيلغـم ، ومُوريتـس أُورانسـك) عـن حُرِّيَّتـهم

الدِّينيَّة والسِّياسيَّة، وانتهى النّضال في سنة 1581، بانفصال سبع مُقاطعات هُولنديَّة عن أسبانيا الشّماليَّة، وأُلِّفَتْ جُمهُوريَّة هُولندا. وبتأليف الجُمهُوريَّة؛ تثبَّتتْ فيها الكالفينيَّة نهائيّاً.

انتشار الكالفينيَّة في اسْكُتْلاندا:

كانت اسْكُتْلاندا في القرن السّادس عشر مملكة قائمة بذاتها، مُستقلَّة عن إنجلترا، وكان ناشر الكالفينيَّة فيها شخص يُدعى جان نُوكس John Knox وقد بَرَزَ بمواعظه ضدّ كَنيسة رُوما في سنة 1547م. كان نُوكس قد تعرَّف - في "جنيف" - على إصلاح "كالفن"، فاعتنق أفكاره، وصار تابعاً غيُوراً له. وفور عودته إلى وطنه اسْكُتْلَنْدَا سنة 1555، بدأ ينشر تعليمه الصّارم بحماس بالغ. وتحت تأثير مواعظه الفصيحة، التي كان يهزُّ بها الجماهير الشّعبيَّة بالآيات الكتابيَّة المُخيفة، بدأ سُكَّان اسْكُتْلَنْدَا يطردون الكَهَنَةَ، ويحرقون الأيقونات، والزّينات الكَنَسيَّة، وأحياناً؛ الكنائس ذاتها... إلخ. ولم يكن في ذاك الوقت في اسْكُتْلَنْدَا حُكُومة قويَّة تتمكَّن من إيقاف هذه الحَرَكَة الدِّينيَّة المُتشدِّدة. كانت ملكة اسْكُتْلَنْدَا ماريا ستيوارت، التي كانت مُتزوِّجة من ملك فرنسا فرانسيسك الثّاني تعيش في فرنسا، وكانت أُمُّها تُدير اسْكُتْلَنْدَا بصفة وصيَّة. ولمّا ماتت الوصيَّة على العرش السّكوتلَندي سنة 1560، تسلَّم نُوكس وأشياعه السُّلطة بأيديهم، وَجَعَلوا البرلمان الاسكُتْلَندي يُعلن - في تلك السّنة ذاتها - إلغاء الكَثْلَكَة، وأنْ يُنادي بالكالفينيَّة ديانة الدّولة. فأحرز - بعدها - نُوكس في اسْكُتْلَنْدَا سُلطة كالتي كانت لكالفين في "جنيف"، وأصلح - نهائيّاً - كَنيسة اسْكُتْلَنْدَا على المبادئ الكالفينيَّة. ولمّا رجعت الملكة ماريا استيوارت إلى اسْكُتْلَنْدَا بعد وفاة زوجها، وتسلَّمت السُّلطة بيدها، لم تتمكَّن من اتِّخاذ أيِّ إجراءات هامَّة ضدّ إصلاح الكَنيسة، على الرّغم من أنَّها كانت كَاثُوليكيَّة مُتعصِّبة، وذلك بسبب صُعُوبات سياسيَّة ودوليَّة مُختلفة. وأدار اللاَّهوتي "جان نُوكس" نفسه، وحتَّى وفاته سنة 1572، كُلَّ الأعمال الكَنَسيَّة في اسْكُتْلَنْدَا، وثبَّتَ فيها الكالفينيَّة دائماً. وَوَضَعَ نُوكس - كما فعل "كالفن" - على الاسكُتْلَنديِّين مشايخ Presbyters لرعاية الكنائس.

خامساً: الحَرَكَة الإصلاحيَّة في إنكلترا وتأسيس الكَنيسة الأنكليكانيَّة:

مع انتشارها السّريع في أنحاء أُورُوبا، دخلت الآراء البرُوتستانتيَّة - أيضاً - في بلاد الإنكليز. ولكنَّ جهة الإصلاح اللاَّهوتيَّة قليلاً ما أشغلت العقُول هُناك، بل أكثر ما رغب فيه الإنكليز هُو طرح النّير البابوي، الذي كان مُسلَّطاً عليهم، خاصَّةً عند جَمْع الأموال الكثيرة لصالح رُوما والإكليروس. وكان هذا هُو سبب الاعتراضات الأُولى في إنكلْترا ضدَّ كَنيسة رُوما. أمَّا السّبب الأقرب لبدء حَرَكَة الإصلاح في إنكلترا؛ فكانت خُصُومة "هنري الثّامن" ملك إنكلْترا (1509 - 1547م) مع البابا "كليمنت السّابع". فقد أراد "هنري" أنْ يُطلّق زوجته "كاترينا أرّاغونا" لكي يتزوَّج من واحدة اسمها "أنَّا بولين"، وَطَلَبَ - في سنة 1527م - الطّلاق من البابا. ولكنَّ البابا - بتأثير إمبراطُور ألمانيا "كارل الخامس" ابن أخي "كاترينا أرّاغونا"، بعد مُماطلةٍ طويلةٍ - رَفَضَ طَلَبَهُ. فغضب الملك الإنجليزي، وقرَّر - عندئذٍ - أنْ يمضي بدُون البابا في قضيَّة الطّلاق والزّواج، وليس هذا فحسب، بل قرَّر أنْ يُزيل سُلطة البابا تماماً عن الكَنيسة الإنكليزيَّة. وفي سنة 1533م، وبمُوجب أوامر الملك؛ أصدر البرلمان الإنكليزي قانوناً بعدم علاقة بلاد الإنكليز مع البابا في الأعمال الكَنَسيَّة، وعن حُقُوق الملك العُليا في الكَنيسة، استناداً إلى تقليد أقرَّتْهُ الكَنيسة قديماً، وكان مُتَّبعاً في عهد الدّولة البيزنطيَّة يُعطي ملك كُلِّ بلد حقَّ إدارة وتدبير الكنائس الواقعة ضمن حُدُود مملكته. وفي سنة 1534م، أعلن هنري نفْسَهُ - بطريقة رسميَّة واحتفاليَّة - رأساً أعلى للكَنيسة الإنجليزيَّة بدل البابا، ورحَّب أكثريَّة الأساقفة والكَهَنَة في إنكلترا بهذا التّرتيب الجديد في الإدارة الكَنَسيَّة، لأنَّه لم يتعرَّض للآراء العقائديَّة (الكَاثُوليكيَّة) بشيء، أمَّا الذين لم يعترفوا برئاسة الملك، أو شكُّوا بها؛ فقد تعرَّضوا للاضطهاد والإعدام، ثُمَّ أقفل هنري كُلَّ الأديرة في إنكلترا (سنة 1538)، وحوَّل مُقتنياتها لصالحه، ولم يعمل هذا الملك المُنشقُّ شيئاً تقريباً لأجل تعليم الإيمان، وبما أنَّه تثقَّف ثقافة لاهوتيَّة سكولاستيكيَّة فقد بقي في سائر اعتقاداته كَاثُوليكيَّاً، كما كان قبل الانفصال عن البابا، بل كان يُبغض البرُوتستانت كما ظهر ذلك جليَّاً في كتاب أصدره باسمه ضدَّ أفكار لُوثر سنة 1521. ولكنَّ هنري هذا - وبتأثيرٍ من رئيس أساقفة كانتربري تُوماس كرانمير ووزيره كروفيل، وكانا برُوتستانتيِّيْن سرَّاً، ومن أقرب مُستشاري الملك في زمن اصطدامه مع البابا -

قام بإصدار شيءٍ - عبر البرلمان - يُشبه إيماناً جديداً في عشرة بُنُود، تكلَّمت هذه البُنُود عن ثلاثة أسرار: المَعْمُوديَّة، والتّوبة، والمُناولة، وعن التّبرير بالإيمان. وأبطل تقديس الأيقونات والقدِّيسين، وما أشبه، ولكنْ؛ ليس إبطالاً تامّاً، وليس بالمفهوم البرُوتستانتي، فبقي الاعتراف بالاستحالة **Transubstantiation** في القُربان المُقدَّس (أيْ التَّحوُّل الحقيقي للخُبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه)، وبقي القول بضرورة الأعمال الصّالحة لأجل التّبرير (خلافاً لعقيدة لُوثر القائلة بأنَّ التّبرير هبة تتمُّ بالإيمان فقط)، وأنْ تبقى الأيقونات في الكنائس.. إلخ. وفي آخر أمره؛ نهض هنري صريحاً ضدَّ اللُّوثريَّة، مُصْدراً تعليم الإيمان فيما عُرف باسم البُنُود السِّتَّة، مُهدِّداً بالإعدام كُلَّ الذين يُنكرون الاستحالة، أو يقولون بالسّماح بالمُناولة تحت الشّكلَيْن، أو بأنَّ الكَهَنَة يُمكنهم أنْ يتزوَّجوا.. إلخ، وبسبب هذه الأوامر؛ تعرَّض كثيرون ممَّن اعتنقوا اللُّوثريَّة في بريطانيا للاضطهاد الشّديد.

في عهد خليفة هنري، الملك إدوارد السّابع (1547 - 1553)؛ بدأ في إنكلترا الإصلاح وتعليم الإيمان، ومثله الخدمة الإلهيَّة، ولكنْ؛ ليس بذاك الشّكل الحادِّ الذي حدث في ألمانيا أو سويسرا، وبما أنَّ إدوارد كان حديث السِّنِّ، فلم يستطع أنْ يشترك في الإصلاح، فكان البرلمان يُدير (الإصلاح)، أو الأصحُّ كان يُديره أوصياء المملكة، الذين كان بينهم كَاثُوليكيُّون ومُتحيِّزون للُّوثريَّة؛ مثل رئيس أساقفة كرانمير، فأُلغيت - قبل كُلِّ شيء - بُنُود "هنري الثّامن" السِّتَّة، وسُمح بالمُناولة تحت الشّكلَيْن[1]، وسُمح بزواج الكَهَنَة، وسُمح للجميع بقراءة الكتاب المُقدَّس المُترجَم إلى اللُّغة الإنكليزيَّة في أيَّام هنري، وما أشبه.

ثُمَّ بعد مُذاكرات ومُدارسات طويلة للاَّهوتيِّيْن الإنكليز وبعض اللاَّهوتيِّيْن القادمين من النّمسا صَدَرَ كتاب الصّلوات العامَّة **Book of Common Prayer** الذي تمَّ تعميمه على كُلِّ كنائس إنجلترا؛ ليكون كتاب العبادة المُوحَّد الإلزامي، وتبعه كتاب الطُّقُوس سنة (1549)، الذي كان التّأثير البرُوتستانتي فيه أكثر وُضُوحاً، وأخيراً؛ تمَّ إصدار بيان العقيدة في "42 بنداً" كتحديد وبيان للإيمان الأنكليكاني (سنة 1551).

---

(1) أيْ مُناولة المُصلِّين في القدَّاس (العشاء السِّرِّيّ) خُبز الفطير والخمر، وعدم الاقتصار على مُناولة خُبز الفطير فقط، كما تفعل الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة.

لم يكن كُلٌّ من كتاب الصّلوات العامَّة أو بُنُود العقيدة الـ 42 كَاثُوليكيَّة ولا لُوثريَّة، بل كان فيهما مزيج خاصٌّ من هذا وذاك، ليُرضي أتباع كلا المذهبَيْن، فقيل - بشأن الكتاب المُقدَّس - : إنَّه المصدر الأوَّل لتعليم الإيمان، ولكنْ؛ تمَّ النَّصُّ على احترام التّقليد أيضاً، وكانت العبارات بشأن التّبرير هل هُو بمُجرَّد الإيمان أم لابُدَّ فيه من العمل، حمَّالة وُجُوه، حتَّى يُمكن قبولها بالمعنى الكَاثُوليكي والمعنى البرُوتستانتي، وقد أُبْقِيَ من الأسرار الكَنَسيَّة على ثلاثة أسرارٍ فحسب؛ هي: المَعْمُوديَّة، والتّوبة، والمُناولة، وتمَّ الاعتراف أنَّ في سرِّ الشُّكر (العشاء السِّرِّيّ؛ أيْ الأفخاريستيا) حُضُور حقيقي لجسد المسيح ودمه. وأُلغي - بوُضُوح ونصٍّ قاطع - تقديس الأيقونات، ورفات القدِّيسين، واستدعائهم في العبادات، كما أُلغي - بكُلِّ وُضُوح وصراحة - بَيْع الغُفرانات، وعقيدة المَطْهَر، والصّلاة لأجل الأموات، وتُركت الرّئاسة غير ملموسة، وبهذا الإصلاح؛ تمَّ تحديد معالم الكَنيسة الأنكليكانيَّة الأسقفيَّة **Anglican Episcopal Church**، التي كانت نوعاً من التَّوسُّط بين الكَاثُوليكيَّة والبرُوتستانتيَّة، وصار أسقف كاتدرائيَّة كانتربوري **Canterbury Cathedral** في إنجلترا (انظر الصُّورة) يُمثِّل أعلى سُلطة رُوحيَّة فيها (تقع الكاتدرائيَّة في مدينة كانتربوري الصّغيرة حوالي 75 كم جنوب شرق لندن).

وبعد موت إدوار السّادس (سنة 1553)، اعتلت العرشَ أُختُهُ ماريا ابنة هنري الثّامن، وماريا أراغون كَاثُوليكيَّة في الصّميم، لذلك أقامت الكَثْلَكَة، وعرَّضت أتباع البرُوتستانتيَّة للاضطهاد القاسي؛ وتمَّ إحراق الأسقف كرانمير على الحطب، ولكنْ؛ عندما اعتلت العرش (1558) ابنة هنري الأُخرى من أنابولين إليزابيت (1558 - 1603) التي كانت قد تربَّت في البرُوتستانتيَّة؛ تعرَّضت الكَثْلَكَة للاضطهاد، وأُقيم مذهب مُختلَطٌ، وتمَّ قبول كُلِّ شيء كانت قد ثبَّتَتْهُ قرارات البرلمان (سنة 1559)؛ خاصَّة رئاسة العظمة المُلُوكيَّة على الكَنيسة الإنجليزيَّة، وتمَّ إعادة وإحياء كُلِّ الأوامر بشأن الكَنيسة الصّادرة في أيَّام إدوار السّادس، ثُمَّ لأجل اتِّفاق الكَاثُوليك مع البرُوتستانت؛ بُدئ بإعادة النَّظَر في بُنُود اعتراف الإيمان الأنكليكاني الـ 42، وتألَّف منها إيمان جديد في 39 بنداً، ولكنْ؛ لم يحدث تغيير كبير في البُنُود الـ 42، بل كُلُّ ما حصل أنَّه لأجل إرضاء الاتِّجاه الكَاثُوليكي والبرُوتستانتي في الـ 39

بنداً، صُقلتْ - أكثر فقط - خاصيَّات هذا وذاك، وظهر تعليم الإيمان مزيجاً غير مُحدَّد من الكَثْلَكَة والبرُوتستانتيَّة كما كان في 42 بنداً، وفي سنة 1562، تثبَّتَتْ الـ 39 بنداً في البرلمان الرُّوحي (السِّينود)، وَجَعَلَتْ دُستُور إيمان واجباً على الجميع، وعلى هذه الصُّورة تشكَّلت الكَنيسة الأنكليكانيَّة الأسقفيَّة - نهائيّاً - على عهد إليزابيت مع مزيج من تعليم الإيمان، وصارت كَنيسة عالميَّة.

ولكنَّ المُتطرِّفين من أتباع الكَاثُوليكيَّة والبرُوتستانتيَّة لم يعترفوا بهذه الكَنيسة الجديدة، رغم كُلِّ الإجراءات الصَّارمة التي اتَّخذتها إليزابيت لنَشْرها بالقُوَّة. فبقيت الكَاثُوليكيَّة بنوع خاصٍّ في إيرلندا، أمَّا أتباع البرُوتستانتيَّة - الذين تأثَّروا لحدٍّ كبير بالأفكار الإصلاحيَّة الأكثر جَذْريَّةً، والتي قدمت إلى إنكلْترا من ألمانيا وسويسرا وغيرها - ؛ فقد شكَّلوا جمعيَّات دينيَّة برُوتستانتيَّة خاصَّة؛ كان أهمّها الكنائس المشيخانيَّة **Presbyterian** والتَّطهُّريَّة **Puritans** والمُستقلَّة **Independent**.

سادساً: تواصل كفاح الإصلاحيِّيْن في ألمانيا وحرب الثَّلاثين عاماً حتَّى صُلح ويستفاليا The Peace of Westphalia (سنة 1648):

كان عمل الإصلاح في ألمانيا حتَّى سنة 1526، لا يزال قائماً على أكتاف لاهوتيِّيْ جنوب ألمانيا (النّمسا الثّائرين) ضدَّ الكَنيسة الرُّومانيَّة. ومُنذُ ذلك العام؛ بدأ ينتقل إلى أيدي الأُمراء الألمان.

لقد جَذَبَتْ الأملاكُ الكَنَسيَّة البابويَّة الغنيَّة في ألمانيا الأُمراءَ الألمانَ إلى الإصلاح، هذا بالإضافة إلى رغبتهم بإقامة أنظمة كَنَسيَّة جديدة في الكنائس الدّاخلة تحت حوزتهم، ورغبتهم - كذلك - في حَصْر السُّلطة الكَنَسيَّة العُليا في أيديهم. ولذلك فقد كان الإصلاح - بالنّسبة إليهم - ليس مُجرَّد عمل دينيٍّ كَنَسيٍّ فحسب، بل - أيضاً - مصلحة دُنيويَّة ووطنيَّة. ولهذا؛ عندما أخذ الأُمراءُ الألمانُ عمليَّةَ الإصلاح على عاتقهم بذلوا كُلَّ جهدهم ليسيروا بها نحو النّهاية.

في سنة 1526م، وبسبب ما ظهر من سعي مبعوثي البابا في سويسرا وألمانيا الجنوبيَّة لخَنْق الحَرَكَة الإصلاحيَّة، عقد كُورفيرست السّكسوني، ويُوحنَّا الدّائم (خليفة فريديريك الحكيم)، ولندغراف غيسن فيليب تحالفاً فيما بينهم في "تُورغاو" للدّفاع عن الإصلاح، وقد انضمَّ إلى التّحالف - بالتّدريج - أُمراء آخرون من ألمانيا الشّماليَّة وبعض المُدُن الحُرَّة، وابتدأ عمل المُتحالفين لصالح الإصلاح في تلك السّنة 1526م. وفي الاجتماع المَلَكي في شبيّر اغتنم المُجتمعون غياب الإمبراطُور، وكذلك ما حصل بينه وبين البابا من اختلاف، وتمكّنوا من وَضْع قرار فوَّضوا - بمُوجبه - لكُلِّ الطّبقات أنْ تعمل في أمر الدّيانة، كما تطلب المسؤوليَّة أمام الله والإمبراطُور. وبهذا القرار حصل الاعتراف - ضمناً - بقانون الإصلاح. وبالاستناد إلى ذلك؛ ابتدأ الأُمراءُ الألمانُ وإداراتُ المُدُن الحُرَّة المُؤيِّدةُ للإصلاح بإقامة أعمال كَنَسيَّة في أملاكهم على مبادئ اللُّوثريَّة؛ حيثُ بدأ التّنظيم الكَنَسي اللُّوثري في سكسونيا أوّلاً، ثُمَّ انتشرت إقامته في الأماكن الأُخرى.

ونظَّم الإصلاحي فيليب ميلانختون **Philip Melanchthon**، بتعليماته رقابةً بواسطة مُديرين على الجماعات اللُّوثريَّة، لأجل تفقُّد الكنائس، وأمَّا "مارتن لُوثر"؛ فقد نَشَرَ تعليماً مسيحيّاً مُطوَّلاً ومُختصراً؛ ليستخدمه عامَّة الشّعب.

مُنذُ زمن اجتماع شبير سنة 1526م، تميَّز - بوُضُوح، بين ملاَّكي ألمانيا - حزبان: كَاثُوليكي وإصلاحي، ولكنَّ الإمبراطُور كارل الخامس لم يرد الانقسام الدِّيني لمصالح سياسيَّة، فانتسب إلى الحزب الكَاثُوليكي، وأصبح الاصطدام بين الحزبَيْن لا مفرَّ منه، ورغبةً منه في عدم حُصُول نزاع وانقسام الدِّيني وسط شعبه، سعى الإمبراطُور لحلِّ هذا الخلاف وتقريب وُجهات النَّظَر بالطُّرُق السّلْميَّة، ولكنْ؛ رغم ذلك شابَ النّزاعَ بين الفريقَيْن في كثير من الأحيان أعمالُ عُنف وعُدوان.

وكانت أهمّ محطّات هذا النّزاع ما يأتي:

في اجتماع شبير سنة 1526م، عَرَضَ الإمبراطُور الألماني - الذي كان قد عقد هُدنة مع الفرنسيِّيْن وصُلحاً مع البابا - تنفيذ مُقرَّرات اجتماع فُورمسك سنة 1521م، بشأن طَرْد مارتن

لُوثر، وإلغاء قرارات اجتماع شبير سنة **1526**م الإصلاحيَّة. فكانت أكثر الأصوات مُؤيِّدةً للحزب الكَاثُوليكي، لذلك تمَّ قبول عرض الإمبراطُور. ولكنَّ أتباع الإصلاح قدَّموا ضدَّ هذا اعتراضاً أو بروتستاً **Protest** أعلنوا فيه مبدأ جديداً يقول بأنَّه في الأُمُور الدِّينيَّة، يختصُّ التَّقرير بضمير كُلِّ شخص، وليس بأكثريَّة الأصوات. ومُنذُ ذلك الوقت؛ صار يُدعى كُلُّ المُنضمِّين إلى حزب الإصلاح برُوتستانت؛ أيْ المُحتجُّون أو المُعترضون.

قدَّم الأُمراء البرُوتستانت - في اجتماع أُوغسبورغ **Augsburg** سنة **1530**م، وبمُوافقة الإمبراطُور الذي حَضَرَ هُناك شخصيّاً - اعتراف إيمانهم الذي ألَّفه ميلانختون **Melanchthon**، كبيان مُدلَّلٍ لبنُود العقيدة والمبادئ اللُّوثريَّة، والذي صار معروفاً - فيما بعد - باسم اعتراف أُوغسبورغ **Augsburg Confession**.

لقد وَضَعَتْ الفقراتُ الإحدى والعشرون الأُولى لهذا الاعتراف الأصلي - غير المُعدَّل - الإطار الكُلِّيَّ للعقيدة اللُّوثريَّة، والذي تمَّ السّعي من خلاله لإثبات أنَّ اللُّوثريِّيْن لم ينشقُّوا عن الإيمان الكَاثُوليكي الأصيل في أيِّ شيء، أمَّا الفقرات السّبع الباقية؛ فقد ناقشت المفاسد وإساءة الاستعمال التي انتشرت في الكَنيسة الغربيَّة الكَاثُوليكيَّة في الفترة التي سبقت بُرُوز الحَرَكات الإصلاحيَّة مُباشرة، والتي كان أهمّها: المُناولة في العشاء السِّرِّيِّ؛ أيْ الأفخاريستيا **Communion** تحت شكل واحد (أيْ الاكتفاء بأنْ يتناول المُشاركون الخُبز فقط، دُون الخمر)، وإلزام العُزُوبيَّة على جميع أعضاء السّلك الكَهنُوتي، وإجراء القدَّاس كأُضحيَّة مُقدَّمة على سبيل التّكفير، والاعتراف الإلزامي، وجَعْل مُؤسَّسات إنسانيَّة دُنيويَّة مُستحقَّة لحُصُول الرّحمة والنّعمة الإلهيَّة، وعدم رعاية آداب الرّهبنة، ووُقُوع انحرافات ومفاسد فيها، والتَّوسُّع في سُلطة بعض أساقفة الكَنيسة إلى حدِّ التَّدخُّل وبسط السُّلطان في أُمُور دُنيويَّة وسياسيَّة محضة.

لكنَّ اللاَّهوتيِّيْن الكَاثُوليك قدَّموا دحضهم لهذا الاعتراف فيما عُرف باسم "الدّحض" **Confutation**، فوافق الإمبراطُور على الدَّحض، ثُمَّ ثبَّت تنفيذ مُقرَّرات فُورمسك سنة **1521**م، ومَنَعَ البرُوتستانت من نَشْر تعليمهم؛ انتظاراً للمجمع الكَنَسي البابوي المُزمع عقده.

لكنَّ المجمع - الذي ألحَّ الإمبراطُور على التآمه - لم يحصل بسبب عدم رغبة البابا كليمنت السّابع (1523 - 1534) في دعوته. وفي هذا الوقت في سنة1531م، عقد البرُوتستانت حلفاً جديداً في شمالكالدنسك لأجل الدّفاع عن الإصلاح بقُوَّة السّلاح.

فاضطرَّ الإمبراطُور - الذي لم يكن ينتظر مثل هذا الانقلاب في القضيَّة، ولم يكن على استعداد للحرب - أنْ يدخل في اتِّفاق مع البرُوتستانت. وفي سنة 1532م في نيورنبرغ، عَقَدَ معهم صُلحاً التزم - بمُوجبه - الحزبان البرُوتستانتي والكَاثُوليكي على أنفسهم أنْ لا يُضايق أحدُهُما الآخرَ بقضايا الإيمان حتَّى انعقاد المجمع العامّ أو قرارات اجتماع آخر. ودُعيَ هذا أوَّل صُلح ديني.

مع هذا؛ لم تُؤدِّ اتفاقيَّة نيورنبرغ إلى مُصالحة واقعيَّة بين الحزبَيْن المُتعاديَيْن، فالعلاقات المُتوتِّرة بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت بقيت قائمة. ولم ينجح الإمبراطُور في قيادتهم إلى الاتِّفاق عبر الاجتماعات الدِّينيَّة والمجمع الذي عُقد - أخيراً - في تريدنت سنة 1545م. وفي الوقت ذاته؛ كانت اللُّوثريَّة تنتشر أكثر، فأكثر، وصار الأُمراء البرُوتستانت يُشكِّلون قُوَّة خشي الإمبراطُور جانبها. لذلك قرَّر كارل الخامس أنْ يُحطِّم قُوَّتهم. وفي سنة 1547م، دَحَرَهُم بقساوة في حرب شمالكالدنسك. ولم يُدرك لُوثرُ تلكَ الحربَ الأهليَّةَ؛ إذْ اخْتُرمَ قبلها في سنة 1546م. وبعدما أضعف الإمبراطُورُ البرُوتستانتَ عمل على اتِّحادهم مع الكَاثُوليك. ولهذه الغاية - وبتفويض منه - تمَّ تنظيم دُستُور إيمان في سنة 1548م، عُرف باسم "أُوغسبورغ اينتيريم" **Augsburg Interim** كان في الواقع نصَّاً توفيقيَّاً ألْزَمَ الكَاثُوليكَ والبرُوتستانت بقبوله، ولكنَّ دُستُور الإيمان هذا أهاج عدم الرّضا في صُفُوف الحزبَيْن: فالكَاثُوليكُ أصرّوا على رُجُوع البرُوتستانت إلى الكَثْلَكَة، بدُون شرُوط، والبرُوتستانتُ رأوا فيه خسارة لعقائدهم. فشرع الإمبراطُور باضطهاد البرُوتستانت؛ ليُجبرهم على قبول "الإينتيريم". وبقيت الأحوال هكذا حتَّى سنة 1552م، عندما تقوَّى البرُوتستانت من جديد. في هذا الوقت؛ انحاز إلى جهتهم الأمير السّكسوني مُوريتس، والذي كان مُتمسِّكاً باللُّوثريَّة، على الرّغم من بقائه - حتَّى ذلك الوقت - إلى جانب الإمبراطُور. فأعلن مُوريتسُ على رأس أُمراء آخرين من البرُوتستانت الحربَ على الإمبراطُور، وأجبره على عقد اتِّفاق

مُوافق للبرُوتستانت في باساي سنة 1552م ، وعلى أساسه تبع قرار سنة 1555م المعروف باسم صُلح أُوغسبورغ الدِّيني . وبهذا الصُّلح ؛ أُعطيت الحُرِّيَّة للبرُوتستانت في قضايا الإيمان ولكنْ ؛ مع اشتراط أنْ يبقى حقُّ تغيير الإيمان - في المُستقبل - بيد الأُمراء فقط ، وليس بيد الخاضعين لهم .

ولكنْ ؛ رغم صُلح أُوغسبورغ الدِّيني بقيت العلاقات العدائيَّة بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت على حالها ، ولعب اليسُوعيُّون (الجزويت) - الذين بَرَزُوا في النّصف الثّاني من القرن السّادس عشر للدّفاع عن الكَثْلَكَة - دوراً سيِّئاً في تأجيج السُّخط المُتبادَل . وفي نهاية القرن السّادس عشر وبدء السّابع عشر ، بدأت تتصاعد الأعمال العدائيَّة بين الكَاثُوليك والبرُوتستانت في بعض أنحاء ألمانيا . ففي سنة 1608 ، عقد أُمراءُ البرُوتستانت - فيما بينهم - ما يُسمَّى بالاتِّحاد البرُوتستاني Protestant Union ، أمَّا الكَاثُوليكيُّون ؛ فقد شكَّلوا في سنة 1609 الجامعةَ الكَاثُوليكيَّةَ Catholic League ، ولم يعدْ - هُناك - مفرٌّ من وُقُوع الاصطدامات الدّمويَّة بين الفريقَيْن . وسُرعان ما توفَّر السّبب لوُقُوعها . انتزع الإمبراطُور الألماني فريدريك الثّاني ، ومعه ملك بُوهيميا ، تلميذ الجزويت ، من البرُوتستانت كنيستَيْن في بُوهيميا سنة 1618م ، فثار البُوهيميُّون ، وقاموا بأعمال شغب ، وانتخبوا لنفسهم ملكاً آخر . وَوَضَعَ هذا الحادثُ بدايةً للحرب المعروفة في التّاريخ باسم حرب الثّلاثين عاماً (1618 - 1648م) ، التي انقسمت ألمانيا فيها إلى نصفَيْن : شمالي برُوتستانتي ، وجنوبي كَاثُوليكي . فالكَاثُوليك دافعوا - بضراوة - عن عقيدتهم الدِّينيَّة ، وحارب البرُوتستانت - أيضاً - لأجل عقيدتهم بضراوة لا تقلُّ عنها ، مُصرِّين على حقِّهم الكامل في حُرِّيَّة الإيمان . وكانت الأرجحيَّة في هذا النّضال ، الذي اشترك فيه المُلُوك الأجانب أيضاً مثل ملك السُّويد غُوستاف أودُولف الذي بَرَزَ للدّفاع عن البرُوتستانت ، كانت الأرجحيَّة - أحياناً - إلى هذه الجهة ، وأُخرى إلى تلك . ثُمَّ أدّى استنزاف قوى جميع الممالك الألمانيَّة إلى إنهاء الحرب عام 1648م . وفي تلك السّنة عَقَدَ جميع المُشتركين فيها ما يُسمَّى صلح ويستفاليا The Peace of Westphalia (سنة 1648) ، تمَّ - بمُوجبه - إقرار مُساواة حُقُوق جميع البرُوتستانت مع الكَاثُوليك .

انتشار اللُّوثريَّة في مناطق أُخرى من أُورُوبا:

في نفس الوقت الذي ظهرت وانتشرت فيه اللُّوثريَّة في ألمانيا، بدأت تنتشر - أيضاً - في جهات أُخرى من أُورُوبا، فحيثما كانت تنتشر تأليفات مارتن لُوثر كانت تُحْدِثُ سعياً للتَّحرُّر من نير رُوما. وكان أوَّل ناشري اللُّوثريَّة هُم المُلُوك أنفسهم كما حَدَثَ في ألمانيا. وعلى هذه الصُّورة؛ انتشرت اللُّوثريَّة، وتمكَّنتْ في بلاد السُّويد، والدّنمارك، والنّرويج، وبرُوسيا (بولُونيا الحاليَّة)، وليثوانيا، وأستونيا، وكُورليانديا.

ابتدأت الحَرَكَة لصالح الإصلاح في السُّويد سنة 1519م، للسّبب ذاته الذي انتشرت فيه في ألمانيا؛ وهُو المُتاجرة بصُكُوك الغُفران. وقد نَشَرَ اللُّوثريَّة هُناك شقيقان: أُولاف، ولُورينتس بترسون **Olaus and Laurentius Petri**. فمال غُوستاف الأوَّل فازا (1523 - 1560) **Gustav I Vasa** أوَّل ملك من مُلُوك السُّويد المُستقلَّة - بعد انفصال السُّويد عن الاتِّحاد الإسكندنافي الذي كان يضمُّها إلى الدّانمارك والنّرويج، بعد انتخابه حالاً - إلى جهة الإصلاح وبكُلِّ حزم، وصار مُحامياً عن الأخوَيْن بترسون. وفي سنة **1524**، أقام في أُوبسال مُناظرةً دينيَّةً بين واعظي اللُّوثريَّة ولاهوتيِّيْ اللاَّتينيَّة. وكان الانتصار في المُحاورة - حسب رأي الملك ووُجهاء السُّويد - من نصيب مُمثِّل اللُّوثريَّة أُولاف بترسون. بعد هذا؛ سارت اللُّوثريَّة في السُّويد بخُطى سريعة: أُقفلَت الأديرة، وتحوَّلت أموالها مُلْكاً للملك، وأخذ الكَهَنَة يتزوَّجون، وما أشبه. وصار الاعتراف - نهائياً - باللُّوثريَّة ديانة رسميَّة مَلَكيَّة في مملكة السُّويد في اجتماع فيستيراس في سنة **1527**، وبعده؛ أُدخل عليها تنظيمٌ كَنَسيٌّ مع تلك الخاصَّة بأنَّ السُّويد حفظوا عندهم الأسقفيَّة، وإنْ لم يكن لها سُلطة وأهمِّيَّة مُتجانسة معها. وكانت قد تمَّت ترجمة الكتاب المُقدَّس إلى اللُّغة السُّويديَّة في سنة **1526**م، ومن السُّويد انتشرت اللُّوثريَّة في فينلندا التّابعة لها في ذاك الوقت.

ودخلت اللُّوثريَّة - أيضاً - في الدّانمرك في وقت مُبكِّر جداً. فقد كان ملك الدّانمرك كريستيان الثّاني - الذي دخل الإصلاح في أيّامه إلى ألمانيا - يتردَّد بين اللُّوثريَّة والكَثْلَكَة، لكنَّ الملك فريديريك الأوَّل الذي جاء بعده، وقف - بحزم - إلى جهة الإصلاح في اجتماع سنة

1527، وَوَضَعَ قراراً ساوى - بمُوجبه - بين البرُوتستانت والكَاثُوليك. وفي أيَّامه؛ تمَّت ترجمة الكتاب المُقدَّس إلى اللُّغة الدّانمركيَّة.

وأخيراً؛ جَعَلَ كريستيانُ الثّالثُ خليفةُ فريديريك اللُّوثريَّةَ مذهباً رسميّاً سائداً في الدّانمرك. وسَجَنَ في سنة 1536م، كُلَّ أساقفة الدّانمرك المُعارضين للإصلاح، وحجز على أموال الكنائس، وأدخل تنظيماً كَنَسيّاً لُوثريّاً بمُساعدة اللاّهوتي اللُّوثري يُوحنَّا بُوغينسغاغين المعروف باسم بُوميران. وحُفِظَت الأسقفيَّة في الدّانمارك، كما حُفِظَت في السُّويد. وبما أنَّ ملك الدّانمرك كان - في الوقت ذاته - ملكاً على النّرويج، صارت اللُّوثريَّة هي المذهب الرّسمي السّائد في النّرويج أيضاً.

وقد ملك برُوسيا (بُولُونيا الحاليَّة) في القرن السّادس عشر جماعة الرُّهبان أو الفُرسان التِّيُوتُونيون. فلمَّا اعتنق رئيس الجماعة البرختُ انسباخ اللُّوثريَّةَ في سنة 1525، حوَّل أملاك الجماعة إلى دُوقيَّة، وأدخلَ التّنظيمَ الكَنَسيَ اللُّوثريَّ. وحصل من أُمراء ليتوانيا وأستونيا وماجاورهما نحو ذلك؛ حيثُ انتشرت اللُّوثريَّة هُنالك مُنذُ سنة 1523، إلى أنْ توطَّدتْ - نهائيّاً - في سنة 1561 م.

كما دخلت اللُّوثريَّة في مناطق كثيرة من بُوهيميا (تشيكيا)، وسلُوفاكيا، وبُولُونيا، وغيرها، ولكنَّها لم تتمكَّن أنْ تصير هُناك مذهباً سائداً.

سابعاً: الفرَق والحَرَكَات التي انشقَّت عن البرُوتستانتيَّة قبل صلُح "ويستفاليا":

بتوطيدها لحُرِّيَّة العقل في قضيَّة الإيمان، ودعوتها إلى إعادة قراءة الكتاب المُقدَّس، والاقتصار عليه - فقط - في أَخْذ العقيدة، ورَفْض التَّقيُّد بالتّقليد المسيحي الذي انبنى في الكَنيسة عبر القُرُون، فَتَحَتْ الحَرَكَةُ الإصلاحيَّةُ البرُوتستانتيَّةُ - ربَّما دُون أنْ ترغب بذلك - البابَ أمام الكثيرين ليُعيدوا النَّظَر في الفَهْم الكَنَسي التّقليدي الموروث للكتاب المُقدَّس، ويُراجعوا كُلَّ التُّراث المسيحي التّقليدي بأَسْره، الأمر الذي أدَّى إلى نشأة مجموعة من الحَرَكَات والمذاهب المسيحيَّة الجديدة، الرّاديكاليَّة في إصلاحاتها، والتي ابتعدت عن مسيحيَّة

الكَنيسة التّقليديَّة، وحاولت العودة لجُذُور رسالة المسيح الأصليَّة أكثر بكثير ممَّا فعلتْهُ اللُّوثريَّة أو الإصلاح. وشكَّل أتباع مثل هذا الاتّجاه ـ الذين نشؤوا على تُربة برُوتستانتيَّة، رغم أنَّ البرُوتستانتيَّة لا تُقرُّهم ـ ما سُمِّيَ بالشِّيَع والفرَق البرُوتستانتيَّة، كان أشهرها ـ في عصر الحَرَكَات الإصلاحيَّة في الغرب ـ فرقة الأَنَابَابْتيسْت Anabaptists، أو القائلون بتجديد العماد، أو إعادة المَعْمُوديَّة، وفرقة المِينُونيُّون Mennonites أتباع الكاهن الهُولاندي "سيمونس مينّو"، وفرقة السُّوسيانيُّون Sociamism، أو التّوحيديُّون الرّافضون للتّثليث أتباع اللاَّهوتيِّين الإيطاليِّيْن "ليليو سوزيني"، وابن أخيه الطّبيب "فاوْستو سوزيني"، وفرقة الأرمينيانيُّون Arminianism أتباع اللاَّهوتي الهُولاندي "يعقوب الأرميني".

1) فرقة "الأَنَابَابْتيسْت" أو "القائلون بتجديد المَعْمُوديَّة":

تسمّوا هكذا من إعادتهم مَعْمُوديَّة كُلِّ الدّاخلين في جماعتهم. ويُمثِّلون تيَّاراً برُوتستانتيّاً أكثر راديكاليَّةً ويساريّ الاتّجاه، ويتلخَّص تعليمهم بأنَّهم توسَّعوا أكثر في المبادئ البرُوتستانتيَّة حول الاتّصال الشّخصي بالله دُون الحاجة لوساطة الكَنيسة والإكليروس، فأكَّدوا بأنَّ رُوح الله يعيش ويعمل في داخل كُلِّ مُؤمن، يُقدِّسُه ويقودُ جميعَ أفكاره وشُعُورَهُ ومطاليبه وتصرُّفاته. وأنّهم ـ كمُقدَّسين ومُقادين برُوح الله ـ يعدُّون أنفسهم قدِّيسين، وجمعيَّتهم كَنيسة القدِّيسين، ولأجل الدُّخُول فيها يُطلَب إعادة المَعْمُوديَّة. وباسم هذه القداسة والقيادة برُوح الله رَفَضُوا كُلَّ القوانين الموجودة والأنظمة والتّرتيبات الكَنَسيَّة والمَدَنيَّة، مُعتبرين إيَّاها ضغطاً على حُرِّيَّة الرُّوح العامل فيهم. وقد اشتهر "القائلون بتجديد العماد" بالسّعي لهَدْم كُلِّ السُّلطات الموجودة؛ سواء الكَنَسيَّة أو المَدَنيَّة، ليُؤسِّسوا على أنقاضها مُجتمعاً جديداً ـ كَنيسة القدِّيسين ـ يقوم على مبادئ الحُرِّيَّة، والمُساواة، والاشتراك العامّ بالأموال، وما أشبه. فهذا كان جوهر حَرَكَتهم وفكْرتهم.

كان أوَّل انطلاق للحَرَكَة التي سُمِّيت بحَرَكَة القائلين بتجديد المَعْمُوديَّة Anabaptists في زوريخ في سويسرا العام 1520م، عندما أخذ الواعظ الكَنَسي "تُوماس مُونْتزر" Thomas Münzer يدعو سامعيه لطَرْح كُلِّ الأنظمة الحُكُوميَّة الظّالمة الموجودة، ورَفْض القتال في

جيُوشها، وبناء نظامٍ مسيحيٍ عادلٍ جديدٍ. وأخذ يطوف ألمانيا للغايات الثّوريَّة ذاتها، وكان معه - في هذا المسعى الثّوري - كُلٌّ من نيقولا شتورخ، رجلٌ بسيطٌ صاحب معملٍ، ومارك شتيينر الذي كان طالباً في جامعة فيتنبرغ. على أثر مواعظه تلك، طُرد "مُونْتزر" من زوريخ عام 1521، لكنَّ أتباعه بقوا فيها، وتابعوا تنظيم بناء جماعتهم، وانتقلوا - بسُرعة - من الكلام إلى العمل، مُثيرين شَغَباً ضدَّ السُّلطات المَدَنيَّة، فأُلقي القبض على بعضهم، وأُودعوا السُّجُون، واضطُرَّ الآخرون للهَرَب والاختفاء. وَذَهَبَ "شتورخ شتيينر" وغيره من الدُّعاة من زرويخ إلى فيتنبرغ آملين أنْ يجدوا عند المُصلحين الألمان مُوافقة على خُطَّتهم بشأن تنظيم المُجتمع الجديد، ولكنَّهم لم يحظوا بقبول أفكارهم، بل طُردوا من هُنالك أيضاً (سنة 1522).

لكنَّ أفكارهم وحَرَكَتهم ظلَّت تنتشر، وتجد لها أتباعاً في سويسرا، وألمانيا، والنّمسا، وهُولاندا؛ حيثُ ظهر في هذه البُلدان عدَّة زُعماء دينيِّين واصلوا منهج نَقْد الكَنيسة وتصرُّفاتها السُّلطويَّة الاجتماعيَّة، والمُناداة بإزالتها، وكان من جُملة ما نادوا به أنَّ الإنجيل لم ينصّ على مَعْمُوديَّة الأطفال، بل إنَّ تعليمه ينفي فائدة مثل هذه المَعْمُوديَّة، التي لا يعقل الطّفل منها شيئاً، وكذلك لم ينصّ الإنجيل على مُمارسة القدَّاس Mass (أيْ مُناولة النّاس للعشاء السِّرِّيّ في الكَنيسة)، ومن أشهر مَنْ نادوا بهذا الاتِّجاه كُونراد غروبيل **Konrad Grebel** السُّويسري المولود في زوريخ، وفيليكس مانتزر **Münzer**، وسيمون ستامف، وجُورج بلوروك، وبَلتازار هُبماير **Balthasar Hubmaier** الألماني، وكانوا جميعاً ممَّن اعتنق في البداية المبادئَ البرُوتستانتيَّة.

والحقيقة أنَّ هدف هذه الحَرَكَة كان السّعي إلى إصلاح كَنيسة المسيح ومُجتمع المسيحيِّين، والرُّجُوع بهم إلى المسيحيَّة الرُّوحيَّة الأساسيَّة الصّحيحة، وقد رأوا أنَّ من مُستلزمات هذا الأمر رَفْض مَعْمُوديَّة الأطفال التي تخلق كَنيسة عدديَّة. لذلك كانت هذه الفرقة تدعو إلى إعادة مَعْمُوديَّة النّاضجين، وقبول انتسابهم الحُرّ إلى الكَنيسة.

وبسبب رَفْضهم للنّظام الهَرَمي لرجال الدِّين، ورَفْضهم لتدخُّل المُؤسَّسات الحُكُوميَّة المَدَنيَّة في الأُمُور الدِّينيَّة الخاصَّة، ورَفْض خدمة الحُكُومات وسُلطاتها، فقد اتُّهموا بالعصيان،

والخُرُوج على الحُكْم، وتعرَّضت حَركَتهم للاضطهاد العنيف، حتَّى من باقي الإصلاحيِّين، فمات غروبيل في السّجن، وقضى بلوروك حَرْقاً، ومانتزر غَرَقاً. . . وتمَّ سنُّ قانون يحكم بالإعدام على كُلِّ مَنْ يثبت عليه أنَّه قام بتجديد مَعْمُوديَّته، وأدَّت هذه الاضطهادات إلى خَلْق تيَّار ثوري مُتشدِّد قام بثورات عديدة، أبرزها «ثورة الفلاَّحين» في ألمانيا بقيادة "تُوماس مُونْتْزر" Münzer Thomas؛ حيثُ كان "مُونْتْزر" هذا يطوف ألمانيا ساعياً في نَشْر أفكاره الثّوريَّة والإصلاحيَّة الجَذْريَّة في أوساط النّاس؛ لاسيما طبقات المحرومين والفلاَّحين من أبناء الشّعب. ممَّا حرَّك الكثير من الفلاَّحين في ألمانيا للثّورة على الملاَّكين والسُّلطات. وهكذا؛ فقد أخذ "مُونْتْزرُ" على عاتقه دورَ المُصلح الكَنَسي والمَدَني في آنٍ معاً، وصار على رأس الثّائرين (ثورة الفلاَّحين)، ولكنَّ جُنُود الأُمراء والمالكين تمكَّنوا من دَحْره في إحدى المعارك، وقبضوا عليه، وأعدموه بقَطْع رأسه سنة 1525. وتَبع هذا، بدء اضطهاد عنيف في ألمانيا لأتباع هذه الحَركَة الدِّينيَّة التي نبزوها بلَقَب الأَنَابَابْتيسْت، التي معناها الحَرْفي "رافضو العماد"، مع أنَّهم يرفضون عماد الأطفال؛ ليس رَفْضاً لأساس المَعْمُوديَّة، وإنَّما لأنَّهم يرون عماد الطّفل عملاً عبثيّاً؛ لأنَّ العماد يكون للنّاضج الواعي عن اختيار ورغبة، وقد شارك كُلٌّ من الكَاثُوليك والبرُوتستانت معاً في اضطهاد أتباع هذه الفرقة، وحَرْقهم، وإعدامهم بلا رحمة، لكنَّ كُلَّ تلك الاضطهادات لم تمحُ الأَنَابَابْتيسْت، وظلُّوا ينتشرون في سويسرا، وألمانيا، وهُولاندا، وكانوا إرهاصاً لنشأة فرقة المَعْمَدَانيِّين فيما بعد، والتي لا تزال من أكبر الفرَق المُنبثقة عن البرُوتستانتيَّة، والباقيَّة إلى اليوم (سنتحدَّث عنها لاحقاً).

2) فرقة الأَنَابَابْتيسْت المِينُونيُّون:

انبثقت الفرقة المِينُونيَّة أو الكَنيسة المِينُونيَّة Menonits عن حَرَكَة تجديد المَعْمُوديَّة (الأَنَابَابْتيسْت) في القرن السّادس عشر، بل يعتبرها كثيرون فرعاً من فُرُوع (الأَنَابَابْتيسْت). فبالتّزامن مع بدء ضعف أتباع الأَنَابَابْتيسْت، قام الكاهن الهُولاندي "سيمونس مينّو" Simons Menno (1492-1559) بإحياء فكْرها من جديد فيما عُرف باسم الفرقة المينّونيَّة؛ نسبةً لاسم مُؤسِّسها. كان "سيمون مينّو" - في بداية أمره - كاهناً كَاثُوليكيّاً من هُولاندا، دخل سنة 1536، في صُفُوف "حَرَكَة إعادة أو تجديد المَعْمُوديَّة" Anabaptists، ثُمَّ قام بتجديد تلك

الفرقة، وإعادة بنائها على قواعد أخلاقيَّة صارمة، وَنَجَحَ في الصُّمُود مع مجموعته في وجه الاضطهادات، وأقام نظاماً كَنَسياً شديداً مُحدَّد التّعاليم الدِّينيَّة، وبفضل نشاطه الذي لم يعرف الكَلَل لُمدَّة خمسة وعشرين عاماً؛ تمكَّن من تنظيم الأَنَابَابْتيسْت المُشتَّتين في جمعيَّات مُنظَّمة، وحوَّلهم من ثُوَّار أشدَّاء عنيفين هدَّامين إلى أناسٍ سلاميِّيْن، مُحبِّين للعمل، مُتمسِّكين بأهداب الأخلاق والسّلام، نبراسهم في ذلك خُطبة موعظة الجبل المعروفة للسَّيِّد المسيح.

ولكونهم من الأَنَابَابْتيسْت؛ فقد رَفَضُوا مَعْمُوديَّة الأطفال، وبقوا يُؤمنون بنفس مبدأ الإيمان والأمل بأنَّهم جمعيَّة القدِّيسين، فاستمرَّت الكَنيسة المينُونيَّة تُؤكِّد بأنَّ المَعْمُوديَّة لا تنفع الأطفال غير العاقلين، بل يستحقُّ هذا السِّرَّ النّاضجون الواعون فقط، بل يجوز أنْ تُمنَح المَعْمُوديَّة للأطفال، حتَّى في خطر الموت، لأنَّهم يخلصون بدُونه. وتحتفل الكَنيسة بالعشاء السِّرِّيِّ ثلاث مرَّات في السّنة فقط، وترى فيه معنى تذكيريّاً فحسب. أمَّا موضوع رَفْض الأنظمة القائمة، الذي كان قد اعْتَمَدَ لدى "الأَنَابَابْتيسْت" الأوائل أُسلُوبَ الهَدْم والثّورة؛ فقد انعكس ـ بعد تجديد وإحياء الفرقة على يدَيْ الكاهن "سيمون مينّو" ـ بشكل آخر: وهُو الابتعاد عن خدمة الدّولة في كُلِّ شكل من أشكال العُنف، ممَّا يستتبع وُجُوب الامتناع عن الجُنديَّة والخدمة العسكريَّة، وكذلك الابتعاد عن الخُصُومة وأداء القَسَم في المحاكم، وبالإجمال؛ العيش في حياة سلْميَّة **Pacific** محضة، وبالتَّالي؛ مُقْفَلَة ومُنحَصرَة في جمعيَّتهم.

وكان المينُونيُّون أوَّل مَنْ طَالبَ بفكْرة فَصْل الدِّين عن الدّولة في الغرب، كما كانوا ممَّنْ رَفَضَ ـ بشدَّة ـ نظامَ العُبُوديَّة وتجارة العبيد الظّالمة التي ازدهرت في ذلك العصر، على عكس بعض الكنائس الرّسميَّة والحُكُوميَّة (الكَاثُوليكيَّة أو البرُوتستانتيَّة أو الأنجليكانيَّة) التي لم تُحارب ذلك العمل البربري اللاَّإنساني، بل رُبَّما باركتْهُ، وتعاونت معه؛ بحُجَّة إنقاذ العبيد من الكُفْر، وإدخالهم في نعيم المسيحيَّة! وكانوا يرفضون ويدينون ـ تماماً ـ كُلَّ الاستخدامات المسيحيَّة والكَنَسيَّة للسّيف والعُنف تحت ذريعة "الحرب العادلة"، أو لنَشْر المسيحيَّة (كمُحاربة وقَتْل الهراطقة، أو حُرُوب قَمْع الإصلاحيِّين، أو الحُرُوب الصّليبيَّة، وغيرها).

وقد اعتمد تنظيم المينُونيِّيْن الكَنَسي على مبدأ أنْ تكون كُلُّ كَنيسة محلِّيَّة مُستقلَّة عن غيرها، يُديرها شخص أو أشخاص عديدون تختارهم الجماعة المحلِّيَّة.

ولا يزال المِنُونيُّون يجتمعون حتَّى الوقت الحاضر - بنوع خاصٍّ - في هُولندا، مُنذُ أن مُنحوا في سنة 1581، حُرِّيَّة مُمارسة عباداتهم. وتُوجد جماعة المِنُونيت - أيضاً - في رُوسيا، وفي القارَّة الأمريكيَّة؛ حيثُ يصل عدد أتباعها حوالي الـ 400 ألف، منهم 200 ألف في أمريكا الشّماليَّة، وكانوا هُم والأَنَابَابْتيسْت الأصليِّين سَلَفَ الكنائس المَعْمَدَانيَّة ذات الدّور والأهمِّيَّة البالغة في أمريكا (سنتكلَّم عنها مُفصَّلاً في الفصل القادم).

3) الحَرَكَة السُّوسيانيَّة أو "فرقة التّوحيديِّيْن":

يعود اسم هذه الفرقة إلى لاهوتيَّيْن من عائلة إيطاليَّة واحدة تُدعى عائلة سُوسِّيني، أو سُوزيني **Sozzini or Sozini** هُما القاضي "ليليو سُوزيني" **Lelio Sozini (1526 - 1562)** وابن أخيه الطّبيب "فاوْستو سُوزيني" **(1539 - 1604)**.

أهمُّ ما ميَّز هذه الحَرَكَة هي إحيائها لعقيدة كانت الكَنيسة قد اعتبرتها - مُنذُ القديم - هرطقة، وهي عقيدة وحدانيَّة الآب في ذاته، وأقنومه، وشخصه، ونَفْي إلـهيَّة المسيح، وبُنُوَّته الحقيقيَّة للَّه، المُستتبعة لأزليَّته، ومُساواته للَّـه في الجوهر، والقول ببُنُوَّة تشريفيَّة، أو بالتَّبنِّي، ونَفْي إلهيَّة الرُّوح القُدُس كأقنوم مُنفصل للَّه، وبالنّتيجة؛ نَفْي عقيدة التّثليث تماماً، ولهذا؛ سُمِّيَ أتباع السُّوسيانيَّة "المُخالفون (أو المُضادُّون) للتّثليث" **Anti-Trinitarians**.

وفي الحقيقة؛ يُعتبَرُ الطّبيب واللاَّهوتي المُحقِّق الأسباني ميخائيل سيرفيتوس **Michael Servetus (1151 - 1553)** الإرهاصةَ الأُولى لهذه الحَرَكَة المُضادَّة للتّثليث، والتي اشتهرت - فيما بعد - باسم السُّوسيانيَّة؛ حيثُ كان أوَّل مَنْ أعطى - بأبحاثه الجريئة؛ مثل كتابه "حول أخطاء التّثليث" **In De Trinitatis Erroribus** (نَشَرَهُ عام **1531**)، وكتاب "إعادة المسيحيَّة إلى حقيقتها الأصليَّة" **Christianismi Restitutio (1553)** - دافعاً قويّاً للأفكار التّوحيديَّة المُنكرة للتّثليث والتَّجسُّد في أوساط أحرار الفكْر في أُورُوبا في القُرُون الوُسطى.

كان "سيرفيتوس" هذا قد تأثَّر - في بداية أمره - بحَرَكَة الإصلاح البرُوتستانتيَّة، لكنَّه خطا بعد ذلك، في الإصلاح، خُطوات أكثر جَذْريَّة وجُرأةً، فأعلن بُطلان عقيدة التّثليث، ورَفَضَ أُلُوهيَّة المسيح بشدَّة، وكان يُسمِّي الثّالوث بـ" الوحش الشّيطاني ذي الرُّؤُوس

الثّلاثة!" وقام بحَرَكَة نشطة جداً في الدّعوة إلى الوحدانيّة المحضة للّه، فاتّهمَتْهُ الكَنيسة بالهرطقة، واعتقلتْهُ، ثُمَّ أعدمتْهُ حَرْقاً، لكنَّها لم تستطع إعدام أفكاره وكتاباته التي انتشرت في وسط وشرق أُورُوبا، ولقيت عديداً من الأتباع والمُؤيِّدين.

أمَّا الشّخصيَّتان ذاتا التّأثير المُباشر في نشأة الجماعة السُّوسيانيَّة (ومنهما أخذت اسمها)؛ فهُما اللاَّهوتيَّان الإيطاليَّان اللّذَيْن أشرنا إليهما أعلاه، "ليليو سُوزيني"، وابن أخيه "فاوستو سُوزيني".

وُلد "ليليو سُوزيني" في مدينة "سيينا" **Siena** في إيطاليا، وَدَرَسَ الحُقُوق، وامتهنَ القضاء، وتعلَّم اليُونانيَّة والعبريَّة والعربيَّة، وقام بدراسة مُفصَّلة وعميقة للكتاب المُقدَّس **Bible**، قادته للتّعاطف مع عمل الإصلاحيِّيْن البرُوتستانت، فزار سويسرا، وفرنسا، وإنجلترا، وهُولاندا، وألمانيا، وبُولاندا، والتقى في كُلِّ بلدٍ زُعماءَ البرُوتستانت فيها، لاسيما اللاَّهوتي الإصلاحي الألماني "ميلانختون" **Melanchthon**، والفرنسي "جان كالفن" **John Calvin**، واعتنق المبدأ البرُوتستانتيَّ الاشتراكيَّ، وَوَصَلَ في أبحاثه إلى قناعة تقول بأنَّه في فَهْم وتفسير الكتاب المُقدَّس ـ كمصدر تعليمٍ وحيدٍ للإيمان ـ يجب أنْ يُقبل ما يُمكن للعقل أنْ يُفسِّره ويقبله فقط، أمَّا ما يُناقض صريح العقل؛ فلا يُمكن قبوله. لذلك لَمَّا وَجَدَ أنَّ التّعليم المسيحي عن الله الواحد المُثلَّث الأقانيم لا يُدركه العقل، بل يُناقض العقل، رَفَضَ هذه العقيدةَ بالثّالوث المُقدَّس، وأكَّد أنَّ اللهَ أقنومٌ واحدٌ فقط.

أمضى "ليليو سُوزيني" بقيَّة حياته في زوريخ، وكَتَبَ عدَّة مباحث لاهوتيَّة حول القُربان المُقدَّس **Sacrament** وحول بعث الأجساد، اقترب فيها ـ لحدٍّ كبيرٍ ـ من أفكار اللاَّهوتيِّيْن البرُوتستانت. وعلى الرّغم من أنَّه وَضَعَ عقيدة التّثليث موضع شكٍّ وتساؤلٍ، إلاَّ أنَّه لم يصل إلى حدِّ تصريحه ببُطلانها تماماً، بل اعتبرها مسألةً اجتهاديَّةً، مُؤكِّداً على حقِّ كُلِّ إنسانٍ في بَحْثها، واعتناق ما تُوصله إليه نتيجة بحثه فيها.

أمَّا ابن أخيه الطّبيب "فاوستو سُوزيني"؛ فقد تأثَّر كذلك بأفكار عمِّه، ولَمَّا أخذ يُصرِّح بها، حَكَمَتْ عليه محكمةُ تفتيش العقائد بالهرطقة، فَهَرَبَ من إيطاليا، وساح لمُدَّة ثلاثة

أعوام بين زوريخ، وجينيف في سويسرا، وليون في فرنسا، ثُمَّ عاد إلى إيطاليا حوالي سنة 1563، وبقي ساكتاً مُدَّة 12 سنة، يعمل في مهنته كطبيب في مدينة فلورانس، دُون أنْ يُثير ما يُزعج الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة. لكنَّه ـ في النّهاية ـ رَحَلَ عام 1575، إلى مدينة "بازل" في سويسرا، واستقرَّ بها؛ ليكون أكثر حُرِّيَّة في مُمارسة تأمُّلاته، وصياغة أفكاره، ونَشْرها؛ حيثُ تعمَّق في دراسة اللاَّهوت، وقام بمُناقشات عديدة مع لاهوتيِّيْن من البرُوتستانت، ثُمَّ بدأ يُظهر آراءه الإصلاحيَّة الجَذْريَّة (الرّاديكاليَّة)، التي وَجَدَتْ لها أنصاراً ومُوافقين، وصارت أفكاره تُعرَف ـ فيما بعد ـ باسم "السُّوسيانيَّة"، على الرّغم من رَفْض صاحبها لأيِّ تسمية لأفكاره بأنَّها تُمثِّل فرقة خاصَّة جديدة، بل كان يعتبر أفكارَهُ مُجرَّد عودةٍ صحيحةٍ لرسالة المسيح الحقيقيَّة التي نالها التّحريف والتّشويه عبر الأجيال فحسب.

أكَّد "فاوستو سُوزيني" أنْ يسُوع المسيح كان إنساناً ونبيّاً ورسولاً ناطقاً باسم الله، ومُبلِّغاً لكلمة الله، وموهوباً قُوَّةً إلهيَّةً خارقةَ الحدِّ، ولكنْ؛ لم يكن يسُوع إلهاً ولا تجسُّداً للّه، أو لأحد أقانيم الثّالوث الإلهي، وأنَّ المسيح إذا كان يُدْعَى ابنَ الله، فذلك بالتَّبنِّي، لا بالولادة، ومثل ذلك الرُّوح القُدُس، فقد رَفضَ إلهيَّته المُستقلَّة، مُعتبراً إيَّاه قُوَّة إلهيَّة فقط. وهكذا قضى على عقيدة التّثليث من أساسها، مُؤكِّداً فردانيَّة الله، وأنَّه ذُو أقنوم واحد فحسب؛ (أيْ ذُو شخصيَّة واحدة، وليس مُتعدِّد الأشخاص)، ثُمَّ رَفضَ عقيدةَ الخطيئة الأصليَّة الموروثة التي تحتاج لتكفير، ووافق ـ فقط ـ على أنَّ في الإنسان ميلاً إلى الشَّرِّ موروثاً. وكنتيجةٍ طبيعيَّةٍ لذلك؛ رَفضَ فكْرة الفداء المسيحيَّة القائلة بأنَّ المسيح صُلبَ وتألَّم كَفَّارة لخطيئة البشر، بل فسَّر عمل الفداء الذي أتمَّهُ المسيح بأنَّه دلَّ النّاسَ بواسطته على طريق الكمال والتّضحية الأخلاقيَّة التي تقودهم إلى الحياة الأخلاقيَّة المغبوطة والسّعيدة بعد الموت. وأخيراً؛ رَفضَ فكْرة الجَبْر؛ أي التّحديد السّابق لمصير الإنسان، التي ركَّز عليها البرُوتستانت؛ لا سيما الكالفانيِّيْن. ومع هذا؛ كان يُجيز عبادة المسيح كتعبير عن إجلاله وتعظيمه والتماس العون منه؛ باعتبار أنَّ الله رَفَعَهُ، ومجَّدهُ، وأعطاه كُلَّ قُدرة في الأرض والسّماء.

نَشَرَ "فاوستو سُوزيني" أفكارَهُ تلك في رسائل إصلاحيَّة؛ ردَّ فيها كُلَّ عقائد الكَنيسة الأساسيَّة من تثليث، وتجسُّد، وكَفَّارة، وغيرها، فانتشرت كتاباته ورسائله وتعاليمه في كُلِّ

مكان، وعُرِفَتْ مدرسته أو مذهبه اللاّهوتي باسم "السُّوسيانيَّة"، أمَّا مُخالفوه؛ فَسَمّوا أتباعه بـ"الآريانيِّيْن الجُدُد" (أيْ أتباع مذهب الأسقف الإسكندراني القديم آريُوس الذي أنكر إلهيَّة المسيح، وقال بتفرُّد الله الآب بالإلهيَّة). ورغم أنَّه وَجَدَ أتباعاً في سويسرا وألمانيا، إلاَّ أنَّهم كانوا أفراداً مُشتَّتين، قليلي العدد، مغمورين بين البرُوتستانتيِّيْن المُتعصِّبين، لذلك هاجر "فاوستو سُوزيني"، ورفاقه الفكْريُّون، سنة 1551، إلى بُولاندا، وترانسلفانيا Transylvania (منطقة جبليَّة واسعة وسط دولة رُومانيا الحاليَّة)، آملين أنْ يستطيعوا أنْ يُشكِّلوا ـ هُناك ـ جمعيَّة خاصَّة بهم. وقد تمكَّن "فاوستو سُوزيني" ورفاقه من تحقيق ذلك سنة 1561، فقد وَجَدَ التّوحيديُّون أتباعاً كثيرين في ترانسلفانيا، وبُولاندا؛ لاسيما في وسط الأُمراء والأشراف. وكان أوّل انتشار لها عندما أعلن طالب بُولاندي اسمه "بيتر جُونيسيوس" Peter Gonisius، عام 1555، أفكاره المُستقاة من كتابات الطّبيب الأسباني "ميخائيل سيرفيتوس" (سابق الذّكْر) في مجمع الكَنيسة البُولانديَّة المُصْلَحة Poland Reformed Church، تلك الأفكار التي أوقعت معركة من الآراء بين أهل التّثليث والقائلين بأقنومَيْن ـ فقط ـ في الله، وبين القائلين بوحدانيَّة الأقنوم في الذّات الإلهيَّة الواحدة الصّرفة، وكان نتيجةُ هذا الاختلاف الفكْري انفصالَ الكَنيسة البُولانديَّة المُصْلَحة الصّغيرة Minor Poland Reformed Church، عام 1565، أو كَنيسة الإخوة البُولانديِّيْن، التي حملت نفس الأفكار التّوحيديَّة للسُّوسيانيِّيْن، وسُرعان ما بَرَزَ ـ كزُعماء لهذه الكَنيسة الجديدة ـ شخصيَّات مثل "غريغوري بول" Gregory Paul، و"مارسين جيكُويتش" Marcin Czechowic، و"جُورج سكومان" Georg Schomann.

وكان في بلاط ملك ترانسلفانيا "جُون سيغيسموند" John Sigismund، طبيبٌ إيطاليُّ الأصل يُدعى "جيُورجيُوس بلاندراتا" Georgius Blandrata (أُتي به كطبيب خاصٍّ لعروس الملك الإيطاليَّة أيضاً)، كان ذلك الطّبيب من مُعتنقي الأفكار السُّوسيانيَّة، فلعب دوراً هامّاً في التّأثير على الملك بأفكاره، ممَّا جَعَلَ الملك يسمح للسُّوسيانيِّيْن بنَشْر أفكارهم في مملكته بحُرِّيَّة، بل صار الملك نفسه ـ فيما بعد ـ من مُعتنقي هذه الأفكار، والمُشجِّعين على نَشْرها، وبثّ نَفْي التّثليث، ونَفْي العقائد التّقليديَّة في رُبُوع مملكته، وسُرعان ما أصبحت مدينة راكوف جنوب بُولاندا ـ مُنذُ عام 1569 ـ نُواة لما عُرِف باسم جماعة الإخوة البُولانديِّيْن.

وهكذا ساعدت الأُمُور "فاوستو سُوزيني"، فلم تأت نهاية القرن السّادس عشر إلاّ وقد تشكَّلت في بُولاندا، وترانسلفانيا جماعات مُستقلَّة من المُؤمنين السُّوسيانيِّين مع كنائسهم ومدارسهم. وكان من أهمِّ ما نَشَرَهُ - هُناك - كتابه القيِّم "تفسير القسم الأوَّل من الإصحاح الأوَّل من إنجيل يُوحنَّا" **Explanation of the First Part of the First Chapter of John's Gospel** (انتشرت أوَّل طبعة منه في ترانسيلفانيا عام **1567 - 68**)، ثُمَّ كتابه "حول يسُوع المسيح المُخلِّص" **"On Jesus Christ, the Saviour"** (طُبع أوَّل مرَّة عام **1594**)، وكتابه "حالة الإنسان الأوَّل قبل السُّقُوط" **"On the State of the First Man Before the Fall"** (أوَّل طبعة عام **1578**).

وبفضل ما انضمَّ إلى الجماعة السُّوسيانيَّة التّوحيديَّة من النُّبلاء في بُولاندا لم تنلْ الجماعة حُرِّيَّتها الكاملة، والاعتراف بإيمانها فحسب، بل بلغت حدَّ الازدهار. وبعد وفاة "فاوستو سُوزيني" جُمعت رسائله وكتاباته في بُولاندا في كتابٍ واحدٍ نُشر في مدينة "راكوف" **Rakow** البُولانديَّة عام **1605**م، ولذلك أخذ اسم "كتاب العقيدة الرّاكوفيَّة" **Racovian Catechism**. بالطّبع؛ أَسْخَطَتْ كتاباتُ ومطبوعاتُ التّوحيديِّيْن المُتعصِّبينَ من المسيحيِّيْن، ممَّا حدا بجماعةٍ هائجةٍ من عوامِّهم أنْ يُهاجموا المطبعة السُّوسيانيَّة الشّهيرة، والمدرسة السُّوسيانيَّة في مدينة راكوف، ويُدمِّروها تدميراً.

ومن الجهة الأُخرى؛ كانت السُّوسيانيَّة قد لقيت رواجاً في هنغاريا (المجر) أيضاً؛ بفَضْل القسِّيس الرُّوماني فرانسيس ديفيد **Francis (Ferenc) David** (**1510 - 1579**)، الذي كان أسقفاً كاثُوليكيّاً، ثُمَّ اعتنق البرُوتستانتيَّة، ثُمَّ وَصَلَ - بفَضْل دعوة الطّبيب الإيطالي "جيُورجيُوس بلاندراتا" **Georgius Blandrata** (المذكور أعلاه) - إلى أفكار مُشابهة لأفكار "فاوستو سُوزيني" في إبطال التّثليث، ونَفْى أُلُوهيَّة المسيح، بل أكثر من ذلك؛ أعلن بُطلان وخطأ توجيه العبادة للمسيح، ممَّا أحدث ضجَّة كبيرة بين المسيحيِّيْن هُناك. وقد أثمر التّعاون بين القسِّ "فرانسيس ديفيد" وطبيب البلاط "بلاندراتا" في نَشْر كتابَيْن هامَّيْن من كُتُب التّوحيديِّيْن، هُما: "حول خطأ وصواب وحدانيَّة الله الأب، الابن، والرُّوح القُدُس" **"On the False and True Unity of God the Father, Son, and Holy Spirit"** (انتشر عام

1567) والثّاني "حول هيمنة المسيح" "On the Reign of Christ" (نُشر عام 1569)، واللّذَيْن بدت فيهما - بشكل واضح - أفكار الطّبيبَيْن التّوحيديَّيْن "سيرفيتوس" الأسباني و"سُوزيني" الإيطالي. هذا؛ وقد أثّرت دعوة القسّ فرانسيس ديفيد حتّى في ملك هنغاريا نفسه، الذي أصدر بياناً أمر فيه بإعطاء "التّوحيديّيْن" حُرّيّة العقيدة.

لم يدم الحال للتّوحيديّيْن أو أتباع السُّوسيانيَّة على هذا النّحو الطّيِّب، بل كان لابُدَّ للتَّعصُّب الدِّيني ضدَّهم أنْ يفعل فعلته؛ حيثُ بدؤوا يتعرَّضون لاضطهاد وحشي مُنظَّم مُنذُ عام 1638، فحُرق الكثير منهم أحياءً، أو حُرموا من حُقُوقهم المَدَنيَّة، وأُحْرقَت كُتُبُهُم، وفي عام 1658، وبإلحاح من جماعة الجيزويت (اليسُوعيّيْن الكَاثُوليك)، خُيِّرَ النّاسُ بين قبول الكَاثُوليكيَّة، أو الطَّرْد للمنفى، أو الإعدام، وبهذا؛ تمَّ طَرْدُ التّوحيديّيْن من بُولاندا، فهاجر الكثير منهم إلى هُولاندا، وتوزَّع الآخرون في أطراف أُورُوبا، وظلُّوا فئات مُنفصلة لفترات طويلة، وبقي جماعة منهم في ترانسلفانيا (لا تزال باقية إلى اليوم)، وانتشرت أفكار التّوحيديّيْن إلى هُولندا، ثُمَّ بريطانيا، وأخيراً؛ سَرَتْ للولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، وكانت وراء نُشُوء الفرقة الشّهيرة التي تسمَّتْ باسم التّوحيديّيْن The Unitarians (سنتحدَّث عنها في آخر الفصل الخامس القادم مُفصَّلاً).

4) فرقة الأرمينيانيّيْن Arminianism:

بدأت جماعة الأرمينيانيّيْن عندما قام لاهوتي هُولاندي برُوتستانتي يُدعى "يعقوب الأرميني" Jacobus Arminius، كان في البداية كالفيني المَشْرَب، وصار واعظاً إصلاحيّاً مُنذُ سنة 1588، ثُمَّ أُستاذاً للاّهوت في جامعة ليدنLeiden مُنذُ سنة 1603، بدأ بمُحاضراته ومواعظه يردُّ على العقيدة الجَبْريَّة المُحزنة والمُكربة التي بثَّها "جان كالفن" بشأن التّحديد السّابق لقَدَر كُلِّ إنسان، بنحو يسلب منه حُرّيّة الاختيار، فقد أثبت "يعقوب الأرميني" حُرّيّة الاختيار لدى الإنسان، وأنَّ له دوراً أساسيّاً في مصيره قائلاً: إنَّ القول بحُرّيّة الاختيار لا يتناقض - أبداً - مع عقيدة التّحديد السّابق لقَدَر ومصير كُلِّ إنسان، والتي ينصُّ عليها الكتاب المُقدَّس.

وأكَّد "يعقوب الأرميني" في مواعظه ومُحاضراته بأنَّ الله ـ مُنذُ الأزل ـ اختار أُناساً للنّجاة، وآخرين للهلاك، كما بيَّنه يسُوع في مثال الخراف والجداء[1]، ولكنَّ هذا لا يستتبع إجبارهم على ما يفعلون، بل إنَّ النّاس ينالون مصيرهم بناءً على ذُنُوبهم التي يرتكبونها بمحض اختيارهم وإرادتهم الحُرَّة التي مَنَحَهُم اللهُ إيَّاها، وأنَّ هذا هُو المُتوافق مع العدل الإلهي والحكمة الإلهيَّة. وقد انضمَّ كثيرون إلى هذا التّعليم الجديد في هُولندا. ولكنْ؛ قام ضدَّه الثّابتون على التّعليم عن سابق التّحديد المُحتَّم. وكان على رأس هؤلاء فرانس غُومار رفيق "يعقوب الأرميني" في الجامعة. وبدأ الجَدَل الحادُّ بين الأرمينيِّين والغُوماريِّين. وبعد "يعقوب الأرميني" سنة 1609، طوَّرت مجموعةٌ من الكَهَنَة واللاَّهوتيِّين ـ الذين أيَّدوه، واتَّبعوه في فكْرته عن سابق الاختيار الإلهي ـ نظاماً عقائديّاً لاهوتيّاً عقلانيَّ المنحى، مُرتكزاً على تعاليمه، بيَّنوا فيه أنَّ الاختيار الإلهي السّابق مُبتنٍ على الإيمان، وأنَّ الإنسان بإمكانه باختياره أنْ يرفض النّعمة الإلهيَّة، وأنَّ عمل المسيح كان مقصوداً منه كُلّ النّاس والبشريَّة جمعاء، وأنَّه من المُمكن لبعض المُؤمنين أنْ يسقطوا ويُحرَموا من نيل نعمة الله التي حصلت بالفداء. وقد أثاروا لغطاً واحتجاجاً ومُعارضةً عام 1610م، بسبب هذا الإعلان، وحمي وطيس الجَدَل بين المُوافقين والمُخالفين، واتَّخذ بسُرعة ـ كالعادة ـ شكلاً سياسيّاً؛ لأنَّ مُوريتس ورانسك الشّهير مُحرِّر هُولاندا من الأسبان، انحاز لجهة الغُوماريست الرّافضين لعقيدة الأرمينيانيِّين، آملاً أنْ يتمكَّن ـ بمُساعدتهم ـ من إزالة إدارة الجُمهُوريَّة في هُولندا، وأنْ يصير ملكاً. وفي المجمع العامِّ الإصلاحي في أوترخت **Utrecht** (سنة 1618 ـ 1619)؛ حكم

---

(1) إشارة إلى ما جاء في الإنجيل « 31 وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَان في مَجْده وَجَميعُ الْمَلاَئكَة القدِّيسينَ مَعَهُ فَحينَئذٍ يَجْلسُ عَلَى كُرْسيِّ مَجْده. 32 وَيَجْتَمعُ أَمَامَهُ جَميعُ الشُّعُوب، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ منْ بَعْضٍ، كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعي الْخرَافَ منَ الْجدَاء. 33 فَيُقيمُ الْخرَافَ عَنْ يَمينه، وَالْجدَاءَ عَن الْيَسَار. 34 ثُمَّ يَقُولُ الْمَلكُ للَّذينَ عَنْ يَمينه: تَعَالَوْا يَا مُبَاركي أَبي رثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسيس الْعَالَم. . . . . ويَقُولُ أيضاً للَّذينَ عَن الْيَسَار: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعينُ إلَى النَّار الأَبَديَّة الْمُعَدَّة لإبْليسَ وَمَلاَئكَته. . . . 46 فَيَمْضي هَؤُلاَء إلَى عَذَابٍ أَبَديٍّ وَالأَبْرَارُ إلَى حَيَاةٍ أَبَديَّة». إنجيل متَّى الإصحاح 25/ 31 ـ 46. وهُناك نُصُوص عديدة تنفي الاختيار السّابق؛ منها قول بُولُس مثلاً: «تبارك الله أبو ربِّنا يسُوع المسيح، فقد باركَنَا كُلَّ بركةٍ رُوحيَّةٍ في السّموات في المسيح، ذلك بأنَّه اختارنا فيه قبل إنشاء العالم لنكون في نظره قدِّيسين». أفسس 1/ 3 ـ 4.

على الأرمينيانيِّيْن كهراطقة، وتعرَّضوا لاضطهادات عنيفة. ولكنْ؛ بموت مُوريتس في سنة 1625، استعادوا حقُوقهم الوطنيَّة، وحصلوا على حُرِّيَّة الاعتراف بالإيمان.

ثامناً: الكنائس والحَرَكَات البرُوتستانتيَّة:

لم تكن الحَركَة البرُوتستانتيَّة واحدة، بل كانت - كما شاهدنا - مُتعدِّدة، ونشأ عنها - في مُختلف بُلدان أُورُوبا - عديدٌ من الكنائس والحَرَكَات، وكانت أهمّ وأشهر الكنائس البرُوتستانتيَّة هي التَّالية:

1 - الكَنيسة اللُّوثريَّة:

يُشكِّل اللُّوثريُّون أكبر كَنيسة برُوتستانتيَّة في العالم. تأسَّست الكَنيسة اللُّوثريَّة في أوائل القرن السَّادس عشر على التَّعاليم والمُعتقدات التي نادى بها "مارتن لُوثر" رائد الإصلاح البرُوتستانتي. وعلى الرّغم من ذلك، تُؤكِّد الكَنيسة اللُّوثريَّة أنَّها تتبع - في الواقع - التَّعاليم المسيحيَّة الأصليَّة التي ترجع إلى عهد ما قبل الإصلاح.

ليس لدى اللُّوثريِّيْن أيُّ شكل تنظيمي يُميِّزهم من بقيَّة الطّوائف المسيحيَّة الأُخرى. فبعض الجماعات اللُّوثريَّة ترى ضرورة أنْ يكون لها أسقف، بينما يُصرُّ البعض الآخر على الولاء للكَرَادلة ورجال الكَنيسة المحلِّيِّيْن، وبين هذَيْن الاتِّجاهَيْن المُتشدِّدَيْن تُوجد مجموعات لُوثريَّة أُخرى.

ليس للُّوثريِّيْن طريقة عبادة مُوحَّدة. فبعض ترانيم رجال الدِّين اللُّوثريِّيْن ترانيم تقليديَّة تُشبه التّرانيم الكَاثُوليكيَّة، أمَّا البعض الآخر؛ فيقترب من طريقة العبادة التَّطهُّريَّة البسيطة التي تدعو إلى تبسيط طُقُوس العبادة والتَّمسُّك الشّديد بالفضيلة.

التّعاليم: تعاليم ومبادئ "مارتن لُوثر" هي التي تفصل بين اللُّوثريِّيْن وبقيَّة الكنائس المسيحيَّة الأُخرى، وأشهر بيان لتعاليم لُوثر جاء في كتابَيْن كَتَبَهُمَا عام 1529م، وضمَّنهما خُلاصة العقيدة في قالب سؤال وجواب، بالإضافة إلى اعترافات أُوغسبيرج عام 1530م. وتُشكِّل هذه التّعاليم أُسُس العقيدة اللُّوثريَّة، وهي أنَّ خلاص البشريَّة مُرتهن برحمة الله،

وليس بالسُّلُوك الأخلاقي والأعمال الطِّيِّبة ، وبتعبيرٍ آخر ؛ إنَّ رحمة الله هي التي تُخلِّص النّاس من خطاياهم ، والفداء بدم المسيح ، وعندما يتحرَّر الإنسان من خطاياه يُصبح مخلوقاً جديداً ، قادراً وراغباً في خدمة الله ، وخدمة إخوانه . ويرى اللُّوثريُّون أنَّ الإنجيل يُبيِّن هذه الرّسالة ، ويُؤكِّدها بطريقة لا مثيل لها . ويعتقدون أنَّ أثر الإنجيل أقوى من تعاليم الكَنيسة . وللُّوثريِّيْن قُربانان مُقدَّسان هُما المَعْمُوديَّة ، والعشاء الرَّبَّاني ، مع رَفْض عقيدة الاستحالة **Transubstantiation** في العشاء السِّرِّيِّ ـ أيْ التَّحوُّل الحقيقي السِّرِّيّ للخُبز والخمر الذي يتناوله المُؤمن أثناء القدَّاس إلى جسد ودم المسيح فيه حقيقةً كما يعتقده الكَاثُوليك والأرثُوذكس ـ والاكتفاء بالحُضُور الرُّوحي المُصاحب للمسيح **Consubstantiation** في الخُبز والخمر المُتناول في القدَّاس ، بمعنى أنَّ الخمر والخُبز يُمثِّلان اتِّحاداً معنويَّاً ورُوحيَّاً مع جسد ودم المسيح ، ويُسمَّى العشاء السِّرِّيُّ ـ أيضاً ـ بالقُربان المُقدَّس ، أو قُربان المذبح .

ويُشكِّل التّاريخ الاجتماعي للكَنيسة ـ أيضاً ـ جانباً من المبادئ والمُعتقدات اللُّوثريَّة . ويعيش كثيرٌ من اللُّوثريِّيْن في الدُّول الإسكنديناڤيَّة (كالسُّويد ، والدّانمرك ، والنّرويج) ؛ حيثُ تُعَدُّ اللُّوثريَّةُ دينَ الدّولة ، ويعيش كثير منهم في ألمانيا أيضاً . أمَّا اللُّوثريُّون الذين يعيشون خارج أُورُوبا ؛ فيتحدَّرون من الأُورُوبيِّيْن الشّماليِّيْن ، لذا ؛ نجد كثيراً من ملامح حضارة شمالي أُورُوبا وثيقة الصّلة بالتُّراث اللُّوثري ، مثال ذلك الإحساس القوي بالمسؤوليَّة أو الواجب الفردي ؛ إذْ يُعدُّ صفة مُميَّزة للُّوثريَّة الألمانيَّة ، كما يُعدُّ ـ كذلك ـ للُّوثريِّيْن وَللألمان أيضاً .

واللُّوثريُّون مُحافظون ـ أيْ غير ثوريِّيْن ـ تجاه القضايا السِّياسيَّة والاجتماعيَّة التي يدور حولها خلاف ، ويرجع ذلك إلى ارتباط الكَنيسة بحضارات أُورُوبا الشّماليَّة والطّبقات الحاكمة آنذاك . ولقد ساعد لُوثر على تهيئة هذا الاتِّجاه حين أكَّد على أهمِّيَّة الطّاعة ، وحذَّر من عاقبة الفوضى السِّياسيَّة والاجتماعيَّة التي يخشاها أكثر من خشيته من الظُّلم ، ولكنْ ؛ في بعض الأحداث السِّياسيَّة ـ مثل أحداث المجر في القرن التّاسع عشر ـ كانت الكَنيسة اللُّوثريَّة أكثر ثوريَّة من الكنائس الأُخرى .

2 ـ الكَنيسة المنهجيَّة أو الميثوديَّة Methodists:

الميثوديُّون أو المنهجيُّون هُم أتباع الحَركَة الدِّينيَّة الإصلاحيَّة التي قادها في أُوكسفُورد/ إنجلترا عام 1729، اللاَّهوتي الأنجليكاني البريطاني "جُون ويزلي" John Wesley (1703 ـ 1791) وأخوه تشارلز (1707 ـ 1788) مُحاولَيْن فيها إحياء كَنيسة إنكلترا.

كان "جُون ويزلي" الابن الخامس عشر للقسِّيس البريطاني الأنغليكاني صموئيل ويزلي. تلقَّى تعليمه في المدرسة، ثُمَّ في كَنيسة المسيح في جامعة أُوكسفُورد. رُسم شمَّاساً عام 1725، وقُبلَ في سلْك كَهَنُوت الكَنيسة الأنجليكانيَّة عام 1728، وعمل لفترة راعي كَنيسة مُساعداً لأبيه. وانتقل للإقامة في أُكسفُورد عام 1929، كزميل لكُلِّيَّة لينكولن، وهُناك انضمَّ إلى النّادي المُقدَّس، الذي كان يضمُّ مجموعة من الطُّلاَّب، وفيهم أخوه "تشارلز ويزلي"، وضمَّ ـ كذلك ـ "جُورج وايت فيلد" George Whitefield الذي أصبح ـ فيما بعد ـ مُؤسِّس الميثوديَّة الكالفينيَّة. كان أعضاء ذلك النّادي يلتزمون ـ بشكل صارم ودقيق ومنهجي ـ بالمبادئ والتّعاليم الدِّينيَّة، بما في ذلك زيارة المساجين والمرضى وتسكينهم، ومن هُنا؛ كان زُملاؤهم في الدّراسة يُطلقون عليهم ـ من باب السُّخرية ـ اسم "المنهجيِّيْن" Methodists.

في عام 1735، سافر ويزلي إلى ولاية جُورجيا في أمريكا ضمن بعثة تبشيريَّة أنجليكانيَّة، والتقى في السّفينة بعضَ المُورافيِّيْن الألمان، الذين أثَّرت فيه تقواهم الإنجيليَّة البسيطة. وبقي على اتِّصال معهم أثناء إقامته في ولاية جُورجيا، وقام بترجمة بعض ترانيمهم إلى اللُّغة الإنجليزيَّة. وباستثناء هذه الزّمالة، كانت تجربة ويزلي الأميركيَّة فاشلة.

لدى عودته إلى إنجلترا عام 1738، سعى ويزلي إلى لقاء المُورافيِّيْن ثانية، وأثناء حُضُوره إحدى اجتماعاتهم في لندن شعر بيقظة وصحوة دينيَّة في داخله، أقنعتْهُ ـ بشكل عميق ـ بأنَّ الخلاص مُمكن لكُلِّ إنسان من خلال الإيمان بيسُوع المسيح فقط. ورغم مُعارضته الابتدائيَّة لإلقاء المواعظ خارج الكَنيسة، إلاَّ أنَّ ويزلي بدأ في أبريل عام 1739، بإلقاء موعظة في الهواء الطّلق، والأماكن العامَّة، وقد أحدثت مواعظه تأثيراً حماسيّاً كبيراً في سامعيه، ممَّا أقنعه بأنَّ المواعظ في الهواء الطّلق أفضل طريقة للوُصُول إلى جماهير النّاس،

ولكنْ؛ بالطّبع لم يُتَحْ له عددٌ كبيرٌ من المنابر نَظَراً لكون الكَنيسة الأنكليكانيَّة كانت تتجهَّم بالحَرَكَات الإحيائيَّة.

في الواقع؛ استطاع ويزلي أنْ يجذب عدداً كبيراً من الجماهير من خارج سلكه الإنجيلي، كما أنَّ نجاحه يعود - في جُزء منه - إلى كون إنجلترا المُعاصرة كانت مُستعدَّة لحَرَكَة إحيائيَّة؛ حيثُ لم تكن الكَنيسة الأنكليكانيَّة قادرة على تقديم ذلك النّوع من الإيمان الشّخصي للنّاس المُتعطِّشين. من هُنا؛ لقي تشديد ويزلي على الدّيانة الدّاخليَّة وتأكيده أنَّ كُلَّ إنسان تمَّ قبوله كابن للّه ترحيباً وجاذبيَّة واسعة لدى النّاس في بريطانيا.

في الأوَّل من أيّار/ مايو **1739**، شكَّل ويزلي - مع مجموعة من أتباعه، التقوا في حانوت في لندن - أوَّل جماعة ميثوديَّة أو منهجيَّة، ثُمَّ انتشرت مثل هذه الجماعات في مناطق أُخرى من بريطانيا، وفي آخر **1739**، تمَّ تأسيس بناء سُمِّي "الأساس"، وخدم كمركز قيادة الحَرَكَة المنهجيَّة لسنوات عديدة. مع تنامي الحَرَكَة؛ بَرَزَتْ حاجة مُلحَّة إلى التّنظيم. لذلك بدءاً من عام **1742**، تمَّ تقسيم الجماعات إلى شُعب، وتعيين زعيم لكُلِّ شُعبة. وقد ساهمت لقاءات تلك الشُّعب في نجاح الحَرَكَة بشكل كبير، بالإضافة للدّور الشّخصي الهامِّ الذي لعبه زُعماء تلك الشُّعب، الذين كان يُعيِّنهم ويزلي نفسه، ثُمَّ مُنذُ عام **1744**، بدأت تُعقد مُؤتمرات سنويَّة للزُّعماء الميثوديِّيْن.

كان ويزلي واعظاً ومُنظِّماً لا يعرف الكَلَل، كان يقطع ما يزيد على **8000** كم سنويّاً، مُلقياً أربع أو خمس خُطب في اليوم، ومُؤسِّساً لجماعات جديدة.

اختلف ويزلي مع المُورافيِّيْن عام **1740**، بسبب عقيدتهم حول القضاء السّابق المحتوم (العقيدة الجَبْريَّة)، ممَّا جَعَلَهُ ينفصل عن وايت فيلد، كما أنَّه اختلف مع عدد من نزعات كَنيسة إنجلترا، بما في ذلك عقيدة الخلافة الرّسوليَّة؛ (أيْ المُحافظة على سلسلة غير مُنقطعة من أساقفة الكَنيسة المسيحيَّة تصل إلى القدِّيس بُطرُس الرّسول)، ولكنَّه لم يقل - أبداً - إنَّه كان ينوي إنشاء كَنيسة جديدة، ومع ذلك؛ كانت النّتيجة التي لا يُمكن اجتنابها لأفعاله وأفكاره وُقُوع هذا الانفصال عن الكَنيسة الأنكليكانيَّة بعد وفاة ويزلي.

في عام 1784، أصدر ويزلي إعلاناً حدَّد فيه قواعد ونُظُم لهداية وإرشاد الجماعات الميثوديَّة (المنهجيَّة)، وفي نفس العام؛ قام بتعيين مُساعده تُوماس كُوك، رجل دين أنكليكاني، كرئيس للتّنظيم الميثودي (المنهجي) في الولايات المُتَّحدة، مُفوِّضاً إليه إدارة الطُّقُوس السِّرِّيَّة، وترسيم الكَهَنَة، وكان إعطاء حقِّ ترسيم الكَهَنَة يُمثِّل أهمَّ خُطوة باتِّجاه الانفصال عن الكَنيسة الأنكليكانيَّة، ذلك الانفصال الذي لم يحدث إلاَّ بعد موت ويزلي. لقد كان ويزلي مُهتمّاً ـ بشكل عميق ـ برَفْع المُستوى الثّقافي والاقتصادي والصِّحِّي لجماهير النّاس، وكان كثير التّأليف في موضوعات تاريخيَّة ودينيَّة مُختلفة، وقد ألَّف 23 مجموعة من التّرانيم، وترجم عن اليُونانيَّة واللاَّتينيَّة والعبريَّة. في أيَّام حياته الأخيرة؛ تلاشت عداوة الكَنيسة الأنجليكانيَّة لحَرَكَة ويزلي المنهجيَّة، بل أبدت الكَنيسة الأنجليكانيَّة إعجابها بها، ولَمَّا تُوفِّي ـ سنة 1791 ـ دُفن في كَنيسة سيتي رُود في لندن، وتمَّ وَضْع لوحة تذكاريَّة باسمه في دير ويستمنستر **Westminster Abbey** الشّهير.

تميَّز وَعْظ الأخوَيْن ويزلي بناحيَتَيْن بارزَتَيْن تميَّزت بهما حَرَكَة المنهجيِّيْن، النّاحية الأُولى هي دعوة الجميع إلى الاستجابة للرَّبِّ من خلال يسُوع المسيح فحسب، والنّاحية الثّانية هي دعوة الذين استجابوا إلى الاندماج في جمعيَّات. وقد طوَّر الأعضاءُ في الجمعيَّات القواعدَ الانضباطيَّةَ للحياة المسيحيَّة، وذلك بشكل أساسي من خلال الفُرُوع التي سُمِّيَتْ شُعَباً، وكانت الشُّعب تلتقي أُسبُوعيّاً في ظلِّ التّوجيه الرُّوحي لقائد الشُّعبة.

وبانتشار الحَرَكَة؛ بَرَزَ جُون ويزلي قائداً، وتشارلز شاعراً. وقد ألَّف تشارلز 7.000 ترنيمة دينيَّة، وبذلك أعطى الميثوديست صفة مُتميِّزة أُخرى هي التّعبير عن إيمانهم من خلال الغناء. وظلَّت مجموعة التّرانيم الدِّينيَّة (1780م) عملاً رُوحيّاً كلاسيكيّاً يخصُّ الكَنيسة العالميَّة. وكان الدّور الرّئيسي لجُون تنظيم الجمعيَّات في نظام مُتَّصل يُمكن التَّحكُّم فيه من خلال مُؤتمر يُعقَد سنويّاً.

وعُقِد هذا المُؤتمر أوَّل مرَّة عام 1744م. وتميَّزت "المنهجيَّة" باستخدام جُون ويزلي للوُعَّاظ غير المُعتمَدين. وقد أراد جُون ويزلي أنْ تبقى الجمعيَّات حَرَكَة إصلاحيَّة داخل نطاق

كَنيسة إنجلترا، إلاَّ أنَّ مُقاومة رجال الدِّين الذين يتبعون الكَنيسة الإنجليزيَّة، والحاجة لتوفير إشراف رعوي لأعضاء المُجتمع، أدَّتا إلى الانفصال عن الكَنيسة.

واعترف ويزلي بهذا الانفصال في عام **1784**م، عندما عيَّن تُوماس كُوك، المُدير الأوَّل للكَنيسة "المنهجيَّة" في أمريكا. وقام - أيضاً - بمَنْح كُوك سُلطة تعيين فرانسيس أزبوري ليخدم بالطّريقة نفسها.

وقد تمَّ تأسيس أبرشيَّة الكَنيسة "المنهجيَّة" (الميثوديستيَّة) في عام **1784**م، في مُؤتمر عيد الميلاد الذي عُقد في بالتيمور بولاية ماريلاند في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، وكان كُوك وأزبوني أوَّل أساقفتها. وانتشرت الطّائفة الجديدة بسُرعة، وبخاصَّة من خلال الوُعَّاظ الرَّحَّالة، المعروفين باسم المُبشِّرين الرَّحَّالة، الذين نشروا رسالة الميثوديستيَّة في السّاحة الأمريكيَّة الواسعة.

التَّغيُّر الاجتماعي والانقسام:

عندما تعزَّزت الميثوديستيَّة، أفسحت القواعد الأُولى للجمعيَّات المجال لهيكلة اجتماعيَّة كَنَسيَّة ذات مطالب أقلّ. وقد تصاعد التَّوتُّر، وكان بعضه يُعْزى إلى قضايا غير محلولة تخصُّ حُكْم الكَنيسة، وذلك بعد وفاة جُون ويزلي في عام **1791**م. إلاَّ أنَّ السّبب لهذا التَّوتُّر يُعزَى إلى أنَّ الميثوديستيَّة ركَّزت على نمط حياة مُعيَّن لمسيحيِّيْ العالم. وأدَّى هذا التّركيز إلى جَعْل أعضائها مُشاركين في التَّغيُّرات الاجتماعيَّة في القرن التّاسع عشر الميلادي. وشكَّل بُرُوز حَرَكَة اتِّحاد التّجارة الصّراع الرّئيسي في بريطانيا. أمَّا في الولايات المُتَّحدة؛ فقد تمثَّل في الرِّقّ.

وقد أدَّت هذه المسائل إلى حُدُوث انقسامات عديدة في صُفُوف الميثوديست. وقد تجسَّد الانقسام الأوَّل في بريطانيا، بتشكيل الرّابطة الميثوديستيَّة الجديدة في عام **1797**م، والتي تبعها الميثوديست الأوائل في عام **1810**م. أمَّا في الولايات المُتَّحدة؛ فقد أدَّت الانقسامات إلى تأسيس الكَنيسة الميثوديستيَّة الويزليَّة في عام **1843**م، والكَنيسة الميثوديستيَّة الحُرَّة في عام **1860**م. وتمَّ تأسيس عدد من الكنائس الميثوديستيَّة الزّنجيَّة؛ وتضمُّ الكَنيسة الإفريقيَّة عام

1787م، وأبرشيَّة كَنيسة الرَّبِّ الميثوديستيَّة الإفريقيَّة عام 1796م، وأبرشيَّة الكَنيسة الميثوديستيَّة الأسقفيَّة للمُلوَّنين عام 1870م، والتي سُمِّيَتْ ـ فيما بعد ـ بالكَنيسة المسيحيَّة. وقد حَدَثَ أهمُّ خلاف حول الرِّقِّ عام 1844م، وأدَّى إلى انقسام الأبرشيَّة الكَنَسيَّة الميثوديستيَّة إلى طائفتَيْن شماليَّة وجنوبيَّة. وأدَّت الاختلافات العقائديَّة إلى تكوين كَنيسة النَّاصرة عام 1908م.

وقد جرت اجتماعات مُوسَّعة لإعادة لَمِّ الشَّمْل في بريطانيا عام 1932م، وفي الولايات المُتَّحدة عام 1939م. وفي عام 1968م، تأسَّست الكَنيسة الميثوديستيَّة المُوحَّدة. وأصبح الميثوديست جُزءاً من كَنيسة كَنَدَا المُتَّحدة عام 1925م، والكَنيسة الأُستراليَّة المُوحَّدة عام 1977م.

يُؤكِّد كُلُّ الميثوديِّيْن ـ عُمُوماً ـ على الأخلاقيَّة الفرديَّة والاجتماعيَّة، وعلى المسؤوليَّة الشَّخصيَّة أيضاً. ويتبع جميع الميثوديست Methodists "جُون ويزلي"، ويقبلون الإنجيل رُكناً أساسيّاً للإيمان، وبينما يَعدُّون كلاً من التَّقاليد المسيحيَّة والفلسفة مصدَرِيْن ثانويَّيْن، فإنَّهم يُؤكِّدون على أهمِّيَّة التَّجربة الدِّينيَّة مقياساً مُهمّاً في الإيمان.

3 ـ الكنائس المشيخيَّة والكنائس المُصْلَحَة:

الكَنيسة المشيخيَّة أو المشيخانيَّة Presbyterian Church واحدة من عدَّة كنائس برُوتستانتيَّة يُدير شُؤُونها شُيُوخ مُنتخَبُون يتمتَّعون كُلّهم بمنزلة مُتساوية. فهُم ـ كسائر فرَق البرُوتستانت ـ يرفضون البابويَّة؛ أيْ الدَّعوى بأنَّ البابا خليفة المسيح، ويرون أنَّ شُيُوخ الكنائس مرتبتهم مُتساوية، ولقد كان "جُون كالفن" أوَّل مَنْ دعا إلى الأَخْذ بهذا الأُسلُوب في إدارة الكَنيسة، ثُمَّ تبنَّاه ـ من بعده ـ جُون نُوكس، والهُوغُونُوت، أو البرُوتستانت الفرنسيُّون.

ويتميَّز المشيخانيُّون Presbyterians بانقسامهم إلى جماعات، يرأس كُلَّ جماعة شيخ منهم، يُسمَّى بشيخ الجماعة Presbyter، وتهتدي الجماعة بهَدْيه، وتتلقَّى عنه. وفلسفتهم في ذلك أنَّ النَّاس خُلقوا أحزاباً، وأنَّه لابُدَّ لكُلِّ حزب من كبير لهم، فهكذا كانت البشريَّة مُنذُ الأزل. وأكثر الكنائس المشيخيَّة تدين بمذهب كالفن البرُوتستانتي.

وتُشكِّل الكنائس المشيخيَّة ـ في الواقع ـ مجموعة كبيرة من كنائس الطّوائف البرُوتستانتيَّة في البُلدان النّاطقة بالإنجليزيَّة، وتُشكِّل الأغلبيَّة بالنّسبة للكنائس البرُوتستانتيَّة التي انتشرت في العالم الجديد؛ أيْ القارَّة الأمريكيَّة؛ خاصَّة الولايات المُتَّحدة، هذا؛ وتُدْعَى الكنائس من هذا القبيل، في خارج البُلدان النّاطقة بالإنجليزيَّة، بالكنائس المُصْلَحَة، أو القويمة **Reformed Churches** مثل الكَنيسة المُصْلَحَة الهُولنديَّة، وأحد شعارات هذه الكنائس الإصلاح الدّائم. وتنتمي زُهاء **100** طائفة مسيحيَّة إلى الاتِّحاد العالمي للكنائس المُصْلَحَة.

وبشكل عامٍّ؛ يُطلَق على جميع الكنائس البرُوتستانتيَّة التي اتَّبعت تعاليم المُصلحَيْن البرُوتستانتيَّيْن السُّويسريَّيْن "جان كالفن" و"أولريخ زْفينْغْلي" اسم الكنائس المُصْلَحَة **Reformed Churches** (ولكالفن التّأثير الأكبر فيها)، وذلك في مُقابل الكنائس البرُوتستانتيَّة التي اتَّبعت تعاليم الإصلاحي الألماني "مارتن لُوثر"، والتي يُطلق عليها اسم الكنائس اللُّوثريَّة أو البرُوتستانتيَّة **Lutheran or Protestant**. ومن أهمِّ الفُرُوق بين الإثنَيْن أنَّ الكنائس المُصْلَحَة ـ تبعاً لتعاليم كالفن وزْفينْغْلي ـ لا تُؤمن لا بالاستحالة **Transubstantiation** ـ أيْ تحوُّل الخُبز والخمر لجسد ودم المسيح فعلاً في جسم المُتناول لهما في العشاء السِّرِّيِّ (الأفخاريستيا)، كما هي عقيدة الكَاثُوليك والأرثُوذكس، ولا بالحُضُور الرُّوحي الفعلي للمسيح **Consubstantiation** في الخُبز والخمر المُتناول في القدَّاس، كما هُو تعليم مارتن لُوثر، بل ترى في تناول الخمر والخُبز في العشاء السِّرِّيِّ مُجرَّد إحياء لذكْرى العشاء الرَّبَّاني للمسيح والتّلاميذ فحسب. كما أنَّ الكنائس المُصْلَحَة رَفَضَتْ بعضَ المراسم الكَنَسيَّة التي بقيت الكنائس اللُّوثريَّة مُحتفظة بها.

وتُشير كلمة مشيخي إلى نموذج مُميَّز من أشكال إدارة الكَنيسة. ويُدير أعضاء الكَنيسة المشيخيَّة مجالس تُسمَّى الجلسات أو المجامع الكَنَسيَّة المُؤلَّفة من قسٍّ وعدد من الشُّيُوخ العلمانيِّيْن غير الكَهَنُوتيِّيْن. وتبعث الجلسات مُمثِّلين عنها إلى مجالس الكَنيسة التي تُدعى مجامع أعضاء الكَنيسة أو الشُّعب التي تُشرف على التَّجمُّعات في المنطقة. وتتمثَّل مجمعات أعضاء الكَنيسة في المجامع الكَنَسيَّة أو الجمعيَّات. وتعمل الإدارة النّيابيَّة على جميع المُستويات؛ بحيثُ يشترك شُيُوخ علمانيُّون في الإدارة مع القساوسة، ويكونون ـ جميعهم ـ على قَدْر المُساواة، ويكون لجميع القساوسة مرتبة مُتساوية.

التّعـاليم والعبـادة: يرجـع المشـيخيُّون والـمُصْلَحُون - دائماً - إلى الإنجيـل؛ باعتبـاره السُّلطة الفاصلـة في الأُمُـور المُتعلِّقـة بالشُّؤُون الدِّينيَّـة. وقـد أصـدرت الكنـائسُ سلسـلةً مـن البيانات الرّسميَّة التي تُعبِّر عن تَفَهُّمها للحقيقة الإنجيليَّة. ومن بين الوثائق الرّئيسـيَّة للاَّهـوت الإصلاحـي، وأكثرهـا شَـغَفَاً وتـأثيراً: كتـاب هـايدلبيرج للتّعليـم الدِّيـني بالسُّؤال والجـواب (1563م)، وكتاب وستمنستر الوجيز في التَّعلُّم الدِّيني بالسُّؤال والجواب (1647م). والكتاب الأوَّل هُو الأكثر استخداماً في أُورُوبا، أمَّا الكتاب الثّاني؛ فهُو أكثر شُيُوعاً في البُلـدان النّاطقـة بالإنجليزيَّة. ويُعَدُّ كتابُ العقيدة المُعتمَـد مـن قِبَـل الكَنيسـة المشـيخيَّة الأمريكيَّـة، والصّـادر في 1967م، إحدى الوثائق الرّسميَّة الأُخرى.

وكان جُون كالفن أكثر اللاَّهوتيِّيْن تأثيراً خلال سنوات تطوُّر تعاليم حَرَكَـة الإصـلاح. وكـان كـالفن مُفسِّراً للإنجيـل أكثر مـن كونـه مُفكِّراً ذا أفكـار مُترابطـة. ويـدور جَـدَل بـين الدّارسين، فيما إذا كان بالإمكان تلخيص أفكـار كـالفن في موضـوع واحـد. وتتمثَّـل إحـدى النُّقاط الرّئيسيَّة في تفكيره، في الإيمان بأنَّ الله هُو الحاكم الوحيد الحقيقي الموجود الذي يحكـم جميع المخلوقات. ويُعَدُّ هذا الاعتقاد أساسيَّاً بالنّسبة للتّعاليم الإصلاحيَّة بشكل عامٍّ.

ويُعَدُّ الإيمان بالقضاء والقَدَر من الموضوعـات المُهمَّـة الأُخـرى، ولا يُركِّـز كـالفن عليـه كثيراً، إلاَّ أنَّه يُعَدُّ أكثر أهمِّيَّة في فكْـر اللاَّهوتيِّيْـن الإصلاحيِّيْـن اللاَّحقـين. والإيمـان بالقضـاء والقَدَر هُو الإيمان القائل بأنَّ الله يُقرِّر المصير الأزلي للبشريَّة. ولم يَعُدْ الإيمان بالقضاء والقَدَر موضوعاً مُميَّزاً في التّعاليم المُصْلَحة.

وفيمـا يتعلَّـق بالعبـادة؛ فقـد كـانت الكنـائس الـمُصْلَحَة تُركِّـز - دائمـاً - علـى الوَعْـظ، بالإضافة إلى المناسك الإنجيليَّة المُقدَّسة المُتعلِّقة بالعماد والعشاء السِّـرِّيِّ. وقـد أفـرزت الكنـائس الـمُصْلَحَة عدداً كبيراً من الوُعَّاظ. وتميَّزت العبادة الجماعيَّة في الماضي، بإنشاد المزامير المُترجَمَـة إلى اللُّغات الدّارجة (اللُّغات المحلِّيَّة) والمُقفَّاة. وخلال المائة أو المائتَيْ عام الأخيرة حلَّت التّراتيل محلَّ المزامير بصُورة عامَّـة. وتمَّ التَّخلِّي مُؤخَّراً - إلى حدٍّ كبير - عـن صـلاة القـدَّاس الرّسـميَّة المعمول بها خلال فترة الإصلاح في القرن السّادس عشر، ليحـلَّ محلَّـها الصّـلاة الحُـرَّة في بدايـة القرن السّابع عشر، وقد عادت الكنائس الـمُصْلَحَة - جُزئيَّاً - إلى وَضْع صيغ للعبادة.

لقد كانت تعاليم الحَرَكَة المُصْلَحَة - على الدّوام - أكثر التّعاليم انتشاراً في العالم، بالنّسبة للهيئات البرُوتستانتيَّة الرّئيسيَّة. وعلى خلاف الإنجيليَّة واللُّوثريَّة، كان يتمُّ تنظيم الكنائس المُصْلَحَة - في غالب الأحيان - دُون دَعْم حكُومي، بل كان يتمُّ ذلك في بعض الأحيان تحت ظُرُوف الاضطهاد. وكان العديد من زُعمائها - ومن بينهم جُون كالفن ونُوكس - منفيَّيْن أو لاجئَيْن من فرنسا، أو إنجلترا، أو اسْكُتْلَنْدَا، أو هُولندا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، أو بُولندا، أو المجر.

وكانت جنيف بسويسرا مركزاً دوليّاً مُهمّاً للاّجئين. ومن جنيف؛ انطلقت أفكار الحَرَكَة المُصْلَحَة، وانطلق زُعماؤها إلى أنحاء أُورُوبا. وأُنشِئَتْ الكنائس المُصْلَحَة في جميع بُلدان أُورُوبا تقريباً، إلاَّ أنَّه كان لكُلٍّ منها مُعتقداتها، وصلواتها، وشكل إدارتها.

وقد أدَّت الكنائس المشيخيَّة والمُصْلَحَة دوراً مُهمّاً في حَرَكَة التّنصير الواسعة في القرن التّاسع عشر؛ إذْ إنَّ ما يقرب من نصف الكنائس الأعضاء في اتِّحاد الكنائس المشيخيَّة العالمي الحالي هي كنائس حديثة العهد، أُنشِئَتْ في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاَّتينيَّة، حتَّى أصبحت الكنائس المُصْلَحَة النّاطقة الإنجليزيَّة أقلِّيَّة بالنّسبة للكنائس المُصْلَحَة الأفريقيَّة، والآسيويَّة، والأمريكيَّة اللاَّتينيَّة. وأدَّت الكنائس المشيخيَّة والمُصْلَحَة - في حالات عديدة - دوراً مُهمّاً في تشكيل الكنائس المُتَّحدة مع طوائف أُخرى. وهذا ما حَدَثَ في الصّين، واليابان، وجنوبي الهند، والفيليبِّين. كما أسهمت الكنائس المُصْلَحَة إسهامات كبيرة في تقديم الأفراد والأموال إلى المُنظَّمات القوميَّة والدّوليَّة المُكرَّسة للوحدة المسيحيَّة.

4 - الحَرَكَة التَّطهُّريَّة أو البيُوريتانيَّة Puritans:

تعني كلمة تطهُّريَّة - عُمُوماً - الجماعة التي - في مُختلف المِلَل والنِّحَل - وفي مُختلف الأزمنة، تبحث عن عبادة بدُون بهارج، وعن التزامٍ صارمٍ بالأخلاق، وتقيُّدٍ صادقٍ بالمُعتقدات التي تُؤمن بأنَّها حقَّة.

وفي الغرب؛ قَصَدَتْ الحَرَكَةُ التَّطهُّريَّةُ العودةَ إلى المسيحيَّة الأصليَّة، ومُعارضة الكنائس السّائدة، وما يتعلَّق بها من كَهَنُوتيَّة، وما تُقدِّمه من تقسيمات في الواجبات الدِّينيَّة.

وبالمعنى التّاريخي؛ تدلُّ كلمة تطهريَّة على الحَرَكَة التي قامت في القرن السّادس عشر، وفي القرن السّابع عشر، في إنكلترا، من أجل مُتابعة الإصلاح المُعتقدي الذي وَضَعَتْهُ إليزابيت من أجل إصلاح النّظام الكَنَسي والطُّقُوسي. وقد نشأت التَّطهُّريَّة في إنكلترا في أواخر القرن السّادس عشر كحَرَكَة إصلاحيَّة مُتأثِّرة بالكالفنيَّة، ومُستهدفة تبسيط طُقُوس العبادة وشعائرها، والدّعوة إلى التَّعلُّق المُتزمِّت بأهداب الفضيلة. ويتمثَّل جوهر "التَّطهُّريَّة" بنُزُوع التَّطهُّريِّيْن نحو الالتزام الصّارم بالأخلاق المسيحيَّة، وبشكل العبادة، وبالعيش في مُجتمع مَدَني مُلتزم أخلاقيّاً، يطيع إرادة الله، ويعمل بوصاياه.

وتُطلَق كلمة مُتطهِّر **Puritan** على كُلٍّ من أتباع هذه الحَرَكَة الذين هاجروا إلى أمريكا بين سنة **1620** و **1640**م، وحاولوا أنْ يُقيموا فيها طائفة دينيَّة وسياسيَّة تتوافق مع مُعتقدهم المثالي. وقد عمل عدَّة عُلماء اجتماع - بأساليب شتَّى - على إبراز العلاقة بين العقليَّة التَّطهُّريَّة ورُوح الرّأسماليَّة.

أ - التَّطهُّريَّة الإنجليزيَّة:

لقد حفظ البرُوتستانت الإنكليز، في القرن السّادس عشر، البنيات الكَهَنُوتيَّة الوسيطيَّة من الضّياع؛ فظلَّت البلاطات يغلب عليها الطّابع الأسقفي في مجال السِّياسة، وظلَّ تراكم الأرباح حتَّى عن طريق الرِّبا مقبولاً، أمَّا المناصب العامَّة؛ فظلَّت تُمتَلَك بالشّراء... وعلى العُمُوم؛ بقيت الطُّقُوسيَّة **Ritualism** والمراسميَّة هي السّائدة في كُلِّ المُعاملات...

ضمن هذه البنيات الجامدة أحدثت الموادُّ التّسع والثّلاثون التي صَدَرَتْ عن الملكة إليزابيت **1533 - 1603**، عقيدة برُوتستانتيَّة ميَّالة إلى الكالفينيَّة، دُون أنْ تشمل على أيِّ تنظيم إلزامي للكَهَنُوت، وبمُوجبها؛ كانت السُّلطة المَلَكيَّة تُسمِّي الأساقفة، وكانت تستخدمهم كأجهزة إداريَّة.

إلاَّ أنَّ عقليَّةً أكثرَ ميلاً إلى الإصلاح كانت سائدة في الطّبقات الاجتماعيَّة، خاصَّة في الطّبقة الوُسطى من سُكَّان المُدُن. وكان لمواعظ الكُهَّان في القرن الرّابع عشر أثر بالغ في نُفُوس النّاس.

وعندما حاولت الملكة ماري تيودوره (1516 - 1588) [مَلَكَتْ ستَّ سنوات من 1553 إلى 1558] إعادة الكَاثُوليكيَّة إلى إنكلترا، شنَّت حملةً كبيرة على البرُوتستانت. فهرب قسم منهم إلى سويسرا، وشكَّلوا في جنيف طائفة من المُهجَّرين بقيادة السّكُتْلَندي جُون نُوكس. ولَمَّا عادت هذه الطّائفة إلى إنكلترا مع استلام إليزابيت الحُكْم، حاول بعض منهم أنْ يغرس في الأرض الإنكليزيَّة الأفكارَ والمُمارسات التي اتَّبعها المُصلحون السُّويسريُّون، فيما يخصُّ الطُّقُوس والتّنظيم الكَنَسي. وقامت في اسْكُتْلَنْدَا، بتأثير من نُوكس كَنيسة مشيخيَّة (برسبيتاريَّة) وطنيَّة.

وفي سنة 1565، استُعملت كلمة مُتطهِّر للدّلالة على هؤلاء الإصلاحيِّيْن الذين كانوا يبحثون عن دينٍ بسيط نقيٍّ، ونزيهٍ، وخالٍ من التّعقيد، ومُجتمع نقيٍّ بعيد عن الانحلال. وبحُكْم مُبالغتهم في الالتزام بمُعتقدهم؛ وقفتْ منهم الأسقفيَّة الأنكليكانيَّة والعرش معها موقف العداء. وعمدت السُّلطات - بمُختلف الوسائل - إلى ترحيلهم. إلاَّ أنَّ الظُّرُوف السِّياسيَّة، والخطر الأسباني الذي تهدَّد بريطانيا - يومئذ - أخَّر تنفيذ التّدابير بحقِّهم. كما قامت فئةٌ منهم تُنادي بالاعتدال، وبعدم مُعاداة الأسقفيَّة، وبإعطاء الأساقفة الحقَّ في إدارة شؤُون الرّعيَّة الدُّنيويَّة دُون المُعتقديَّة.

ورغم الاضطهاد ظلَّت التَّطهُّريَّة قويَّة، خاصَّة في جامعة كمبريدج؛ حيثُ كان العداء مُستحكماً ضدَّ المراسميَّة، وضدَّ البهارج والتّسلية والملاهي، حتَّى إنَّ القيِّمين على الجامعة كانوا يُطالبون بإلغاء الزّينات من الكنائس، وإبطال لباس الكاهن الذي يُميِّزه من سائر الرّعيَّة، كما كانوا يُطالبون بإلغاء بعض ترتيب أثاث الكَنيسة خلافاً للأُصُول المُتَّبعة...

وانتشرت الأفكار التَّطهُّريَّة عن طريق توزيع النَّشْرات، وعن طريق الوعظ. وكان الكَهَنَة الأنكليكان قليلي المعرفة بالوَعْظ.

ولذلك عمد بعضهم - من المُحتاجين ماديّاً - إلى بَيْع منصب الواعظ إلى مُتخرِّجين من الجامعة، الذين كانوا - غالباً - من التَّطهُّريَّة البارعين في الوَعْظ، ومعرفة التَّحدُّث إلى النّاس. وكان الكاهن يكتفي - عندئذ - بتقديم المراسم.

وكان النّاس يُحبُّون التّعلُّم عن طريق سماع المواعظ الدِّينيَّة ؛ لأنَّ الواعظ كان يُقدِّم لهم - إضافة إلى التّعليم الدِّيني - سلسلة من الأخبار والمعلومات والتّعليقات الدِّينيَّة الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة ، حتَّى أصبح الوَعْظ نوعاً من المُحاضرات الشّعبيَّة .

وبفضل الصّدقات والعطايا والهبات ؛ استطاع الوُعَّاظ التَّطهُّريُّون أنْ يُؤدُّوا النّفقات الكثيرة المُتوجِّبة عليهم ؛ خاصَّة من جرَّاء المُحاكمات ، وفي الدّعاوى التي كانت تُقام ضدَّهم .

وأخيراً ؛ تنبَّهت الكَنيسة إلى مخاطر هذه المواعظ ، فألغت بَيْعَ مناصب الوُعَّاظ .

وشكَّلت الطّوائف الجمعيَّة **Congregationalists** التي طُوردَ أعضاؤها - فيما بعد - وأُخرجوا من إنكلترا ، تيَّاراً أقلِّيَّاً داخل الحَرَكَة التَّطهُّريَّة التي كانت غالبيَّتها المشيخانيَّة (البرسبيتاريَّة) **Presbyterians** تُريد المُهادنة ، وتخشى التّفرقة والانشقاق . وكان أتباع هذا التَّيَّار ميَّالين إلى البرلمان ، وينتمون إلى الطّبقة الوُسطى من أهل المدينة . وفي مُواجهة الخطر الذي كانت تُشكِّله الثّورات الشّعبيَّة - بالنّسبة إلى النّظام القائم - حاول ملك إنجلترا تشارلز الأوَّل **Charles I (1600 - 1649)** (حَكَمَ من 1625 إلى 1649) ، عند خلافه مع البرلمان ، وفي مطلع الحرب الأهليَّة ، أنْ يعتمد على تضامن المالكين[1] ، ولكنَّ الأعيان من جماعة البرلمان - خاصَّة في شرقي إنكلترا ولندن - حطَّموا هذا الحلف ، أو هذا التّضامن ، واعتمدوا على الشّعب للقيام بالثّورة الإنكليزيَّة . ويرى ش . هيل أنَّ تقدُّم التَّطهُّريَّة ساعد على هذه القطيعة بين الملك والمالكين ، فقد كان ثمانون بالمئة من الوُعَّاظ التَّطهُّريِّيْن من شرقي إنكلترا . وعمل هذا على تخفيف خوف الملاكين من الشّعب ؛ لأنَّ الشّعب كان مُحْتَضَنَاً ومُحاطاً تماماً .

وفي لندن ؛ لم يكن أصحاب المصانع الصّغار من التَّطهُّريِّيْن يخشون عُمَّالهم ؛ لأنَّهم كانوا - في المساء - يُعلِّمونهم القراءة والكتابة والأفكار الدِّينيَّة والسِّياسيَّة . وشكَّل هؤلاء الصُّنَّاع من الحياكين والأُجراء الدّائمين طبقة وُسطى مضمونة الجانب : فقيرة ، ولكنَّها تُؤمن بالإصلاح إيماناً قويّاً .

---

(1) كان الملك تشارلز الأوَّل يعتقد بالحقِّ الإلهي للمُلُوك ، وأنَّ المُلُوك فوق القوانين ، وفوق أيِّ مُحاسبة من قِبَل البرلمان . وقد أثار بسُلُوكيَّاته الثّورة الإنجليزيَّة التي وقعت فيها الحرب الأهليَّة بين جيش الملك والجُنُود التّابعين للبرلمان . وقد هُزِمَت جيُوش الملك ، وقَبَضَ عليه البرلمانيُّون ، وأودعوه السّجن ، ثُمَّ أُدين بالخيانة ، وحُكِمَ عليه بالإعدام بقَطْع الرّأس ، وتمَّ تنفيذ ذلك في يناير من عام 1649 . (دائرة معارف إنكارتا الأمريكيَّة) .

وأدّى إعدام الملك شارل الأوّل وأهمِّيَّة الجمعيَّات المُستقلَّة التي كان أعضاؤها من بين جُنُود أُوليفر كرومويل Oliver Cromwell (1599 ـ 1658)[1]، ومن المُثقَّفين اليساريِّين، ومن بعض شرائح الطّبقات الشّعبيَّة، ومَيْلها للتّسامح، إضافة إلى الفرَق السِّياسيَّة الأصليَّة أو الرّاديكليَّة، إلى إرهاب أكثريَّة التَّطهُّرِيِّيْن البرسبيتاريِّيْن، وبعد موت أُوليفر كرومويل؛ خاف هؤلاء على أنفسهم، وساعدوا على عودة المَلَكيَّة.

وكان البرلمان كَهَنُوتيّاً في مُعظمه، فحرَّض الملكَ تشارلز الثّاني (1630 ـ 1685)[2] على عدم احترام الوُعُود المقطوعة للتَّطهُّرِيِّيْن المُعتدلين. وبعد قانون التّوحيد الدِّيني الذي صدر سنة 1662، اضْطُهِدَ التَّطهُّرِيُّون حتَّى ثورة 1688، الأمر الذي حَمَلَ الكثيرين منهم على الهجرة؛ وخاصَّة إلى الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة (التي لم تكن تحمل هذا الاسم يومئذ).

ب ـ التَّطهُّريَّة الأميركيَّة:

يُمكن أنْ نُميِّز بين موجتَيْن فيما يخصُّ الهجرة التَّطهُّريَّة خلال النّصف الأوَّل من القرن السّابع عشر:

الأُولى كانت هجرة الآباء الحُجَّاج، وهُم تطهريُّون انفصاليُّون من المُقاطعات الشّماليَّة في إنكلترا. وبعد إبعاد دام اثنتَيْ عشرة سنة في ليد Leyde في هُولندا، خافوا أنْ تتحوَّل ذُرِّيَّتهم، وتُصبح هُولنديَّة، وأنْ يغطِّي عليها مُحيط كانوا يرونه فاسداً من النّاحية الأخلاقيَّة وهرطوقيّاً. فهاجروا على سفينة ماي فلور May Flower إلى أمريكا. وقد موَّل سَفَرهم هذا تُجَّار من إنكلترا. وأسَّسوا في الولايات المُتَّحدة مدينة "نيو بلايموث The Colony of New Plymouth (مكان ولاية ماساتشوسيت Massachusetts الحاليَّة)، فأصابتْهُم هُنالك المجاعة والأمراض، فآواهم الهُنُود الحُمْر، وعلَّموهم كيف يزرعون الذّرة، وكيف يستعملون السّمك كسماد كيماوي، وأنقذوا منهم بضع عشرات من الموت المُحتَّم. وجاءت موجة ثانية أضخم عدداً، في سنة 1630؛ أيْ بعد سنة من حَلِّ البرلمان على يد تشارلز الأوَّل. وجلب

---

(1) أُوليفر كرومويل زعيم الثّورة الإنجليزيَّة (1640 ـ 1660)، وأحد التَّطهُّرِيِّيْن، وأوَّل عُضو مجلس عُمُوم بريطاني يحكم بريطانيا، مع أنَّه من عامَّة النّاس (أيْ خارج العائلة المالكة) في فترة إلغاء المَلَكيَّة، بعد الإطاحة بالملك تشارلز الأوَّل.

(2) حَكَمَ إنجلترا واسْكُتْلَنْدَا وإيرلندا في الفترة: (1660 ـ 1685).

هؤلاء التَّطهُّريُّون الجُدُد - الذين كانوا قد انفصلوا عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة - معهم الرّساميل التي أتاحت لهم الاعتناء بالأرض، وأقاموا في خليج ماساتشوسيت.

اعتبر تَطَهُّريُّو إنكلترا الجديدة (نيو انكلاند) أنفسهم شعب الله المُختار. وقالوا بأنَّ كنيستهم سوف تكون (إسرائيل) الجديدة، وأنَّها مملكة الشّعب العبري الوارد ذكْرها في العهد القديم. وكانت أميركا في نَظَرهم هي أُورشليم الجديدة، والملاذ الذي اختاره الله لهم لكي يحميهم من الفساد، ومن الفناء. أمَّا الهُنُود الحُمْر؛ فكانوا في نَظَرهم بقايا شعب ملعون، قاده الشّيطان إلى هذه القارَّة حتَّى يُحْكَمَ. وكانت هذه الأفكار ذريعة دينيَّة تُبرِّر اغتصاب الأرض من قبَل هؤلاء الدُّخلاء الجُدُد. ورغم أنَّهم صرَّحوا - في مُعظمهم - أنَّهم أمناء لكَنيسة إنكلترا، فقد عَمَدَ هؤلاء التَّطهُّريُّون إلى تنظيم وظائفهم وُفقاً للأُسلُوب المشيخي (البرسبيتري). وكانت الكَنيسة - يومئذ - محور الحياة الدِّينيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة. ولكي يكون المرء عُضواً في الأبرشيَّة كان عليه أنْ يُعلن عن ولائه للأبرشيَّة، وأنْ يُزكِّيه أعضاؤها الآخرون. وكانت أكثريَّة السُّكَّان في المدينة تذهب إلى الكَنيسة دُون أنْ يكون كُلُّ فرد عُضواً إلزامياً فيها، وحتَّى دُون أنْ يكون مُتمتِّعاً بحُقُوق المُواطن. أمَّا المُستَبْعَدُون؛ فكانوا مُطاردين من قبَل السُّلطة المَدَنيَّة. وكان القيِّمون على العقيدة يُؤخَذُون من داخل الطّائفة، وهي التي تنتخبهم، ولم تكن هُناك تراتُبيَّة كَنَسيَّة. وفي سنة **1648**، صادق مجمع كمبريدج على صكّ الإيمان الصّادر في "وست منستر" **Westminster**.

وفي زمن كان الدِّين والسِّياسة فيه مُتداخلَيْن، لجأت التَّطهُّريَّة إلى القاضي ليحكم على أُولئك الذي يعتبرهم هرطوقيِّيْن، ولكنَّها علَّمت أتباعها رُوح التَّمرُّد إلى حَدِّ الخُرُوج على القانون. وبعض أعضائها فضَّلوا الإبعاد مرَّة ثانية على الخُضُوع. فقد ذَهَبَ رجل الدِّين التَّطهُّري الإنجليزي الأصل رُوجر وليَمْز **Roger Williams** (**1603 - 1683**) مُؤلِّف كتاب الهرطقتان، (الهرطقة الأُولى تُؤكِّد أنَّ حُقُوق الهُنُود في الأرض هي حُقُوق صحيحة ومُحقَّة. والهرطقة الثّانية تمنع القُضاة المَدَنيِّيْن من مُمارسة سُلطات كَهَنُوتيَّة)، ليُؤسِّس مُستعمرة "رود آيلند" **Colony of Rhode Island** التي غدت مهد الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة[1]، وملاذ الحُرِّيَّة

---

(1) سيأتي الكلام - بتفصيل أكثر - عن الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة في الفصل الخامس القادم عن الفرَق والشِّيع المسيحيَّة الحديثة.

الدِّينيَّة. ولَمَّا اضطُهدَ الكويكرز رجعوا إلى بنسيلفانيا؛ حيثُ أظهروا التّسامح الشّديد. وعند مُحاكمات مدينة "سالم" Salem في ماساتشوسيت بتُهم الشّعوذة في سنة 1692، حصل نوع من الاضطهاد الدِّيني، حُكم على أثره على تسعة عشر شخصاً بالموت.

وفي أواخر القرن السّابع عشر؛ أدَّت المصاعب الماديَّة والحُرُوب ومجيء غير الطّهوريِّيْن إلى خُمُود الوَهْج الدِّيني والأخلاقي عند التَّطهُّريَّة الأميركيَّة. وتمَّ التَّخلِّي عن النّظام التِّيُوقراطي، وسُمح لكُلِّ إنسان ملاَّك بالتّصويت، وبصُورة تدريجيَّة؛ شاع التّسامح الدِّيني، واستقرَّ.

ج ـ التَّطهُّريَّة والرّأسماليَّة:

في كتابه الشّهير الخلفيَّة البرُوتستانتيَّة والفكْر الرّأسمالي، يُحلِّل م. ويبر البرُوتستانتيَّة، وخاصَّة التَّطهُّريَّة في الفكْر الرّأسمالي، ويرى أنَّ العقيدة الكالفينيَّة حول المصير المحتوم، خلقت نوعاً من الهَلَع والنّشاط والنّجاح المهنيِّيْن، يُفسِّرهما المُؤمن كمُؤشِّر على الاصطفاء الرَّبَّاني. وبخلاف ما اعتقده المُؤرِّخون أنَّ التَّطهُّريِّيْن كانوا ضدَّ التَّمتُّع بالثّروة، والنّوم على حرير التَّملُّك، إلاَّ أنَّهم لم يكونوا ضدَّ العمل والسّعي لجَمْع خيرات الأرض بالعمل، ولا ضدَّ التَّملُّك بالذّات. وكانوا يرون أنَّ الرَّفْضَ الزُّهدي لمخاطر الثّروة لا يتنافى مع الواجب الدِّيني الرّامي إلى السّعي من أجل الاغتناء.

ويرى ر. هـ. توني: «أنَّ الاكتشافات الكُبرى ونتائجها الاقتصاديَّة كانت السّبب الأساسي في النُّمُوِّ الرّأسمالي، وأنَّ الإصلاح الدِّيني ـ وخاصَّة بشكله التَّطهُّري ـ قد تمَّ بفَضْل صُعُود الطّبقات الوُسطى، وبفَضْل العقليَّة المُتاجرة. وإنَّ التَّطهُّريَّة بعد أنْ قَوْلَبَتْهَا البنيات الاقتصاديَّة الاجتماعيَّة، قد ساعدت على تدعيم هذه البنيات بإيجاد المُبرِّر لها باسم الله. وقد وَجَدَ الفكْر الرّأسمالي في بعض أشكال التَّطهُّريَّة عُنصُراً قوَّى حيويَّتها ومزاجها».

ويرى مُؤلِّفون آخرون العكسَ، ويزعمون أنَّ التَّطهُّريَّة لم تكن لها هذه الأصالة؛ إذْ يرى و. سُومبار أنَّ هذه الحَرَكَة كان لها تأثير ايجابي على ازدهار الرّأسماليَّة، بمقدار ما استعادت أفكاراً كانت واردة ـ وبقُوَّة أكبر ـ في الدّيانة اليهُوديَّة التي تمتاز بأسبقيَّتها. وَذَهَبَ

ك. سمويلس إلى أبعد من ذلك، فَرَفَضَ الفكْرة القائلة بأنَّ فكْر الرّأسماليَّة كان يُمكن أنْ ينطلق - حتَّى ولو جُزئيّاً - من تأثير ديني، مهما كان.

فهُو يرى أنَّ العقليَّة الرّأسماليَّة تسير - جنباً إلى جنب - مع زَمْنَنَة كُلِّ النّشاطات البشريَّة بشكل تدريجي. ومهما بدت هذه المُلاحظات معقولة، تظلُّ الأطرُوحة الويبريَّة دُونما دَحْض. إنَّ هذه النّظريَّة تُركِّز على المظاهر الخُصُوصيَّة للرّأسماليَّة الغربيَّة الحديثة. إنَّ التَّطهُّريَّة قد لعبت دوراً عند مُستوى التّنظيم العقلاني والبيروقراطي للعمل الحُرِّ.

وهذا الأثر اندمج بعوامل أُخرى تاريخيَّة. وويبر يدعو - بإلحاح - إلى تصوُّر أكثري (تعدُّدي) للسّببيَّة، وهُو - من جهة أُخرى - يُبيِّن أنَّه يُوجد فرق بين الرّأسماليَّة اليهُوديَّة المُتَّجهة نحو المُضاربة والاستغلال - رأسماليَّة المنبوذين - والرّأسماليَّة التَّطهُّريَّة التي كانت تنظيماً بُرجوازيّاً للعمل. وأخيراً؛ إنَّه لا يُنكر أهمِّيَّة عمليَّة الزَّمْنَنَة، ولكنْ؛ يبدو أنَّ التَّقشُّف العلماني عند التَّطهُّريِّين قد ساعد هذه العمليَّة، في حين أنَّ الكَاثُوليكيَّة قد لَجَمَتْهَا بوجه عامٍّ. إنَّ التَّطهُّريَّة كانت موقفاً مُميَّزاً وَقَفَتْهُ الطّبقة الوُسطى الصّاعدة، ولكنَّها - بعد أنْ نَظَّرَتْ أماني كانت كامنة - أتاحت للبُرجوازيَّة البرُوتستانتيَّة أنْ تلعب دوراً اقتصاديّاً مُهمّاً جداً فاق الدّور الذي لعبتْهُ البُرجوازيَّة الكَاثُوليكيَّة.

والخُلاصة أنَّ التَّطهُّريَّة أو البيُوريتانيَّة هي مذهب اعتنقه البرُوتستانت الإنكليز، ثُمَّ الأميركيُّون، وله خُصُوصيَّة في فَهْم السِّياسة المُعتقديَّة الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة... ظهرت فرقتهم في زمن الملكة إليزابت. واستهدفت إصلاح كَنيسة الدّولة، وإلغاء الطُّقُوس والأرديَّة الكَهَنُوتيَّة، ونظام الرُّتب الكَنيسة. ولم تكن الفرقة ترمي - في أوّل الأمر - إلى الخُرُوج على العقيدة الأنجليكانيَّة، إنَّما وُجدت في لندن سنة 1567، جماعة تسير في عبادتها على أُسلُوب أهل جنيف. وهكذا بدأ الانشقاق - تدريجيّاً - عن الكَنيسة الرّسميَّة. فظهر المشيخيُّون (البرسبيتاريُّون) والانفصاليُّون، وتبعهم الجُمهُوريُّون الذين انضمّوا إلى الكالفينيِّين في مُقاومتهم لكَنيسة إنكلترا. وعندما انتصرت حَرَكَتهم بمُعاضدة التَّطهُّريِّين أخذ هؤلاء يتنازعون فيما بينهم. وَوَضَعَتْ عودة المَلَكيَّة في إنكلترا حدّاً لسيادة التَّطهُّريِّين المُؤقَّتة.

وهاجر التَّطهُّريُّون - بعد الاضطهاد - إلى الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة، وظلَّت الرُّوح التَّطهُّريَّة سائدة هُناك لُمدَّة طويلة.

ونظرة المُتطهِّرين إلى المُجتمع هي نظرة تيُوقراطيَّة، والقسُّ مُخوَّل سُلطة مُطلقة لُمراقبة سُلُوك الفرد. والعائلة عندهم هي حُصن التّقوى. وعلى النّاس أنْ يعيشوا في طاعة الله المُعلنة إرادته في الكتاب المُقدَّس. ويُستعمل مُصطلح التَّطهُّري - اليوم - للدّلالة على التَّزمُّت الدِّيني والكَبْت.

5 - أُصُول البرُوتستانتيَّة أو العقائد المُشتركة بين جميع فرَق البرُوتستانت:

رغم كثرة الكنائس البرُوتستانتيَّة وكثرة الانشقاقات ضمنها، إلاَّ أنَّها - جميعاً - تجتمع على أُصُول مُشتركة هي القاسم المُشترَك بين جميع الفرَق والتّسميات والكنائس البرُوتستانتيَّة المُختلفة، ويحسن بنا - في ختام هذا الفصل حول الإصلاح الدِّيني - أنْ نُلخِّص هذه الأُصُول والعقائد والخصائص والمبادئ التي تجمع بين جميع الفرَق البرُوتستانتيَّة، وهي الأُمُور التّالية:

1 - يعتبرون أنَّ التّبرير (أيْ وُصُول الإنسان إلى البرِّ أمام الله، وقبول الله له)، والخلاص الأُخروي الأبدي إنَّما يكون بالإيمان وحده، وليس بالأعمال، ولا دخل للأعمال في الخلاص، بل هُو هديَّة مجَّانيَّة من الله. فَمَنْ آمن بالمسيح، وأنَّه ابن الله الذي فدى البشر، ينال الخلاص بلحظة الإيمان، دُونما حاجة للأسرار، أو وساطة الكَنيسة، أو الأعمال الصّالحة، كما يرون أنَّ المُؤمن لا يهلك مهما سقط، أو فعل.

2 - لا يستندون - في عقائدهم وتعاليم دينهم - إلاَّ إلى الكتاب المُقدَّس **Bible** وحده فقط، ويرفضون كُلَّ عقيدة تأتي من خارجه؛ سواء ممَّا يُسمَّى "بالتّقليد الكَنَسي" **Tradition** أو التّسليم الرّسولي، أو المجامع الكَنَسيَّة، أو غير ذلك، وهذا الأصل جَعَلَهُم يرفضون عشرات العقائد والتّعليمات والاجتهادات الكَنَسيَّة الإضافيَّة التي التزمت بها الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة عبر العُصُور، مثل العقيدة بوُجُود المُطهِّر **Purgatory** والعقيدة بالحَبَل بمريم العذراء بلا دَنَس (أيْ بلا حَمْل للخطيَّة الأصليَّة)، والعقيدة ببقاء عُذريَّة العذراء، وبصُعُود جسدها بعد دَفْنها.. إلخ.

وعلى الرّغم من اعتماد البرُوتستانت الكامل على الكتاب المُقدَّس في إثبات كُلِّ ما يُؤمنون به، إلاّ أنَّهم يختلفون مع الكَاثُوليك والأرثُوذكس في عدَّة أُمُور هامَّة في هذا المجال:

الأمر الأوَّل: أنَّ العهد القديم من الكتاب المُقدَّس يضمُّ عند الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة **46** سفْراً، في حين يقتصرْ عند الكنائس البرُوتستانتيَّة على **39** سفْراً فقط، وذلك بحَذْف سبعة أسفارٍ يعتبرونها (أبوكريفا) **Apocrypha** أيْ أسفاراً منحولة، أو مشكوكاً في أصالتها، وصحَّة نسبتها، وهي: سفْر يهُوديت، وطوبيا، والمكَّابيُّون الأوَّل والثّاني، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروك، بالإضافة إلى مقاطع من سفْرَيْ استير، ودانيال.

الأمر الثّاني: أنَّه رغم تقديس المسيحيِّيْن الكَاثُوليك والأرثُوذكس للتّوراة واعتبارهم إيَّاها تُمثِّل كلام الله، إلاّ أنَّهم يرون أنَّ المسيح أعطاها تأويلاً جديداً، وَفَتَحَ برسالته ودمه ـ على حدِّ قول الكَنيسة ـ عهدا جديداً، فلم يعد من الواجب الأَخْذ بحَرْفيَّة شريعة التّوراة؛ لأنَّها كانت عهداً قديماً، والمسيح جاء ببيان تأوليها، والمقصود الحقيقي منها الذي هُو شريعة الرُّوح، لا الحرف. في حين أنَّ البرُوتستانت ساووا في الأهمِّيَّة بين العهد القديم والعهد الجديد للكتاب المُقدَّس، وأعادوا الاهتمام بالمفهوم الحَرْفي للعهد القديم، وأخطر ما في هذا الأمر أنَّهم اهتمّوا وأخذوا بالوعد الذي قطعه الله قديماً لشعب بني إسرائيل بإعطائهم فلسطين أرض الميعاد، فأخذوا بهذه الوُعُود على حَرْفيَّتها، ممَّا جَعَلَ كثيرين منهم يتعاطف مع تملُّك اليهُود لأرض فلسطين.

الأمر الثّالث: لا يُؤمنون بأصوام الكَنيسة المأخوذة ـ في جُزء منها ـ من تعاليم العهد القديم.

3 ـ الاعتراف بالمسيح وحده مُعلِّماً، ونفي ضرورة توسُّط الكَنيسة بوُزرائها وتَمَرْتُباتها في العلاقة بين الله والمُؤمن.

4 ـ أداء العبادة والصّلوات والتّراتيل باللُّغة الوطنيَّة للمُتعبِّد، والاهتمام بقراءة الكتاب المُقدَّس باللُّغة الوطنيَّة للقارئ.

5 - يرفض البرُوتستانتُ عبادةَ مريم العذراء، ودُعائها، وَطَلَبَ الحوائج منها، كما يرفضون عبادة الملائكة والقدِّيسين تحت اسم إكرامهم، ولا يُؤمنون بشفاعة القدِّيسين، ولا بالصّلاة على الرّاقدين، ولا يبنون الكنائس على أسماء القدِّيسين، ولا يستعملون البُخُور، ولا يُوقدون شُمُوعاً لهم، ولا يحتفلون بأعيادهم.

6 - لا يُوجد عند البرُوتستانت نظام طَقْس خاصٍّ لبناء الكنائس، ولا اتِّجاه إلى الشّرق في الصّلاة.

7 - يُؤمن البرُوتستانت بالحُكْم الألفي للمسيح عند مجيئه بجسده ثانية إلى الأرض.

8 - يرفض البرُوتستانت كُلَّ الأسرار والطُّقُوس الكَنَسيَّة عدا سرَّيْ المَعْمُوديَّة والعشاء السِّرِّيّ (الأفخاريستيا)، فيتَّفق البرُوتستانت جميعاً في رَفْض سرِّ الاعتراف أمام الكاهن لأجل الغُفران، ورَفْض سرِّ الدَّهن بالزّيت، أو الأصوام، أو العُزُوبيَّة والتَّثبُّت، ويقتصرون على سرَّيْ المَعْمُوديَّة والقُربان المُقدَّس (العشاء السِّرِّيّ) فقط، ويُفسِّرون الأخير تفسيراً رمزيَّاً فلا يُؤمنون بعقيدة الاستحالة **Transubstantiation** أيْ تحوُّل خُبز وخمر القدَّاس إلى جسد ودم المسيح في جسم المُتناول تحوُّلاً حقيقيَّاً سرِّيَّاً كما تُؤمن به الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة والأرثُوذكسيَّة، بل يرون في تناوُلهما إحياءً لذكرى فداء المسيح فحسب.

9 - يرفضون إكرام الأيقونات؛ أيْ صُور وتماثيل القدِّيسين والآباء، فلا تُوجد في كنائسهم أيُّ تماثيل، أو صُور.

10 - المراسم العباديَّة عند البرُوتستانت بسيطة خالية من الفَخْفَخَة، فهُم لا يستخدمون الآلات المُوسيقيَّة والمقاعد داخل المعبد، وهُم مُتحرِّرون من الأزياء والطُّقُوس والمراسم والتَّمَرْتُبات الكَنَسيَّة، التي عند الكَاثُوليك والأرثُوذكس، ولا يرسمون شارة الصّليب. . إلخ.

11 - يُؤمن البرُوتستانت - عُمُوماً - بحُرِّيَّة العقيدة، وحُرِّيَّة التّعليم، وحُرِّيَّة الفكْر عند المُتعبِّد.

12 - العودة إلى البساطة، والفعل الحُرِّ، والتّساوي بين الشّعب والإكليروس، فليس لكنائس البرُوتستانت مَنْ يترأس عليها رئاسة عامَّة، فهُم يرفضون - تماماً - الرّئاسة العامَّة على

الكنائس المُعطاة للبابا في رُوما، ويُؤمنون بما يُسمَّى بالكَهَانة العامَّة لكُلِّ المُؤمنين The Universal Priesthood of Believers؛ أيْ أنَّ كُلَّ مسيحي مُؤمن هُو كاهن بحدِّ ذاته. كما يُشجِّع البرُوتستانت ترسيم النّساء أعضاءَ في الأبرشيَّة، إشارة إلى مكان المرأة في المُجتمع اليوم.

13 ـ لا رَهْبَنَة عند البرُوتستانت، ولا تَبَتُّل، ولا عُزُوبيَّة، ولا فَقْر اختياري، ولا أديرة.

14 ـ يُؤمنون بمواهب الرُّوح القُدُس ـ وخاصَّة موهبة الألسنة ـ وأنَّها لازالت قائمة.

15 ـ يُؤمن البرُوتستانت ـ خاصَّة المُتأثِّرين بالكالفينيَّة ـ بنوع من الجَبْر، المُبتني على الإيمان بحُرِّيَّة اختيار الله لأُناس مُعيَّنين للهلاك، وأناس مُعيَّنين للخلاص.

تاسعاً: حَرَكَة الإصلاح المُضادّ للكَنيسة الكَاثُوليكيَّة في نضالها مع البرُوتستانيَّة:

1 ـ مجمع ترينت Council of Trent (1545 ـ 1563):

كانت الحَرَكَة الإصلاحيَّة التي أثارها "مارتن لُوثر" ضربة شديدة لكَنيسة رُوما وللبابويَّة؛ خاصَّةً أنَّه، مُنذُ بداية الإصلاح، والبرُوتستانت الثّائرون على كَنيسة رُوما وعلى الكَهَنَة الكَاثُوليك التّابعين لها يضربون على وتر واحد؛ وهُو نَقْد وفَضْح المساوئ والمفاسد في الحياة الكَنَسيَّة، داعين إلى تجديدٍ جَذْريٍّ، ومُطالبين ـ لأجل هذا ـ بمجمعٍ عامٍّ.

أدرك الباباواتُ الخطرَ المُهدِّدَ، وبذلوا كُلَّ الوسائل المُمكنة لتفاديه، فسعى كُلٌّ من البابا لاون العاشر Leo X (1513 ـ 1521) وأدريان السّادس Adrian VI (1521 ـ 1523) في خَنْق الحَرَكَة الإصلاحيَّة بالقُوَّة. وسلَّحا ـ لأجل هذه الغاية ـ الإمبراطُورَ كارل الخامس ضدَّ لُوثر وأتباعه، أمَّا البابا كليمنت السّابع Clement VII (1523 ـ 1534)؛ فكان أحد الباباوات الأكثر أهليَّة؛ إذْ فكَّر ـ بشكل جدِّي ـ بشأن الإصلاح الكَنَسي؛ آملاً أنْ يُوقف الغليان الدِّيني بإجراء إصلاحات فعليَّة، وإزالة سُوء الاستعمال. وعلاوة على اجتهاده في وَضْع حدٍّ للحَرَكَة الإصلاحيَّة بقُوَّة وتأثير الإمبراطُور، سعى ـ في الوقت ذاته ـ باستخدام الدّسائس

والأنواع المُختلفة من الحَرَكات السِّياسيَّة للقضاء على البرُوتستانتيَّة، لكنَّ كُلَّ مساعي البابوات ذَهَبَت سُدى، فالبرُوتستانتيَّة انتشرت أكثر، فأكثر، ورغم أنَّ الإمبراطُور كان يعمل لصالح كَنيسة رُوما، إلاَّ أنَّه - هُو بدوره - طَلَبَ إصلاحاً كَنَسيّاً، وطالب بعَقْد مجمعٍ عامٍّ لهذا الغرض. كان عقد مجمع عامٍّ في ذلك أخطر شيء على السُّلطة البابويَّة؛ بسبب النّزعة العامَّة إلى الإصلاح. لذلك تحجَّج البابا كليمنت السّابع بأعذار مُختلفة؛ ليتجنَّب الدّعوة لانعقاد المجمع الذي كان الإمبراطُور يُطالبه به بإلحاح خاصٍّ. ولكنَّ بُولُس الثّالث Paul III (1534 - 1549) خليفة كليمنت فكَّر في الأمر بنحوٍ مُختلف. فقد رأى أنَّ المجمع العامَّ، إذا التأم، وصارت قيادته تحت التَّأثير المُباشر للبابا، يُمكن أنْ يكون - حسب تفكيره - وسيلة مُمتازة لدَحْر الحَرَكَة الإصلاحيَّة، وتوطيد الكَثْلَكَة على أُسُس متينة، لذلك وافق - بسُهُولة - على دعوة المجمع؛ مُهتمّاً بأنْ يجعل المجمع تحت تأثيره.

بعد مُفاوضات طويلة؛ تعيَّن مكان المجمع في سنة 1542، مدينة ترينت Trent، على الحُدُود بين إيطاليا وألمانيا. وافتُتح المجمع في سنة 1545، وقد حصلت مُداولات كثيرة في المجمع، وتأجلت جلساته مراراً، واستمرَّ ينعقد، وتنشب فيه الخلافات، ثُمَّ تُؤجَّل بقيَّة جلساته، ثُمَّ ينعقد ثانية، حتَّى أنهى ذلك المجمع التّريدنتي نشاطه أخيراً سنة 1563، وأُرْسلَتْ قراراته إلى كُلِّ الجهات الكَاثُوليكيَّة للعمل بمُوجبها، ثُمَّ مَنَعَ البابا - بكُلِّ حزم، وبمرسوم خاصٍّ لأيٍّ كان - أنْ يفهم ويُفسِّر قرارات المجمع بمُوجب فَهْمه، وترك هذا الحقَّ محصُوراً بالكُرسي الرّسولي. فأضعف هذا التّحديد أهمِّيَّة قرارات المجمع الإصلاحيَّة. ومع هذا؛ فقد غيَّر مجمع ترْنْت كثيراً من حياة كَنيسة رُوما إلى الأحسن.

وأهمُّ مُقرَّرات المجمع التّرينتي أنَّه ثبَّت بسُلطته تعليم الإيمان الكَاثُوليكي، وحكم على البرُوتستانتيَّةُ مع ما قام به من تحسين في الحياة الكَنَسيَّة، مُعطياً إيَّاها ثباتاً وقُوَّة في النّضال مع الإصلاح. بعد المجمع؛ بدأت القلاقل الدِّينيَّة تضعف بالتّدريج في البلاد الكَاثُوليكيَّة، وبذلك وَضَعَ حدّاً لانتشار البرُوتستانتيَّة فيها.

2 ـ جمعيَّة اليسُوعيِّيْن ودورها البارز في الإصلاح المُضادِّ:

علاوةً على مجمع ترنْت، كان للجمعيَّة اليسُوعيَّة، التي ظهرت في أشدِّ أوقات الإصلاح حراجة أهميَّة عظيمة في تاريخ نضال كَنيسة رُوما مع البرُوتستانتيَّة، أو ما عُرفَ باسم حَركَة الإصلاح المُضادِّ **Counter Reformation**.

أسَّس هذه الجمعيَّة شريفٌ أسبانيٌّ هُو "أغْنَاطيُوس لُويُولا" **St. Ignatius of Loyola**، وُلد في قصر من قُصُور النُّبلاء في "جيبوزكوا" **Guipuzcoa** في مملكة "الكاستيل" **Castile** (الجُزء الشّمالي من أسبانيا الحاليَّة)، وكان ذا مُيُول بُطُوليَّة، دخل في الخدمة العسكريَّة تحت قيادة "أنطونيو مانريك" دُوق "نجيرا"، وفي سنة **1521**، في أثناء الدّفاع عن بامبيلونا **Pampeluna**، التي حاصرها الفرنسيُّون، أُصيب إصابةً بالغةً كاد يموت بسببها، وبقي مُدَّة طويلة تحت المُعالجة. وفي أثناء مرضه؛ تمكَّن من قراءة سيرة حياة الرّاهب دُومينيك، والرّاهب فرنسيسك، فشُغف بحياتهما؛ لدرجةٍ قرَّر معها أنْ يتبع مثالهما. وهذه هي التّجربة أو المحبَّة الرُّوحيَّة التي غيَّرته، وحوَّلتْهُ ـ بالكُلِّيَّة ـ إلى إنسان مُتديِّن حكيم يُؤمن بالمسيح، وينذر نفسه للدّعوة، فعوضاً عن المُجاهدات الحربيَّة التي لم يعد قادراً عليها بسبب مرضه، أخذ يُفكِّر بالمُجاهدات الرُّوحيَّة. وقد شغل المقام الأوَّل في تصوُّراته العمل لإدخال المُسلمين في المسيحيَّة (عاصرت هذه الفترة بدء اندحار المُسلمين من الأندلس). وحالما تعافى من مرضه، غادر "لُويُولا" المُجتمع، وبدأ حياة تنقليَّة مليئة بإنكار الذّات، ثُمَّ توجَّه إلى أُورشليم. ولكنْ؛ هُناك أحسَّ بعائق أمام غَيْرته على هداية غير المسيحيِّيْن ـ خاصَّة المُسلمين ـ إلى المسيحيَّة، وهُو أنَّه كان يجهل حقائق الإيمان. لهذا؛ شرع ـ بعد عودته ـ بدَرْس اللاَّهوت في باريس. ولكنْ؛ لم يُفارقه ذلك الحماس الدِّيني، والحميَّة لهداية غير المُؤمنين (أيْ غير المسيحيِّيْن!).

وقد استطاع أنْ يُثير التّعاطف مع نواياه في بعض رفاقه، فألَّف جمعيَّة صغيرة من أشخاصٍ شاطروه في توجُّهاته، وكانت تلك هي نُواة الجمعيَّة المُستقبلة.

في سنة **1534**؛ نَذَرَ "لُويُولا" ورفاقه ـ في إحدى كنائس باريس ـ الفقر (أيْ عدم الكَسْب، وعدم امتلاك أيِّ شيء من مال الدُّنيا ومتاعها)، والعفَّة (أيْ العُزُوبيَّة والاستنكاف

عن الزّواج)، وأقسموا أنْ يُكرِّسوا حياتهم للاهتمام بالمسيحيِّين في أُورشليم، وهداية غير المُؤمنين (المُسلمين والوَثَنيِّين) إلى المسيح، بطريقة الموعظة الحُسنى، والمُرُونة، والمُسامحة، والانفتاح على النّاس، والتَّغَلغُل في أوساطهم الشّعبيَّة، والانتشار في العالم.

وبانتهاء دُرُوسهم ـ سنة 1537 ـ توجَّهوا بأجمعهم إلى البُندُقيَّة؛ ليُبحروا من هُناك إلى أُورشليم (القُدس)، لكنَّ الحرب التي كانت دائرة في ذاك الوقت بين الصّليبيِّين والأتراك (المماليك البَحْريَّة) أوقفَتْهُم عن السَّفَر، وفي الوقت ذاته؛ رأى "لُويُولا" أنَّ اندفاعهم للعمل لصالح الكَنيسة يُمكن تحقيقه ـ أيضاً ـ في البُلدان الغربيَّة المسيحيَّة؛ حيثُ تزعزع الإيمان كثيراً نتيجة للفَوَران الإصلاحي؛ لذلك قَبلَ ـ هُو ورفاقه ـ في البُندُقيَّة درجة الكَهَنُوت، وأقاموا من نُفُوسهم وُعَّاظاً مُتنقِّلين يُقنعون الجميعَ، ويدعونهم إلى التّوبة في كُلِّ مكان. وفي أثناء تنقُّلهم من مدينة إلى أُخرى وصلوا إلى رُوما (1539)، وهُنا استطاعوا ـ بغَيْرتهم الخارقة العادة على الوَعْظ، وشكل حياتهم الصّارمة ـ أنْ يجذبوا إليهم عطفاً عظيماً، حتَّى إنَّ كثيرين أخذوا يُعلنون رغبتهم بالانضمام إليهم. فقرَّر "لُويُولا" ـ الآن ـ أنْ يُؤسِّس ـ رسميّاً ـ جمعيَّة، ورتَّب ـ مع رفاقه ـ قانونها. وفضلاً عن النُّذُور الرّهبانيَّة الثّلاثة: الفقر والعفَّة والطّاعة، وضعوا على أنفسهم نذراً رابعاً هُو الطّاعة المُطلَقَة للبابا، وأوجبوا على نُفُوسهم إتمام كُلِّ ما يأمرهم به، والذّهاب سريعاً حسب توجيهه إلى كُلِّ مكان يُرسلهم إليه بدُون تردُّد. وكانت غاية الجمعيَّة ـ كما تحدَّدتْ في قانونها ـ نَشْر وتثبيت الإيمان والكَنيسة، ويجب أنْ تكون الوسائل لهذا هي: البعثات إلى الوَثَنيِّين والمُحمَّديِّين (الاسم الذي كانوا يُطلقونه على المُسلمين!) والهراطقة، وبالإجمال؛ إلى أيِّ مكان إذا كان في ذلك الحُصُول على الهدف، وإقامة مُؤسَّسات خيريَّة ومعاهد علميَّة تعليميَّة وتربويَّة، والوعظ، وأخيراً؛ الاعتراف. وبما أنَّ أعضاء هذه الجمعيَّة نذروا أنفسهم للنّضال ضدَّ مملكة الشّيطان؛ فكانوا بمنزلة جُنُود للمسيح، لذا؛ أعطوا لأنفسهم اسم (جمعيَّة يسُوع، أو أخويَّة ـ أيْ رهبانيَّة ـ يسُوع). ورأى البابا بُولُس الثّالث ـ الذي كانت حَرَكَة الإصلاح البرُوتستانتي قد ضيَّقتْ عليه الخناق، في جمعيَّة لُويُولا هذه، وفلسفتها الجديدة ـ سلاحاً مُمتازاً للنّضال ضدَّ حَرَكَة الإصلاح المُعادية للكَثْلَكَة والبابويَّة تلك!. فثبَّتَ قانون تلك الجمعيَّة سنة 1540. وحافظ البابا بُولُس الثّالث **Paul III**

وخُلفاؤه؛ وخُصُوصاً جُوليُوس الثّالث Julius III، حافظوا بكُلِّ عناية على الجمعيَّة، وأعطوها حُقُوقاً وامتيازات لم تَنَلْهَا قبلهم أيُّ جمعيَّة؛ لأنَّهم وجدوا فيها الرَّدَّ الكَاثُوليكي النّاجع على الدّعوة إلى النّهضة والإصلاح والتّنمية والتّغيير.

تنظيم جمعيَّة اليسُوعيِّيْن الدّاخلي:

انقسم أعضاء الجمعيَّة إلى عدَّة مراتب: المرتبة الأُولى، وهي الأدنى، تتألَّف من الشّباب الذين تتمُّ تهيئتهم في معاهد خاصَّة للدُّخُول في الجمعيَّة؛ حيثُ كان اليسُوعيُّون ينتخبونهم - غالب الأحيان - من عداد طُلاَّب كُلِّيَّاتهم ذوي الكفاءة النّاجحين بامتياز، وكانت التّهيئة تنحصر - قبل كُلِّ شيء - في إنماء الخُضُوع والإخلاص للجمعيَّة، وكان من الواجب على كُلِّ مَنْ يستعدُّ للدُّخُول في الجمعيَّة أنْ يقطع كُلَّ علاقة شخصيَّة له مع العالم، وأنْ يُنكر إرادتَهُ الشّخصيَّةَ، والعقائدَ، والمُيُولَ، وأنْ يُسلِّم ذاته - بكُلِّيَّته - لأمر الجمعيَّة كأنَّه جُثَّة، أمَّا الرُّتبة الثّانية؛ فتتألَّف من السّكولاستيُّون (أيْ المدرسيُّون المُتعلِّمون)، ويدخله المُستعدُّون الذين نجحوا في الامتحان، ويُعطون النُّذُور الثّلاثة الأُولى؛ الفقر، العفَّة، والطّاعة، ويخدمون بصفة مُساعدين للمُعلِّمين والمُبشِّرين، وما أشبه، وبمقدار ما يُظهر السّكولاستيُّون استعدادَهم إلى هذا النّشاط أو ذاك ينتقلون إلى صفِّ المُرشدين الرُّوحيِّيْن، ويُؤلِّفون المرتبة الثّالثة للجمعيَّة، ويُعيَّنون في وظيفة مُعلِّمين، وأساتذة، ووُعَّاظ، وآباء اعتراف، وغيرها، وفضلاً عن هؤلاء المُرشدين الرُّوحيِّيْن؛ كان من اليسُوعيِّيْن - أيضاً - مُرشدون علمانيُّون أعطوا - كذلك - ثلاثة نُذُور بسيطة، ويتعيَّنون للخدمة المنزليَّة في معاهد الجمعيَّة المُختلفة. وأخيراً؛ كانت رُتبة الجمعيَّة الرّابعة التي تتألَّف من البرُوفسُوريَّة (الأساتذة الكبار) الذين أعطوا النّذر الرّابع في الطّاعة المُطلقة للبابا، ولا يتعيَّن في هذا الرُّتبة إلاَّ المُرشدون الرُّوحيُّون فقط، الذين امتازوا بمقدرة مُمتازة، ومعرفة، وإخلاص، وحنكة، وكانوا يتسلَّمون الوظائف الأكثر أهمِّيَّة في الظُّلمة، وكذلك البعثات المُختلفة والسِّفارات. وعلى الجمعيَّة؛ يقف جنرالها الذي ينتخبه الأساتذة الكبار من بينهم طُول الحياة، ويتمتَّع بسُلطة لا حُدُود لها في إدارة الجمعيَّة، ويتوجَّب على كُلِّ أعضاء الجمعيَّة الخُضُوع التَّامّ له؛ إنَّه جنرال غير مُرتبط بأحد سوى البابا؛ وحيثُ أنَّ أعضاء الجمعيَّة - مع كُلِّ مُؤسَّساتها أينما وُجدوا - كانوا

خاضعين لجنرالهم؛ فهُم يُستَثْنَون من كُلِّ أنواع الخُضُوع لأيِّ سُلطة رُوحيَّة أُخرى. وعلى هذه الصُّورة؛ فالجمعيَّة اليسُوعيَّة ـ وعلى رأسها جنرالها الذي مركزه في رُوما ـ تُمثِّل ـ بذاتها ـ مملكة ضمن مملكة، أو بالأصحِّ كَنيسة خاصَّة ضمن الكَنيسة. وتنقسم كُلُّ المملكة اليسُوعيَّة ـ حسب انتشارها في جهات مُختلفة ـ إلى ولايات، يُعيِّن الجنرالُ رُؤساء عليها من الأساتذة الكبار باسم وُلاة. وكانت تُوجد في إدارة الولاة ـ وتحت رئاسة الجنرال الأُولى ـ كُلُّ المُؤسَّسات الكائنة في الولاية المُختصَّة بالجمعيَّة: المشافي، المياتم، المُبتدئون في الرّهبنة، المدارس، الكُلِّيَّات، البعثات، وغيرها، ويُدير مُؤسَّسات الجمعيَّة رُؤساء خاصُّون. . إلخ. وبالإجمال؛ كان كُلُّ شيء في الجمعيَّة من الجنرال حتَّى آخر خادم مُنظَّماً بترتيب صارم جداً، وبخُضُوع تامٍّ، وطاعة الأعضاء الأدنى مرتبةً للأعلى.

وقد تمَّ حفْظ هذا التّرتيب بواسطة نظام رقابة وتجسُّس مبني على قواعد مضبوطة؛ حيثُ يتجسَّس بعض أعضاء الجمعيَّة على البعض الآخر، فالذين في المُقاطعات يجب عليهم أنْ يشوا للجنرال ـ في مُدَّة معلومة ـ عن الحالة، وسَيْر الأعمال في مُقاطعاتهم، وفي الوقت ذاته؛ يجب على المُعيَّنين رُقباء عليهم من قبَل الجنرال أنْ يشوا بالوُلاة وأعمالهم سراً، وفي مُدَّة معلومة. وكذلك كان هُناك رُؤساء لمُؤسَّسات مُنفصلة يُرسلون وشايات مُؤقَّتة إلى رئيسهم، وكذالك إلى الجنرال، ويتوجَّب على مُساعديهم أنْ يعملوا ـ كذلك ـ مُستقلِّين عنهم. . إلخ. فالجنرال الواقف على كُلِّ شيء من مصادر مُختلفة، عن كُلِّ شخص في الجمعيَّة ماذا يعمل؟ وحتَّى بماذا يُفكِّر؟ يتصرَّف بكُلِّ شيء، وبالجميع، دُون أنْ يكون مسؤولاً أمام أحد عن عمله، يُعاقب مَنْ يشاء، ويرحم مَنْ يشاء حسب رأيه، ويُعيِّن في وظيفة، ويَعزل، وبالإجمال؛ يُوجِّه أفعال كُلِّ واحد، والواقع أنَّ الجنرال نفسه لم يكن مُستثنى من رقابة الجمعيَّة، فيُوجد لديه ـ بدُون انفصال ـ أربع رُقباء، وأبٌ رُوحيٌّ واحد من الأساتذة الكبار، وهؤلاء ينتخبهم الأساتذة الكبار. بَيْدَ أنَّ الرُّقباء لا يتدخَّلون بشأن أوامره، ولا يُضيِّقون على سُلطته غير المحدودة، والغاية الأُولى من تعيينهم هي مُراقبة الجنرال؛ لكي لا يتحوَّل عن مقاصد وأهداف الجمعيَّة، وكان لهم الحقُّ ـ عند الضّرورة ـ أنْ يقوموا باستدعاء عقد اجتماع لمجلس الأساتذة الكبار لأجل إجراء مُحاكَمة الجنرال (الأمر الذي لم يحدث في كُلِّ مُدَّة الجمعيَّة)، ثُمَّ ـ بعد ذلك ـ يصيرون وُزراء بُسطاء لدى جنرال الجمعيَّة صاحب السُّلطة المُطلَقَة.

نظَّمت جمعيَّة اليسُوعيِّيْن - لأجل نشاطها - قوانينَ أخلاقيَّة فريـدة؛ فاليسُوعيُّون الذيـن اختاروا لأنفسهم طريقة الجَدَل الفلسفي السّكولاستيكيَّة - للبُرهـان على عقـائدهم ودَحْض ما يُخالفها - طبَّقوا هذه الطّريقة على التّعليم الأخلاقي أيضاً، وأوجدوا منهاجاً أخلاقيّاً جَدَليّاً يُمكن - على أساسه - أنْ نعترف بكُلِّ نقيصة، أو كُلِّ جريمة بأنَّها غير محسوبة أخلاقيّاً!. والتجؤوا في هذا المضمار - قبل كُلِّ شيء - إلى نظريَّة ألَّفوها وسمّوها نظريَّة التّبرير، وينحصر جوهرها في ذاك الرّأي القائل بأنَّ أيَّ عمل يتمُّ لا يُعتبر ضدَّ القوانين الأخلاقيَّة إذا أمكن أنْ يُقَدَّم - لأجل تبريره - أساسٌ يُشبه الحقيقة، أو رأيُ أحد اللاّهوتيِّيْن الموثوقين. وإذا لم يُمكن تطبيق نظريَّة التّبرير هذه؛ فإنَّ اليسُوعيِّيْن يلجؤون إلى وسيلة أُخرى ماكيافيلليَّة (على مبدأ الغاية تُبرِّر الوسيلة)، وبموجبها يُمكن إتيان كُلِّ عمل مُخالف للأخلاق شريطة ألاَّ يكون هذا السُّلُوك غير الأخلاقي هُو الغاية الأُولى، بل يكون عمله وسيلةً اضطراريَّةً لأجل الحُصُول على غاية مسموحة وممدوحة. أعني: ينتج من رأيهم أنَّ الغاية الحَسَنَة تُبرِّر كُلَّ الوسائل القبيحة. وأخيراً؛ يلجأ اليسُوعيُّون إلى حيلة ثالثة لبقة، وهُو التّعليم الذي يُسمُّونه التَّحفُّظ الفكْري؛ على أساس هذا التّعليم سمحوا أنْ يُعْطَى قَسَمٌ، وَوُعُودٌ كاذبة، ولكنْ؛ يجب عند ذلك أنْ يضع في عقله تحديداً ورَفْضاً للقَسَم والوعد!!.

بدأ نشاط هذه الجمعيَّة مُنذُ تثبيت قانونها. وبفضل تنظيمها المتين، وعقل وحذق أعضائها، وكذلك الامتيازات المُعطاة لها من الباباوات، انتشرت بسُرعة خارقة في كُلِّ جهات أُورُوبا، وحتَّى أنَّها دخلت في جهات العالم الأُخرى، وحيثُما يسكن اليسُوعيُّون، فإنَّ أوَّل ما يعملونه هُو بناء إحدى المُؤسَّسات: المُستشفيات، دُور رعاية الأيتام، مدارس الأولاد، الكُلِّيَّات، ويعملون بالوَعْظ، ويجعلون من أنفسهم آباء اعتراف (مُرشدين)، وما أشبه.

وبواسطة المُستشفيات والمياتم؛ يكتسبون عَطْفَ الشّعب (الطّبقات المحرومة). وبواسطة المدارس والكُلِّيَّات يستلمون كُلَّ الثّقافة بأيديهم، ويُربُّون النّشء الصّغير على الرُّوح الكاثُوليكيَّة الصّارمة.

وعندما يكونون وُعَّاظاً فإنَّهم يظهرون كمُناظرين مُحنَّكين ضدَّ البرُوتستانتيَّة، ومُدافعين عن جميع عقائد كَنيسة رُوما. وأخيراً؛ وبواسطة الاعتراف، فإنَّهم - إجمالاً - تساهلون في أخلاقيَّة التَّصرُّفات، نتيجة لآراء اليسُوعيِّيْن الأخلاقيَّة الخاصَّة.

لم يتمكَّن اليسُوعيُّون من جَذْب كثير من الطّبقات الشّعبيَّة إليهم فحسب، بل استطاعوا أنْ يُخضعوا ضمير التّائبين، ويُوجِّهوه حسب إرادتهم. وبما أنَّ اليسُوعيِّيْن يعملون على هذه الصُّورة لصالح كَنيسة رُوما، فإنَّهم لا يتحرَّجون - لأجل التَّوصُّل إلى أهدافهم - من القيام بوسائل أُخرى، يشغل المكان الأوَّل من بينها الدّسائس المصحوبة بأعمال غير حَسَنَة. ولَمَّا كانوا يحتقرون كُلَّ القوانين الأخلاقيَّة لأجل الحُصُول إلى غايتهم، فهُم لا يتورَّعون عن ارتكاب الجريمة. وكانت قُصُور المُلُوك الكاثُوليك والأُمراء - التي اجتهد اليسُوعيُّون أنْ يشغلوا فيها وظيفة آباء رُوحيِّيْن ومُستشارين أيضاً - مجالاً رَحْباً لنشاطهم، ودسائسهم، ومكائدهم، التي نجحوا - من خلالها - في تحقيق الغاية الحقيقيَّة البعيدة للجمعيَّة؛ ألا وهي انتصار كَنيسة رُوما في حربها ضدَّ البرُوتستانت. وهكذا سار نضال كَنيسة رُوما مع البرُوتستانت بشكلٍ أكثر نجاحاً بفَضْل اليسُوعيِّيْن. ففي النّصف الثّاني من القرن السّادس عشر؛ تمكَّن اليسُوعيُّون من إيقاف انتشار البرُوتستانتيَّة في بعض المناطق الألمانيَّة، بل حتَّى تمكَّنوا من نَشْر الكَثْلَكَة في مناطق أُخرى منها. أمَّا المناطق التي لم يتمكَّن اليسُوعيُّون أنْ يصنعوا فيها شيئاً لإزالة البرُوتستانتيَّة بالوسائل العاديَّة؛ فقد اجتهدوا أنْ يخنقوها بالنّار والسّيف، كالمُساهمة الفعَّالة التي لعبوها مثلاً في الحُرُوب الدِّينيَّة التي قامت في فرنسا لأجل سَحْق الكالفينيَّة، والتي حصلت فيها مذابح راح ضحيَّتها عشرات الآلاف من المسيحيِّيْن الكالفينيِّيْن، وكالدَّور الذي لعبوه في حرب الثّلاثين عاماً في ألمانيا، التي كان هدف الكاثُوليك منها اجتثاث جُذُور البرُوتستانتيَّة تماماً؛ حيثُ كان اليسُوعيُّون هُم الذين هيَّؤوها، وأوقدوا نارَهَا، بل كانت تلك الحرب تسير بمُشاركتهم الفعَّالة.

لدى وفاة "أغنَاطْيُوس لُويُولا" سنة **1556**، كان هُناك أكثر من ألف يسُوعي يعملون في أنحاء أُورُوبا، وآسيا، وأفريقيا، والعالم الجديد (أيْ القارَّة الأمريكيَّة؛ خاصَّة القسم الجنوبي

منها ؛ أيْ أمريكا اللاَّتينيَّة) . وبلغ عدد اليسُوعيِّيْن عام 1626 ، ما يربو على خمسة عشر ألف راهب ، في حين بلغوا حوالي ضعف هذا العدد في مُنتصف القرن التَّالي ؛ أيْ عام 1749 .

جَلَبَتْ الوضعيَّة البارزة والخاصَّة التي كان اليسُوعيُّون يتمتَّعون بها دُون سائر الأخويَّات الرّهبانيَّة ، ولَعبهم دَور أبطال البابويَّة المُدافعين الأشدَّاء عن البابا ، جَلَبَتْ ضدَّهم عداوة الكثيرين ونُفُورهم ، وكان سبب ذلك هُو تنامي مشاعر الوطنيَّة والقوميَّة وحُبِّ الاستقلال لدى الأُمراء في مُنتصف القرن الثّامن عشر ، ممَّا أوجد رُوحاً مُعادية للبابا ولرجال الدِّين في ذلك العصر بشكل عامٍّ ، وهكذا بدأ كثيرون ـ سواء من رجال الدِّين ، أو من الأُمراء العلْمانيِّيْن ـ يسعون للقضاء على هذه الجمعيَّة وحلِّها . وفي عام 1773 ؛ قام البابا كليمنت الرّابع عشر Clement XIV ، تحت ضغط حكُومات كُلٍّ من فرنسا ، وأسبانيا ، والبُرتغال ، بإصدار مرسوم بحَلِّ الجمعيَّة ، وإبطالها .

لكنْ ؛ بعد مُدَّة وُجدت رغبة مُلحَّة لدى أوساط كثير من النّاس في فرنسا وغيرها بأنْ تعود الجمعيَّة لمُمارسة دورها التّعليمي والتّبشيري القديم ، الأمر الذي حدا بالبابا "بيوس" الثّالث Pius III أنْ يأمر بإعادة تأسيسها عام 1814 ، فواصلت ـ مُنذُ ذلك الحين ـ عملها التّعليمي والتّبشيري ؛ حيثُ يُوجد لها بعثات في كثير من بُلدان العالم ؛ بدءاً من الصّين شرقاً ، ومُرُوراً بآسيا ، وأفريقيا ، وبُلدان الشّرق الأوسط العربيَّة ، وانتهاء بأمريكا ؛ خاصَّة الجنوبيَّة غرباً .

ولكنْ ؛ ممَّا يأخذه النّاس في بُلدانهم ذات الأكثريَّة غير المسيحيَّة على هذه الجمعيَّة سعيَهَا للتّبشير عبر مدارسها لضمان تعليم المسيحيَّة للنّاس مُنذُ طُفُولتهم ، وإلغاءها للُّغات الوطنيَّة ، ونَشْرها للثّقافة الأُورُوبيَّة ، وسيادة الجنس الأبيض ، بل كانت مدارسهم تُعلِّم ـ في البداية ـ باللاَّتينيَّة ، ثُمَّ تحوَّلت إلى الفرنسيَّة ، والبُرتغاليَّة ، والأسبانيَّة ، والإيطاليَّة ، وزادت الشّكوى من خداع المُبشِّرين واتِّباعهم أخسَّ الوسائل لتحقيق أهدافهم ، حتَّى فَهمَ كثير من النّاس من اصطلاح اليسُوعيَّة أو الجزويتيَّة أنَّه المَكْر والدّهاء .

ومن المآخذ الأُخرى على الجمعيَّة أنَّ فلسفة اليسُوعيِّيْن مُحافظة ورَجْعيَّة ، وتُنكر حقُوق المرأة ، وتستبعدها ـ بالكُلِّيَّة ـ من النّشاط الاجتماعي العامِّ ، وتجعل للرّجل السُّلطة الكاملة والسِّيادة الشّاملة ، وتُحرِّم على النّساء دُخُول التَّجمُّعات اليسُوعيَّة ، وتَقْصرُها على الرّجال .

الجمعيَّات الرّهبانيَّة الأُخرى التي ظهرت في عهد الإصلاح والإصلاح المُضادّ:

أمَّا بقيَّة الجمعيَّات الرّهبانيَّة التي ظهرت في كَنيسة رُوما في عصر الإصلاح ؛ فلم يكن لها الأهمِّيَّة التي كانت للجمعيَّة اليسُوعيَّة ، مع أنَّها ظهرت تحت تأثير الإصلاح أيضاً ، ولعبت دوراً في تحقيق الإصلاح الكَاثُوليكي المُضادّ ، وكان أهمّ تلك الجمعيَّات هي :

جمعيَّة التّياتين: تأسَّست سنة **1521** ، في إيطاليا ، وغايتها إتقان إكليروس الرّعيَّة في إقامة واجباتهم . وكان التّياتين كَهَنَة مع النُّذُور الرّهبانيَّة ، فكانوا يقومون بغَيْرة خاصَّة بإتمام كُلّ الواجبات في إتمام الخدمة الكَنَسيَّة ، والوعظ ، والعناية بالمرضى والمُحتضرين مجَّاناً ولوجه الله .

رَهْبَنَةُ الكبوشيِّيْن: تُؤلِّف فرعاً لجمعيَّة الفرنسيسكان القديمة . ظهرت في سنة **1528** . أقام الكبوشيُّون قانون فرانسيسك الأوَّلي ، وأدخلوا في طريقتهم شكلَ حياةٍ فقريَّةٍ صارمةٍ ، وبما أنَّهم لم يهتمُّوا بالثّقافة ، فكانوا يختلطون ـ بشكل خاصٍّ ـ بطبقات المُجتمع السُّفلى ، يُثبتون فيهم ـ مع الخُرافات ـ احترام كَنيسة رُوما .

رَهْبَنَة البياريست Piarists أو البياريِّيْن: تأسَّست في بداية القرن السّابع عشر . وغاية هذه الجمعيَّة تعليم وتهذيب الفتيان على الرُّوح الكَاثُوليكيَّة الصّارمة . وكانت مُنتشرة ـ بنوعٍ خاصٍّ ـ في بُولُونيا ، وفي الأماكن الرُّوسيَّة الواقعة تحت سُلطة بُولُونيا ، كما انتشرت في أمريكا اللاَّتينيَّة ، وأمريكا الشّماليَّة .

رَهْبَنَة العازاريِّيْن والكَهَنَة المُبشِّرين: The Order of the Lazarists أسَّسها في فرنسا الكاهن الفرنسي القدِّيس "فانسون دي بُول" **Saint Vincent de Paul** (**1581** ـ **1660**) ، مُؤسِّس جمعيَّة التّبشير **Congregation of the Mission** ، وغايتها تهذيب السُّكَّان المحلِّيّن تهذيباً دينيّاً أدبيّاً ، ثُمَّ دخل العازاريُّون في الشّرق الأرثُوذكسي لمقاصد تبشيريَّة .

رَهْبَنَة الفييّانت The Feuillant monastic order : أسَّسها ـ عام **1577** ـ الرّاهب "جان دي لا باريير" **Jean de la Barrière** رئيس دير الفيّانت السِّيستيريكاني **Cistercian Monastery of Les Feuillants** قُرب مدينة "تُولُوز" جنوب فرنسا ، كحَرَكَة إصلاحيَّة ضمن أخويَّة السِّيستيريكان الرّهبانيَّة . في عام **1586** ، أقرَّ البابا "سيكستوس الخامس" **Sixtus V**

الأخويَّة الجديدة، وصادق عليها، وفي عام 1592، اعتبر البابا كليمنت الثّامن Clement VIII أخويَّة الفييّانت جماعة مُنفصلة قائمة بذاتها.

يعيش الرُّهبان "الفييّانت" على وجبة تتألَّف من الخُبز والماء وخضروات الفصل، مع الملح فحسب. فهُم نباتيُّون لا يتعاطون اللُّحُوم، ولا يملكون أو يقتنون أيَّ أثاث، وكانوا، تحت إشراف "باريير"، يُمضون حياتهم بصمت كامل، وبالصّلوات والعمل اليدوي، وبعد حياة المُؤسِّس؛ توسَّعت نشاطاتهم لتشمل أعمالاً ثقافيَّة وأسقفيَّة إرشاديَّة. ازدهرت أخويَّة الفييانت في فرنسا، وانتشرت في إيطاليا. ثُمَّ انقسمت - عام 1630 - إلى فرعَيْن فرنسي وإيطالي، أخذ القسم الإيطالي اسم أخويَّة البرنارديِّين المُصْلَحَة Reformed Bernardines. وَصَلَ عدد الأديرة التي تُديرها الرّهبنة - في أوج شعبيَّتها - إلى 74 ديراً. لكنْ؛ في القرن الثّامن عشر؛ لم يستطيع "الفييانت" أنْ يجذبوا إليهم إلاَّ عدداً محدوداً من الرّاغبين، لذلك بدأ شأن هذه الرّهبانيَّة بالاضمحلال؛ خاصَّة عقب الثّورة الفرنسيَّة عام 1789، التي أبطلت جميع الجمعيَّات الرّهبانيَّة، وألْغَتْ قانونيَّتها، ولم يتمّ إحياء هذه الأخويَّة - فيما بعد - بل انتهت، وكان الانقراض نصيب الفرع الإيطالي لها أيضاً، والذي انقرض مُنذُ بدايات القرن التّاسع عشر.

الفصل الخامس:

الفرَق والشِّيَع المسيحيَّة الغربيَّة الحديثة

تمهيد:

إنَّ ظاهرة نُشُوء الفرَق أو الشِّيَع المسيحيَّة[1] وتكاثرها ونُمُوِّها في العديد من البُلدان ليست ظاهرة جديدة. فهي مُعاصرة لنشأة المسيحيَّة؛ إذْ كانت هُناك مجموعات مسيحيَّة كثيرة تكوَّنت في القُرُون الأُولى للمسيحيَّة على هامش حياة الكَنيسة العامَّة، وكان لها نظامها ورُؤيتها اللاَّهوتيَّة، وأحياناً؛ العبادات والتَّصرُّفات الخاصَّة المُختلفة مع قوانين الكَنيسة التي مثَّلت الأكثريَّة. ولا شكَّ أنَّ هذه الظَّاهرة هي مُلازمة لتاريخ الكَنيسة؛ بحيثُ أنَّ كُلَّ جيل من أجيال المسيحيَّة كان يأتي ببعض الأشكال الدِّينيَّة الهامشيَّة التي تُعبِّر ـ أحياناً ـ عن حالات أُصُوليَّة ومُتطرِّفة لها جُذُورها في الأوضاع السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والدِّينيَّة.

ففي الجماعة المسيحيَّة الأُولى الرّسوليَّة، حاول تيَّار له وزنه أنْ يربط الكَنيسة بالشّريعة اليهُوديَّة ومُتطلَّباتها، وهذا ما رَفَضَهُ مجمع أُورشليم الأوَّل الذي رأى في يسُوع المسيح أساساً

---

(1) اعتمدتُ ـ في هذا الفصل ـ في بيان وعرض كُلِّ فرقة وشيعة على كُتُب ونَشْرات الفرقة نفسها، وخاصَّة ما تنشره عن نفسها على الإنترنت، إنْ وُجد لها موقع رئيسي، ثُمَّ اعتمدتُ ـ بشكل كبير ـ على الموسُوعة البريطانيَّة، وموسُوعة إنكارتا الأمريكيَّة، والموسُوعة العربيَّة العالميَّة. كما استفدتُ ـ في جزء مُهمٍّ أيضاً في هذا الفصل ـ من كُتيِّب "الشِّيَع المسيحيَّة نشأتها وتنظيماتها"، لمُؤلِّفه: جان م. صدقة، (ثاني كتاب لسلسلة "موسُوعة المعرفة المسيحيَّة": تاريخ الكَنيسة، نَشْر دار المشرق ـ بيرُوت، 1990م)، إلاَّ أنَّ كاتب هذا الكُتيِّب الأخير عَرَضَ وُجهةَ النَّظَر المسيحيَّة الكَاثُوليكيَّة ـ غير المُوافقة في الغالب ـ بشأن تلك الشِّيَع والفرَق، لذلك اضطُررتُ ـ حتَّى يكون العرض موضوعيَّاً حياديَّاً ومُتجرِّداً ـ أنْ أُعيد صياغة بعض عباراته، وأحذف بعض التّعابير النَّقْديَّة أو التّضليليَّة، ، مع إعادة إعداد وترتيب وإضافات توضيحيَّة كثيرة من المراجع المذكورة أعلاه.

للإيمان والعبادات والمُعاملات. وشهد القرن التّالي مُحاكَمة أتباع مارقيُّون الذين راحوا يُنادون بانفصال الكَنيسة عن كتابات العهد القديم. وجاء بعدهم التّيَّار الغنوصي الذي لا يرى الخلاص إلاَّ في المعرفة العقلانيَّة المُتعاليَّة، وفي فصل النَّفْس عن الجسد؛ باعتباره ذلك السّجن المُظلم الذي يجب هَدْمه، ثُمَّ راح أتباع بلاجيوس أيَّام القدِّيس أغْناطْيُوس يدعون إلى إعلاء شأن قوى الإنسان على حساب النّعمة الإلهيَّة.

وكثيراً ما تحوَّلت هذه التّيَّارات وغيرها ـ ممَّا نشأ على مرِّ الأجيال في إطار الكَنيسة ـ إلى حَرَكَات مُنظَّمة وَصَلَ الأمر ـ مع بعضها ـ إلى تهديد ما اصْطُلحَ على تسميته بالإيمان الرّسولي.

والشّيعة في اللُّغة العربيَّة هي مجموعة القوم الذين توافقوا على أمر مُعيَّن يُوحِّد بينهم، وهي ـ في الوقت نفسه ـ مجموعة قومٍ تبعوا أحد المُدَّعين، أو أصحاب الرُّؤى، وناصروه، وتشاركوا في أُمُورهم، وأموالهم، ومُمتلكاتهم. وفي عُرْف العُلُوم الدِّينيَّة المسيحيَّة؛ هي حَرَكَة دينيَّة يتبع أعضاؤها إنساناً ادَّعى لنفسه النُّبُوءة، ويُقدِّم تفسيراً مُعيَّناً للوُجُود، ولعلاقة الإنسان بربِّه، واللّفظة اللاَّتينيَّة (Sectum) تدلُّ على أنَّ هذه الحَرَكَة انفصلت عن المُؤسَّسة الأُمِّ، وأسَّست كَنيسة جديدة، على اعتبار أنَّ الكَنيسة الأُمَّ لم تَعُدْ وفيَّةً لمبادئها وقوانينها. وهذه الحَرَكَات تختلف ـ في الواقع ـ عن الكَنيسة في أربعة أُمُور أساسيَّة:

1 ـ في حين لا يزال يُؤمن بعض هذه الشِّيَع بعقيدة الكَنيسة التّقليديَّة حول إلهيَّة يسُوع المسيح، وأنَّها أساس الإيمان المسيحي، وأنَّه قام من بين الأموات، يرفض بعضها الآخر الإيمانَ ـ بالضّرورة ـ بأنْ يسُوع المسيح قام من بين الأموات، أو أنَّه ابن الله، بالمعنى الحقيقي للكلمة (الولادة)، الذي جاء إلى الأرض ليُخلِّص البشرَ، بل يرى في المسيح إنساناً نبيَّاً، ورسولاً ناطقاً باسم الله، ومُبلِّغاً لكلمة الله، وموهوباً قُوَّةً إلهيَّةً خارقةَ الحَدِّ، وليس إلهاً، ولا تجسُّداً لله، أو لأحد أقانيم الثّالوث الإلهي، ويرى أنَّه إذا سُمِّيَ في الكتاب المُقدَّس بابن الله فذلك على معنى الحظوة والحُبِّ والتَّبنِّي من الله؛ أيْ أنَّها بُنُوَّة معنويَّة، فالمسيح في مُعتقد عديد من الشِّيَع القديمة والحديثة إنسان مخلوق نبيٌّ كريم ورسولٌ حكيمٌ فحسب. وفي

الحقيقة ؛ تعترف هذه الشِّيَع إلى حَدٍّ كبير بالكتاب المُقدَّس Bible ، وتلجأ إليه وسيلةً أساسيَّةً لنَشْر تعاليمها ، وتبني عقيدتها على ما فهمَتْهُ من هذا الكتاب ، سواء اتَّفق هذا الفَهْم مع الفَهْم التّقليدي للكَنيسة أم اختلفَ.

2 ـ أغلب هذه الشِّيَع لديه قناعة كاملة بأنَّ العالم سيِّئ ، لأنَّه مجال حيوي للشّيطان ، لذلك يجب تغييره تغيُّراً جَذْريّاً. ومن المُهمِّ ـ في تصوُّرهم ـ أنْ ينتمي الإنسان إلى هذه النِّحْلَة أو تلك الشِّيعة ، ويُبشِّر بها. وإذا ما تخلَّى أحد الأتباع ـ لسُوء حظِّه ـ عن شيعته ، فهُو يقع ـ لا محالة ـ في التّهلكة ؛ لأنَّه لا خلاص خارج تلك الشِّيعة الخاصَّة.

3 ـ يقرأ أغلب الشِّيَع الإنجيل بطريقة أُصُوليَّة حَرْفيَّة لا تُقرُّ بأيِّ اهتمام لرُوح المعنى العامِّ. وهُناك عدد كبير من الشِّيَع يملك كُتُباً جديْدَة ألَّفها المُؤسِّسون لتلك النِّحَل أو الشِّيَع.

4 ـ تعتمد أغلب الشِّيَع مناهج دعويَّة مُميَّزة ونشطة وفعَّالة إلى حَدٍّ بعيد. فهي تُكرِّس القسم الأكبر من ميزانيَّتها لتأسيس المطابع ، وإعداد المطبوعات والكراريس ، ونَشْر دوريَّات يَحْرِصُ أتباعها على توزيعها في البُيُوت بشكل خاصٍّ.

ومن جهة ثانية ؛ قد يرى بعضهم في الشِّيَع الدِّينيَّة حُلُولاً صادقة لعدد من أمراض الكَنيسة والمُجتمع الحقيقيَّة ؛ إذْ لعلَّها تكشف عن نواحي إصلاحيَّة لم يُعِرْها رجال الكَنيسة أو المسؤولون اهتماماً كافياً ، ولذلك لَمَّا لم يجد الذين ينتسبون إلى الشِّيَع ما يصبون إليه في كنائسهم التّقليديَّة ، تركوها ، وانتسبوا إلى تلك الشِّيَع الجديدة. والواقع أنَّ أسباب الانتساب إلى الشِّيَع في أيَّامنا هذه مُتعدِّدة ؛ منها أنَّ الشِّيَع الدِّينيَّة الإصلاحيَّة ـ على مُختلف أنواعها ـ تَبْرُزُ دوماً وتَنْمو إبَّان الأزمات الشّديدة التي تعيشها المُجتمعات على الصّعيد الثّقافي والاجتماعي والدِّيني ، فتأتي الشِّيعة أو الحَرَكَة الإصلاحيَّة كَرَدَّة فعْل فوريَّة. ففي بلاد اخترقها العُنف ، ومزَّقَتْهَا الحُرُوب ، وزادت فيها البَطَالة ، تزدهر الشِّيَع التي تَعِدُ بالمُستقبل الباهر الذي يتآخى فيه البشر. وإلى هذا ، تُشير الشِّيعة في خطابها ودعوتها إلى مُسبِّب الأزمات ، أو إلى الذي لم يُحسن استدراكها ومَنْع حُصُولها ، وهي ـ في الغالب ـ الكَنيسة والمدرسة والدّولة ؛ وخُصُوصاً العائلة كمُؤسَّسة. وتُركِّز الشِّيَع في حديثها إلى أنَّ « العالم

أصبح خرباً وعفناً »، وأنَّ « الكَنيسة إلى جانب الأقوياء والأغنياء »، وأنَّ « مُجتمع الاستهلاك ليس المُجتمع المثالي »..... إلخ.

والأسباب التي قد تُلاحظ أنَّها كثيراً ما تكون خلف انتساب العُضو وانضوائه إلى إحدى الشِّيَع - خاصَّة العصريَّة منها - واحدة من حاجات الإنسان المُعاصر الأساسيَّة:

- الحاجة إلى العيش ضمن الجماعة التي تربطُ أعضاءَها علاقاتٌ قويَّةٌ متينةٌ؛ حيثُ يستطيع الإنسان أنْ يشعرَ بأنَّه من الجماعة، في عصر انتشرت فيه الفَرْدَانيَّة والأنانيَّة والماديَّة بشكل كبير.

- الحاجة إلى العيش في إطارٍ يحميه ويقيه أضرار الخارج، ويُوفِّر له الرُّؤيا، والعقيدة الثَّابتة الواضحة، وسُبُل العيش والحياة.

- الحاجة إلى نُقطة ارتكازٍ، وإلى مُجتمع سلامٍ وهناءٍ وراحةٍ، يُبعده عن الحرب والعُنف والمآسي، التي عمَّت وطمَّت في القرن الأخير والمُعاصر.

ولكنْ؛ كما أنَّ أسباب الانضواء إلى الشِّيَع مُتعدِّدة، فإنَّ أخطار الانتساب إليها كثيرة أيضاً: فالعيش ضمن بعض الشِّيَع كثيراً ما يُفقد المُنتسب إليها حُرِّيَّته بأساليب مُتعدِّدة، كالمال، وسُلطة المسؤول، وخُصُوصاً الرَّئيس الأعلى، وغَسْل الدِّماغ، وإضعاف الشَّخصيَّة، فيُصبح الإنسان أسيراً على مُستوى عقله وعاطفته وإرادته. والانضواء إلى الشِّيعة كثيراً ما يجعل الإنسان أسير الحَرَكَات والطُّقُوس الخارجيَّة والاحتفالات الجامعيَّة بَدَلَ التَّركيز على المعنى. فالخُضُوع والطَّاعة العمياء هُما القاعدة. كما أنَّ الانضواء إلى بعض الشِّيَع كثيراً ما يجعل العُضو غريباً عن مُجتمعه وعائلته. وهذا ما تُركِّز عليه الشِّيعة لتتسلَّط على المُنتسب.

وللْوُصول إلى أهدافها - وهي أوَّلاً جَذْب المُتردِّدين والضُّعفاء والهامشيِّيْن والشَّكَّاكين إلى صُفُوفها - لا تتردَّد الشِّيَع في استخدام الوسائل الضَّروريَّة، الماليَّة والإعلاميَّة والعاطفيَّة.

والواقع أنَّ الشِّيَع الجديدة التي تقول إنَّها « مسيحيَّة حقَّة »، و« تُمثِّل المسيح الحقيقي » كثيرة، ومن الصَّعب إحصاؤها. ففي الولايات المُتَّحدة، تُولد سنوياً عشرات الشِّيَع، في وقتٍ يزول الكثير الآخر منها، وينقرض.

وفيما يلي من صفحات سنُسلِّط الضّوء على أهمِّ الشِّيَع التي تعود في انتسابها إلى الإطار المسيحي، وسوف نعرض لها كالتَّالي:

1 ـ الكنائس المَعْمَدَانيَّة.

2 ـ الشِّيَع التي تنتسب إلى عائلة الألفيِّين.

3 ـ الشِّيَع التي تنتسب إلى عائلة الشّفائيِّين.

4 ـ حَرَكَات اليَقَظَة أو الصَّحْوَة المسيحيَّة.

5 ـ الكنائس الكَاثُوليكيَّة الصّغيرة.

6 ـ رابطة توحيد المسيحيَّة في العالم (مون).

7 ـ الكَنيسة التّوحيديَّة.

علماً أنَّ هُنالك شيعاً أُخرى عديدة صغيرة، في أمريكا بشكل خاصٍّ، وبعضها في أُورُوبا وأفريقيا، فضلاً عن تلك التي زالت على مرِّ العُصُور.....

أوَّلاً: الكنائس المَعْمَدَانيَّة:

انبثقت الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة **Baptist Church** ـ في الأساس ـ عن حَرَكَة تجديد المَعْمُوديَّة **Anabaptist** في القرن السّابع عشر، التي ـ بدورها ـ كانت إحدى الاتِّجاهات البرُوتستانتيَّة الرّاديكاليَّة الثّوريَّة (اليساريَّة الاتِّجاه) التي انشقَّت عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة[1]. وقد أسَّس المَعْمَدَانيَّة القسِّيسان الأنجليكانيَّان جُون سميث **John Smyth(or Smith**) وتُوماس هيلويس **Thomas Helwys**، اللّذان انشقَّا عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة في إنجلترا، ورأيا وُجُوب الانفصال التّامّ عنها، كما أنشأ اللاَّهوتي الهُولاندي جاكوب (يعقوب) أرمينيوس (1560 ـ 1609م) **Jacobus Arminius** فرعاً آخر للكَنيسة المَعْمَدَانيَّة، لا يرى ضرورة الانفصال عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة أو غيرها من الكنائس البرُوتستانتيَّة.

كبداية؛ بما أنَّ المَعْمَدَانيَّة انشقَّت ـ بالأساس ـ عن الحَرَكَة البرُوتستانتيَّة، فقد حملت معها ـ بالطّبع ـ أُسُس الاعتقاد البرُوتستانتي: التّبرير والخلاص بالإيمان وحده، وليس

---

(1) راجع الكلام عن فرقة الأنَابَابْتيسْت (إعادة المَعْمُوديَّة) وفرعَيْهَا: المينُونيَّة، والأرمينيَّة في آخر الفصل السّابق.

بالأعمال، والاقتصار على الكتاب المُقدَّس وحده في العقيدة والتّعاليم، ورَفْض التّسلسل الهَرَمي لرجال الكَنيسة، مُعتبرةً أنَّ كُلَّ مؤمن هُو رجل دين، وكُلَّ المؤمنين مُتساوون في الدّرجة، وأضافت المَعْمَدَانيَّة لتلك الأُصُول البرُوتستانتيَّة أُصُولاً أُخرى عقائديَّة وعمليَّة هامَّة، أهمّها: إعطاء كُلِّ كَنيسة سُلطة ذاتيَّة مُستقلَّة على نفسها، والتّأكيد على وُجُوب فَصْل الدِّين عن الدّولة، وإعطاء حُرِّيَّة الاعتقاد الكاملة للنّاس، ومن ذلك؛ رَفْض تعميد الأطفال، ورَفْض المُناولة الأُولى التي تعتمدها سائر الكنائس التّقليديَّة، وبالمُناسبة؛ فالفكْرتان الأخيرتان ليستا خاصَّتَيْن بالكَنيسة المَعْمَدَانيَّة، بل تبنَّتْهُمَا ـ أيضاً ـ العديد من الكنائس الأُخرى المُنبثقة عن البرُوتستانتيَّة.

يُؤكِّد المَعْمَدَانيُّون أنَّ التّعميد يجب أنْ يكون حَرَكَة واعية لإنسان بالغ عن إرادة واختيار، وأنَّ التّعميد لا يكون برشِّ الماء، أو سَكْبه فوق الرّأس، ونحو ذلك، بل لابُدَّ أنْ يكون بالانغماس الكامل بالماء، كما تعمَّد يسُوع المسيح على يد يُوحنَّا المَعْمَدَان؛ عندما انغمس في نهر الأُردن؛ حيثُ يرمز الانغماس في نَظَرهم إلى الموت والدّفن، ثُمَّ الخُرُوج والانبعاث حيّاً من جديد، ولا يرى المَعْمَدَانيُّون في التّعميد نُزُول نعمة مسيحيَّة سرِّيَّة خاصَّة على المُتعمِّد، بل التّعميد ـ في نَظَرهم ـ نوع من العمل الذي يُعلن فيه المسيحي عن اعترافه والتزامه العَلَني بالمسيحيَّة التي كان قد نال نعمتها بالإيمان من قبلُ. كما أنَّ العشاء السِّرِّيَّ، الذي يجتمعون إليه في أوَّل أَحَد من كُلِّ شهر، يرمز إلى تَذَكُّر عشاء المسيح، وليس فيه سرٌّ خاصٌّ، بل هُو عمليَّة تَذكُّر دينيَّة، أو إحياء لذكرى إيمانيَّة فحسب. كما لا تُقيم الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة فرقاً بين راعي الكَنيسة والمُؤمن، وتدعو أتباعها إلى إعادة تعميد الرّاشدين.

والواقع أنَّ أكثر المَعْمَدَانيِّين كانوا من ذلك الجناح من الأَنَابَابْتيسْت الأوائل الذين صاروا يُعرفون باسم الأبرشانيِّين **Congregationalist**[1]؛ حيثُ لم يكن هُناك فرق واضح

(1) الأبرشانيَّة **Congregationalism** ضَرْبٌ من التّنظيم الكَنَسي تتمتَّع فيه كُلُّ أبرشيَّة ـ ضمن نطاق منطقتها ـ باستقلال ذاتي في الشُّؤُون الكَنَسيَّة، ويُطلق اسم الأبرشانيِّين **Congregationalists** أو المُستقلِّين **Independents** على أعضاء مجموعة من الكنائس التي نشأت في إنكلترا في أواخر القرن السّادس عشر وخلال القرن السّابع عشر، والتي أكَّدت على حقِّ كُلِّ أبرشيَّة في اتِّخاذ قراراتها بمعزل عن أيَّة سُلطة بشريَّة عُليا. والأبرشانيُّون يقبلون المُعتقدات الأساسيَّة التي قامت عليها البرُوتستانتيَّة، وكنائسهم مُنتشرة ـ في المقام الأوَّل ـ في بريطانيا والولايات المُتَّحدة الأميركيَّة.

بين المَعْمَدَانيِّين والأبرشانيِّين إلاَّ ما كان من أمر التّعميد بالماء والدّفاع القوي عن حُرِّيَّة الضّمير ؛ فقد خشي كُلُّ الأبرشانيِّين من سُلطة الأساقفة والمجمع الكَنَسي ، وقد أعلنوا ـ بكُلِّ صراحة ـ أنَّه ينبغي أنْ يُمارس الأشخاص العاديُّون ورجال الأبرشيَّات المحلِّيُّون حُكْم أنفسهم بأنفسهم . وقد قبل مُعظم المعمدانيِّين كمبدأ لهم ـ بتعديل خفيف ـ عقيدة "اعتراف ويستمنستر في الإيمان" الذي استُنْبط من قبَل المُتزمِّتين في الأربعينيَّات من القرن السّابع عشر الميلادي .

في عام 1602م ، تعرَّضت مجموعة جُون سميث **John Smyth** ـ خرِّيج جامعة كامبريدج ـ للاضطهاد في إنجلترا ، فغادرت إلى هُولاندا ، واستقرَّت في "أمستردام" ، وفي خلال مُناقشاتٍ حول الانتماء الحقيقي لكَنيسة المسيح ؛ أكَّد جُون سميث على وُجُوب التّعميد الواعي ، فأعاد تعميد نفسه هُو و36 من أتباعه . ثُمَّ هاجرت مجموعة ثانية من المُنشقِّين عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة بقيادة "جُون رُوبنسون" **John Robinson** إلى هُولندا أيضاً ، هرباً من الاضطهاد الإنجليزي ، واستقرَّت في "ليدن" . وفي العام **1612** ، مات سميث ، فعاد قسمٌ من تلاميذه إلى إنكلترا ، وأسَّسوا فيها الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة الأُولى واسمها « المَعْمَدَانيَّة العامَّة » **General Baptists** ؛ لأنَّها تُؤمن بأنَّ المسيح يُخلِّص بفدائه كُلَّ المُؤمنين به ، في حين أُطْلقَ على مجموعة هنري جاكوب تسمية « المَعْمَدَانيَّة الخاصَّة » **Particular Baptists** ؛ لأنَّها كانت تُؤمن بأنَّ المسيح بصَلْبه يُخلِّص المُختارين **Elected** فقط ، ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ هذه المجموعة الأخيرة ـ بعكس مجموعة "المَعْمَدَانيَّة العامَّة" ـ لم تكن تُنادي بالانفصال التَّامِّ عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة ، وقد أُسِّست أوَّل كَنيسة مَعْمَدَانيَّة خاصَّة في إنجلترا تحت قيادة "جُون سبيلزبوري" **John Spilsbury** عام **1638** .

شكَّل العقدان التّاليان ـ أيْ من **1640** إلى **1660** ـ أهمَّ مرحلة في تطوُّر ونُمُوِّ الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة النّاشئة ، فقد نَجَحَ المُبشِّرون والكَهَنَة الوُعَّاظ المَعْمَدَانيُّون الذين نشطوا في مُعسكرات القائد التَّطهُّري "أُوليفر كرومويل"[1] في جَذْب العديد من الأتباع والمُوالين إلى الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة ، وكان النّجاح الأكبر من نصيب "المَعْمَدَانيَّة الخاصَّة" ، في حين عانت

---

(1) أُوليفر كرومويل زعيم الثّورة الإنجليزيَّة (1640 ـ 1660) وأحد التَّطهُّريِّين ، وأوَّل عُضو مجلس عُمُوم بريطاني يحكم بريطانيا مع أنَّه من عامَّة النّاس (أيْ خارج العائلة المالكة) في فترة إلغاء المَلَكيَّة بعد الإطاحة بالملك تشارلز الأوَّل .

"المَعْمَدَانيَّة العامَّة" من انسحاب عديد من أتباعها إلى جماعة "المُهتزِّين" **Quakers**، وتحوَّل قسم آخر منهم إلى الشُّكُوكيَّة **Skepticism**، وبعضهم أصبح من التّوحيديِّين **Unitarians** (سنتكلَّم عن طائفتهم في آخر هذا الفصل).

بعد عودة المَلَكيَّة إلى العرش البريطاني؛ تعرَّض كلا الجناحَيْن من المَعْمَدَانيِّين إلى اضطهاد فظيع وقاس استمرَّ حتَّى صَدَرَ ما عُرف باسم "قانون التّسامح" عام **1689**.

بدأ المُبشِّرون المَعْمَدَانيُّون التّابعون "لجمعيَّة التّبشير المَعْمَدَانيَّة الإنجليزيَّة" **English Baptist Missionary Society** ينتشرون في أنحاء المملكة البريطانيَّة العُظمى، ويُؤسِّسون الكنائس المَعْمَدَانيَّة في أنحائها، وكان وليم كاري المَعْمَدَاني الإنجليزي الذي ذَهَبَ إلى الهند في **1793**م، من أشهر الدُّعاة المَعْمَدَانيِّين النّاطقين بالإنجليزيَّة.

أمَّا أوَّل كَنيسة مَعْمَدَانيَّة في أمريكا؛ فقد أنشأها "رُوجر ويليم" **Roger Williams** (**1603**م - **1683**) الذي كان قسِّيساً تطهُّريّاً **Puritan** من أتباع "المَعْمَدَانيَّة العامَّة" القائلين بوُجُوب الانفصال التَّامِّ عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة وبقيَّة الكنائس. هاجر "رُوجر ويليم" لأمريكا بسبب الاضطهاد الذي مُورسَ ضدَّ التَّطهُّريِّين في بريطانيا، وأسَّس هُناك مُستعمرة "رود آيلاند" البريطانيَّة شمال أمريكا[1]، وأنشأ في مدينة "بروفيدانس" **Providence**، عام **1639**، أوَّل كَنيسة مَعْمَدَانيَّة، ثُمَّ جَعَلَ من المُستعمرة مركزاً لتجميع جماعات المَعْمَدَانيِّين المُتفرِّقين من المُهاجرين إلى العالَم الجديد، وتمكَّن من إنشاء جمعيَّة مَعْمَدَانيَّة مُوحَّدة لهم عام **1670**.

اتَّصل المَعْمَدَانيُّون الأمريكيُّون بحَرَكَة التّبشير الأجنبيَّة عام **1812**م، عندما ذَهَبَ أدوتيرام جُودسون إلى بُورما، وبعد ذلك؛ ذَهَبَ المُبشِّرون من المَعْمَدَانيِّين إلى أُورُوبا وأمريكا اللاَّتينيَّة. ونتيجة لهذا النّشاط، ولتنقُّل المَعْمَدَانيِّين في كُلٍّ من كَنَدَا وأُستراليا ونيوزيلندا (أنحاء الإمبراطُوريَّة البريطانيَّة العُظمى آنذاك)؛ بدأت تنتشر المَعْمَدَانيَّة في تلك

---

(1) تُشكِّل - الآن - ولاية "رود آيلاند" الأمريكيَّة الصَّغيرة، الواقعة شمال شرق الولايات المُتَّحدة على المُحيط الأطلسي بين ولايَتَي ماساتشوسيت شمالاً وكنكتيكت غرباً، وعاصمتها مدينة "بروفيدانس" **Providence**.

البُلدان؛ حيثُ تأسَّست أوَّل كَنيسة مَعْمَدَانيَّة في كَنَدَا عام 1763، وفي "نيوساوث ويلز" في أُستراليا عام 1831، ثُمَّ في نيوزيلاندا عام 1854.

والواقع أنَّ المَعْمَدَانيَّة مذهبٌ في العقلانيَّة الدِّينيَّة، وتدعو إلى حُرِّيَّة التّفكير، ومن هُنا؛ كان ارتباط المَعْمَدَانيَّة بالأحزاب اللِّيبراليَّة، وبالثّورة الأمريكيَّة، وبالحَرَكَة التَّطهُّريَّة (البيُوريتانيَّة)، ثُمَّ باليسار الفلسفي. فكانت الحَرَكَة المَعْمَدَانيَّة مع تحرير العبيد، ورحَّبت بإعلان التّحرير **Emancipation proclamation** سنة **1803**م.

وتقوم الفلسفة المَعْمَدَانيَّة على نَشْر التّعليم، فمبدؤها أنَّ مَنْ لا يعرف لا يُمكن أنْ يُؤمن، لذلك أنشأت الحَرَكَة المَعْمَدَانيَّة جامعة شيكاغو - كجامعة الأزهر - لتخريج الدُّعاة بفلسفة مَعْمَدَانيَّة أو تبشيريَّة تُمكِّنهم من نَشْر المسيحيَّة برُؤيا تحريريَّة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاَّتينيَّة. وعندما اندلعت الثّورة البلشفيَّة في رُوسيا سنة **1917**، أيَّدها المَعْمَدَانيُّون.

يعتمد منهج المَعْمَدَانيَّة - بشكل أساسي - على التّركيز على التّعريف بالإنجيل، وشَرْحه، وتفسيره، وليس على طُقُوس الصّلاة والصّيام، إلخ، وتُولي الغناء الدِّيني عناية كبيرة. ويصف المَعْمَدَانيُّون الفلسفةَ المَعْمَدَانيَّةَ بأنَّها ديانة قلب **Heart Religion**، وليست ديانة مراسم وطُقُوس، وكانت الفلسفة العصرانيَّة **Modernism**، في القرن العشرين، من روافدها، وهي مُحاولة للمُوائمة بين الإيمان بالتُّراث الدِّيني ومُسايرة تطوُّرات العصر، والانفتاح على العالم والفكْر الجديد. ومن أهمِّ ما أكَّده العصرانيُّون هُو وُجُوب دراسة "الكتاب المُقدَّس" دراسة تاريخيَّة ناقدة، وعدم اعتباره نصّاً حَرْفيّاً إلهيّاً معصوماً، بل اعتباره إلهاماً إلهيّاً بألفاظٍ وكلامٍ بشري، ممَّا يستتبع تأثُّرَ كاتبيه بثقافة عصرهم والثّقافات المُجاورة، وبالتَّالي؛ عدم استبعاد وُجُود أخطاء علميَّة وتاريخيَّة فيه.

ومن أشهر الفلاسفة المَعْمَدَانيِّيْن والعصرانيِّيْن المرموقين: جُون مايلز، ورُوجر وليام**Roger Williams** (الذي مرَّ ذكْره)، وجيرارد أوبكن **Gerard Hopkin**، وشالرز ماتيورز، والكاهن البرُوتستانتي اللِّيبرالي "هاري إيمرسون فُوسديك" (**1878 - 1969**م) **Harry Emerson Fosdick**.

وكَرَدِّ فعْل على العصرانيَّة Modernism؛ نشأت حَركَة أُخرى تقول بالأُصُوليَّة، ولكنَّها تُفسِّرها تفسيرات ليبراليَّة، وأطلقتْ هذه الحَركَةُ الجديدةُ على نفسها اسم (الأُصُوليَّة Fundamentalism) لكونها ترى عصمة "الكتاب المُقدَّس"، وأنَّه - بحُرُوفه - كلام الله، وأنَّ الطُّرُق الحديثة التي أخذت بها العصرانيَّة في دراسة "الكتاب المُقدَّس" وتطبيقها نظريَّات النَّقْد النَّصِّي والعلمي الحديثة عليه ستعمل على تقويض أركان المسيحيَّة، واحتدم الصِّراع الفكْري بين هؤلاء الأُصُوليِّيْن السَّلَفيِّيْن، وبين العصرانيِّين المُجدِّدين، وخرج المَعْمَدَانيُّون من هذا الصِّراع بتيار فكْري ثالث أطلقوا عليه مَعْمَدَانيَّة المُؤمن Believer's Baptism، يقوم على الاعتقاد في المسيح، وأُسلُوبه في العيش، والدَّعوات التي دعا إليها، والأخذ بفلسفته، دُون أيَّة طُقُوس فَرَضَتْهَا الكَنيسة، أو مُتابعة لأيَّة قساوسة، فقراءة الأناجيل وحدها كافية، والتَّعلُّم عنها وافٍ للمُؤمن، ولذلك؛ فالتَّعميد لا يكون إلاَّ بعد النُّضُوج الفكْري، وبعد أنْ يكون المُعمَّد قد آمن بالمسيح، بحُرِّيَّته الكاملة، وباختياره المُطلَق، وهُو بمثابة أَخْذ العهد عليه بأنْ يلزم ذلك، ويكون من المُتَّقين.

والكَنيسة المَعْمَدَانيَّة - كما أشرنا أعلاه - كَنيسة حُرَّة، وأعضاؤها أحرارٌ مُتساوون، وكُلُّ المُؤمنين قساوسة مُتساوون في الدَّرجة، فكلُّ مُؤمن فَاهمٌ للكتاب المُقدَّس منهم يستطيع أنْ يُبشِّر ويعرض تعاليم الإنجيل، دُون الحاجة لترسيم وكَهَنُوت خاصٍّ، والمَعْمَدَانيُّون يدعون إلى حُرِّيَّة الاعتقاد، وأنْ لا يجري التَّمييز بين المُواطنين في أيِّ دولة على أساس من مُعتقداتهم، وأنْ يكون الحوار مفتوحاً بين الدِّيانات.

وينتظم المَعْمَدَانيُّون - اليوم - في جمعيَّات أو اتِّحادات مُنفصلة، يعود كثير من هذه المُنظَّمات إلى الاتِّحاد العالمي للمَعْمَدَانيَّة، ويُقدَّر عدد المَعْمَدَانيِّين الإنجليز والأمريكيِّين بحوالي 90٪ من عدد المَعْمَدَانيِّين في العالم.

ثانياً: الشِّيَع التي تنتسب إلى عائلة الألفيِّيْن:

الألفيُّون عدد من الشِّيَع يجمع بينها قاسم مُشترَك يستند إلى رُؤيا يُوحنَّا (آخر أسفار العهد الجديد):

« 1 وَرَأَيْتُ مَلاَكاً نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. 2 فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، 3 وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ لاَ بُدَّ أَنْ يُحَلَّ زَمَاناً يَسِيراً. 4 وَرَأَيْتُ عُرُوشاً، فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْماً. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ الله. وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ. 5 وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ؛ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. هَذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الأُولَى. 6 مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى. هَؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً لِلَّهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ. »، رُؤْيَا يُوحَنَّا اللاَّهُوتِي، الإصحاح 20 / 1 ـ 6.

فترى هذه الشِّيَع ـ بناء على تلك النُّبوءة الرُّؤيويَّة ـ أنَّ عودة السَّيِّد المسيح القريبة ستكون بدايةَ عهدٍ من السّعادة يستمرُّ ألفَ عامٍ. وقبل تحقيق هذه العودة، تتوقّع هذه الشِّيَع حُصُول كوارث كانفجار القُنبلة النّوويّة، والمجاعة، والتّلوُّث، ونضب احتياطيّات الطّاقة. . . . وهي علامات على دُنُوِّ نهاية العالم.

ولكنَّ الكنائس التّقليديَّة القديمة (الكاثُوليكيَّة والأرثُوذكسيَّة) يرون مثل ذلك الفَهْمَ ناجمٌ عن تفسيرٍ خاطئٍ للرُّؤيا، لاسيما لجهة فَهْم الأعداد التي تقوم بدور كبير في هذه الدّعوة. أمَّا الكَنيسة الكاثُوليكيَّة؛ فإنَّها أزالت مفهوم الألفيَّة الحَرْفي من لاهوتها من الأساس: فالألف سنة التي تُشير إليها الرُّؤيا هي عدد يرمز إلى الكمال، ويعني فترة طويلة الزّمن.

وترى الكنائس التّقليديّة أنَّ عمليَّة التَّمسُّك بالألف سنة، أو بغير هذا العدد من الأعداد، وهي رُمُوزٌ كلُّها، لأغراضٍ حسابيَّة وكرُونُولوجيَّة دقيقة تُتيح الكَشْف عن حُصُول حوادث مُستقبليَّة، ليست إلاَّ تعرُّضاً وتشويهاً للفكر المسيحي الحقيقي، ولقصد الله الذي يسهر الرُّوح القُدُس على تنفيذه. ولا شكَّ في أنَّ الكنائس المسيحيَّة كُلَّها تُردِّد في قانون الإيمان أنَّها تنتظر عودة السَّيِّد المسيح ليدين الأحياء والأموات، ويُحدِّد ـ نهائيّاً ـ مصير الإنسانيَّة كُلّها

في يوم القيامة؛ فالإيمان المسيحي يُبشِّر بنهاية التّاريخ الإنساني، ويتنبأ بقيامة الأجساد، لكنّه لا يُحدِّد مُهلة مُعيَّنة تُبيِّن عودة المسيح. والكتاب المُقدَّس يمنع فُضُولنا ـ كما تقول الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة ـ من البحث العقيم عن التّاريخ الذي يحصل فيه هذا الحَدَث العظيم، فيقول السَّيِّد المسيح في إنجيل متّى: « لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ هَكَذَا يَكُونُ أيضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. » (24/ 27). فالله حُرٌّ تمام الحُرِّيَّة في عمله الخلاصيّ على الإجمال، ولم يُحدِّد موعداً دقيقاً لظُهُوره في اليوم الآخر. فلا يجدر بالإنسان أنْ يتعرَّض لحُرِّيَّة الله من خلال تحديده المواعيد وتفسير الرُّمُوز والأعداد تفسيراً يحدُّ من مجانيَّة عمل الخلاص.

1 ـ السَّبتيُّون أو المجيئيُّون:

المجيئيُّون **Adventists** أو السَّبْتيُّون **Seventh-day Adventists** مجموعة من الشِّيَع الأمريكيَّة التي انشقَّت عن الكَنيسة البرُوتستانتيَّة المَعْمَدَانيَّة في القرن التّاسع عشر. أسَّسها وليم ميلر **Miller** (**1782 ـ 1849**م)، وهُو أمريكي من مواليد ولاية "ماساتشوسيت"، انفصل عن الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة، ليُؤسِّس أقدم فرقة من فرَق المجيئيِّين؛ ثُمَّ نظَّمت هيلين وايت **Ellen.G.White** (**1828 ـ 1915**م)، من مواليد ولاية ماين، أحوال هذه الفرقة، ووضعت قوانينها، وصارت الفرقة تنظر إليها كنبي ورسول للرَّبِّ يسُوع المسيح: **The Lord's Messenger**.

بدأ ميلر حياته التّبشيريَّة عام **1833**، وأسَّس أوَّل كَنيسة مجيئيَّة في واشنطن في عام **1844**، ثُمَّ اتَّخذت الشِّيعة اسم « كَنيسة حُلُول اليوم السّابع »، أو « المجيئيَّة »، اسماً رَسْمياً لها في عام **1860**، ويُسَمَّون ـ أيضاً ـ (السَّبتيُّون)، وذلك لأنَّهم يُؤمنون أنَّ المسيح سيجئ للمرَّة الثّانية يوم السّبت؛ وهُو نهاية الأُسبُوع، ولذا؛ يُقال لهم ـ أيضاً ـ "المجيئيُّون في اليوم السّابع" **Seventh-Day Adventists**.

وقد بشَّر "ميلر" بأنَّ هذا الحَدَثَ سوف يقع في أُكتُوبر عام **1843**، ثُمَّ عدَّل هذا الموعد بعد أنْ أثبتت الأيَّام أنَّ توقُّعاته كانت خاطئة. أمَّا المجيئيُّون المُعاصرون المعروفون بالمجيئيِّين

السّبتيِّيْن Seventh-day Adventists ؛ فلا يُحدِّدون لمجيء المسيح ونهاية العالم موعداً بعينه، كُلُّ ما في الأمر أنَّهم يرون أنَّ هذا المجيء أصبح وشيكاً جداً. ولَمَّا كانت عقيدتهم في المجيء الثّاني للمسيح لها هذه المركزيَّة والأهمِّيَّة، فلابُدَّ من إيضاحها بالتّفصيل:

عقيدة السَّبتيِّيْن في المجيء الثّاني للمسيح:

يُمثِّل المجيء الثّاني للمسيح في اعتقاد السَّبتيِّيْن الأملَ المُباركَ للكَنيسة، وذروة سنام البشارة الإنجيليَّة. وهُم يؤمنون بأنَّ هذا المجيء سيكون حقيقياً بكُلِّ معنى الكلمة، وليس رمزيّاً أو مجازيّاً، بل سيأتي يسُوع المسيح بجسمه وشخصه بنَحْو مُشاهَدٍ مرئيٍّ من العالم كُلِّه.

ويقولون: إنَّ الموت كان ثمن الخطيئة. ولكنَّ الله - الذي هُو وحده حي لا يموت - سوف يمنح الحياة الأبديَّة للّذين فداهم وخلَّصهم واستردَّهم لنفسه بالمسيح. وحتَّى ذلك اليوم - يوم المجيء الثّاني للمسيح - سيبقى الأموات في حالة الموت الذي هُو حالة لا شُعُور وانعدام وعي، ولكنْ؛ عند مجيء المسيح، الذي هُو الحقُّ والحياة، فإنَّ الموتى من الأخيار الصّالحين سوف يُبعَثون أحياءً، وسيُمَجَّدون، وسيُؤخذون، هُم والأبرار الصّالحون الذين سيكونون أحياء على الأرض عند ذلك المجيء، سيُؤخذون جميعاً إلى نعيم الفردوس في السّماوات في جوار ربِّهم. في حين أنَّ الأشرار سوف يموتون. ولن يُبعثوا للحساب إلاَّ بعد ألف سنة يقضيها الصّالحون المُخْلَصون في جوار الرَّبِّ في مَلَكُوت النّعيم.

ومن هُنا؛ فالألفيَّة السّعيدة The Millennium تُمثِّل عندهم فترة الحُكْم الألفي السّعيد للمسيح ومعه القدِّيسون الصّالحون، في مَلَكُوت النّعيم في السّماوات، التي تقع بين البعث الأوَّل والبعث الثّاني للأموات. ويقولون: إنَّه في خلال هذه الفترة الألفيَّة ستكون الأرض قفرا بواراً لا يسكنها أحد من البشر، لأنَّ الأشرار كُلَّهم أُميتوا، والأبرار أُخذوا للسّماوات، فلن يقطن الأرض في تلك الفترة إلاَّ الشّيطان والملائكة الشّياطين من ذُرِّيّته وأتباعه.

وعند اقتراب موعد البعث الثّاني، سينزل المسيح إلى الأرض من جديد، ومعه الأبرار والصِّدِّيقون، وستنزل المدينة المُقدَّسة من السّماء إلى الأرض، وسيُبْعَث الأشرار من قُبُورهم، وبمعونة الشّيطان وأتباعه وذُرِّيَّته من الشّياطين، سيُحاصرون المدينة المُقدَّسة؛ ليقضوا على

الصّالحين فيها، ولكنَّ النّار الإلهيَّة ستنزل عليهم، وتلتهمهم، وتُنظِّف الأرض من رجْسهم، وعندها؛ سيتحرَّر الكون، ويتخلَّص من الإثم والخطيئة والخاطئين إلى الأبد، وينتهي - إلى الأبد - ذلك الصّراع الطّويل بين الخير والشَّرِّ. ويذكر بعض السَّبتِيِّين أنَّ هذه الملحمة التي سيقضى فيها على الأشرار هي المعركة المُشار إليها في سفْر الرُّؤيا في العهد الجديد باسم معركة أرماجيدون **Armagedon**، وأنَّ مكانها المجدل في (إسرائيل)؛ (أيْ فلسطيننا المُغْتَصَبَة)، أو مجدل عسقلان على بُعْد 71كم جنوب أُورشليم (أيْ القُدْس)، وهُناك؛ ستكون مملكة يسُوع المسيح التي ستستمرُّ مُدَّة ألف عام، يسودها السّلام والعدل والرّخاء والوفرة.

وعندها؛ وعلى وجه هذه الأرض الجديدة، التي أصبحت منزلا خاصّاً للأبرار الصّالحين، سيجعل اللهُ الأرضَ مسكناً أبديّاً سعيداً للمُخلَصين الذي صالحهم مع نفسه؛ حيثُ تكون الأرض بيئة كاملة مُقدَّسة للحياة الأبديَّة القائمة على الحُبِّ والفرح والعلم بالحُضُور الإلهي؛ إذْ سيسكنُ اللهُ مع شعبه، وسيزول الموت والألم والخطيئة إلى الأبد. وستشهد كُلُّ الأشياء الظّاهرة والباطنة بأنَّ الله محبَّة، وسيبقى مُلْكُهُ للأبد، آمين[1].

ويرى السَّبتِيُّون - كما أشرنا أعلاه - أنَّ هذا القُدُوم قد أصبح وشيكاً جدّاً؛ لأنَّ أكثر علامات وأشراط هذا المجيء التي أخبر بها الأنبياء السّابقون قد تحقَّقت، ولأنَّ حالة العالم الحاليَّة تُوجب وتُؤكِّد القُرب الشّديد لهذا المجيء.

ولمّا كانت السَّبتِيَّة تعتقد بعودة السَّيِّد المسيح الثّانية في فترة قريبة، لذا؛ فهي تُطالب المُؤمنين بالتَّجهُّز لهذه العودة، كما تُطالب بتكريس نهار السّبت للرَّبِّ بدلاً من نهار الأحد. وفي الطُّقُوس، لا تُعمِّد السَّبتِيَّة الأولادَ، وتقتصر المَعْمُوديَّة على النّاضجين فقط. وتحتفل بالعشاء السِّرِّيِّ بعد غَسْل الأرجل مرَّة كُلَّ ثلاثة أشهر، وتمنع أتباعها من تعاطي الكُحُول والتّدخين؛ لأنَّها تهتمُّ كثيراً بالصّحَّة الفَرْديَّة والنّظام الغذائيّ، وتُطالب الأعضاء بدَفْع جُزء من مدخولهم إلى صُندُوق الفرقة.

---

(1) ترجمة مُلخَّصة لما نَشَرَتْهُ الكَنيسة المجيئيَّة السّبتيَّة **Seventh-day Adventists** في كُولُومبيا في الولايات المُتَّحدة في موقعها الرّئيسي على شبكة الإنترنت حول عقيدتهم في المجيء الثّاني والموت والبعث والحساب الأُخروي.

وترفض الكَنيسةُ السَّبتيَّة تعميدَ المولودين الأطفال، ولا تعترف بأيِّ يوم عيد، وتُكرِّس العبادةَ لله وحده، وتُقرُّ بسُلطة الكتاب المُقدَّس وحده، فهي عارية من أيِّ ليتورجيا (أيْ طُقُوس وأسرار كَنَسيَّة وتراتيل دينيَّة خاصَّة)، ورغم أنَّ هذه الكَنيسة المجيئيَّة نشأت في أمريكا في البداية، واعترُف بها - رسميّاً - في الولايات المُتَّحدة عام **1860**، إلاَّ أنَّه قد صار لها فُرُوع في عدد من البُلدان الغربيَّة؛ لا سيما كَنَدَا وبريطانيا، إلاَّ أنَّ مركزها العالمي واشنطن.

وفي التّنظيم؛ تأتي «النّدوة العامَّة» في قمَّة الهَرَم، يُديرها رئيس لجنة مقرُّها واشنطن، يليها اثنا عشر قسماً في العالم تنتظم في وحدات، وتتبعها النّدوات، وأخيراً؛ تأتي المجموعة المحلِّيَّة، أو «الكَنيسة»، يُديرها الكَهَنَة بمُعاونة المجلس.

وفي الدّعوة؛ تُركِّز السَّبتيَّة على الإعلام، فهي تملك دُوراً عديدة تنشر الدَّوريَّات، كما تبثُّ برامج إذاعيَّة من عدَّة محطَّات، وتُنظِّم دُرُوساً إنجيليَّة بالمُراسلة.

والواقع أنَّ القول بالسَّبتيَّة والمجيء الثّاني للمسيح ليس مُقتصراً على السَّبتيِّيْن، بل كانت فِرَق عديدة من المسيحيِّيْن تقول به مثل فرقة البريسيليُّون (أتباع بريسليان **Priscillian**)، والكتاريُّون **Cathari**)، وكذلك الفِرَق التي تفرَّعت عن البرُوتستانت؛ مثل (التَّطهُّريُّون **Puritans**)، و(القائلون بإعادة المَعْمُوديَّة **Anabaptists**)، و(التّقويُّون **Pietists**) (جماعة من أتباع مارتن لُوثر)؛ حيثُ يقولون جميعاً بالمجئ الثّاني للمسيح. وقد ظهرت كثير من الفِرَق المسيحيَّة الجديدة تذهب نفس المذهب؛ مثل المُهتزُّون **Shakers** والمُورمُون **Mormons**، كما يقول أتباع شُهُود يَهْوَه بالسَّبتيَّة أيضاً، ويُطلقون على أنفسهم اسم الفجريُّو الألفيَّة **Millenial Dawnists** لأنَّهم يعتقدون أنَّ مجيء المسيح سيكون فجر السّبت؛ أيْ فجر اليوم السّابع من الأُسبُوع، وذلك بعد ألف سنة. ولم تصدُق - أبداً - نُبُوءة أيٍّ من اليهُود والمسيحيِّيْن عن تاريخ نُزُول "أليشَع" و"المسيح"، ونُبُوءاتهم ليست سوى أماني وآمال دينيَّة مبنيَّة على التّفسير الحَرْفي والأُصُولي المُتشدِّد للكتاب المُقدَّس **Bible**، والجدير بالذِّكْر أنَّ جميع هذه الفِرَق المسيحيَّة الألفيَّة تُبارك قيام (دولة إسرائيل)، وترى في عودة اليهُود أو بني إسرائيل إلى أُورشليم تمهيداً ضروريّاً لعودة المسيح، وعلامة على قُرب مجيئه الثّاني السّعيد.

هذا؛ ويتشابه السَّبتيُّون مع اليهُود في تعويلهم كثيراً على العهد القديم، وتناولهم الحَرْفي له، وقولهم بضرورة الامتناع عن العمل يوم السّبت كما تقدَّم.

2 ـ شُهُود يَهْوَه:

يبتدأ تاريخ "شُهُود يَهْوَه"[1] المُعاصر قبل أكثر من مئة سنة. ففي عام 1872م، تأسَّس فريق صغير لدراسة الكتاب المُقدَّس **Bible** ـ وبخاصَّة العهد القديم والتّوراة ـ في ألليغيني (التي هي ـ الآن ـ جُزء من مدينة بيتسبورغ (**Pittsburgh**) في ولاية بنسلفانيا **Pennsylvania**، في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. وكان القسُّ الأمريكي تشارلز تاز راسّل **Charles Taze Russell** (1852 ـ 1916): هُو أوَّل مَنْ أسَّس هذا الفريق من الدّارسين للكتاب المُقدَّس.

كان "تشارلز راسل" قد انتسب في السّابعة عشرة من عُمره إلى جمعيَّة الشُّبَّان المسيحيَّة، وانكبَّ على دراسة الكتاب المُقدَّس، واستنتج شُكُوكاً حول عدد من الآيات، وكاد يفقد إيمانه بشكلٍ تامٍّ لو لم يلتق بفرقة السَّبتيِّيْن أو المجيئيِّيْن، فانضمَّ إليهم، وتبنَّى عقيدتهم وانتظارهم قُرب عودة المسيح جسدياً إلى الأرض لإنشاء مَلَكُوته الألفي السّعيد، وكرَّس ثروته كُلَّها ليُبشِّر بهذه البشارة، وينشرها، وفي أثناء ذلك؛ أسَّس فريقاً من الدّارسين للكتاب المُقدَّس، ثُمَّ انفصل عن السَّبتيَّة عام 1874، وفي تمُّوز (يُوليُو) 1879، ظهر عن أُولئك الفريق من الدّارسين للكتاب المُقدَّس أوَّل عدد من مجلَّة سُمِّيت « بُرج مُراقبة صهيون وبشير حُضُور المسيح » **Zion's Watch Tower Society**. وبحُلُول سنة 1880؛ كانت قد نشأت عشرات المجموعات من ذلك الفريق الصّغير لدراسة الكتاب المُقدَّس، وانتشرت في الولايات المُجاورة. وفي سنة 1881، تشكَّلت « جمعيَّة بُرج مُراقبة صهيون للكراريس »، ثُمَّ تسجَّلت شرعياً سنة

---

(1) القسم الأكبر من هذا الفصل عن شُهُود يَهْوَه مأخوذ بحرُوفه ـ مع شيء من الاختصار والتّوضيح وإعادة التّرتيب ـ من الكُرَّاس (أيْ الكُتيِّب) الخاصّ الذي ينشره "شُهُود يَهْوَه" أنفسهم عن مذهبهم، وبشكل أدقّ، نَشَرَتْهُ: "جمعيَّة بُرج المُراقبة للكتاب المُقدَّس والكراريس" في بنسلفانيا، **Watch Tower Bible and Tract Society of Pennsylvania**، والكُرَّاس منشور ضمن الموقع الرّسمي لشُهُود يَهْوَه على شبكة الإنترنت، وعُنوانه:
http://www.watchtower.org/languages/arabic/index.html.
مع إضافة معلومات مُفيدة وهامَّة أُخرى من عدَّة مصادر مسيحيَّة أهمّها: كتاب "الشّيَع المسيحيَّة نشأتها وتنظيماتها" لمُؤلِّفه: جان م صدقة، وكتاب "شُهُود يَهْوَه في الميزان" للأب جبرائيل فرح البُولُسي، والموسُوعة العربيَّة العالميَّة.

1884 ، برئاسة القسّ تشارلز راسّل ؛ لتكون إرهاصا لفرقة مسيحيَّة جديدة مُنبثقة من العائلة البرُوتستانتيَّة ، عُرف أتباعها ـ في البداية ـ باسم (الرّاسليَّة) و(الدّارسون الجُدُد للإنجيل) .

هذا ؛ وقد تغيَّر ـ لاحقاً ـ اسم الجمعيَّة ، فحُذفَتْ منه كلمة صهيون ، واقتصر الاسم على « جمعيَّة بُرج المُراقبة للكتاب المُقدَّس والكراريس » **Watch Tower Bible and Tract Society of Pennsylvania** . ومُنذُ الأيَّام الأُولى للجمعيَّة ؛ قام كثيرون بالشّهادة ؛ أيْ بالدّعوة ونَشْر كُتيِّبات الجماعة في زوايا الشّوارع للمارَّة والعابرين ، والدّعوة من بيت إلى بيت ، مُقدِّمين مطبوعات الكتاب المُقدَّس . وفي حين كان خمسون شخصاً ـ فقط ـ يفعلون ذلك كامل الوقت في سنة **1888** ، أصبح مُعدَّل المُشتغلين بهذه الدّعوة ـ الآن ـ حول العالم ـ كما يقولون ـ يربو على **700 ، 000** شخص تقريباً .

كان مُؤسِّس الجمعيَّة "تشارلز راسّل" داعية لا يَكلُّ ، فقد ألَّف **50000** صفحة في مواضيع مُختلفة ، وألقى أكثر من **30000** عظَة ، وقام بجولات واسعة ونشيطة في أنحاء المعمورة ، ينشر مبادئ تعليمه ، ويحثُّ المُستمعين على اعتناقها .

بحُلُول سنة **1909** ؛ أصبحت دعوة "شُهُود يَهْوَه" دعوة عالميَّة ، وانتقل المركز الرّئيسي للجمعيَّة إلى موقعه الحالي في بروكلين **Brooklyn** ، في مدينة نيُو يُورك ، وهي منطقة من معاقل الصّهيونيَّة في أمريكا . وكانت المواعظ المطبوعة تُنشر في عدَّة صُحُف في وقت واحد ، ثُمَّ في سنة **1913** ، صارت تصدر بأربع لُغات في آلاف الصُّحُف في الولايات المُتَّحدة ، وكَنَدا ، وأُورُوبا . وكانت الكُتُب والكراريس والبرُوشُورات (أيْ النَّشْرات) تُوزَّع بمئات الملايين .

في سنة **1911** ، كان "تشارلز راسّل" يقوم بزيارة للأراضي المُقدَّسة ـ أيْ فلسطين ـ فتنبَّأ لليهُود عن قُرب عودتهم إلى فلسطين "أرض الميعاد" ، فأعدَّ له يهُود نيُو يُورك ـ بعد إعلانه هذه النُّبُوءة ـ استقبالاً حارّاً عند عودته إلى أمريكا .

مات رئيس الجمعيَّة الأوَّل ، تشارلز تاز راسّل ، سنة **1916** ، وخلَفه في السّنة التّالية القاضي "جُوزيف فريديريك رَذرفُورد" **Joseph F. Rutherford** ، فطوَّر الطّائفة ، وقوَّاها ، ولعب دوراً مُهمّاً وأساسيّاً في انتشارها ، فَمَنْ هُو "رَزرفُورد" هذا؟

وُلد "جُوزيف فريديريك رَذرفُورد" في مُقاطعة ميسُّوري في الولايات المُتَّحدة في 8 تشرين الثّاني (نُوفمبر) 1869 ، وتأثَّر بدعوة "تشارلز راسّل" وتلاميذه ، فآمن بها ، وصار من أقوى أنصارها والدّاعمين لها في كُلِّ مضمار. وقد توسَّم "تشارلز راسّل" في "رَذرفُورد" النّجابة والنّشاط الكبير وحُسن تصريف الأعمال ، فوكَّل إليه تحرير أوراق الدّعاوي في المُخاصمات المُتعدِّدة التي نشبت في أيَّامه. ثُمَّ شغل مهنة "اختزال الكتابة" في المحكمة المحلِّيَّة ، وتمكَّن - بمُزاولة هذه المهنة - من أنْ يقف على شُؤُون كثيرة تتعلَّق بالقوانين وتفسيرها وتطبيقها ، وتسلَّح بما اكتسبه بالخبرة والمُمارسة ، فالتحق بنقابة المُحامين في مدينة بُونفيل من أعمال ميسُّوري سنة 1892 ، وتولَّى القضاء فيها فترة قصيرة من الزّمن.

ساهم "رَذرفُورد" مع "راسّل" في توطيد حَرَكَة "دارسي الكتاب المُقدَّس" زُهاء عشر سنوات. وفي كانون الثّاني (يناير) 1917 ، أُنتُخب بالإجماع خَلَفاً لراسّل في رئاسة "دارسي الكتاب المُقدَّس" وجمعيَّة "بُرج المُراقبة" وإدارة "النَّشْرات اليَهْويَّة" ، فانصرف في همَّة بالغة واندفاع وحماس كبيرَيْن يُدبِّر شُؤُون الطّائفة الوليدة ، ويُنظِّمها ، ويبثُّ لها الدُّعاة في أنحاء الولايات المُتَّحدة وسائر بُلدان العالم ، بسيل من النَّشْرات والخُطب ، وكان غزير التّأليف ، كَتَبَ نحو سبعين مُؤلَّفاً ، وثلاثاً وثلاثين رسالة قَدْح ؛ وكان تحت تصرُّفه وإدارته مجلَّة "بُرج المُراقبة" نصف الشّهريَّة ، ومجلَّة "التّعزية" التي كانت تظهر في الأُسبُوع مرَّتَيْن ، وتُرْجمت كُتُبُه إلى 88 لُغة. وفي جميع كتاباته كان "رَذرفُورد" يضرب على وتر واحد وهُو أنَّ كُلَّ سُلطة دينيَّة أو زمنيَّة هي من صُنع إبليس ، وأنَّ المسيح سيرجع ثانية في هذا الزّمن ، ويشطب من صحيفة الوُجُود "المسيحيَّة الزّائفة" المُنتشرة في العالم مُنذُ القديم ، وواسطة النّجاة من تلك الموقعة العتيدة هي الانضمام إلى "الرُّسُليَّة" (أيْ الحَرَكَة التي أنشأها راسّل) وَوَقْف النَّفْس على نَشْرها ، والكرازة (أيْ التّبشير) بإنذارات "يَهْوَه".

وأصدر حالاً - بعد الحرب العالميَّة الأُولى (1914 - 1918) - مجلَّة جديدة مُرافقة لـ "بُرج المُراقبة" **Watch Tower** ، أسماها مجلَّة "العهد الذّهبي" **The Golden Age**. أمَّا الآن ؛ فتُدعى "استيقظ !" ، وتصدر بمُعدل إصدار يتعدَّى عشرين مليون نُسخة بأكثر من 80 لُغة. وكان القاضي "رَذرفُورد" - في كُلِّ كتاباته - يغترف ملء راحتَيْه من آيات الكتاب المُقدَّس ؛

لاسيما العهد القديم، وشُدِّد في عهده أكثر على الشّهادة من باب إلى باب. وليُميِّز هؤلاء المسيحيُّون أنفسهم من طوائف العالم المسيحي، اعتنقوا - سنة 1931 - الاسم "شُهُود يَهْوَه". وهذا الاسم مُؤسَّس على ما جاء في سفْر إشَعْيَاء: «وأنتم شُهُودي يقول الرَّبُّ وأنا الله»، إشَعْيَاء 43 / 10 - 12. ومُنذُ ذلك الحين؛ صار هذا هُو اللّقب الذي عُرفت به الطّائفة الجديدة في العالم.

استخدم "شُهُود يَهْوَه" الرّاديو على نطاق واسع في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين. وبحُلُول سنة 1933؛ كانت الجمعيَّة تستخدم 403 محطَّات راديو لإذاعة مُحاضرات الكتاب المُقدَّس. بعد ذلك؛ توقَّف الشُّهُود عن استعمال الرّاديو، وزادوا نشاطهم من بيت إلى بيت، وكانوا يأخذون معهم فُونُوغرافات قابلة للحَمْل، وخطابات مُؤسَّسة على الكتاب المُقدَّس، مُسجَّلة على أُسطوانات، وبرُوشُورات دُرُوس بيتيَّة في الكتاب المُقدَّس مع كُلِّ مَنْ أبدى اهتماماً بحقِّ الكتاب المُقدَّس.

وفي سنة 1938؛ أعلن "رَذرفُورد" "إحياء نظام الحُكْم الإلهي" الذي تَوَجَّهُ بتنظيم مركزيَّة الحَركَة، وأخضع جميع نشاطاتها لإدارة بروكلين.

بعد موت "جُوزيف. ف. رَذرفُورد" سنة 1942، خَلَفه في الرّئاسة ناتان هُومر كنور، وبُوشرَ ببرامج لتدريب أتباع الجماعة على الدّعوة والتّبشير. ففي سنة 1943، تأسَّست مدرسة تدريب خُصُوصي للمُرسَلين تُدعى مدرسة "جلعاد بُرج المُراقبة للكتاب المُقدَّس". ومن ذلك الحين فصاعداً، أُرسل المُتخرِّجون من هذه المدرسة إلى كُلِّ بُلدان العالم. فنشأت جماعات جديدة في البُلدان التي لم تكن فيها أيَّة جماعة، واليوم يزيد عدد الفُرُوع التي تأسَّست عالميّاً على مائة فرع. ومن وقت إلى آخر؛ كان يتمُّ وَضْعُ مناهج خُصُوصيَّة لتدريب شُيُوخ الجماعات، والعُمَّال المُتطوِّعين في الفُرُوع، والمُنهمكين كامل الوقت (كفاتحين) في عمل الشّهادة. ويمرُّ الخُدَّام في دورات تدريبيَّة مُتخصِّصة تُعقَد في مركز ثقافي في باترسن، في نيُو يُورك.

مات ناتان هـ. كنور سنة 1977. وكان أحد التّغييرات التّنظيميّة الأخيرة التي اشترك فيها قبل موته، زيادة عدد أعضاء الهيئة الحاكمة، الموجودة في المركز الرّئيسي العالمي في بروكلين. ففي سنة 1976، قُسّمت المسؤوليّات الإداريّة، وعُيّن أشخاص ممّن اكتسبوا خبرة جيّدة بعد قضاء عُقُود في الخدمة، في لجان مُتنوّعة، شكّلت - بمجموعها - أعضاء الهيئة الحاكمة، وأصبحت المُنظّمة وكأنّها دولة داخل الدّولة كما يُقال.

نشاط غزير في طباعة الكُرّاسات والمنشورات والكُتيّبات:

إنّ تاريخ "شُهُود يَهْوَه" في الأزمنة العصريّة مليء بالحوادث المُثيرة؛ فمن فريق صغير لدراسة الكتاب المُقدّس في بنسلفانيا سنة 1870، نما عدد الشُّهُود حتّى صاروا بحُلُول سنة 2000 مُوزّعين على نحو 000، 90 جماعة عالميّاً. وبينما كانت كُلُّ المطبوعات تُطبع - في بادئ الأمر - بواسطة شركات تجاريّة؛ أصبح للجماعة مُنذُ عام 1920، مصانع مُستأجرة لطباعة المطبوعات. ومُنذُ عام 1927، فصاعداً، صار عدد أكبر بكثير من المطبوعات يُطبَع في المصنع المُؤلّف من ثماني طبقات في بروكلين، نيُو يُورك، الذي تملكه جمعيّة "بُرج المُراقبة للكتاب المُقدّس والكراريس" في نيُو يُورك. وتملك الجمعيّة - الآن - مطبعة ضخمة من عدّة مبانٍ ومجمّعا للمكاتب. وهُنالك أبنية إضافيّة مُجاورة في بروكلين لإيواء الخُدّام الذين يتطوّعون لإدارة تسهيلات النّشْر. وبالإضافة إلى ذلك؛ تُدار مزرعة ومطبعة بالقُرب من "والكيل" في الجُزء الشّمالي من ولاية نيُو يُورك. وهُناك تُطبع مجلاّت بُرج المُراقبة، واستيقظ! ويُنتَج جُزء من الطّعام للعُمّال الذين يخدمون في مُختلف المواقع. وينال شهريّاً كُلُّ عامل مُتطوّع بَدَلَ نفقات صغيراً لتغطية النّفقات الثّانويّة.

المُؤتمرات العالميّة للطّائفة:

في سنة 1893، عُقد أوّل محفل كبير لفرقة "شُهُود يَهْوَه" في شيكاغو، في ولاية إيلينوي، في الولايات المُتّحدة الأمريكيّة. وقد حَضَرَه 360 شخصاً، واعتمد آنذاك 70 من الجُدُد. وكان آخر محفل أُممي كبير يُعقد في مكان واحد - فقط - هُو ذاك الذي عُقد في مدينة نيُو يُورك سنة 1958. وقد استُخدم يانكي ستاديوم، وأيضاً بولو غراوندز الذي كان لا يزال

يُستخدم آنذاك. وقد بلغت ذروة الحُضُور 922، 253؛ واعتُمد 136، 7 شخصاً. ومُنذُ ذلك الحين؛ تُعقد المحافل الأُمميَّة كسلسلة من المحافل في بُلدان عديدة. ويُمكن أنْ تشمل كُلُّ سلسلة آلاف المحافل في عدَّة بُلدان حول العالم.

عقيدة "شُهُود يَهْوَه":

1 ـ الإيمان بالله الواحد، وتحقُّق هدفه من خَلْق الكون والإنسان:

[يؤمن "شُهُود يَهْوَه" بالله القادر على كُلِّ شيء، يَهْوَه، خالق السّموات والأرض. فالعجائب المُعقَّدة التّصميم في الكون المُحيط بنا هي ـ بحَدِّ ذاتها ـ دليل منطقي على وُجُود خالق ذكي وقوي جداً. وكما تعكس أعمال الرّجال والنّساء صفاتهم، كذلك تعكس أعمال يَهْوَه الله صفاته. يُخبرنا الكتاب المُقدَّس بأنَّ « صفاته غير المنظورة تُرى ـ بوُضُوح ـ مُنذُ خُلق العالم، لأنَّها تُدرَك بالمصنوعات »، رُوميَّة 1/ 20، وأيضاً: « دُون صوت أو كلمات، السّموات تُحدِّث بمجد الله »، مزمور 19 / 1 ـ3.

لا يصوغ النّاسُ آنيةً خزفيَّةً، أو يصنعون أجهزةً تلفزيونيَّةً، أو أجهزةَ كمبيوتر دُون قَصْد. والأرض بما فيها من حياة نباتيَّة وحيوانيَّة أبدع بكثير، وتركيب الجسم البشري بتريليُونات خلاياه يفوق فَهْمنا، حتَّى الدّماغ الذي نُفكِّر بواسطته عجيب على نحو يفوق حَدَّ التّصوُّر. فإذا كان للبشر قَصْد من ابتكاراتهم التي تبدو بلا قيمة مُقارنة مع خلائق يَهْوَه، فلا شكَّ أنْ يَهْوَه الله كان له قَصْد في خَلْق خلائقه التي تُوحي بالرَّهْبَة! والأمثال 16/ 4، تُؤكِّد ذلك: « الرَّبُّ صَنَعَ الكُلَّ لغرضه ».

صَنَعَ يَهْوَه الأرضَ لقَصْد، فقد ذَكَر للزّوجين البشريَّيْن الأوَّلَيْن: « أثمروا، وأكثروا، واملأوا الأرض، وأخْضعوها، وتسلَّطوا على سمك البحر، وعلى طير السّماء، وعلى كُلِّ حيوان يدبُّ على الأرض »، (تكوين 1/ 28)، وبسبب عصيانهما؛ لم يتمكَّن هذان الزّوجان من ملء الأرض بعائلات بارَّة تعتني جيِّداً بها وبنباتاتها وحيواناتها. لكنَّ فشلهما لا يجعل قَصْدَ يَهْوَه يفشل، فبعد آلاف السّنين كُتب: « الله، مُصوِّر الأرض... لم يخلقها باطلاً. للسَّكَن صورَّها »، إشَعْيَاء 45/ 18، فهي لم تُوجد لتُخرب، إنَّما لتبقى « قائمة إلى

الأبد »، جامعة 1/ 4، وقَصْدُ يَهْوَه للأرض سيتحقَّق: « رأيي يقوم، وأفعل كُلَّ مسرَّتي »، إشَعْيَاء 46/ 10.

لذلك يُؤمن "شُهُود يَهْوَه" بأنَّ الأرض ستبقى إلى الأبد، وأنَّ جميع النّاس، الأحياء والأموات، الذين سيعيشون بانسجام مع قَصْد يَهْوَه أنْ يجعل الأرض جميلة وآهلة بالسُّكَّان، يُمكنهم أنْ يحيوا عليها إلى الأبد. لكنَّ البشر جميعاً ورثوا النَّقْصَ عن آدم وحوَّاء، وهُم ـ بالتَّالي ـ خُطاة. (رُوميَّة 5/ 12) يقول لنا الكتاب المُقدَّس: « أُجرة الخطيَّة هي موت »، « الأحياء يعلمون أنَّهم سيموتون. أمَّا الموتى؛ فلا يعلمون شيئاً »، و « النَّفْس التي تُخطئ هي تموت »، (رُوميَّة 6/ 23؛ جامعة 9/ 5؛ حزقيال 18/ 4، 20). إذاً؛ كيف يُمكنهم أنْ يحيوا ثانية لينالوا البركات الأرضيَّة؟ فقط؛ بواسطة الذّبيحة الفدائيَّة للمسيح يسُوع، لأنَّه قال: « أنا هُو القيامة والحياة. مَنْ يُمارس الإيمان بي، ولو مات، فَسَيَحْيَا »، يُوحنَّا 11/ 25، و « لا تتعجَّبوا من هذا؛ فإنَّه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القُبُور صوته [ابن الله]، فيخرج الذين فعلوا الصّالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السَّيِّئات إلى قيامة الدّينونة »، يُوحنَّا 5/ 28 ـ 29.

وكيف سيحدث هذا الأمر؟ يُوضِّح ذلك في « بشارة المَلَكُوت » التي ابتدأ يسُوع بالمُناداة بها عندما كان على الأرض، (متَّى 4/ 17 ـ 23)، واليوم يَكْرِزُ "شُهُود يَهْوَه" بالبشارة بطريقة خُصُوصيَّةٍ جداً.][1].

2 ـ التّوحيد، ورَفْض التّثليث:

لدى تحقيقهم في الكتاب المُقدَّس، ولاسيما العهد الجديد، رأى "شُهُود يَهْوَه" أنَّ الكتاب المُقدَّس لم ينصّ على عقيدة التّثليث أبداً، بل أكَّد تفرُّد الله الآب بالإلهيَّة، فليس في الأناجيل ورسائل الرُّسُل ما يفيد أنَّ المسيحَ إلهٌ مُساوٍ في الإلهيَّة للآب، ولا فيه أنَّ الرُّوح القُدُس إله كذلك، وإنَّما فيه ما يدلُّ على عكس ذلك تماماً؛ إذْ فيه نُصُوصٌ واضحة تُؤكِّد أنَّ الله الآب واحد أحد في ذاته وأقنومه، لا يُشاركه في أُلُوهيَّته أيُّ شخص، أو أحد آخر.

---

(1) "كُرَّاسة شُهُود يَهْوَه مَنْ هُم؟ وبماذا يُؤمنون؟" المنشورة على الموقع الرّسمي لشُهُود يَهْوَه على شبكة الإنترنت.

وبالتَّالي ؛ يرى "شُهُود يَهْوَه" في السَّيِّد المسيح ـ كما تنصُّ عليه عبارات الكتاب المُقدَّس ـ أعظم مخلوق، وأعلى من كُلِّ ملاك، وسيِّد الخليقة، وباكورة الخلائق الذي خلقه الله قبل كُلِّ شيء، وَجَعَلَه ابنه الحبيب، وأرسله ليفدي خطيَّة البشر، وهُم يستشهدون بنُصُوص عديدة من الكتاب المُقدَّس ـ العهد الجديد ـ على مذهبهم هذا، من ذلك ما جاء في رسالة بُولُس إلى أهل قولسي (أو كولوسي) (1 / 15) حين قال بُولُس يصف المسيح : "هُو صُورة الله الذي لا يُرى، وبكْر كُلِّ خليقة" أيْ المسيح أوَّل مخلوقات الله المُتصدِّر لعالم الخَلْق، وبالتَّالي ؛ فهُو حادث، وليس ذات الله. ومن ذلك نصٌّ في إنجيل يُوحنَّا (14 / 28) يُبيِّن فيه المسيحُ لتلامذته أنَّه عائد إلى الآب، وأنَّ أباه أعظم منه، فيقول: « سمعتُم أنِّي قُلتُ لكم أنا أذهب، ثُمَّ آتي إليكم. لو كُنتُم تحبُّونني لكُنتُم تفرحون؛ لأنِّي أمضي إلى الآب، لأنَّ أبي أعظم منِّي »، يقولون: فهذا أصرح دليل على خطأ دُستُور الإيمان الذي أقرَّه مجمع نيقية، والذي نصَّ على المُساواة التَّامَّة في الإلهيَّة بين الآب والابن. ومن ذلك نصٌّ لبُولُس يُؤكِّد فيه أنَّ الابن خاضع لله مثل جميع المخلوقات، يقول بُولُس الرّسول في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس (15 / 28): « ومتى أُخْضِعَ له (أيْ لله) الكُلّ، فحينئذ الابن نفسه ـ أيضاً ـ سيخضع للذي أَخْضَعَ له الكُلّ، لكي يكون اللهُ الكُلَّ في الكُلِّ. » فالمسيح ليس الله، بل هُو ـ أيضاً ـ سيَخْضَعُ للَّه الواحد في النّهاية، ليكون اللهُ وحده الكُلَّ في الكُلِّ. وهكذا يذكرون نُصُوصاً مُشابهة أُخرى تنفي عقيدة التّثليث، ويقولون إنَّه لم يرد في الأناجيل الثّلاثة: مرقس، ومتَّى، ولُوقا، أيُّ نصٍّ في إلهيَّة المسيح، إلاَّ عبارات في صَدْر إنجيل يُوحنَّا يُؤوِّلونها بما لا يفيد التّأليه والأزليَّة أيضاً. وبذلك يتَّفق "شُهُود يَهْوَه" مع تيَّار قديم بين المسيحيِّيْن كان ينفي التّثليث وإلهيَّة وأزليَّة المسيح، وهُو التَّيَّار الذي تنبذه الكَنيسة الرّسميَّة بلقب البدعة أو الهرطقة الآريُوسيَّة نسبةً للأسقف آريُوس الإسكندراني ونُظراؤه من نُفاة التّثليث ونُفاة إلهيَّة المسيح في القرنَيْن الثّاني والثّالث الميلاديَّيْن، وما بعدهما. ولعلَّ هذه النُّقطة هي أهمُّ ما أثار على "شُهُود يَهْوَه" سخط الكَنيسة التّقليديَّة الرّسميَّة، وحدا بها أنْ تصمهم بأنَّهم نحْلَة مُبتدعة وضالَّة وهرطقيَّة خارجة عن نطاق المسيحيَّة.

وكذلك يرون أنَّ كلمة "الرُّوح القُدُس" تعني - حين ترد في الكتاب المُقدَّس - قُوَّة، أو نُفُوذ الله، أو إحدى العطايا الموهوبة ليسُوع من "يَهْوَه"، وبالتَّالي؛ فلا دَخْلَ لها في العقيدة الثَّالوثيَّة، ولا وُجُود للرُّوح القُدُس كإله وأقنوم إلهي ثالث مُنفصل للذَّات الإلهيَّة.

ويُؤكِّد "شُهُود يَهْوَه" أنَّ مُصطلح التَّثليث شأنه شأن عدد آخر من المُصطلحات المسيحيَّة التَّقليديَّة ليس من تعاليم السَّيِّد المسيح، ولا من تعاليم الكتاب المُقدَّس، بل هُو من مُصطلحات الفلسفة المسيحيَّة التي اخترعها ترتوليان (160 - 240م) الذي يُعَدُّ أبا الفكْر الدِّيني اللاَّتيني؛ وأنَّ أمثال هذه المُصطلحات وَثَنيَّة، وأنَّ فكْرة التَّثليث مدسوسة أقرَّها مجمع نيقية الوَثَني (325م)، ولذلك لا يأخذون بنصِّ دُستُور الإيمان المسيحي الذي أقرَّه مجمع نيقية، ويسخرون من هذا الدُّستُور كيف يكون مُقدَّساً وقد اُخْتُلف عليه مُنذُ أوَّل يوم، ثُمَّ أُضيفت إليه عبارات، وحُذفت منه، ويقولون دُستُور الإيمان يجب أنْ يكون نصَّاً وعبارات من الكتاب المُقدَّس نفسه، لا عبارات يكتبها الآباء والأساقفة، ولا تُوجد عين عبارات دُستُور الإيمان التي نصَّ عليها مجمع نيقية لا في أسفار العهد القديم ولا في أسفار العهد الجديد بأجمعها، ويقولون إنَّ التَّثليث عقيدة وَثَنيَّة دخيلة كانت لدى المصريِّين القُدماء في قصَّة إيزيس، ويُوجد نَحْوها لدى البابليِّين، والهندُوس، والإغريق، والإسكندنافيُّون.

3 - يَهْوَه الاسم الشَّخصي للَّه:

يقول "شُهُود يَهْوَه" إنَّ «يَهوَه» هُو الاسم الشَّخصي لله تعالى في اللُّغة العبرانيَّة القديمة، وإنَّهم إنَّما تسمَّوا بهذا الاسم لأنَّهم يشهدون عن «يَهْوَه» أُلُوهيَّته، ومقاصده. ويقولون إنَّ أسماء: «الله»، و«الرَّبّ»، و«الخالق»، مثلها مثل أسماء «الرَّئيس»، و«الملك»، و«القائد»، إنَّما هي ألقاب يُمكن تطبيقها على شخصيَّات مُختلفة عديدة. أمَّا «يَهْوَه»؛ فهُو اسم شخصي، ويُشير إلى الله القادر على كُلِّ شيء، وخالق الكون. ويظهر ذلك في المزمور 83/ 18: «ويعلموا أنَّكَ اسمكَ يَهْوَه وحدكَ العليّ على كُلِّ الأرض». ويقولون إنَّ الاسم يَهْوَه أو يَهْوه، هُو اللَّفظ الذي يُفَضِّله الكتاب المُقدَّس الأُورشليمي الكَاثُوليكي وبعض العُلماء، وأنَّه يظهر 7000 مرَّة تقريباً في الأسفار العبرانيَّة الأصليَّة، لكنَّ غالبيَّة الكُتُب المُقدَّسة

لا تُبيِّن هـذا الاسـم، بـل تضـع مكانـه «الله»، أو «الـرّبّ»، وبعـض هـذه الكُتُـب المُقدَّسـة تعترف بأنَّها استبدلت الاسم يَهْوَه. ولكنْ؛ هُنالك ترجمات عصريَّـة عديـدة بلُغـات مُختلفـة تستعمل إمَّـا الاسـم يَـهْوَه، أو الاسـم يَـهْوَه. لذلـك تقـول ترجمـة العـالم الجديـد في إشَـعْيَاء 42/ 8: «أنا يَهْوَه. هذا اسمي».

ويقولـون إنَّـه كـان لِيَـهْوَه: أيْ الله، شُـهُود علـى الأرض لآلاف السّنين قبـل أنْ يُولـد يسُوع. وبعد أنْ يُعدِّد الإصحاح 11 من الرّسالة إلى العـبرانيِّيْن بعـضَ رجـال الإيمـان هـؤلاء، تقول: «لذلك، نحنُ - أيضاً - إذْ لنا سـحابة مـن الشُّـهُود مقـدار هـذه مُحيطـة بنـا لنطـرح كُـلَّ ثقل، والخطيَّة المُحيطة بنا بسُهُولة، ولنُحاضر بالصّبر في الجهاد الموضوع أمامنا»، الرّسالة إلى العبرانيِّيْن: 12/ 1. وفي سفْر إشعيا: «يقول الرَّبُّ: وأنتم شُهُودي، وأنا الله»، إشَعْيَاء 43/ 9-13)، وقال يسُوع أمام بنطيوس بيلاطس: «لهذا وُلدتُ، ولهذا أتيتُ إلى العالم، لأشـهد للحقِّ»، يُوحنَّا 18/ 37. وهُو يُدعـى: «الشّـاهد الأمـين والصّـادق»، رُؤيـا 3/ 14، وقـال يسُوع لتلاميذه: «ستنالون قُدرة متـى أتـى الـرُّوح القُـدُس عليكـم، وتكونـون لـي شُـهُوداً في أُورشليم، وفي كُلِّ اليهُوديَّة، والسّامرة، وإلى أقصى الأرض»، الأعمال 1/ 8.

ومن هُنا؛ يقولون إنَّ السِّتَّة ملايين شخص تقريبـاً، الذيـن يخـبرون ببشـارة مَلَكُـوت يَهْوَه برئاسة المسيح يسُوع في أكثر من 230 بلداً، يجـدون مـن المُلائـم أنْ يُشـيروا إلـى أنفسـهم كَـ"شُهُود لِيَهْوَه".

4 - المسيح صار ابناً رُوحيّاً لله بالمَعْمُوديَّة، وليس بولادة أزليَّة:

يقـول الشُّـهُود: إنَّ يسُـوع صـار ابنـاً رُوحيّـاً للّـه ليـس بـولادة أزليَّـة - كمـا تـرى الكَنيسـة التّقليديَّة - بـل أثنـاء قبولـه العمـاد مـن يـد يُوحنَّـا المَعْمَـدَان. ويستشـهدون بمـا جـاء في الإنجيـل: «فإذَّاك انفتحت السّماوات "وصوتٌ من السّماء يقول: "هُوذا ابنـي الحبيـب الـذي بـه سُـرِرْتُ"، (متَّى 3 / 17). فيقول الشُّهُود انفتاح السّماوات ليسُوع، وتبنِّي الله له الذي حصـل بعـد العمـاد يُبيِّن - بوُضُوح - أنْ يسُوع لم يكن ابن الله المولود منه أزلاً، وأنَّه ليس إلهاً مُساوياً للآب، لأنَّـه لـو كان إلـهاً مثل الآب، لما احتاج إلى أنْ تنفتح السّماوات له، وأنْ يتبنَّاه الله عند العماد.

5 ـ المسيح قام من قبره قياماً رُوحيّاً، ولم يقم من قبره بالجسد، بل جسده بقي مدفوناً في مكان مخفيٍّ في الأرض:

ويستشهدون على عقيدتهم هذه بظُهُور يسُوع بعد القيامة بهيئات مُختلفة، فقالوا قام إذاً كمخلوق رُوحي يستعير جسماً من عناصر المادَّة متى شاء، كما يستشهدون بأنَّ المسيح قال: « عمَّا قليلٍ لا يراني العالم، أمَّا أنتم؛ فترونني لأنِّي حيّ »، يُوحنَّا **14/ 19**.

6 ـ المسيح صُلب على شجرة، وليس على خشبة، والصّليب ليس رمزاً للمسيحيَّة:

يرى "شُهُود يَهْوَه" أنَّه لا يُوجد في العهد الجديد، ولا في أيِّ دليل تاريخي موثوق ما يُثبت أنَّ صَلْب المسيح تمَّ على الصّليب المعروف المُؤلَّف من خشبتَيْن مُتعامدَتَيْن ✞ ذلك الصّليب الذي أضحى ـ فيما بعد ـ رمزاً للمسيحيَّة، بل يرون أنَّ المسيح رُبَّما صُلب على جذع شجرة، أو خشبة مائلة، وأنَّ جَعْلَ الصّليب المُتعامد رمزاً للمسيحيَّة إنَّما هُو بدْعة حَدَثَتْ في القرن الثّالث الميلادي ابتدعتْهَا هيلانة أُمّ الإمبراطُور الرُّوماني (البيزنطي) قسطنطين الذي كان أوَّل مَنْ تنصَّر، واعتنق المسيحيَّة.

7 ـ لا تُوجد رُوح أو نَفْس خالدة مُستقلَّة عن الجسد:

يُنكر "شُهُود يَهْوَه" خُلُود النَّفْس، ويرون أنَّه لا يُوجد دليل كتابي على أنَّ للإنسان نَفْساً مُستقلَّة عن الجسد، وإنَّما النَّفْس والجسد واحد، فبمُجرَّد موت الجسد تنتهي النَّفْس، وتتحلَّل عن البدن، وهُم يتَّفقون في هذه النُّقطة مع فرقةٍ قديمةٍ من فرَق اليهُود هي فرقة الصّدوقيِّيْن، التي كان أتباعها من مُتعلِّمي اليهُود الأغنياء، وكانوا عقلانيِّين، أو ظاهريِّين، وكانوا يرون أنَّ النَّفْس خاصيَّة البدن، وبانتهاء البدن تنتهي خواصُّه، والنَّفْس عندهم في الدّم، والدّم من الجسد، وهُو دفق الحياة في الجسد، فإذا مات الإنسان فَقَدَ كُلَّ شُعُور وإحساس، ويبقى كذلك إلى أنْ يبعثه الله حيّاً من جديد. فالإنسان والنَّفْس مُترادفان، وبما أنَّ الإنسان ميِّت، حسب ما تُثبته الخبرة، فالنَّفْس ـ إذنْ ـ ميِّتة. ويستشهد "شُهُود يَهْوَه" بما جاء في سفْر التّكوين من التّوراة: « أنَّ الرَّبَّ الإلهَ جَبَلَ الإنسانَ تُراباً من الأرض، وَنَفَخَ في أنفه نسمة حياةٍ، فصار الإنسان نَفْساً حيَّةً »، تكوين **2 / 7**؛ فالإنسان تُراب من الأرض، تُحييه

نسمة حياة. وهذا العُنصُران ـ التُّراب ونسمة الحياة ـ يُشكِّلان نَفْساً حيَّةً، أو خليقةً تُدْعَى الإنسان. ولا يُرَى في الكتاب المُقدَّس نصٌّ واحدٌ يقال فيه إنَّ اللهَ مَنَحَ الإنسان نَفْساً مُتميِّزة عن الجسد وخالدةً؛ إذْ النَّفْس في اللُّغة العبريَّة تدلُّ على الوظائف المُختلفة الحيَّة، ولا تدلُّ على نَفْس تتميَّز عن الجسد.

وممَّا يستشهد به "شُهُود يَهْوَه" في هذا المضمار ـ أيضاً ـ ما ذُكر في سفْر التّكوين أنَّ الحيَّة (مظهر إبليس) قالت لحوَّاء في الجَنَّة ـ وهي تُغويها بالأكل من الشّجرة المُحرَّمة ـ "لن تموتا"، سفْر التّكوين: 3/ 4، في حين أنَّ الله كان قد حذَّر آدم وحوَّاء من الأكل من الشّجرة قائلاً: «وأمَّا شجرة معرفة الخير والشَّرِّ؛ فلا تأكل منها، فإنَّكَ يوم تأكل منها تموت موتاً»، التّكوين: 2/ 17؛ فاختلقت الحيَّة مفهوم بقاء النَّفْس وعدم موتها؛ أيْ مفهوم الخُلُود المُلازم للنَّفْس الرُّوحيَّة. وعليه؛ فالتّعليم بأنَّ للإنسان نَفْساً خالدة لن تموت هُو ـ في الواقع ـ تعليم شيطاني، وخدعة كُبرى، نَشَرَهَا الشّيطان في العالم ليُضلِّل البشر، ويُخضعهم للدّيانات المُختلفة، التي هي كُلُّها قائمة على هذا الادِّعاء الواهي الواهم.

8 ـ لا يُوجد نار عذاب أبديَّة للمُجرمين، أمَّا جنَّة المُؤمنين؛ فهي الأرض نَفْسها في ظلِّ مَلَكُوت الله:

يُؤمن الشُّهُود بأنَّهم الفرقة النّاجية، وأنَّ لهم الجنَّة، وأنَّه في يوم القيامة سيكون الأحياء فقط الصّالحون، المُؤمنون بيَهْوَه، وأمَّا غيرهم؛ فسيبقون موتى للأبد، فالهاوية أو الجحيم الأبديَّة ليست النّار ـ وإنَّما هي القُبُور، والعَدَمُ فيها يلفُّهم. ويُؤوِّلون ما جاء من إشارات للجحيم في العهد الجديد بأنَّ المقصود منها المحلُّ الذي ينعدم فيه الأشرار نهائيّاً؛ سواء كانوا بشراً أم ملائكة، وذلك لأنَّ اللهَ محبَّةٌ، والمحبَّةُ تتنافى والعذاب الدّائم للإنسان.

ويقولون إنَّ ثواب الصّالحين جنَّة الفردوس، ومكانها الأرض، فالأرض إلى دوام، والصّالحون هُم الذين يكون لهم الخُلُود، والجنَّة هي المدينة أو الجُمهُوريَّة الفاضلة التي يقوم عليها أهل الصّلاح، وحُكُومتهم ثيُوقراطيَّة، وهي التي بشَّر بها حزقيال، وقال إنَّ اسمها «يَهْوَه شمَّه»؛ أيْ «يَهْوَه هُناك»، وهي أُورشليم الجديدة بعد إعادة بنائها، والحياة فيها

ستكون أبديَّة، فالإنسان خُلق ليعيش، لا ليموت، ولكنَّ الذين سيعيشون هُم - فقط - الذين يشهدون ليَهْوَه.

9 - رمزيَّة التّناول المسيحي:

وهُو العشاء السِّرِّيُّ (الأفخاريستيا)، فيرون - مثلهم مثل سائر الفرَق البرُوتستانتيَّة - أنَّ أَكْلَ الخُبز في العشاء السِّرِّيِّ هُو مُجرَّد رمز وتذكُّر لجسد المسيح، وشُرْب الخمر رمز لدمه، ويرفضون القول بالتَّحوُّل السِّرِّيِّ الحقيقي للخُبز المأكول، وللخمر المشروب، إلى لحم ودم المسيح فعلاً (كما تقوله الكنائس التّقليديَّة)، ويرون ذلك من الطُّقُوس الوَثَنيَّة.

10 - لا يجوز العماد للأولاد، والعماد يكون بالتّغطيس الكامل عن إيمان واختيار:

يرى شُهُود يَهْوَه أنَّه لا يجوز مَنحُ العماد للأولاد لسببَيْن: الأوَّل أنَّ مَنْحَهُ في هذه السِّنِّ لا يحترم حُرِّيَّة الولد، والثّاني أنْ يسُوع لا يُجيزه بمُوجب النَّصِّ القائل: «مَنْ آمن واعتمد يخلص، ومَنْ لا يُؤمن يُدَن»، مرقس 16/ 16؛ وهذا يعني أنَّ المُرشَّح للعماد يجب أنْ يُنشئ عمل إيمانٍ صريحٍ، أمَّا الإيمان المفروض على الولد بإرادة خارجيَّة؛ فلا يُمكنها أنْ تُلزمه بدُون اختياره ورضاه.

كما يرى الشُّهُود أنَّ المَعْمُوديَّة بالتّغطيس هي الطّريقة الأكثر قدَماً لمَنْح المَعْمُوديَّة، وأنَّ الكَنيسة التي تبنَّت ترتيباً آخر (كعادة التّعميد برشِّ الماء، أو سَكْبه على الرّأس) ابتُدعَتْ، وهي - بالتَّالي - ملومة في هذا المجال.

11 - رَفْض الدّيانة بمعنى المُؤسَّسة الدّينيَّة، واعتبارها نظاماً موضوعاً بتأثير إبليس لمُعاداة الله، والتّجديف على اسمه!:

يرى شُهُود يَهْوَه أنَّ الدّيانة بمعنى المُؤسَّسة الدِّينيَّة بما تشتمل عليه من إكليروس (رجال دين) مُنتظمين بتسلسل هَرَمي فيه الرّئيس والمرؤوس، وبما تفرضه من طُقُوس خاصَّة فرديَّة وجماعيَّة، بما في ذلك الأسرار الكَنَسيَّة كَسرِّ الاعتراف، والكَفَّارة، وسرِّ التّرسيم المُقدَّس للدّرجات الكَهَنُوتيَّة، إلى غير ذلك من الأسرار التي لا تتمّ إلاّ بواسطة كَهَنَة مُرسَّمين، كُلُّ

ذلك مُؤسَّسة باطلة، ونظام موضوع بتأثير من إبليس، لإهانة نظام الله، والتّجديف على اسمه. فهُم يرفضون كُلَّ تلك الطُّقُوس والأسرار والصّلاة الجماعيَّة، ويقولون إنَّ الصّلاة الفرديَّة وحدها هي المُفيدة، ويستشهدون بقول المسيح: «أمَّا أنت؛ فإذا صلَّيتَ فادخلْ مخدَعَكَ، وأغلقْ بابكَ، وصلِّ إلى أبيكَ في الخفية، وهُو يجازيك علانيةً»، متَّى 6/ 6. كما يرفضون التَّبتُّل (الامتناع عن الزّواج) قائلين إنَّ الرُّسُل كانوا كُلّهم مُتزوِّجين، فليس التَّبتُّل فضيلة، ويرفضون تسمية الكاهن أباً؛ لأنَّ هذا الاسم خاصٌّ بالله، الذي هُو أب الجميع، ويرفضون تقديس الأيقونات والتّماثيل والصُّور والاستشفاع بالقدّيسين وتقديسهم، فكُلُّ هذا مُبالغات واعتداء على التّقديس الواجب للمسيح فقط، يقول المسيح: «وَأَمَّا أَنْتُمْ؛ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدي؛ لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحدٌ الْمَسيحُ، وَأَنْتُمْ جَميعاً إخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْض؛ لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحدٌ الَّذي في السَّمَاوَات. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمينَ؛ لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحدٌ الْمَسيحُ.»، متَّى 23/ 8 ـ 10.

12 ـ التّركيز على الفَهْم الحَرْفي والاتِّباع الدّقيق للكتاب المُقدَّس بعهدَيْه القديم والجديد:

يُؤمن "شُهُود يَهْوَه" بأنَّ الكتاب المُقدَّس **Bible** هُو كلمة الله، ويعتبرون أسفاره الـ 66 مُوحىً بها، ودقيقة تاريخياً. وما يُدعى ـ عُمُوماً ـ العهد الجديد يُشيرون إليه بالأسفار اليُونانيَّة المسيحيَّة، والعهد القديم يدعونه الأسفار العبرانيَّة. وهُم يعتمدون على الأسفار اليُونانيَّة والعبرانيَّة على حدٍّ سواء، ويفهمونها حَرْفيّاً؛ إلاَّ حيثُ تدلُّ التّعابير أو سياق الكلام على نحو واضح أنَّ المعنى مجازي أو رمزي. ويُشدِّدون جدّاً على دراسة الكتاب المُقدَّس بعهدَيْه، وضرورة الالتزام التَّامِّ (الحَرْفي) بمبادئه وتعاليمه. ويعتبرون كُلَّ فرد منهم ـ أيْ كُلّ "شاهد يَهْوَه" ـ قسّاً أو كاهناً بذاته. ويرون أنَّهم ـ هُم ـ الذين يتَّبعون المسيحيَّة الأصليَّة النَّقيَّة التي جاء بها المسيح قبل أنْ يُحرِّفها، أو يُشوِّهها، ويبتعد عنها أكثريَّة المسيحيِّيْن، لذلك ينظرون بعين الرَّفْض والنَّقْد الشّديدين لمُؤسَّسات الكَنيسة الرّسميَّة؛ سواء الفاتيكان وكنائس الكَاثُوليك والمُؤسَّسات الصّادرة عنها؛ مثل حَرَكَات المُبشِّرين كاليسُوعيِّين، والفرنسيسكان، وغيرهم،

أو كنائس الأنجليكان، والأرثُوذوكس. . . ويعتبرون الجميع مُنحرفين يعملون من أجل الشّيطان، وليس من أجل الله.

وقد قادهم التزامهم الدّقيق والحَرْفي بنُصُوص الكتاب المُقدَّس إلى عدد من العقائد والمبادئ مرَّ بعضها، ويُمكن إجمال بعضها الآخر فيما يلي:

1) **رَفْض المُشاركة في جيُوش وحُرُوب دُول العالم، والولاء لمملكة الله ويسُوع المسيح فقط:** تنصُّ نُصُوص الكتاب المُقدَّس على أنَّه لا يجوز الخُضُوع وإعطاء الولاء إلاَّ إلى مملكة يسُوع المسيح، وأنَّ العالم هُو في قبضة الشّيطان، بما في ذلك الكنائس التّقليديَّة والدُّول ومُنظَّمة الأمم المُتَّحدة والجُيُوش، لكنَّ سيطرة الشّيطان ليست حتميَّة، بل هي سائرة إلى الزّوال في القريب العاجل، فيَهْوَه سوف يقهر الشّيطان وأعوانه؛ أيْ المُلُوك ورُؤساء دُول العالم، فيسحقهم سَحْقاً، وإذا أراد الإنسان أنْ يُخلِّص نفسه «فلابُدَّ أنْ ينضمَّ إلى صُفُوف شُهُود الله؛ أيْ شُهُود "يَهْوَه"، فيخلص، وينجو». ومن هذا المُنطلق يرفض "شُهُود يَهْوَه" أداء التّحيَّة لعلم أيِّ بلد، ويرفضون المُشاركة في أيِّ انتخابات، أو الانضواء في أيِّ جيش، أو أداء الخدمة العسكريَّة لأيِّ دولة، أو المُشاركة في حُرُوبها، لأنَّ كُلَّ هذه ستعني إعطاء الولاء لحُكُومات هذا العالم، وهُو ما يرونه مُوالاة لحُكُومة الشّيطان، ومُخالفة لمبدأ ولائهم الأوحد الذي يجب أنْ يكون خاصّاً بمملكة المسيح. وقد جلب عليهم هذا الموقف الأُصُولي الصّارم اصطداماً ومشاكل مع سُلطات البُلدان التي يعيشون فيها، بما في ذلك الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، ومن هُنا؛ ففي ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين (1930 ـ 1940)، اعتُقل عدد كبير من "شُهُود يَهْوَه" لقيامهم بهذا العمل، فرفعوا دعاوى قضائيَّة عديدة، مُطالبين بالمُحافظة على حُرِّيَّة الكلام، والطّباعة، والاجتماع، والعبادة. واستُؤنفت الأحكام التي أصدرتْها المحاكم الدُّنيا ضدَّهم، وربح الشُّهُود 43 قضيَّة أمام المحكمة العُليا للولايات المُتَّحدة. وبشكل مُماثل؛ أصدرت المحاكم العُليا في بُلدان غربيَّة أُخرى أحكاماً مُؤاتية لهم. وفي ما يتعلَّق بهذه الانتصارات القضائيَّة قال الأُستاذ ت. س. برادن عن الشُّهُود، في كتابه "هؤلاء أيضاً يُؤمنون" (بالإنكليزيَّة): «لقد أنجزوا خدمة رائعة للدِّيمُقراطيَّة؛ بجهادهم لحفْظ حُقُوقهم المَدَنيَّة؛ لأنَّهم ـ في كفاحهم ـ فعلوا الكثير لضمان هذه الحُقُوق لكُلِّ أقلِّيَّة في أميركا».

2) **حُرْمة نَقْل الدّم، وحُرْمة أكْل الميتة:** لَمّا كان الكتاب المُقدّس (التّوراة) يدعو إلى عدم أكْل الدّم: «ولكنْ؛ من كُلِّ ما تشتهي نفسكَ تذبح، وتأكل لحماً... وأمّا الدّم؛ فلا تأكله، على الأرض تسفكه كالماء»، (تثنية: 12 / 15 ـ 16)، أخذ "شُهُود يَهْوَه" ذلك بدقّة وحَرْفيَّة، فآمنوا بحُرْمة أكْل الدّم، وأدخلوا تحت ذلك حُرْمة نَقْل الدّم إلى الإنسان؛ لأنّه يُعتبر كَأكْله، فقالوا بحُرمة أخْذ الدّم الإنساني، وبالتّالي؛ فهُم يرفضون أنْ يُنْقَلَ إلى أحدهم دمٌ، حتّى ولو أُصيب بحادثةٍ أو نزفٍ يقتضي نَقْل الدّم إليه لنجاته، ورَفَضُوا عمليّات نَقْل الدّم في المُستوصفات والمُستشفيات، وقد خَلَقَ لهم هذا المبدأُ الكثيرَ من المشاكل مع حُكُومات بُلدانهم، فعلى سبيل المثال؛ تُجبر الحُكُومة الفرنسيَّة الأطبّاء على نَقْل الدّم لكُلِّ مريض تكون حياته مُهدَّدة بالخطر، ولو باستخدام الإكراه، حتّى ولو كان المريض يرفض ذلك من مُنطلق ديني، مثل "شُهُود يَهْوَه".

كما يُحرِّمون أكْلَ لحم الميتة؛ أيْ أكْل كُلِّ حيوان مات حتف نفسه دُون ذَبْح، وهُم يعملون بذلك بنصٍّ التّوراة التي جاء فيها: «فاذبحْ من بقركَ وغنمكَ التي أعطاكَ الرَّبُّ كما أوصيتُكَ. لكنْ؛ احترز أنْ لا تأكلَ الدّمَ؛ لأنَّ الدّمَ هُو النَّفْس، فلا تأكل النَّفْس مع اللّحم...وأمّا ذبائحك؛ فيُسْفَك دمها..»، تثنية: 12/ 21 ـ 27.

3) **قُرْب مجيء مَلَكُوت الله، وقُدُوم المسيح بجسده إلى الأرض:** من أهمِّ ما يُركِّز عليه "شُهُود يَهْوَه"، في أدبيّاتهم ونَشْراتهم، اعتقادُهم ـ كالسّبتيِّين ـ بالمجيء الثّاني للمسيح إلى الأرض، فهُم يفهمون النُّصُوص العديدة في الكتاب المُقدّس الدّالّة على قُرْب موعد مجيء مَلَكُوت الله، على معنى حَرْفي يعني مجيء المسيح بجسده ليُقيم مملكة الله على هذه الأرض، ويبدأ عهد الألفيَّة السّعيدة، وذلك بعد أنْ يقضي على مملكة الشّيطان في معركة "هرمجدون" في أرض فلسطين، (رُؤيا 16 / 6).

وبحسب عقيدة "شُهُود يَهْوَه"؛ فإنَّ عُمر الجنس البشري هكذا: 1656سنة من خَلْق آدم إلى الطّوفان، و427 سنة من الطُّوفان إلى قيام إبراهيم، و1945 سنة من إبراهيم إلى نهاية الحساب قبل المسيح: ومُنذُ بدء العهد المسيحي إلى سنة 1945، 1945 سنة؛ فالحاصل

هُو 5973 سنة. والحال أنَّ ستَّة أيَّام الخَلْق وراحة اليوم السّابع هي صُورة سابقة لتاريخ العالم، فكما أنَّ الله عمل ستَّة أيَّام واستراح في اليوم السّابع، هكذا يكون تاريخ العالم، فإنَّه يسيل في مجرى ستَّة عُهُود، يتَّسع كُلُّ واحد منها إلى 1000 سنة، وسوف ينتهي في الألف السّابع. فنحنُ ـ إذنْ ـ قُرْب نهاية 6000 سنة من تاريخ البشر، وعلى عقبة حوادث خطيرة صُوِّرَت سابقاً بما جرى في أيَّام نُوح: «كما كان في أيَّام نُوح كذلك يكون في أيَّام ابن البشر»[1].

جاء في رُؤيا القدِّيس يُوحنَّا (آخر رسالة في العهد الجديد): «ورأيتُ من فم التِّنين، ومن فم الوحش، ومن فم النّبي الكذَّاب ثلاثة أرواح نجسة تُشبه الضّفادع، فإنَّها أرواح شياطين تصنع عجائب، وتنطلق إلى مُلُوك المسكونة كُلِّها، تجمعهم إلى قتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القدير. ها أنا آتي كاللِّصِّ، فطُوبى لِمَنْ يسهر ويحفظ ثيابه، فلا يمشي عرياناً، فينظرون سوءته. فجمعتُهم إلى الموضع المُسمَّى بالعبرانيَّة هرمجدون»، رُؤيا 16/ 12-16.

من هذا النَّصِّ؛ يرى شُهُود يَهْوَه أنَّ أرواح الشّياطين جَمَعَتْ مُلُوكَ كُلِّ الأرض لحرب يوم الله الأعظم القدير. وَحَدَثَ التَّجمُّع في هرمجدون. والشُّهُود يُؤكِّدون وُجُوب اتِّخاذ النُّبوَّة بحَرْفيَّتها. فمعركة هرمجدون تُمهِّد لملك يسُوع الألفي على الأرض. والحُكْم الصّادر ضدَّ الشُّعُوب يُنَفَّذ في معركة هرمجدون؛ وحينئذٍ؛ تبدأ مملكة العدالة والسّعادة الألفيَّة.

ويُدرك "شُهُود يَهْوَه" أنَّه فيما تنتظر بعض نُبُوّات الكتاب المُقدَّس الإتمام، فإنَّ الكثير من النُّبوَّات قد تمَّ، أو أنَّه قَيْد الإتمام. وهُم مُتخصِّصون باستخراج النُّبُوءات، مُحدَّدة التّاريخ والرَّقْم والعدد من آيات الكتاب المُقدَّس، لا سيما من سفْر رُؤيا يُوحنَّا آخر أسفار العهد الجديد؛ حيثُ يستخرجون من عباراته كثيراً من النُّبُوءات المُحدَّدة التّاريخ بالضّبط بالسّنة واليوم!.

---

(1) شُهُود يَهْوَه في الميزان، (ص 73)، نقلاً عن أحد كُتيِّبات شُهُود يَهْوَه بعُنوان: الحقُّ يُحرِّركم، الفصل الثّاني، النُّسخة الفرنسيَّة، ص 140.

البشارة التي يُريدون أنْ يُسْمعوها:

عندما كان يسُوع على الأرض، اقترب منه تلاميذه وسألوا: « ماذا تكون علامة حُضُورك واختتام نظام الاشياء؟ ». فأجاب: أنَّه ستكون هُنالك حُرُوب تشمل أُمماً كثيرة، مجاعات، أوبئة، زلازل، ازدياد في التَّعدِّي على الشّريعة، مُعلِّمون دينيُّون دجَّالون يُضلُّون كثيرين، بُغض واضطهاد لأتباعه الحقيقيِّيْن، ومحبَّة باردة للبرِّ عند كثيرين. وعندما يبدأ إتمام هذه العلامات يكون ذلك دليلاً على أنَّ المسيح حاضر بشكل غير منظور، وأنَّ المَلَكُوت السّماوي قريب. وهذا خبر سارٌّ؛ أيْ: بشارة! ثُمَّ ذكَرَ يسُوع هذه الكلمات كجُزء من العلامة: « ويُكْرَزُ ببشارة المَلَكُوت هذه في كُلِّ المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثُمَّ تأتي النّهاية »، متَّى 24 : 14. [1]

ويُؤكِّد الشُّهُود أنَّ المسيح عاد فعلاً، مرَّةً ثانية إلى الأرض عام 1874، وشرع في الحصاد 1887، وأجلسه يَهْوَه على العرش سنة 1914، وابتدأ في الدّينونة عام 1918، ولكنَّ هذا المجيء للمسيح وتلك الحُكُومة له لم تكن مرئيَّة.

ويذهب الشُّهُود إلى التَّقيُّد بحَرْفيَّة النُّبُوءات التي جاءت في سفْر "الرُّؤيا" (آخر أسفار العهد الجديد، ويُنْسَب ليوحنَّا تلميذ المسيح)، وممَّا جاء فيه: « ورأيتُ ملاكاً هابطاً من السّماء، ومعه مفتاحُ الهاوية، وبيده سلسلةٌ عظيمةٌ. فقبض على التّنّين الحيَّة القديمة الذي هُو إبليس والشّيطان، وقيَّده ألف سنة، وطرحه في الهاوية، وأغلقَ عليه، وختم عليه، لكي لا يُضلَّ الأُمم فينا، بعدُ حتَّى تتمَّ الألفُ السّنة، وبعد ذلك؛ لابُدَّ أنْ يُحَلَّ زماناً يسيراً. »، رُؤ 20 : 1 ـ 3، فيأخذ الشُّهُود من هذه النُّبُوءة أنَّ مَلَكُوت المسيح على الأرض سيستمرُّ ألف عام تحديداً، وأنَّ الشّيطان سيكون مُكبَّلاً طيلة هذا الملك الألفي للمسيح عل الأرض، وأنَّ الموتى سيقومون أثناء ذلك بأفواجٍ مُتتابعةٍ.

---

(1) المصدر السّابق.

السَّنَة 1914:

جاء في كُرَّاسة ""شُهُود يَهْوَه" مَنْ هُم؟ وبماذا يُؤمنـون؟" مـا نصُّـه: [كـان وقـت عصيب يقترب. ففي سنة 1876، قدَّم تلميذ الكتاب المُقدَّس تشارلز تاز راسـل مقالـةً للنَّشْـر بعنُـوان: «أزمنة الأُمم: متى تنتهي؟» إلى مجلَّة "فاحص الكتاب المُقدَّس" (بالإنكليزيَّة)، الصّـادرة في بروكلين، نيُو يُورك. وقـد ذكـرت المقالـة في الصّفحـة 27 مـن عـدد تشـرين الأوَّل (أُكتُوبـر): (الأزمنة السّبعة ستنتهي سنة 1914م. ويُشـار إلـى هـذه الأزمنـة في إحـدى ترجمـات الكتـاب المُقدَّس بـ"الأزمنة المُعيَّنة للأُمم"، ، (لُوقا 21: 24).)].

وهكذا؛ فقد أكَّد "تشارلز راسّل" أنَّ سنة 1914، ستكون فاتحـة العـهد الألفـي للمسـيح (رُؤ 3 : 21)، لكنَّ تنبُّؤه هذا لم يتحقَّق، إلاَّ أنَّ "شُهُود يَهْوَه" يُدافعون عن ذلك، فيقولون:

[[صحيح أنَّه لم يحدث كُلُّ ما كان مُتوقَّعاً حُدُوثه سنة 1914، لكنَّ هذه السّنة وسـمت نهاية أزمنة الأُمـم، وكـانت سـنة ذات مغزى خُصُوصـي. وكثـيرون مـن المُؤرِّخـين والمُعلِّقـين يُوافقـون أنَّ سـنة 1914، كـانت نُقطـة تحـوُّل في التّـاريخ البشـري. والاقتباسـات التّاليـة تُظهر ذلك:

«آخر سنة ‹طبيعيَّة› تماماً في التّاريخ كانت سنة 1913، السّنة التي سبقت ابتـداء الحـرب العالميَّـة الأُولـى». [الافتتاحيَّـة في (تـايمز ـ هـيرالد)، واشـنطن، دي سـي، 13 آذار (مـارس) 1949].

«لقد صار المُؤرِّخون مُقتنعين أكثر فأكثر أنَّ فترة الـ 75 سنة المُمتدَّة من سنة 1914، إلـى سنة 1989، والتي شهدت حربَيْن عالميَّتَيْن والحرب البـاردة، هـي فـترة فريـدة ومُتميِّزة، شـنَّ فيها جُزء كبير من العالم الحربَ، أو كان ينـهض مـن الحـرب، أو يسـتعدُّ للحـرب، [ذي نيُـو يُورك تايمز، عدد 7 أيَّار (مايو) 1995.].

«العالم كُلُّه انفجر حقّاً في الحرب العالميَّة الأُولى، ونحنُ لا نزال نجهل السّبب. اعتقـد النّاس ـ قبل ذلك ـ أنَّ الحالة الاجتماعيَّة المُثلى بدأت تلوح في الأُفُـق. فقـد كـان هُنـالك سـلام وازدهار، ثُمَّ انفجر كُلُّ شيء. ونحنُ في حالة جُمُود مُنـذُ ذلـك الحـين. . . وقـد قُتـل في هـذا

القرن أُناس أكثر ممَّا قُتل في كُلِّ التّاريخ »، [الدُّكتُور ووكر بيرسي، الأخبار الطِّبِّيَّة الأميركيَّة، 21 تشرين الثّاني (نُوفمبر) 1977].

بعد سنة 1914، بأكثر من 50 سنة، كَتَبَ رجل الدّولة الألماني كونراد أديناور: « الأمن والهُدُوء اختفيا من حياة النّاس مُنذُ سنة 1914. [ذا وست باركر، كلي، لنْد، أُوهايو، 20 كانون الثّاني (يناير) 1966].

يقول "شُهُود يَهْوَه" إنَّ حوادث العالم الأخيرة - بحَدِّ ذاتها - رديئة، لكنَّ ما تدلُّ عليه - أيْ حُضُور المسيح - جيِّد. وفي سنة 1914؛ السّنة التي أعلن عنها على نطاق واسع، توضَّحت هذه الحوادث المذكورة آنفاً شيئاً فشيئاً. لقد وسمت نهايةَ أزمنَة الأمم وبدايةَ الفترة الانتقاليَّة من الحُكْم البشري إلى مُلك المسيح الألفي.

ويُشار إلى هذه الفترة الانتقاليَّة في المزمور 110، العددَيْن 1 و2، وفي كَشْف 7 : 12. ففي هذه الآيات؛ يتبيَّن لنا أنَّ المسيح سيجلس عن يمين الله في السّماء حتَّى يحين الوقت ليصير ملكاً، ثُمَّ ستنشأ حرب في السّماء، تنتهي بطرح الشّيطان إلى الأرض، ممَّا يجلب ويلاً عليها، وسيحكُم المسيح في وسط أعدائه، والنّهاية التّامَّة للشَّرِّ ستأتي بواسطة « ضيق عظيم »، يصل إلى الذّروة في حرب هرمجدون، ويتبعه مُلك المسيح الألفي الذي سيسوده السّلام. متَّى 24 : 21، 33، 34؛ كَشْف 16 : 14 - 16]][(1)].

والخُلاصة أنَّ "شُهُود يَهْوَه" يرون أنَّه مُنذُ عام 1914، بدأت الحُكُومة غير المرئيَّة للمسيح على الأرض، وبأنَّه عن قريب جداً ستقوم قوى الخير بقيادة المسيح - الذي سيأتي بشكل عَلَني - بهزيمة قوى الشَّرِّ بقيادة الشّيطان، وذلك في معركة هرمجدون. وبعدها سيحكم المسيحُ الأرضَ لُمدَّة ألف عام، خلالها سيُبعَثُ الأموات السّابقون من قُبُورهم أحياء من جديد؛ لكي يُعطوا فُرصة جديدة ليُحقِّقوا الخلاص لأنفسهم. وفي نهاية الألفيَّة السّعيدة، سيعود الشّيطان للأرض، ولكنَّه هُو والذين يتَّبعونه سيهلكون إلى الأبد، وعندها؛ فإنَّ الباقين من الصّالحين على الأرض سيعيشون فيها حياة السّعادة والخُلُود إلى الأبد.

---

(1) المصدر السّابق.

الطّرائق التي يستعملونها لإعطاء البشارة:

يقول "شهُود يَهْوَه" إنَّهم انطلاقاً ممَّا جاء في الإنجيل من أمر المسيح تلامذته أنْ « يُتلمذوا أناساً من جميع الأُمم »، وأنْ « يُبشِّروا الفُقراء »، و« يكرزوا للأسرى بالإطلاق »، و« يُعزُّوا كُلَّ النّائحين »، (متّى 28 : 19؛ إشَعْيَاء 61 : 2، 1؛ لُوقا 4 : 18، 19) فإنَّهم يسعون - بكُلِّ نشاط وحماس - إلى فعْل ذلك بإعلان البشارة للنّاس من الكتاب المُقدَّس. وكالنّبي حزقيال قديماً، يُحاول "شُهُود يَهْوَه" اليوم أنْ يجدوا الذين « يئنُّون ويتنهَّدون على كُلِّ الرّجاسات المصنوعة »، حزقيال 9 : 4.

والطّريقة المعروفة أكثر التي يستعملونها للعُثُور على الذين تُزعجهم الأحوال الحاضرة هي الذّهاب من بيت إلى بيت. لذلك هُم يبذلون جهداً كبيراً للوُصُول إلى النّاس، تماماً كما فعل يسُوع عندما « أخذ يُسافر من مدينة إلى مدينة، ومن قرية إلى قرية، يكرز ويُبشِّر بملَكُوت الله »، وهذا ما فَعَلَهُ تلاميذه الأوَّلون أيضاً. (لُوقا 8 : 1؛ 9 : 1 - 6؛ 10 : 1 - 9. واليوم - حيثُما أمكن - يُحاول "شُهُود يَهْوَه" أنْ يذهبوا إلى كُلِّ بيت مراراً عديدة في السّنة، طالبين أنْ يتحدَّثوا دقائق قليلة إلى صاحب البيت حول موضوع محلِّي أو عالمي مُثير للاهتمام. ويُمكن التّأمُّل في آية أو اثنتَيْن إذا أظهر صاحب البيت الاهتمام، يُمكن أنْ يُرتِّب الشّاهد للعودة في وقت مُناسب لمزيد من المُناقشة. وتُقدَّم الكُتُب المُقدَّسة والمطبوعات التي تشرح الكتاب المُقدَّس، وإذا رغب صاحب البيت يُعقد معه دَرْس بيتي مجّاني في الكتاب المُقدَّس، وتُدار - قانونيّاً - ملايين من هذه الدُّرُوس المُساعدة في الكتاب المُقدَّس مع أفراد وعائلات حول العالم.

والطّريقة الأُخرى التي بها يُخبَر الآخرون « ببشارة الملَكُوت » هي من خلال الاجتماعات التي تُعقد في قاعات يُطلقون عليها اسم "قاعات الملَكُوت" المحلِّيَّة **Kingdom Halls**؛ حيثُ يُدير الشُّهُود الاجتماعات أُسبُوعيّاً. وأحد الاجتماعات هُو مُحاضرة عامَّة في موضوع يُثير اهتمام النّاس في هذه الأيّام، يتبعها دَرْس لموضوع أو نُبُوَّة من الكتاب المُقدَّس باستخدام "مجلَّة بُرج المُراقبة". والاجتماع الآخر هُو مدرسة لتدريب الشُّهُود ليكونوا مُنادين

أفضـل بالبشـارة، يليـها جُـزء مُخصـَّص لمُناقشــة عمــل الشّــهادة في المُقاطعــة المحلِّيَّــة. ويجتمع الشُّهُود ـ أيضاً ـ مرَّة كُلّ أُسبُوع في بيُوت خاصَّة، في فـرَق صغـيرة، مـن أجـل دُرُوس الكتاب المُقدَّس.

كما يستغلُّ الشُّهُود ـ أيضاً ـ كُلَّ فُرصة تُتيح لهم التَّحدُّث عن البشارة إلى النّـاس الذيـن يلتقونهم في حياتهم اليوميَّة. فقد يتبادلون كلمات قليلة مع جار أو مع أحد المُسافرين معـهم في الباص أو الطّائرة، أو قد يبتدئون بحديث أطول مع صديق أو قريب، أو يُباشـرون مُناقشة مع زميل عمل أثناء ساعة الغداء. وكثيراً ما قام يسُوع بهذا النّوع من الشّهادة عندما كان على الأرض. فقد كرز فيما كان يمشي على شاطئ البحر، يجلس في مُنحدر تلَّـة، يتنـاول الطّعـام في بيت شخص ما، يحضر عُرساً، أو يُسافر في قارب لصيد السّمك في بحر الجليل، وعلَّم في المجامع، وفي الهيكل في أُورشليم، لقد وَجَدَ فُرصاً للتَّحدُّث عـن مَلَكُوت الله؛ حيثُمـا وُجـد. ويسعى "شُهُود يَهوَه" أنْ يتبعوا خُطواته في هذا المجال أيضاً. 1 بُطرُس 2: 21.

الكرازة بالمثال:

ويُضيف "شُهُود يَهوَه" أنْ أيّاً من تلك الطّرائق لنَقْل البشارة للنّاس ستكون بـلا معنـى إذا كان الشّخص الذي ينقلها لا يُطبِّق شخصيّاً تلك التّعاليم. فقول شيء وفعْـل شـيء آخـر إنَّمـا هُو رياء، والرّياء الدِّيني جعَلَ الملايين يبتعدون عـن الكتـاب المُقـدَّس. وليـس صائبـاً أنْ يُـلام الكتاب المُقدَّس على ذلك. فالكَتَبَةُ والفرِّيسيُّون كانت لديهم الأسفار العبرانيَّـة، لكـنَّ يسُـوع شـهَّرهم، وقـال إنَّـهم مُـراؤون، وتكلَّـم عـن قراءتـهم لشـريعة موسـى، ثُـمَّ قـال لتلاميـذه: « افعلوا كُلَّ ما يقولونه لكم، واحفظوه، ولكنْ؛ لا تفعلوا حسب أعمالهم، لأنَّهم يقولون، ولا يفعلون »، (متَّى 23: 3). والمثال الذي يرسمه الشّخص المسيحي في طريقة عيشه الصّائبة تأثيره أكبر بكثير من قضائه ساعات عديدة في الكرازة.

ولذلك يُحاول "شُهُود يَهْوَه" أنْ يجعلوا البشارة مقبولة لدى الآخرين؛ بكونهم مثـاليِّيْن في السُّلُوك المسيحي الذي يُوصون به الآخرين، فيُحاولون أنْ « يفعلوا بالآخرين كما يُريـدون

أنْ يفعل الآخرون بهم »، (متَّى 7 : 12)، ويُحاولون أنْ يفعلوا هذا مع جميع النّاس، لا مع مُجرَّد الرُّفقاء الشُّهُود، والأصدقاء، والجيران، أو الأقرباء.

القيمة العمليَّة للبشارة في مُجتمعات النّاس:

يقول "شُهُود يَهْوَه": [إنَّه كثيراً ما يُسْمَع اليوم مَنْ يقول: « إنَّ مبادئ المسيحيَّة ليست عمليَّة، فهي لن تنجح في مُجتمع اليوم المُعقَّد »، ولكنْ؛ عُبِّر عن رأي مُختلف جداً في مُحادثة نَقَلَتْهَا الصّحافة دارت بين الزّعيم الهندي موهانداس ك. غاندي ونائب الملك البريطاني السّابق في الهند، اللُّورد ايروين. فيُقال إنَّ اللّورد ايروين سأل غاندي عمَّا يعتقد أنَّه الحلُّ للمشاكل بين بريطانيا العُظمى والهند؟ فالتقط غاندي كتاباً مُقدَّساً، وفتحه إلى الإصحاح الخامس من متَّى، وقال: « عندما يتَّفق بلدكَ وبلدي على التّعاليم التي وضعها المسيح في هذه الموعظة على الجبل، لا نحلُّ مشاكل بلدَيْنا فحسب، بل مشاكل العالم كُلِّه ».

تتحدَّث هذه الموعظة عن طَلَب الرُّوحيَّات، وكون المرء وديعاً، مُسالماً، رحيماً، مُحبَّاً للبرِّ، ولا تدين القَتْلَ فقط، بل السّخط على الآخرين أيضاً، ولا تدين الزّنا فحسب، بل الأفكار الشّهوانيَّة أيضاً، وهي ترفض الطّلاق غير المسؤول الذي يُحطِّم البُيُوت، ويجعل من الأولاد ضحيَّة. وتأمرنا: « أحبُّوا حتَّى الذين لا يُحبُّونكم، أعطوا المُحتاجين، لا تدينوا الآخرين بلا رحمة، عاملوا الآخرين كما تُريدون أنْ تُعامَلوا »، وإذا طُبِّقت كُلُّ هذه النّصائح فستنتج فوائد كبيرة، وكُلَّما كان عدد الأشخاص الذين يُطبِّقونها في مُجتمعكم أكبر صار مُجتمعكم أفضل!

يلعب "شُهُود يَهْوَه" دوراً مُهمَّاً من هذا القبيل، فالكتاب المُقدَّس يُعلِّمهم أنْ يحترموا الزّواج، وهُم يُدرِّبون أولادهم على اتِّباع المبادئ الصّائبة؛ ويُشدِّدون على أهمِّيَّة العائلة. فالعائلات المُتَّحدة إنَّما هي بركة لمُجتمعكم ولبلدكم أيضاً. والتّاريخ مليء بأمثلة لدُول عالميَّة انهارت عندما ضعفت الرّوابط العائليَّة، وازداد الفساد الأدبي. وكُلَّما ازداد عدد الأفراد والعائلات الذين يُؤثِّر فيهم "شُهُود يَهْوَه" ويحثُّونهم أنْ يحيوا بمُوجب المبادئ المسيحيَّة قلَّ الجناح والفساد الأدبي والجريمة في مُجتمعكم.

إنَّ إحدى المشاكل الكُبرى التي تبتلي المُجتمعات والأُمم بها هي التّحامل العرْقي، أو ما يُسمَّى بالتّمييز العُنصُري، وهذا مُخالف لما قاله الرّسول بُطرُس: «أنا أجد... أنَّ الله ليس مُحابياً، بل في كُلِّ أُمَّة، مَنْ يخافه ويعمل البرَّ يكون مقبولاً عنده». وكَتَبَ بُولُس: «ليس هُناك يهُودي ولا يُوناني، وليس هُناك عبدٌ ولا حُرٌّ، وليس هُناك ذَكَرٌ ولا أُنثى؛ لأنَّكم جميعاً واحد في اتِّحاد بالمسيح يسُوع»، (أعمال 10: 34، 35؛ غلاطية 3: 28) و"شُهُود يَهْوَه" يُطبِّقون ذلك، فأشخاص من جميع العُرُوق والألوان يحيون ويعملون معاً في مركزهم الرّئيسي العالمي، وفي الفُرُوع، وفي الجماعات.

في أفريقيا مثلاً، لا يُمكن لبعض القبائل أنْ تختلط معاً دُون اصطدامات. أمَّا في محافل "شُهُود يَهْوَه" هُناك؛ فإنَّ النّاس من قبائل مُختلفة عديدة يأكلون، ينامون، ويُقدِّمون العبادة معاً وهُم على انسجام تامٍّ، ويتمتَّعون بالرّفقة المُبهجة. ورؤية ذلك تُدهش الرّسميِّين الحُكُوميِّين. وقد علَّقت أمستردام نيوز (بالإنكليزيَّة)، الصّادرة في نيُو يُورك، عدد 2 آب (أغسطس) 1958، على مثال للأثر المُوحِّد للمسيحيَّة الحقيقيَّة، وما دفعهم إلى تقديم التّعليق هُو أنَّهم لاحظوا أنَّ أكثر من رُبع مليون شاهد اجتمعوا في مدينة نيُو يُورك لحُضُور المحفل الأُممي المذكور سابقاً.

«في كُلِّ مكان كان الزُّنُوج والبيض والشّرقيُّون، من كُلِّ المُستويات في الحياة، ومن كُلِّ أنحاء العالم، موجودين معاً بفَرَح وحُرِّيَّة... والشُّهُود المُتديِّنون القادمون من 120 بلداً عاشوا وقدَّموا العبادة معاً بسلام، مُظهرين للأميركيِّين كَمْ فعْل ذلك سهل... والمحفل مثال ساطع يُظهر كيف يُمكن للنّاس أنْ يعملوا ويحيوا معاً».

قد يقول كثيرون إنَّ مبادئ المسيحيَّة ليست عمليَّة في هذا العالم العصري. ولكنْ؛ هل من شيء آخر نَجَحَ أو سوف ينجح؟ إنَّ المبادئ المسيحيَّة يُمكن أنْ تكون ذات قيمة حقيقيَّة إذا طُبِّقت في مُجتمعكم الآن، وستكون الأساس لتوحيد كُلِّ «الأُمم والقبائل والشُّعُوب» حول الأرض تحت حُكْم مَلَكُوت الله على الجنس البشري. رؤ 7: 9، 10.][1].

---

(1) المصدر السّابق.

هيئتهم العالميَّة وعملهم:

يُنجز عمل الشّهادة في أكثر من 230 بلداً، وتُساهم أُمُور كثيرة في توجيه هذا العمل. يأتي التّوجيه - عمُوماً - من الهيئة الحاكمة في المركز الرّئيسي العالمي في بروكلين، نيُو يُورك. فالهيئة الحاكمة تُرسل كُلَّ سنة مُمثِّلين إلى أقاليم مُختلفة حول العالم للتّشاور مع مُمثِّلي الفرُوع في هذه الأقاليم، وفي مكاتب الفرُوع، هُنالك لجان فرُوع مُؤلَّفة من نحو ثلاثة إلى سبعة أعضاء ليُراقبوا إنجاز العمل في البُلدان التي تحت إشرافهم، ولدى بعض الفرُوع تسهيلات للطّباعة، ولدى أُخرى مطابع ذات سُرعة عالية. والبلد أو المنطقة التي يخدمها كُلُّ فرع تنقسم إلى كوَر، والكوَر - بدورها - تنقسم إلى دوائر، وفي كُلِّ دائرة؛ هُنالك نحو 20 جماعة، يزور ناظر كورة الدّوائر في كورته بالتّعاقب، ويُعقد محفلان سنويّاً لكُلِّ دائرة، وهُنالك - أيضاً - ناظر دائرة، يزور - عادة - كُلَّ جماعة في دائرته مرّتَيْن في السّنة، مُساعداً الشُّهُود على تنظيم وإنجاز عمل الكرازة في المُقاطعة المُعيَّنة لجماعتهم.

والجماعة المحلِّيَّة بقاعة مَلَكُوتها هي مركز نَشْر البشارة في كُلِّ منطقة، وتُشرف كُلُّ جماعة على منطقة تُنظِّمها في مُقاطعات صغيرة تُعيَّن لأفراد من الشُّهُود، الذين يُحاولون أنْ يزوروا ويتكلَّموا مع النّاس في كُلِّ بيت، وقد يتراوح عدد الشُّهُود في كُلِّ جماعة بين عدد قليل و200 شاهد تقريباً. ، وفي كُلِّ جماعة؛ شيُوخ مُعيَّنون للاعتناء بمهمَّات مُتنوِّعة، وكُلُّ مُناد بالبشارة هُو عُضو حيوي في هيئة "شُهُود يَهْوَه"، وكُلُّ شاهد - سواء كان يخدم في المركز الرّئيسي العالمي، أو في الفرُوع، أو في الجماعات - يقوم بعمل البشارة هذا الذي يشمل إخبار الآخرين شخصيّاً عن مَلَكُوت الله.

تصل تقارير هذا النّشاط - في النّهاية - إلى المركز الرّئيسي العالمي؛ حيثُ تُجمع المعلومات في الكتاب السّنوي، وتُنشَر. ويصدر - أيضاً - كُلُّ سنة جدول في عدد 1 كانون الثّاني (يناير) من مجلَّة بُرج المُراقبة، تُقدِّم هاتان المطبوعتان تقارير مُفصَّلة عمَّا يُنجَز كُلّ سنة في عمل الشّهادة عن يَهْوَه ومَلَكُوته برئاسة المسيح يسُوع. وفي السّنوات الأخيرة؛ حَضَرَ سنويّاً نحو 14 مليون شاهد وشخص مُهتمّ ذكرى موت يسُوع. ويقضي "شُهُود يَهْوَه" أكثر من

مليار ساعة كُلّ سنة في المُناداة بالبشارة، ويُعتمَد أكثر من 000، 300 شخص جديد، وتُوزَّع مئات الملايين من المطبوعات.

هل يعتقد الشُّهُود أنَّ دينهم هُو الدِّين الصَّحيح الوحيد؟:

يقول "شُهُود يَهْوَه": [كُلُّ مَنْ يحمل دينه محمل الجدِّ ينبغي أنْ يعتقد أنَّه الدِّين الصَّحيح، وإلاَّ فلماذا يعتنقه؟ يُنصح المسيحيُّون: «تيقَّنوا من كُلِّ شيء؛ تمسَّكوا بالحسن». 1 تسالونيكي 5 : 21، فينبغي أنْ يتأكَّد الشَّخص أنَّ الأسفار المُقدَّسة تُؤيِّد مُعتقداته، لأنَّ هُنالك إيماناً حقيقيّاً واحداً فقط. وتُثبت افسس 4 : 5 ذلك، مُتحدِّثة عن «ربٍّ واحد، إيمان واحد، مَعْمُوديَّة واحدة». ولم يُوافق يسُوع على النَّظرة المُتساهلة العصريَّة أنَّ هُنالك طُرُقاً كثيرة؛ أيْ أدياناً كثيرة، تُؤدِّي كُلُّها إلى الخلاص، لكنَّه قال: «ضيِّقة البوَّابة، وحَرِجٌ الطَّريق الذي يُؤدِّي إلى الحياة، وقليلون هُم الذين يجدونه». و"شُهُود يَهْوَه" يعتقدون أنَّهم قد وجدوه، وإلاَّ لفتَّشوا عن دين آخر. متَّى 7 : 14.][1].

هل يعتقدون أنَّهم الوحيدون الذين سيُخلَّصون؟:

يقول "شُهُود يَهوَه" في الإجابة عن هذا السُّؤال: «كلا؛ فملايين من الذين عاشوا في القُرُون الماضية ولم يكونوا شُهُوداً ليَهْوَه سيرجعون في القيامة، ويحصلون على فُرصة الحياة. وكثيرون من الأحياء - الآن - قد يتَّخذون موقفاً إلى جانب الحقِّ والبرِّ قبل ‹الضِّيق العظيم›، وسينالون الخلاص. وفضلاً عن ذلك؛ قال يسُوع إنَّه لا ينبغي أنْ ندين بعضنا بعضاً. فنحنُ ننظر إلى المظهر الخارجي؛ أمَّا الله؛ فينظر إلى القلب. ونظرته سديدة ودقيقة، وهُو يدين برحمة، كما أنَّه قد أعطى الدَّينونة ليسُوع، وليس لنا. متَّى 7 : 1 - 5؛ 24 : 21؛ 25 : 31. »[2].

3 - جماعة أصدقاء الإنسان:

عن الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة الأمريكيَّة انشقَّ السَّبتيُّون، وعن الكَنيسة السَّبتيَّة الأمريكيَّة، انفصل شُهُود يَهْوَه؛ وعن شُهُود يَهْوَه الأمريكيِّين، انشقَّ أصدقاء الإنسان (L'Amis de

---

(1) المصدر السَّابق.

(2) المصدر السَّابق.

l'Homme)، وأصدقاء الإنسان شيعة سويسريَّة أسَّسها ألكسندر فريتاغ (1870 ـ 1947)، أو « رسول الأزلي »، وهُو سويسري من مواليد بادن.

كان فريتاغ رجلاً طيِّباً هادئاً، يحترم العدل، ويُحبُّ مُساعدة الآخرين، فانضمَّ إلى فرقة شُهُود يَهْوَه في العام 1898م، وكان مُتشيِّعاً نشيطاً، فعهدت إليه الجماعة في عام 1916م، بإدارة مكتبها في جنيف. وفي العام 1920م، انفصل عنهم، ونَشَرَ كتاباً تحت عُنوان « الوحي المُقدَّس » (La divine revelation) بعدما اكتشف أنَّه « رسول الأزلي » الذي تنبَّأ به النّبي ملاخيا، ثُمَّ أتبعَ كتابَهُ الأوَّل بكتابٍ ثان في عام 1922، تحت عُنوان « الرّسالة إلى الإنسانيَّة » (Le message a l'humanite)، وبثالث في عام 1933، تحت عُنوان « الحياة الخالدة » (La Vie Eternelle).

عند موته؛ انقسم أصدقاء الإنسان شيعتَيْن: شيعة سويسريَّة برئاسة رافنر Raffner، مقرُّها في كانتون جنيف، تعتقد أنَّها الوفيَّة لمسيرة فريتاغ، وشيعة فرنسيَّة برئاسة برنار سايرس، تُعاونه سكرتيرته ليدي سارتر، المسؤولة عن قسم الدّعاية.

في العقيدة؛ يُبشِّر أصدقاء الإنسان بمَلَكُوت المسيح على الأرض لمُدَّة ألف سنة، ويرفضون التّثليث، ويُؤمنون بوحدانيَّة الله (الآب)، ولا يُؤمنون بخُلُود النَّفْس، ويرفضون مفهوم الخطيئة الأصليَّة، والخطيئة الوحيدة ـ في رأيهم ـ هي الأنانيَّة، مصدر كُلِّ الأمراض.

وفي التّنظيم؛ يُدير « القُدامى » (Les Anciens) المجموعات المحلِّيَّة. وفي الدّعاية، يملك الطّرفان دوريَّات ومنشورات عديدة يُوزِّعها الأتباع في المنازل على طريقة شُهُود يَهْوَه.

4 ـ المُورمُون أو "كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر":

تمهيد:

ليس فقط أتباعُ "شُهُود يَهْوَه" هُم الذين يدقُّون الأبواب هذه الأيَّام ليكسبوا تابعاً جديداً، فالذي يدقُّ الباب قد يكون واحداً من طائفة المُورمُون. تمييزهُم عن غيرهم سهل، فَخَلْفَ الباب يقف شابَّان (أو فتاتان) لهما مظهرُ الشّباب الأمريكيِّين في الخمسينات: بذلة

مُحافظة، وشعر قصير، وكتابان موضوعان بعناية تحت إبط كُلٍّ منهما: كتابُ العهد الجديد، وكتاب مُورمُون **The Book of Mormon**، وهُم لا يدقُّون الأبواب عفويَّاً، فهُم يحملون خرائط تقول إنَّ واحدهم لم يطرق هذا الباب أو ذاك لأكثر من سنتَيْن...

وإذا حَدَثَ واستجاب أحدهم للطّارق - ولو أقلَّ استجابةٍ - فسيُسجِّلون في مُفكّرتهم شكلَه، اسمَه (إنْ كان قد نَطَقَ به ببساطة) عُمرَه، ولونَه، وسيحفظونها في قائمة معهم؛ إذْ ربَّما يُبدي استجابة أقوى مع مُرسل آخر يمرُّ عليه، ولو بعد عامَيْن.

ويتَّفق جميع الدّارسين - الآن - على أنَّ كَنيسة المُورمُون - والتي يُسمِّيها أصحابها - أيضاً - بـ "كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر" **The Church of Jesus Christ of Latter-day Saints** - هي أكثرُ كنائس العالم نُمُوّاً. لقد بدأت الكَنيسة عام **1830**، بنَحْو **30** عُضواً، لكنَّ أعضاءها صاروا - مع دُخُول القرن العشرين - **298** عُضواً، ومع نهاية الحرب العالميَّة الثّانية؛ بلغوا المليون، وفي غُضُون العشرين عاماً التي تلت ذلك؛ تضاعف عددهم إلى المليونَيْن. وبينما كان تَعدادُهم أربعةَ ملايين نسمة عام **1975**، ونحو **7** ملايين عام **1987**، وَصَلَ عددهم - الآن - إلى حوالي **10**ملايين، ثمانون بالمائة منهم يقطنون الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة؛ خاصَّة في ولاية يوتا **UTAH**، والباقون مُوزَّعون في كَنَدَ، وأمريكا اللاَّتينيَّة، وأُورُوبا.

يرجع انتشار المُورمُون بهذه السُّرعة المُتزايدة إلى مجهود أكثر من **39** ألف مُرسَل من مثل هذَيْن الشّابَّيْن، يدقُّون الأبواب بحثاً عن فرائس جديدة، كُلُّ واحد منهم مُجهَّز بنبذة صغيرة عُنوانها «أفضل الطُّرُق لصُنع اتِّصالات ذهبيَّة مع النّاس»، وبها نحو **30** طريقة.

هؤلاء الشّباب مُكرَّسون لُمدَّة عامَيْن بلا أجر، وغير مسموح لهم بالتَّنقُّل بغير الدَّرَّاجات، أو بالمُواصلات العامَّة، وأثناء إرساليَّتهم؛ عليهم النَّأْيُ عن الرّاحة والتّسلية، مُستعدِّين للذّهاب إلى أيِّ مكان يُحدِّده مركز المُورمُون الرّئيسيّ في مدينة "سولْت ليك سيتي" **Salt Lake City** عاصمة ولاية "يوتا" **Utah** في غرب الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. ولا تعجبْ إذا عرفتَ أنَّ كثيرين من هؤلاء الشّباب ينتهون بعد إتمام إرساليَّتهم إلى العمل

كمندوبي مبيعات في الشّركات، ينتقلون من منزل إلى منزل، وخبرتُهم مع المُورمُون أقوى شهادة يُقدِّمونها في بحثهم عن عمل.

وانتشار المُورمُونيَّة بهذه السُّرعة يعود - أيضاً - إلى الجوِّ المُحبَّب والجذَّاب الذي يجد المُنضمُّون الجُدُد أنفسَهم فيه، وإلى ما صار معروفاً عن سخاء كَنيسة المُورمُون الشّديد في مُساعدة تابعيها المُحتاجين ماديّاً ومعنوياً: المرضى والفُقراء والعاجزين والذين بلا عمل. . . أضف إلى ذلك نجاح كَنيسة المُورمُون كمُؤسَّسة فائقة التّنظيم في مجالَي التّعليم والمال.

التّعليم يقع في قمَّة قائمة الخدَمات. نذكر كمثال جامعة بريجام يانغ **Brigham Young University** في ولاية "يوتا" بأمريكا التي يصل عدد طُلاَّبها حسب إحصاء عام **1976** إلى **25** ألف طالب. فكم يبلغ الآن بعد عشرين عاماً؟ إنَّها تُعتبر أكبر جامعة « كَنَسيَّة » في الولايات المُتَّحدة.

ولأنَّ عقيدة المُورمُون ولاهوتهم (كما سنُبيِّن قريباً) مَليئةٌ بالثّغرات، فمن السّهل على النُّقَّاد تقويضها من أساسها، فالكارزون (أيْ المُبشِّرون) المُورمُون لا يُمكن أنْ يدخلوا في مُجادلة مع غير المُؤمن حول عقيدتهم، رغم أنَّ من بينهم مَنْ هُم على ثقافة وعلم غزيرَيْن. لذلك يعتمدون - في دعوتهم - على العاطفة والإعماء النّفْسيّ. . .

ويُشجِّع المُورمُون أعضاءَ الطّائفة دائماً - ربَّما لتحويل انتباه الأعضاء بعيداً عن ضعف أساسهم - على التّركيز على البحث عن الله في قُلُوبهم، والتَّوسُّل في صلواتهم اليوميَّة للحُصُول على « الخبْرات الخاصَّة » اقتداءً بنبيِّهم جُوزيف سميث **Joseph Smith**، ويدفعونهم دَفْعَاً إلى طَلَب حرارة القلب، وتأجُّج الانفعال الدّاخليّ؛ إذْ في ذلك يتأكَّد عمل الرُّوح القُدُس، ويُسمُّون ذلك « حريق القلب ».

وشهادة جُوزيف سميث المُسجَّلة في « كتاب المُورمُون » **The Book of Mormon** هي عندهم فوق كُلِّ شكٍّ، وغيرُ قابلة للمُراجعة أو المُناقشة، إنَّهم يُردِّدون هذه الشّهادة كُلَّ يوم. هذا التّكرار غشَّى على بصائر الأعضاء، فَمَنَعَهُم أنْ يكتشفوا عُوَّارَ هذه الشّهادة مهما قُدِّمت لهم من أدلَّة منطقيَّة وتاريخيَّة وكتابيَّة.

والواقع أنَّ المُورمُونيَّة مسيحيَّة بالاسم، وَثَنيَّـة بـالفعْل، لذلـك فضحاياهـا هُـم ـ دومـاً ـ المسيحيُّون اسماً، والمُستعدُّون لعبادة الوَثَن، الذي يمدُّ لهم اليد الحانيَّة، والحُضن المفتوح . . .
وهي واحدة من تلك الدّيانات التي تُوضـع بـالغرب تحـت اسـم Cults أيْ الفـرَق أو النِّحَـل .
فهُم ـ في الواقع ـ نحْلة ابتعدت ـ في كثير من تعاليمها ـ عن المسيحيَّة المعروفـة ، وتبـع أعضاؤهـا تعاليمَ من خيالات قادتهم المُدَّعين للنُّبُوَّة، هذا على الرّغم من أنَّ كُتُبَهُم المُقدَّسة تحمل أسـماء أنبياء العهد القديم؛ إذْ نجد في «كتاب مُورمُـون» أسـماء إبراهيـم ومُوسـى ويُوسُـف؛ بـل إنَّ المُورمُون يعتبرون «كتاب مُورمُـون» شـهادةً ثانيـةً ليسُـوع المسيح؛ حيثُ يُذكَـر اسـم يسُـوع المسيح في صفَحاته عشرات، بل مئات المرَّات، لكنَّهم يذهبـون مذهبـاً في الأُلُوهيَّـة بعيـداً عـن المسيحيَّة المعروفة، بل حتَّى بعيداً عن الأديان السّماويَّة! وجميع النّاس عند المُورمُـون "أُمـم"؛ أيْ "أُميِّيْن" Gentiles (وهُو الاسم الذي كان يُطلقه بنو إسرائيل في العـهد القديـم علـى الأُمـم الوَثَنيَّة)، وكنيستهم هي الكَنيسة الوحيدة على الأرض! وبينما دُعاتـهم مـن أكـبر «الدُّعـاة» حماساً في العالم، نجدهم غايةً في الحذَر عندما يُقدِّمون دعوتهم لغـير المُؤمـن، فـلا يُصرِّحـون ـ في البدايـة ـ بحقيقـة مُعتقدمـهم بشـكل كـامل، بـل يُعطـون المُتلقِّـي الجديـد مَداخـلَ سهلةً للاهوتهم المُورمُونيّ؛ أمَّا التّفاصيل؛ فسيعرفها المُنضمُّ في حينه عندمـا تتثبَّـت أقدامـه في أرضيَّة كنيستهم.

وليس من السّهل أنْ تجد مكتبة تتبعهم، فيها ما يُفصِّل عقيدتهم، أو غُرفةً للقراءة فيـها يُمكن للسّائل الطّالب أنْ يعرف أكثر عن البضاعة التي يُوشك أنْ يشتريها.

ويُفضِّل الدُّعاة من أبناء الطّائفة أَخْذَ الضّحايا بأيديهم . . . . وببُـطء . . . . ليُدخلوهـم في زُمرتهم، لا عن طريق الكُتُب، ولكنْ؛ باللّقاء الشّخصيّ، ففي لقاء الوجـه للوجـه يُمكـن الاستمالةُ، وإحـداث التّـأثير المطلـوب . بعـد ذلـك؛ يُمكـن إعطـاء القـادم الجديـد تعليمــهم بالقَطَّارة قَطْرةً قطرةً حسب الحاجة، وتجنُّباً للنُّفُور.

هؤلاء الكارزون الشّباب، كما يقول البرُوفسُور جيم تيوليب «يُجبرون سامعيهم على احترامهم؛ إنَّهم لا يضغطون، لكنَّهم يُتقنون استخدام الوسائل الأمريكيَّة في ميدان الدِّين».

وهُم ـ الآن، وقد كثُر نُقَّادهم ـ يُكافحون من أجل إعطاء كنيستهم وجهاً مسيحياً مقبولاً، وإخفاء ما يَفْرُزُها عن الكَنيسة المسيحيَّة، ويُحاولون أنْ يكونوا ضمن «الأُسرة المسيحيَّة»، مُركِّزين على خطٍّ عقيديٍّ يتَّفق مع العقيدة المسيحيَّة التّقليديَّة.

حالات كثيرة معروفة لضحايا كنيستهم اكتشف أصحابُها ـ بعد مُرُور عدَّة شُهُور من انضمامهم ـ أنَّهم خُدعوا في «مسيحيَّة» كَنيسة المُورمُون التي بالواجهة، والتي يُعلنون فيها إيمانهم بالثّالوث المسيحي: الأب والابن والرُّوح القُدُس، لكنَّ هذه الواجهة تُخفي وراءها تفاسير وَثَنيَّة مُوغلة في الغرابة. . .

ونجاح كَنيسة المُورمُون يعود ـ أيضاً ـ إلى خَلْب لُبِّ المُقترب إلى دائرتهم، عندما يُعاين أو يقرأ عن نجاحهم كمُؤسَّسة شاهقة العُلُوِّ، فائقة التّنظيم.

كَنيسة المُورمُون مُؤسَّسة ماليَّة دوليَّة رأسُ مالها مليارات الدُّولارات، والعقارات والصّناعات التي تُمَوِّلُها بلا حصر، يكفي أنْ تعرف أنَّ المُورمُون يبنون كَنيسة جديدة مع كُلِّ يوم جديد، ويُنفقون على مُنْشآتهم ببذخٍ بالغٍ، نذكر كمثال كنيستَهم الرّئيسيَّة في مدينة "سولت ليك" التي فاقت في جمالها كُلَّ تصوُّر. .

كان «كتاب مُورمُون»، إلى عهد قريب، مُتوفِّراً باللُّغة الإنجليزيَّة والفرنسيَّة وبعض اللُّغات الأُخرى الغربيَّة فقط، ولم يكن له وُجُود في اللُّغة العربيَّة، لكنَّه ـ مُنذُ مدة قريبة ـ تُرجم إلى اللُّغة العربيَّة، وأصبح دُعاة المُورمُون يسعون للتّبشير به، وتقديمه في مُجلَّد قشيب، إلى مَنْ يستمع إليهم من العرب، لا سيما في مصر ولُبنان.

يُبيِّن الاقتباس التّالي من العدد الصّادر في 16 أُكتُوبر 1995 من مجلَّة "رُوز اليُوسُف" طَرَفاً من نشاط بعض أُولئك المُورمُون الأمريكان في مصر؛ حيثُ تقول المجلَّة ما نصُّه:

«المُورمُون ديانة كُوكتيل يعتنقها أكثر من 200 أمريكيّ من المُقيمين في القاهرة، يُمارسون طُقُوسهم الغريبة على أنغام آلة البيانو في فيلا أنيقة بحَيِّ المَعادي. وفرع القاهرة سرِّيٌّ، رغم مُرُور أكثر من 15 عاماً على بدء نشاطهم في مصر على يد مُدرِّس بالجامعة الأمريكيَّة في القاهرة. ولقد رَفَضَت وزارة الدّاخليَّة طَلَبَهُم لمُمارسة ديانتهم بطريقة عَلَنيَّة بعد

تحذير الكَنيسة المصريَّة (الكَنيسة القبطيَّة) من السّماح لهم بنَشْر دعوتهم، فهي تعتبرهم كافرين. وقد عرض الدُّكتُور مارتن هاريس (المُدرِّس السّابق بالجامعة الأمريكيَّة) على عدد من الشّباب المصريِّيْن، الذين التقاهم في زيارته الأخيرة لمصر، إمكانيَّةَ مُساعدتهم في الحُصُول على إقامة دائمة داخل الولايات المُتَّحدة، والبحث لهم عن فُرص عمل مُناسبة، بشرط إعلانهم اعتناقَ المُورمُونيَّة، والاستعدادَ للعمل كمُبشِّرين بها في بعض دُول العالم الثّالث، والحُصُول على مُقابل ماديٍّ. وفي عام 1985، قام المركز الرّئيسيّ في ولاية "يوتا" بترجمة كتابهم المُقدَّس إلى العربيَّة؛ إيذاناً ببدء الدّعوة لدُخُول العرب إلى ديانتهم الغربيَّة»، [انتهى من مجلَّة رُوز اليُوسُف].

قصَّة كَنيسة المُورمُون:

تبدأ قصَّةُ كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر (كَنيسة المُورمُون) بمولد مُؤسِّس هذه النِّحْلَة المُتنبِّئ "جُوزيف سميث" Joseph Smith في 23 كانون الأوَّل 1805، في بلدة شارون بولاية فيرلونت بالولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. نشأت هذه الفرقة في وقت كانت فيه فكْرة قُرْب المجيء الثّاني للمسيح ليبدأ عهد الألفيَّة السّعيد صرعة شائعة أخذت بعُقُول وأفكار الكثيرين من النّاس.

يهتمُّ المُورمُون بأنْ يُؤكِّدوا - كما هي الحال في أديان كثيرة - أنَّ النَّبيَّ جُوزيف سميث وُلد فقيراً، وأنَّه لم يحصل على أيِّ تعليم مُنتظَم.

في قصَّة حياته التي كَتَبَهَا بنفسه في كتاب بعُنوان «لُؤلُؤة غاليَّة الثّمن» Pearl of great price، والذي يُقدِّسه المُورمُون، يُحدِّثنا "جُوزيف سميث" عن أنَّه - بعد أنْ انتقلت عائلته إلى بالميرا بنيُو يُورك - انضمَّ إلى حَرَكَة دينيَّة مسيحيَّة مُتطرِّفة وهُو في الرّابعة عشرة. وفي بحثه عن الإيمان الحقِّ - إذْ كان مُضطرباً وحزيناً ومُتحيِّراً بسبب تضارب الكنائس البرُوتستانتيَّة المُتعدِّدة، مَعْمَدَانيِّيْن، مشيخيِّيْن، ميثودسيت. . . إلخ - أخذ يُصلِّي يوماً في إحدى الغابات من أجل طَلَب العون والهداية من الله، فاستجابت له السّماء؛ إذْ عمَّ الظّلامُ المكانَ، وتلا ذلك ظُهُورُ عمودٍ من النُّور أبهرَ من الشّمس، نجّاهُ من «قُوَّة العدوِّ». ثُمَّ. . . . .

« ورأيتُ شخصَيْن، مظهرُ هيأتهما أعظم من كُلِّ تصوير يقفان فوق رأسي في الهواء. أخذ أحدهما يُحدِّثني، وقد دعاني باسمي، وقال هُو يُشير إلى الآخر: هذا هُو ابني الحبيب، له تسمع »[1].

ثمّ تكلَّم الشّخصان مع "جُوزيف سميث" طالبين منه ألاّ ينتمي إلى أيَّة كَنيسة من كنائس المسيحيِّين؛ لأنَّ جميعها على ضلال، وجميع أعضاءها فاسدون[2].

ثُمَّ يقصُّ علينا "جُوزيف سميث" أنَّه بعد ثلاث سنوات من ذلك الحَدَث، وبالتّحديد في 21 أيلول 1823، اختبر رؤية أُخرى ظهر له فيها ملاك: « لقد دعاني باسمي. وقال لي إنَّه رسول مُرسَل إليَّ من الله. وهذا الملاك يُدعى مُوروني **Moroni**؛ وإنَّ الله قد جَعَلَني لعمل يُريدني أنْ أقوم به ».

وأخبره الملاك "مُوروني" أنَّ كتاباً مدفوناً مكتوباً على لوائح ذهبيَّة فيه قصَّة الشُّعُوب التي سَكَنَتْ هذه القارَّة (الأمريكيَّة) والمكان الذي نَبَتَتْ فيه هذه الشُّعُوب. وقال لي: « إنَّ تاريخ هذه الشُّعُوب مُدوَّن فيه تمام الإنجيل، كما أعطاه المُخلِّص لهذه الشُّعُوب القديمة؛ حيثُ ستجد حجرَيْن مربوطَيْن برباط من الفضَّة إلى جانب لوائح من الذّهب. هذان الحجران يحويان اليُوريم والتُّوميم، ومدفونان مع اللّوائح، واللهُ قد أعدَّ الحجرَيْن لاستخدامهما في ترجمة ما كُتبَ باللّوائح الذّهبيَّة ».

ثُمَّ أخذه الملاك الرّسول إلى مكان يقع بالنّاحية الغربيَّة لتلٍّ ليس ببعيد، وهُناك ـ هكذا يُؤكِّد لنا جُوزيف ـ قام جُوزيف بالحفر، حتَّى وَجَدَ اللّوائح الذّهبيَّة والحَجَرَيْن محفوظَيْن في صُنْدُوق حجريّ، وقبل أنْ يمسَّ الصُّنْدُوق ظهر له الملاك مُوروني ثانيةً، وقال له: « لا تأخذ هذه الأشياء الآن، عليكَ أنْ تنتظر أربعَ سنوات بالضّبط ».

على ذلك؛ عاد "جُوزيف سميث" على الموضع المُقدَّس في 22 أيلول 1827، وتلقَّى « كتاب مُورمُون » من الملاك، مكتوباً بالحفر على لوائح الذّهب باللُّغة الهيرُوغليفيَّة المصريَّة المُعدَّلة (لُغة مُسْتَغْلَقَة على غير المُورمُون).

---

(1) من كتاب "Pearl of great price" لجُوزيف سميث، 2/ 17.

(2) المرجع السّابق: 2/ 19.

واحتفظ جُوزيف بكنـزه السّماويّ هـذا لُمدَّة 3 سنوات، عاكفاً علـى ترجمـة مـا جـاء باللّوائح من هذه اللُّغة العجيبة إلى الإنجليزيَّة، مُعتمداً في التّرجمة على اليُوريم والتُّوميم. أمَّا كيف استطاع جُوزيف سميث - بالضّبط - الاستعانة بحجَـرَيْ اليُوريـم والتُّوميـم في التّرجمـة؛ فهذا ما لا نعرف الإجابة عليه - بوُضُوح - حتَّى اليوم!

أحد مُساعدي جُوزيف واسمه مارتن هـاريس **Martin Harris** يشـهد بأنَّـه حتَّـى مـن قَبل أنْ يستخرج جُوزيف اللّوائح، كـان لـدى جُوزيـف حجـرٌ عجيـب يحتفـظ بـه في قُبَّعتـه، وكان من السّهل على جُوزيف أنْ يُسْدل قبعته على عينَيْه، ثُمَّ يتنبَّأ لَمنْ حوله أين خبَّؤوا النُّقُود في الأرض، أو أين تُوجد المسروقات مثلاً.

ديفيد وايتمر **David Whitmer** - شاهد عيان آخـر - أكَّد أنَّ « اللّوائـح الحاويـة لكتـاب مُورمُون كان جُوزيف يُخبِّئها خلف السّتار، أو تحت الوسائد، أو تحت مفارش الموائد »[1].

زوجة جُوزيف، إمَّا، تشهد - أيضاً - كيف أنَّها - هـي الأُخـرى - كـانت تكتـب مـا يُمليـه عليها من ترجمة: « لقد كُنتُ أكتب ما يُمليه يوماً بعد يـوم، وأنـا - عـادة - جالسـة إلـى مـائدة ليست بعيدة عنه، هُناك يجلس ووجهـه مُغطّىً بقُبَّعتـه الحاويـة للحجـر، ويسـتمرُّ في الإمـلاء سـاعة بعد سـاعة »[2].

أمَّا عن لوائح الذّهب؛ فَعَدَدٌ من الشُّهُود يؤكِّدون رُؤيتـهم لـها، بينـهم مـارتن هـاريس **Martin Harris** وديفيد وايتمـر **David Whitmer** وأُوليفـر كـاوردي. هـؤلاء يُقسـمون في وثيقة وقَّعوها أنَّهم قد « رأوا اللّوائح، وعليها الكلمات المحفورة ». وبنفس التّـأكيد يشـهدون بأنَّ « اللّوائح قد أُظهرَتْ لنا ».

وظهر بعد هؤلاء ثمانية آخـرون، مُعظمـهم مـن عائلـة "جُوزيـف سـميث" و"وايتمـر"، هـؤلاء - أيضـاً - وقَّعـوا وثيقـةً أُخـرى يُؤكِّـدون فيـها أنّـهم رأوا ولمسـوا بأيديـهم اللّوائـح التـي كانت مُذهَّبة.

---

(1) كتاب "The Maze of Mormonism" أيْ: (المُورمُونيَّة المُحيِّرة) لمؤلّفه : **Martin Walter**، ص 50 - 51.

(2) المصدر السّابق: ص 150.

أخيراً؛ وعندما أتمَّ جُوزيف التّرجمة (من اللُّغة المصريَّة القديمة المُعدَّلة إلى الإنجليزيَّة) يقصُّ علينا أنَّه أعاد اللّوائح كما أمره الملاك[1] .

قال كاوردي - فيما بعد - لبريجام يانغ Brigham Young ، (خليفة جُوزيف سميث كرئيس لكَنيسة المُورمُون ، والذي أسَّس ولاية "يوتا" ، وهُو أوَّل حاكم لها) إنَّه - أيْ كاوردي - وجُوزيف سميث أعادا اللّوائح ، ودفناها تحت الأرض في حُجرة مع لوائح أُخرى كانت هُناك ، في تلٍّ كوموراه بالقُرْب من نيُو يُورك .

والعجيب أنَّ مُورمُون اليوم يُؤمنون أنَّ اللّوائح لازالت هُناك! وعلى هذه الرُّؤية الأُولى تأسَّست الكَنيسة الجديدة ، التي سمَّاها جُوزيف المُتنبِّئ : « كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر » **The Church of Jesus Christ of Latter-day Saints** . ومُنذُ هذا الوقت (وحتَّى اليوم) ؛ لم تنقطع سلسلة الرُّؤى . « كتاب مُورمُون » **Book of Mormon** هُو باكورة الرُّؤى التي كان جُوزيف سميث يخرج بأخبارها على تابعيه على مُدَّة الخمسة عشر عاماً التّالية... ووَصَلَ عددها إلى **135** رُؤية . مُعظم هذه الرُّؤى منشور في كتابَيْن كبيرَيْن يعتبرهما المُورمُون إلى جانب "كتاب مُورمُون" كتابَيْن سماويَّيْن... كتاب "تعليم وعُهُود" **Doctrines and Covenants** وكتاب "لُؤلُؤة كثيرة الثّمن" **Pearl of great price** .

المهمَّة الكُبرى والصّعبة بعد ذلك كانت حفْظ « كتاب مُورمُون » ، فالطّابعون المحلِّيُّون لم يجدوه كتاباً مُربحاً للمُغامرة بطَبْعه .

لا تُوجد مُشكلة ، الأمر لا يحتاج إلى أكثر من إعلان سماوي آخر . في الإعلان يقول الله للنّبيّ جُوزيف سميث إنَّ على مارتن هاريس **Martin Harris** أنْ يبيع جُزءاً من حقله للصّرف من ثمنه على طَبْع الكتاب . أطاع هاريس الأمر . وكانت التّكلفة **3000** دولار ، وَخَرَجَتْ الطّبعة الأُولى من **5000** نُسخة في عام **1830** . وفي **6** نيسان من هذه السّنة تأسَّست كَنيسة جديدة رسميّاً من **30** عُضواً في مدينة فايت في نيُو يُورك .

---

(1) المُورمُون هل هُم مسيحيُّون ، ميشيل جبرائيل ، ص 5 ، نقلاً عن **Barret, 1973** ، ص 118 .

وبدأت عداوة شديدة بين الأهالي والكَنيسة الجديدة. فكثير منهم اعتبروا "جُوزيف سميث" لصاً ودجَّالاً. وكان على الكَنيسة الوليدة التي كانت تنمو وتزداد في عدد المُؤمنين الذين ينضمُّون إليها أنْ ترحل من ولاية إلى ولاية تحت قيادة جُوزيف سميث وفق الإلهامات السّماويَّة التي كان يتلقَّاها ويخرج بها على تابعيه.

وحطَّ « القدِّيسُون » - الذين كان يُقدَّر عددهم بحوالي **15000** نفر - رحالهم في بلدة "جاكسون" **Jackson county** في ولاية "ميسوري" **Missouri** التي أعلن جُوزيف أنَّها ستكون "صهيون"، أُورشليم الجديدة، التي عندها سيعود المسيح وشيكاً ليحكم بمجدٍ عظيم، وأنَّها (بلدة جاكسون) كانت جنَّة عدن أصلاً؛ وأنَّ أسباط إسرائيل المفقودة ستعود - أيضاً - إليها بعد أنْ ظلَّت هذه الأسباط طوال القُرُون منفيَّة معزولة خلف دائرة القُطب الشّمالي!

لكنَّ الإقامة لم تطُلْ في « صهيون »! إذْ رحل الجمع الجديد إلى كيرتلاند **Kirtland** في ولاية أوهايو **Ohio**، وهُناك وَجَدَ جُوزيف سميث نفسه في مُشكلة مع القانون بسبب مُخالفات ماليَّة.

واضطُرَّ المُورمُون مرَّة أُخرى للرّحيل بعيداً إلى شواطئ الميسيسبّي في ولاية إيلينويز **Illinois** بإحساس الشّعب المضطهد، وهُناك أسّسوا مدينة نوفو **Nauvoo**، وهي اسمٌ ابتدعه جُوزيف سميث مُدَّعياً أنَّ معناه « المكان الجميل » بالعبريَّة.

وهُناك حَكَمَ جُوزيف لعدَّة سنوات، ليس فقط كنبيّ، بل « كقاضي القضاة »، و« جنرال »، وفي الواقع؛ كانت كلمته هي القانون.

وزادت الكَنيسة الجديدة عدداً، وازداد - بازديادها - صَخَبُهَا، وأخبار دعايتها، ونشاطها الغريب، ممَّا هيَّج الأهلين المُحيطين بها عندما سمعوا بالدِّين الجديد، وبأخبار مُمارسة أعضائه لتعدُّد الزّوجات (سنتحدَّث عن ذلك فيما بعد). وأدَّت المُشاحنات والاشتباكات بين الطَّرَفَيْن - التي أثارها قَمْعُ وإخماد سميث بشدَّة لبعض مَنْ ارتدّوا عن ديانته الجديدة من مُورمُون "نوفو"، وعادوا إلى المسيحيَّة - إلى القَبْض على جُوزيف سميث وأخيه هيرام، وسَجْنهما لفترة طويلة.

وهُناك في كارتيج Carthage بولاية إيلينويز، في 27 حُزيران 1844، هاجمت الدَّهْمَاءُ الغاضبةُ السّجنَ، وتبادلت إطلاق الرّصاص مع الأخوَيْن، فَأَرْدَتْهُمَا قتيلَيْن؛ بينما ينتظران المُحاكَمة.

لذلك؛ فالمُورمُون يعتبرون مُؤسِّسهم شهيداً، رغم أنَّ شُرُوط الشّهادة هُنا غير مُتوفِّرة، فهُو لم يُسلِّم نفسه للموت طوعاً؛ فقد تبادل سميث الرّصاص بطريق رُعاة البقر.

على الجماعة ـ الآن ـ أنْ ترحل مرَّة أُخرى؛ بعد أنْ تيتَّمتْ في نبيِّها؛ إذْ بعد ذلك التّاريخ بقليل، وتحت قيادة خليفة جُوزيف، المُتطرِّف بريجام يانغ Brigham Young، هاجر المُورمُون مرَّة أُخرى، هذه المرَّة بعيداً بعيداً ناحية الغرب؛ حيثُ أقاموا بصفة دائمة في جريت سولت لاك Great Salt Lake، وتقاطر بقيَّة المُورمُون إلى تلك المدينة، في البداية؛ سيراً في القوافل والعربات، ثُمَّ ساعدهم بدء خدمة السّكك الحديديَّة والقطارات على الرّحيل الجماعي، والتَّجمُّع هُنالك، وبنوا ـ هُناك، بنجاح ـ مُجتمعهم السِّياسي والدِّيني المُغلق في ظُرُوف معيشيَّة صعبة، عادةً في مُواجهة عداوة شديدة من الأهلين، جرت بسببها معارك كثيرة، كلَّفت الكثيرَ من أرواح «القدِّيسين أبناء صهيون» في حربهم مع "الأُمم" Gentiles! في يوتاه بسُهُولة..

تلك الجماعة التي كانت لا تزال صغيرة حينذاك (حوالي ثمانين ألف نفر)، وبعد أكثر من قرن ونصف على استقرارها في ولاية "يوتا" UTAH، أصبحت ـ اليوم ـ قُوَّة اجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة مُؤثِّرة.

يرأس الجماعة مجلس الاثنَيْ عشر، يرأسهم نبيٌّ خليفةٌ لـ"جُوزيف سميث"، كُلَّما مات خليفة خَلَفَهُ آخر، وكُلُّ أُولئك الخُلفاء، إلى يومنا هذا، هُم ـ في نَظَر المُورمُون ـ أنبياء مُلهَمُون من الله!

هذا؛ ومن الجدير بالذِّكْر، أنَّه عقب مقتل "جُوزيف سميث" رَفَضَ فريق من المُورمُون الاعتراف بخلافة "بريجام يانغ"، وقاموا ـ مع ابن جُوزيف سميث، الذي انضمَّ إليهم، وكان يحمل نفس اسم أبيه ـ بتشكيل ما أسموه بكَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر، المُعاد

تنظيمها Reorganized Church of Jesus Christ of Latter Day Saints، وذلك مُنذُ عام (1852 ـ 1860)، وبقوا في مدينة إيووا Iowa، وفي ولاية إيلينويز Illinois، وبقيت عقائد هؤلاء أقلَّ بُعْداً عن المسيحيَّة التّقليديَّة، خاصَّة في مفهوم الأُلُوهيَّة، بعكس الأفكار الغريبة جداً حول الأُلُوهيَّة، والتي هي أقرب إلى الوَثَنيَّة، التي تبنَّتْهَا الجماعة الأساسيَّة للمُورمُون بقيادة بريجام يانغ المُستقرَّة في "ليك سيتي" في "يوتاه".

كما حصلت بعض الانشقاقات الصّغيرة الأُخرى غير هذا الانشقاق، وكُلُّ هؤلاء المُورمُون المُنفصلين وحدهم أصبح اسمهم "الغُرباء" Strangites.

لوائح ذهبيَّة وأحجار إعجازيَّة... كيف؟:

لمعرفة مقدار الحقِّ والباطل في هذه الادِّعاءات والرُّؤى أو الإلهامات، لابُدَّ من فَحْصها على ضوء العديد من الاعتبارات؛ ولعلَّ أوَّل هذه الاعتبارات: هي قيمة هذه الرُّؤى، فإنْ وجدناها مُتناقضة، أو وجدناها غير مُتمشِّية مع الحقِّ الذي نعرفه باستخدام المنطق البسيط، نرى أنَّ هذه الإعلانات زائفة، ولا أساس لها، وإنْ اجتازت هذه الاختبارات الأوَّليَّة فلربُّما ـ فقط ربُّما ـ هي رُؤى حقيقيَّة. الخُطوة التّالية هي فَحْص الرّائي ذاته، وإنعام النَّظَر في سُلُوكه وشخصيَّته.

جُوزيف سميث... العرَّاف المُتنبِّئ!:

لقد لاحظنا من سيرة حياة جُوزيف سميث كيف كان «يُترجم» مُحتويات لوائح الذّهب باستخدام أَحجار بلّوريَّة. وهذا ليس جديداً، ففي الثّقافات البدائيَّة الأُولى ـ بما في ذلك ثقافة هُنُود أمريكا الحُمر ـ نعرف مُمارسة معرفة الغيب بالحَمْلَقَة في أحجار ذات صفات بلّوريَّة.

ونعرف ـ أيضاً ـ من التّاريخ الاجتماعي لأمريكا في أوائل القرن الماضي كيف انتشر في مُجتمع الرّجل الأبيض تقليعة مُشابهة لمعرفة الغيب خلال أحجار بلّوريَّة يُسمُّونها التَّجسُّس Peep Stone، وهذه التّقليعة كانت مُنتشرة، حتَّى إنَّ السُّلطات نشطت ضدَّها، وحرَّمتْها باعتبارها دَجَلاً.

أنكر جُوزيف سميث ـ فيما بعد ـ مُمارسته لهذه الشّعوذات، لكنَّ واقع الأمر يُثبت غير ذلك؛ إذْ بعد عدَّة سنوات من تثبيته نبيّاً في جماعة المُورمُون فَضَحَهُ حماه ـ إسحق هال ـ عندما صرَّح بأنَّ جماعة من «الباحثين عن النُّقُود» لجأت إلى جُوزيف في تشرين الثّاني 1825، لإسعافها بمهارته. كان عمله ـ هُو ـ أنْ ينظر ـ أو يتظاهر بالنَّظَر ـ في حجر كان يحتفظ به في قُبَّعته التي كان يُسدلها على وجهه. وبهذه الطّريق كان يتظاهر ويدلّهم أين تُوجد الثّروات؛ أيْ المعادن الغالية المدفونة أو المُختفية. كان جُوزيف يُبدي ـ في هذا الوقت ـ صُورة الشّابِّ المُستخفِّ... لقد صدَّقَتْهُ الجماعة، وعلى هذا؛ بدؤوا الحَفْرَ، دُون أنْ يصلوا إلى شيء في المكان الذي دلَّهم عليه جُوزيف قائلاً إنَّه يحوي كنزاً أسبانيّاً مليئاً بالذّهب. وكان عُذره لهم أنَّ الرّؤية كانت باهرة جدّاً؛ بحيثُ لم يكن يرى جيِّداً!

بعدها؛ رحل جُوزيف من بيت هال، تاركاً وراءه دَيْناً للرّجل قَدْره 1282$[1].

هال لم يكن وحده الذي شهد على غشِّ جُوزيف. ففي 11 كانون الأوَّل 1833، أقسم جارٌ آخر لجُوزيف يُدعى "ويلارد تشاس" أمام قاضي البلديَّة على كيفيَّة حُصُول سميث على حجر التَّجسُّس، وذلك بأنَّه في عام 1822، ساعد سميث وأخاه ألفن تشاس في حَفْر بئر، وأثناء الحَفْر وَجَدَ تشاس حجراً ذا شكل غريب، وبينما كان الثّلاثة يفحصونه وَضَعَهُ جُوزيف في قُبَّعته، ثُمَّ كَبَسَ قُبَّعته حتَّى غطَّت وجهه؛ ليختبره.

لقد أراد جُوزيف أنْ يحتفظ بالحجر، لكنَّ تشاس الذي كان يُريد أنْ يحتفظ به كتُحفة وافق ـ فقط ـ على إعارته له. وخلال العامَيْن اللّذَيْن احتفظ فيهما جُوزيف بالحجر كان ينشر على النّاس العجيب من الأشياء التي يراها من خلاله.

وفي عام 1825، بعد قليل من إعادة الحجر لصاحبه تشاس جاء أخو جُوزيف، هيروم، ليستعيره للمرَّة الثّانية. ووافق، لكنْ؛ مع نهاية 1826، رَفَضَ هيروم ـ بغضب ـ أنْ يُعيد الحجر، وطالبه تشاس مرَّة أُخرى، لكنَّ هيروم رَفَضَ مُلوِّحاً بقبضته قائلاً له: إنَّ أخاه جُوزيف يستخدمه في ترجمة «كتابه المُقدَّس» (7).

---

(1) كتاب "The Maze of Mormonism"؛ أيْ: (المُورمُونيَّة المُحيِّرة) لمُؤلِّفه: Martin W.، ص 34.

عام 1826، هُو نفس العام الذي فيه دين جُوزيف سميث بمُزاولة « النَّظَـر في الزُّجـاج » أمام محكمة بيـنزيدج في آذار 1826. ورغـم أنَّ أوراق المُحاكَمـة طُبعـت مرَّتَيْـن خـلال القـرن التّاسع عشر، فالوثائق الأصليَّـة اختفـت مـن السِّجلاَّت بطريقـة غامضـة. وهـذا أتـاح منفـذاً للمُورمُون للقول إنَّ المطبوعات ليس لها أُصُول، وإنَّ المُحاكَمة لـم تحـدث، مُؤكِّديـن أنَّـها لـو وُجدَتْ لكان في ذلك ضربة قاضية لمصداقيَّة جُوزيف في نُبُوَّته وكتابه!

مع ذلك؛ ففي 28 تمُّوز 1971، ظهرت وثيقة مُسـتقلَّة تُثبـت أُصُوليَّـة سـجلاَّت المحكمـة المفقودة: فاتورة تكاليف بخطِّ يد القـاضي ألـبرت بيلـي بـها قائمـة مصروفـات الحـالات التي عُرضت عليه في عام 1826. هُناك، وفي مُنتصف القائمة، كُتب اسم جُوزيـف سـميث المُتَّـهم « بالنَّظَر في الزُّجاج »، وهذه القائمة مُؤرَّخة بتاريخ 20/ 3/ 1826.

وثائق أُخـرى اكتُشـفَتْ حديثاً تُثبـت وَلَـع جُوزيـف سـميث بلُعبتـه، مُسـتخدماً الحجـر والقُبَّعـة[1]. مـع ذلـك؛ فـأهمُّ مـن لُعبـة « النَّظَـر في الزُّجـاج » هُـو بحـث موضـوع لوائـح الذّهب. . . .

فهُو يقول إنَّ الملاك مُورمُوني ظهر له، ودلَّه على مكان دَفْنها بالأرض، لكنَّ اثنَيْـن مـن جيرانه، وهُمـا الأخـوان هيـل وجُوزيـف لويـس (واللَّـذان كانـا ـ لمَنْ عرفـهما ـ مثـال للأمانـة والصّدق والمسيحيَّة الحقيقيَّة) شهدا بأنَّه في عام 1827، عندمـا بـدأ جُوزيـف سـميث عملـه في ترجمة مُحتويات اللّوائح كانت القصَّة التي يرويها لمَنْ حوله مُختلفة؛ إذْ كان يقول إنَّ مصـدر المعلومات كان شبحاً إسـبانيّاً ذا لحيـة، زَوْرُه مقطـوع بعَـرْض رأسـه مـن الأُذن لـلأُذن، والـدّم لا يتوقَّف نزيفه. في تلك الشّهادة لا تُوجد كلمة واحدة أو ذكْـر لملاك اسـمه مُورُونـي، أو أيّ ملائكة أُخرى[2].

ويشهد الأخوان ـ أيضـاً ـ أنَّـه في حُزيـران 1828 (عـامَيْن قبـل تأسيس طائفـة المُورمُـون) تقدَّم جُوزيف سميث إلى أبيهما القسِّ ناثانيل لويس، وأظهر رغبته في الانضمام إلـى كنيسـته

---

(1) المصدر السّابق: ص 35 ـ 38، وفيه يُدرج المُؤلِّف صُوراً عن تلك الوثائق.

(2) المصدر السّابق: ص 335 ـ 336.

ـ كَنيسة الميثوديست الأسقفيَّة ـ مع ذلك، ولأنَّ جُوزيف سميث كان معروفاً عنه أنَّه مُنحرف أهوج النَّفْس وافق الميثوديست على عُضويَّته إنْ هُو تاب عن سُلُوكه الرّديء، وسمح للكَنيسة بفَحْص حياته، وَجَحَدَ ـ عَلَنَاً ـ كُلَّ مُمارساته الشِّرِّيرة والكاذبة.

لكنَّ الكَنيسة اكتشفت خداعه، وأنَّ رغبته في الانضمام كانت ـ فقط ـ لنيل الاحترام بين أقرانه، ممَّا جَعَلَها تطرده من عُضويَّتها بعد 3 أيَّام[1].

هذا يتعارض مع ما ادَّعاه جُوزيف سميث ـ فيما بعد ـ في سيرة حياته التي كَتَبَهَا «لُؤلُؤة كثيرة الثّمن» أنَّ الله نفسه طَلَبَ منه في الرُّؤية الأُولى التي رآها عام 1820، أنْ لا ينضمَّ إلى أيَّة كَنيسة أو طائفة «فكُلُّهم فاسدون». ما الذي جَعَلَهُ ـ إذنْ ـ يطلب الانضمام إلى الميثوديست؟

وحتَّى في المُعاملات الماليَّة... فإنَّ تصرُّفات جُوزيف سميث تُوحي بالشَّكِّ.

ج. ت. هاريسون وهُو مُدَّع عامّ ومُورمُوني سابق اهتمَّ وبَحَثَ في سجلاَّت مجلس بلديَّة مدينة جيوبا في أُوهايو، فَوَجَدَ أنَّ هُناك 13 قضيَّة مُسجَّلة على جُوزيف سميث بين 1837 و1839، رَفَعَهَا عليه الدّائنون لمبالغ تبلغ في مجموعها 25000 دُولار، ويا له من مبلغ في حساب تلك الأيَّام. كُلُّ هذه المفاسد الماليَّة بسبب بنك مُلفَّق أسَّسه في بلدة كيرتلاند مُخالفاً بذلك قوانين ولاية أُوهايو.

ورغم هذه الاكتشافات؛ فكَنيسة المُورمُون تتبجَّح وتُنكر أنْ نبيَّها لم تثبت عليه أيُّ تُهمة، رغم أنَّ سجلاَّت المحكمة تتضمَّن ـ على الأقلِّ ـ خمس تُهم مُحقَّقة وثابتة[2].

كُلُّ ما قام ضدَّ جُوزيف في المحاكم حَدَثَ في الوقت الذي أصبح له فيه تابعون قادرون على إخراجه في كُلِّ مرَّة بكَفَالَة؛ إذْ أصبحت كنيسته ـ كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر ـ ذات هيئة قويَّة وقادرة.

---

(1) المصدر السّابق : ص 336 ـ 337.

(2) المصدر السّابق: ص 38 ـ 39.

وما الذي كان يقوله جُوزيف سميث لأتباعه ليُدافع عمَّا يُقام ضِدَّه من دعاوى؟ كان يُردِّد الآية التي تقول « طُوبى لكم إذا اضطهدوكم »، ويكتبْ قائلاً:

« كُلُّ هذه التُّهم والدّعاوى التي قامت ضِدّي كانت من الشّيطان. تعالوا أيُّها المُتجنُّون، أيُّها الذين يُقسمون بالباطل. لتفتح الجحيم فاها، ولتلفظ الجبال حممها المُستعرة، وتلتهمكم؛ لأنَّني سأظلُّ عالياً غالباً في النّهاية، فلا يزال أمامي الكثير لأفعله أكثر من أيِّ رجل آخر. إنَّني الوحيد مُنذُ آدم الذي استطاع أنْ يُخرج الكَنيسة من ضياعها، ويُقيمها. لقد وقفت الأغلبيَّة معي في عملي، هذا لم يحدث مع بُولُس، ولا يُوحنَّا، ولا بُطرُس، ولا يسُوع. فبينما الذين تبعوا يسُوع هربوا وتفرَّقوا في محنته نرى قدِّيسي اليوم الآخر (كنيسته) وقفت معي، ولم تتخلَّ عنِّي »[1].

كتاب المُورمُون المُقدَّس:

رغم أنَّ المُورمُون يقولون عن أنفسهم إنَّهم الأتباع الحقيقيُّون للمسيح إلاَّ أنَّ المُفاجئ أنَّ الكتاب المُقدَّس الأساسي للمُورمُون ليس هُو "الكتاب المُقدَّس" (أيْ الـ **Bible**) المسيحي المعروف، بل هُو كتاب آخر اسمه "كتاب مُورمُون" **Mormon Book**. أمَّا "الكتاب المُقدَّس" المسيحي - أيْ العهد الجديد والعهد القديم -؛ فهُو عند المُورمُون كتابٌ ثانويٌّ تأتي مرتبته بعد "كتاب مُورمُون". وعلَّة ذلك أنَّ المُورمُون يعتبرون "الكتاب المُقدَّس" المسيحي ناقصاً ومُحرَّفاً، فلم يعد بالإمكان الاعتماد عليه، بعكس "كتاب مُورمُون" الكامل الذي حُفظ من التّحريف والذي يُمثِّل رسالة المسيح الحقيقيَّة. ومع ذلك؛ فإنَّ الذي يقرع البابَ من شباب المُورمُون تجده مُتأبِّطاً كتابَيْن: العهدَ الجديد و« كتاب مُورمُون »، فإنْ كان المدعوُّ مسيحيّاً فإنَّ الدّاعي المُورمُوني يفتح له أوَّلاً كتاب العهد الجديد، ليترك فيه الانطباع بأنَّه مسيحيّ مثله، ويُحدِّثه عن الخلاص بالمسيح، ويُؤجِّل أمر كتابه الثّاني والأهمّ للقاء آخر عندما يكون خاض معه في بعض العُمق.

---

(1) كتاب "History of the Church" لجُوزيف سميث، ج6، ص 408 - 409.

واليوم يُوجد « كتاب مُورمُون » في **50** لُغة عالميَّة أصبح من بينها اللُّغة العربيَّة أيضاً. كما يُوجد في المكتبات مُلخَّص للكتاب بـ **48** لُغة[1].

نقرأ في افتتاحيَّة « كتاب مُورمُون »، في طبعته العربيَّة، المُقدِّمة التّالية التي كَتَبَهَا « مُورمُون بلُغته على ألواح أُخذت من ألواح نافي »:

« هذا مُختصر لسجلاَّت قوم نافي، وكذلك اللاَّمانيِّيْن - وقد كُتب للاَّمانيِّيْن؛ وهُم بقيَّة بيت إسرائيل، كما كُتب لليهُود والأُمم - بالأمر، وأيضاً؛ برُوح النُّبُوَّة والرُّؤيا، لقد كُتب، وخُتم، وأُخفي للرَّبِّ حتَّى لا يُدمَّر - حتَّى ينتشر تفسيره بواسطة هبة الله وقُوَّته -، ولقد خَتَمَتْهُ يد مُورُوني، وأُخفي للرَّبِّ؛ لكي يظهر في الوقت المُناسب عن طريق الأُمم بهبة الله »[2].

« كما أُخذ مُختصر من سفْر أثير الذي هُو سجلّ قوم يارد الذين تشتَّتوا في الوقت الذي بلبل فيه الرَّبُّ لُغة القوم عندما كانوا يُشيدون بُرجاً لكي يصلوا إلى السّماء. وجاء هذا لكي يُري لبقيَّة بيت إسرائيل الأُمُورَ العظيمةَ التي فَعَلَهَا الرَّبُّ لآبائهم، ولكي يعرفوا عُهُود الرَّبِّ بأنَّهم ليسوا منبوذين إلى الأبد، وكذلك لإقناع اليهُود والأُمم بأنْ يسُوع هُو المسيح الإله الأزلي مُظهراً ذاته لجميع الأُمم. والآن؛ إنْ وُجدت بعض الأخطاء فهي أخطاء البشر، ولهذا السّبب لا تدينوا أُمُور الله، تُوجدوا بلا لوم أمام كُرسي حُكْم المسيح »، ترجمه إلى الإنجليزيَّة: جُوزيف سميث.

يتضمَّن « كتاب مُورمُون » إذنْ، كما هُو مبيَّن بالمُقدِّمة:

- مُختصر تاريخ قوم نافي.
- ومُختصر تاريخ قوم اللاَّمانيِّيْن، بقيَّة بيت إسرائيل.
- ومُختصر تاريخ قوم يارد الذين تشتَّتوا وقت تشييد بُرج بابل.
- وإنَّ الذي ترجم هذه المُختصرات إلى الإنكليزيَّة هُو جُوزيف سميث.

---

(1) كتاب **Ensign** فبراير 1996، صفحة 75.

(2) كتاب مُورمُون، يوتا، 1985.

وينقسم « كتاب مُورمُون » إلى خمسة عشر سفْراً، يُعرَفُ كُلُّ سفْر منها باسم مؤلِّفه.

الجُزء الأوَّل والأطول من كتاب مُورمُون، من سفْر 1 إلى سفْر 7، عبارة عن اختصار النّبي مُورمُون لصفائح نافي، أمَّا الجُزء الأخير، أيْ من سفْر 8 إلى نهاية الكتاب؛ نقَشه مُورُوني ابن مُورمُون. فبعد أنْ أكْمَلَ سجلَّ حياة أبيه، أضاف إليه بعض الكلمات تحت عُنوان « سفْر مُورُوني » آخر الأسفار الخمسة عشَرَ.

وفي 421 م، خَتَمَ مُورُوني - وهُو آخر قوم النّافيِّيْن - السِّجلَّ المُقدّس، وخبَّأه للرَّبِّ ليظهر مرَّة ثانية في الأيَّام الأخيرة. ففي سنة 1823م، زار مُورُوني نفسه الفتى جُوزيف سميث، وبعدئذ؛ سلَّم إليه الصّفائحَ.

وهُنا؛ ينطرح السُّؤال الطّبيعي: مَنْ هُم قوم نافي هؤلاء؟ وهل لهم وُجُود في التّاريخ؟ أيّ تاريخ؟ ومَنْ هُم هؤلاء اللاَّمانيُّون بقيَّة بيت إسرائيل؟! ما الذي جاء بهم إلى الأمريكيَّتَيْن؟! ومتىَ؟! ومَنْ هُم قوم يارد، هؤلاء الذين تشتَّتوا وقت تشييد بُرج بابل؟! كيف أفلتوا من قبضة نبوخذنصر، وأبحروا إلى ما هُو أبعد من خيال كُولُومبُوس الذي اكتشف الأمريكيَّتَيْن؟

فماذا يقول « أهل المُورمُون » في الإجابة عن هذه الأسئلة؟

يقولون: إنَّ أخوَيْن يهُوديَّيْن أبحرا بأمر من الله بعائلتهما في قارب بسيط من أُورشليم، حتَّى وصلا إلى شواطئ أمريكا الجنوبيَّة نحو عام 590 قبل الميلاد.

وخرج عن الأخوَيْن شعبان عظيمان، أحدهما عميق اللّون؛ وهؤلاء هُم اللاَّمانيُّون، أصل الهُنُود الحُمر! هؤلاء بقوا على قَيْد الحياة، أمَّا نسل نافي؛ فهُم أفتح لوناً، وهؤلاء النَّافيُّون، هؤلاء اندثروا مع الزّمن، وكان آخرهم النّبي والمُؤرِّخ مُورمُون الذي أرَّخ لهذه الشُّعُوب، ونَقَشَ سجلاَّته بالهيرُوغليفيَّة على ألواح ذهبيَّة، ودَفَنَهَا بالأرض مطمورة في تلال كوموره بالقُرب من مدينة نيُو يُورك عام 451 م، حتَّى جاء « ملء الزّمان »، وأخرجها من

باطن الأرض الشَّابُّ جُوزيف سميث عام 1827[1]، بتوجيه من الملاك مُورُوني الذي ظَهَرَ لـه كما أوضحنا سابقاً.

ولا شكَّ أنَّ السُّؤال المُلحَّ الذي يأتي لذهـن كُـلِّ إنسـان هُـو : هـل هـذه القصَّـة حقيقيَّـة فعلاً؟ هل حقّاً أرسل اللهُ يهُوداً من أُورشليم للأمريكيَّتَيْن نحو سـتَّة قُـرُون قبـل الميـلاد؟ ومـن أين لُمورمُون النّافاوي أنْ يعرف الهيرُوغليفيَّة المصريَّة ليكتـب بـها تأريخاتـه في القـرن الخـامس بعد الميلاد، وأسرارها لـم تُكتشَـف إلاَّ في القـرن التّاسـع عشـر؟ ثُـمَّ أيـن هـي الألـواح المُذهَّبـة لنتحقَّق ممَّا ادَّعاه جُوزيف سميث، وخُبراء المصريَّات ـ الآن ـ يملؤون الشّرق والغرب؟

ويقول جُوزيف سميث إنَّه أعـاد تلـك الألـواح الذّهبيَّـة إلـى المـلاك مُورُونـي ابـن النّبـي مُورمُون، بعد أنْ أكمل ترجمتها إلى الإنجليزيَّة عام 1830. فيأتي السُّـؤال الطّبيعـي أنَّـه كيـف لم يرها أحد خـلال هـذه الأعـوام الثّلاثـة التـي اسـتغرقَتْهَا التّرجمـة ليشـهد بصحَّـة مـا يدَّعيـه جُوزيف سميث؟

بالطّبع؛ هُنالك مَـنْ رآهـا، هكـذا يُجيبـك المُبشِّـرون المُورمُـون. تجـد بعـد المُقدِّمـة التـي بصَدْر «كتاب مُورمُون» ما نصُّه[2]:

شهادة ثلاثة شُهُود!

«ليكن معلوماً عند جميع الأُمم والأقوام والألسـنة والشُّعُوب الذيـن سيتسـلَّمون هـذا السِّجلَّ، أنَّنا بنعمة الأب وربِّنا يسُوع المسيح قد رأينا الصّفائح التي تحتـوي علـى هـذا السِّـجلِّ الذي هُو عبارة عن سجلِّ قوم نافي، وأيضاً إخوتهم اللاَّمانيِّين، وقوم يارد الذيـن جـاؤوا مـن البُرج الذي سبق التَّحدُّث عنه. كما أنَّنا نعلم ـ أيضاً ـ أنَّ هذه الصّفائح قد تُرجمت بموهبـة الله وقُوَّته؛ لأنَّ صوته قد أعلنها لنا، لذلك فنحنُ نعلم ـ بالتّأكيد ـ أنَّ هذا السِّجلَّ صحيـح. كمـا نشهد بأنَّنا قد رأينا النُّقُوش المحفورة على الصّفائح، وأنَّ قُوَّة الله لا إنسان قد أرَتْنَا إيَّاها.

---

(1) كتاب "The Bible, the Christian and latter Day Saints" تأليف: Gordon Lewis، 1966، ص12.

(2) كتاب مُورمُون، يوتا، 1985.

« كما نُعلن ـ بكلمات مُتّزنة ـ أنّ ملاكاً من قبَل الله نزل من السّماء، وأحضرها، ووَضَعَهَا أمام أعيننا، فشاهدنا ورأينا الصّفائح والنُّقُوش المحفورة عليها، ونعلم أنَّنا بنعمة الله الأب وربِّنا يسُوع المسيح قد شاهدنا هذه الأُمُور، وشهدنا لصحَّتها، فإنَّها عجيبة في أعيننا.

« ومع ذلك؛ لقد أَمَرَنَا صوتُ الرَّبِّ، نشهد لذلك، من أجل ذلك؛ ولكي نُطيع وصايا الله، فإنَّنا نشهد لهذه الأُمُور. ونحنُ نعلم أنَّنا إنْ كُنَّا مُؤمنين بالمسيح فسوف تُنقَّى إرادتنا من دم جميع البشر، وسوف نُوجد بلا لوم أمام كُرسي حُكْم المسيح، وأنَّنا سنكون معه في السّماوات إلى الأبد.

« المجد للأب والابن والرُّوح القُدُس الإله الواحد. آمين ».

توقيعات: أُوليفر كاودري
دافيد وايتمر
مارتن هارس

نقرأ هذه الشّهادة في أوَّل كُلِّ نُسخة من ملايين نُسخ « كتاب مُورمُون »، لكنَّها ـ في الواقع، وعند التّحقيق ـ نجدها شهادة غير قائمة على أساس.

فهؤلاء الثّلاثة، الذين هُم أصدقاء لجُوزيف سميث ـ وقد صدَّقوا دعوته، والتصق بقصتهم أنَّهم رأوا بأعينهم لوائح الذّهب في وُجُود ملاك من الملائكة ـ هؤلاء تركوا مُعتقدهم والكَنيسة التي أسَّسها صديقهم جُوزيف ـ كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر ـ بشهادة مُؤرِّخي المُورمُون أنفسهم[1].

أُوليفر كاودري الذي تقول عنه الكَنيسة المُورمُونيَّة الآن إنَّه أحد « القدِّيسين » الأوائل، يُظْهر لنا التّاريخ أنَّه في مواقف عدَّة ضعف إيمانه بسيِّده جُوزيف؛ حيثُ يُسجِّل المُؤرِّخ المُورمُوني إيفان باريت لنا كيف أنَّ الكَنيسة قَطَعَتْهُ من عُضويَّتها عام 1838، بسبب مُحاولته إلقاء العَيْب في ذات نبيِّهم جُوزيف، وبسبب بَيْعه لأرض يمتلكها، رغم مُمانعة النّبي جُوزيف

---

(1) كتاب: "Joseph Smith and the restoration" تأليف: Ivan Barret، 1973، ص 370.

المُستندة إلى تنزيل سماويٍّ خاصٍّ، بالإضافة إلى إلحاق العار بالكَنيسة بسبب نشاطه غير الأمين في أعماله التّجاريَّة.

ودافيد وايتمر اتَّهمه مجلس الكَنيسة - أيضاً - بالإساءة إلى سُمعة جُوزيف، وتهاونه في القيام بواجباته كأحد المُتقدِّمين في الكَنيسة، وبسبب عدم طاعته «لكلمة الحكمة» التي صارت لجُوزيف بالوحي السّماوي بخُصُوص تحريم التّدخين والمُسكرات والمشروبات السّاخنة.

أمَّا مارتن هاريس؛ فالتّاريخ يُظهره رجلاً غريب الأطوار؛ إذْ ادَّعى أنَّه رأى يسُوع في صُورة غزال، وأنَّه حادثه. وفي مرَّة أُخرى؛ رأى الشّيطان في صُورة جحش «بشعر قصير ناعم كما لفَأرٍ». ورغم أنَّ هاريس قد أقسم أنَّه رأى لوائح الذّهب بعينَيْه، إلاَّ أنَّه في مُواجهة مع آخرين تراجع، وقال إنَّه رآها - فقط - «بعيني الإيمان»[1].

إذنْ؛ ما هُو أصل هذا الكتاب؟ من أين استقى مُؤلِّفه مادَّته؟ هل هُو حقّاً مُوحىً به من الله إلى «نبيِّه» المزعوم مُورمُون؟ ولماذا بالهيرُوغليفيَّة ليكتب بها مُورمُون، وهُو لم يكن مصريّاً؟

كيف يُمكن أنَّه لم يجتمع مُؤرِّخو الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة بكُلِّ عظمتها - وهُم بمئات الجامعات - ليحكموا في هذا الأمر مرَّة واحدة وإلى الأبد: هل كان هذا التّاريخ على حقٍّ، أو على باطل؟

في الواقع؛ لقد اجتمعوا... وكانت حصيلة بحثهم والنّتيجة التي توصَّلوا إليها أنَّ «كتاب مُورمُون» من الوُجهة التّاريخيَّة والأثريَّة والكتابيَّة... تحريف في تحريف... فكتاب مُورمُون على حُسْن إخراجه يُهيِّئ آلاف الفُرص لمُهاجمته، كتاب لا يسنده أيُّ دَعْم تاريخي؛ إذْ يفترض تغطيته لحضارتَيْن عظيمتين مرَّتا بالأمريكيَّتَيْن بين عام 600 قبل الميلاد وعام 421 بعد الميلاد، نحو ألف سنة، وهي فترة تسبق وُصُول الرّجل الأبيض للقارَّتَيْن بنحو 1000 سنة أُخرى!

---

(1) كتاب "No Man Knows my History" تأليف: Brian Harrison ص 19.

إنَّ كتاب مُورمُون كان محلَّ دراسة مُنذُ ظُهُوره عام 1830 . ومضى أكثر من قرن ونصف ، وحتَّى الآن يقوم بهذه الدّراسة المُؤمنون به ، والنّاقدون لدعواه على السّواء . نذكر من بين هؤلاء العُلماء الأمريكيِّيْن واين كودري ، وهوارد دافيز ، ودُونالد سكال ، الذين اهتمّوا بأمره حول عام 1975 ، هؤلاء توصَّلوا إلى حقائق جديدة دامغة كان نَشْرها صدمة قويَّة لأهل المُورمُون .

لقد اكتشف الثّلاثة أنَّ أقارب القسِّ سُلَيْمَان سبولدنج المُتوفَّى عام 1816 ، قد احتجّوا - بشدَّة - على قدِّيسي اليوم الآخر ؛ لأنَّ كتابهم المُقدَّس « كتاب مُورمُون » هُو - في الواقع - مسروق عن رواية اسمها « مخطوط وُجِدَ » للقسِّ سُلَيْمَان سبولدنج الرّاحل ، الذي مات وَتَرَكَهَا مخطوطاً بين يدَيْ معارفه ، ولأنَّ المخطوط لم يُنشَر في كتاب ، فعند مُواجهة مُورمُون - اليوم - بهذه الاكتشافات الجديدة يُنكرون أنَّ رواية بهذا الاسم كان لها يوماً أيُّ وُجُود !

لكنَّ كاودري ودافيد وسكاليس استطاعوا - ببحثهم الدّائب - أنْ يربطوا بين سلسلة من الأحداث ، ويخرجوا بالنّتيجة المُؤكّدة أنَّ جُوزيف سميث كانت له بالفعْل علاقة بالقسِّ سبولدنج ؛ إذْ بينما كانوا يُقلِّبون في العام 1976 ، بعض ملفّات المُورمُون القديمة في مكتبات كَنيسة لهم ، وَقَعَ في أيديهم أوراق قديمة من « كتاب مُورمُون » مخطوطة باليد دُون أنْ تحمل اسم كاتبها .

لكنَّهم بمُقابلة هذا الخطِّ بخطِّ عيِّنة خطِّيَّة بيد سبولدنج مُتواجدة بكُلِّيَّة أُوبرلين بأُوهايو - رأوا حُجَّة عقاريَّة منسوبة له كَتَبَهَا في عام 1811 ، وتحمل توقيعه - فكانت المُفاجأة . . . . إنَّ كاتب هذه الأوراق من « كتاب مُورمُون » هُو القسُّ سبولدنج ، وإنَّ النّظريَّة القائلة بأنَّ جُوزيف سميث استخدم رواية « مخطوط وُجِدَ » في كتابة أجزاء بأكملها من كتاب « مُورمُون » ليست بالنّظريَّة المرفوضة .

وكانت ثمرة جُهُودهم كتاب ظَهَرَ لهم بعنُوان « مَنْ هُو حقّاً الذي كَتَبَ مُورمُون »؟ وكان لهذا الكتاب وَقْعُ انفجار قُنبلة وسط كَنيسة « قدِّيسي اليوم الآخر ». وَنَشَرَتْهُ دار فيجن هاوس في عام 1977[1].

بالطَّبع ؛ خَرَجَ شُيُوخ المُورمُون بإعلان يستنكر ما جاء بالكتاب ، وبقرار يمنع كاودري ومَنْ معه من دسِّ أُنُوفهم مرَّة أُخرى في تُراث المُورمُون الذي يُقلِّبون أوراقه .

ولخُطُورة الاكتشاف ، فإنَّ خبيرَيْن من خُبراء كتابة اليد بالولايات المُتَّحدة ، ويليام كاي وهنري سيلفر ، أصدرا شهادة رسميَّة يُؤكِّدان فيها التّطابق بين خطِّ اليد لصفحات « كتاب مُورمُون » المُكتشَفَة مع خطِّ سبولدنج صاحب كتاب « مخطوط وُجدَ »!

واهتمَّت الحُكُومة الأمريكيَّة بالأمر ؛ إذْ يهمُّها أنْ تعرف تاريخ هاتَيْن القارَّتَيْن العظيمَتَيْن قبل أنْ يصل إلى شواطئهما الرّجل الأبيض. لذلك شُكِّلت لجنة مُستقلَّة صادرة من المكتب الأمريكي بواشنطن لفَحْص ما جاء بكتاب مُورمُون من دعوى تاريخيَّة .

وبعد أنْ استكملت اللّجنة فُحُوصَهَا خَرَجَتْ ببيان يقول : « إنَّ أثريِّي المكتب لم يتوصَّلوا إلى أيِّ رابطة تربط بين آثار العالَم الجديد (أمريكا) وما جاء بكتاب مُورمُون من تواريخ » ، وأضاف البيان أيضاً وهُو الذي شارك فيه عُلماء الأنثرُوبُولُوجيا :

« بينما الأجناس الخارجة من أصلاب يهُوديَّة بفلسطين ، سماتها قُوقازيَّة بحر أبيضيَّة ، فإنَّ السّمات الخاصَّة بهُنُود أمريكا الحُمر قريبة جداً من أنْ تكون مُونغُوليَّة »[2].

وإنَّ « النّظريَّة التي لا زالت مقبولة لدى عُلماء التّاريخ الأمريكيِّين عن الأورميِّين الأمريكيِّين (الهُنُود الحُمر) لا تزال تُؤكِّد أنَّ هؤلاء الأروميِّين وصلوا إلى العالم الجديد على جسر يابس ، يُعتقد أنَّه كان موجوداً عند مضايق بيرنج خلال العصر الثّلجي مُنذُ 30 . 000 سنة » .

---

(1) كتاب : "Who are the Mormons?" ؛ أيْ من هُم المُورمُون؟ تأليف : Brian Harrison ، ص 19 .

(2) كتاب "The Bible, the Christian and latter Day Saints" ، تأليف : Gordon Lewis ، 1966 ، ص29 .

الهُنُود الحُمر - إذنْ - ليسوا من أصل عبراني كما تخيَّل الفتى جُوزيف سميث. وتواجدهم بأمريكا كان قبل العالم الذي اختلقه جُوزيف سميث على لسان مُورمُون الوهمي بآلاف السّنين، والحفائر التي قام بها عُلماء الولايات المُتَّحدة في جنوب المكسيك وأمريكا الوُسطى أكَّدت - بوُضُوح - أنَّ الحضارات القديمة بهذه الأرض ابتدأت من الصّفر، وهي حضارات غير مُستورَدَة، بدأت ببدايات بدائيَّة جداً، ولم تنتقل من حضارات عظيمة كحضارة أهل أُورشليم؛ إذْ من المعروف أنَّ "نبوخذنصر" دمَّر أُورشليم الجميلة في عام 586 قبل الميلاد، وسبى أهلها، مئة سنة قبل أنْ يبدأ مُورمُون تواريخه الذّهبيَّة.

أمَّا عن قصَّة ترجمة النُّقُوش التي باللّوائح إلى الإنجليزيَّة؛ فهي قصَّة أغرب من الخيال!

يقول جُوزيف سميث إنَّه ترجم هذه النُّقُوش الهيرُوغليفيَّة القديمة إلى الإنجليزيَّة بمعونة حجرَيْ اليُوريم والثُّوميم اللّذَيْن تركهما له مُورُوني لهذا الغرض. والإشكال الواضح في القضيَّة هُو أنَّه كيف ترجم "جُوزيف سميث" النُّقُوش مع أنَّه لم يكن يُترجم! بل كان يُملي، وآخر يكتب.

يقول دافيد وايتمر - أحد الشُّهُود الثّلاثة - الذي ببيته تمَّت مُعظم هذه التّرجمة المزعومة، في عظة ألقاها بالكَنيسة مُتوجِّهاً بها إلى «كُلِّ المُؤمنين بالمسيح»: «سأقصُّ عليكم - الآن - كيف تُرْجمَ كتاب مُورمُون. كان جُوزيف يضع الحجر العرَّاف في قُبَّعته، ثُمَّ يضع وجهه في القُبَّعة كابساً لها حتَّى يمنع الضّوء، وفي الظّلام تظهر أمام عينَيْه قُصاصة عليها نُقُوش مُضاءة بنُور رُوحاني، النُّقُوش تظهر حرفاً حرفاً، وتحت كُلِّ حرف ترجمته إلى الإنجليزيَّة، الأخ جُوزيف يقرأ ما هُو مكتوب لأُوليفر كاودري (أحد الثّلاثة) الذي كان ينسخ ما يُمليه جُوزيف حرفاً بحرف.

«وفي كُلِّ مرَّة يضع كاودري ما يسمعه على الورق، كان يُريه لجُوزيف سميث الذي كان يتأكَّد بنفسه أنَّها مُطابقة لما يراه في القُبَّعة، بعد ذلك يختفي الحرف، ليظهر حرف آخر. على هذا؛ فكتاب مُورمُون قد تمَّت ترجمته بقُوَّة ومعونة الله، وليس بقُوَّة إنسان»[1].

---

(1) كتاب "The Book Of Mormon Examined"؛ (أيْ كتاب مُورمُون تحت مجهر الفَحْص)، تأليف "Arthur Budvason"، نَشْر The Utah Christian Tract Society، 1959، ص 11.

ولأنَّ « كتاب مُورمُون » نُقل إلى الإنجليزيَّة حرفاً بحرف ، فلجُوزيف أنْ يدَّعي أنَّ كتابه المُقدَّس هُو أصحُّ كتاب على الأرض .

يقول جُوزيف : « لقد قُلتُ للإخوة إنَّ كتاب مُورمُون هُو أصحُّ من أيٍّ كتاب على الأرض ، وإنَّه حجر تماسك ديانتا ، وإنَّ الإنسان يقترب من الله على قَدْر التَّمسُّك بما جاء به أكثر من أيِّ كتاب آخر » .

والعجيب أنَّ هذا « الأصحَّ » تعرَّض - بعد طبعته الأُولى - لتغيُّرات وصلت إلى 2.800 تغيير في الكتاب كُلِّه ، منها 500 تغيير في الـ 25 صفحة الأُولى منه[1] ، ثُمَّ كيف نُفسِّر سَطْوَهُ على أجزاء كاملة من الكتاب المُقدَّس « طبعة كينج جيمس » ، وقد ظهرت أوَّل ما ظهرت عام 1611م ، وإنْ كان ما يدَّعيه جُوزيف أنَّ « كتاب مُورمُون » قد خَتَمَهُ مُورُوني عام 420 بعد الميلاد ، وَدَفَنَهُ بالأرض ، فكيف يُمكن تفسير وُجُود نحو 27000 كلمة من ترجمة « كنج جميس » ؟[2] .

ثُمَّ كيف لا يزال أساقفة كَنيسة قدِّيسي اليوم الآخر يُردِّدون ادِّعاء جُوزيف سميث بأنَّه أصحُّ كتابٍ ظهر ، وهُم يعرفون ضياع 116 صفحة منه بينما كان جُوزيف لا يزال مشغولاً بصياغته ؟ !

المُؤرِّخ المُورمُوني المُعاصر باريت يقول إنَّ الـ 116 صفحة الأُولى من مخطوط الكتاب ، وقد دوَّنها مارتن هاريس بخطِّه - وهُو أحد الشُّهُود الثّلاثة - بإملاء جُوزيف سميث ، فُقِدت من هاويس بعد أنْ أخذها إلى منزله ليُريها لزوجته المُتشكِّكة .

والمُؤرِّخ باريت يتَّهم مسز هاريس بتبديد المخطوط ، ربَّما فَقَدَتْهُ بغير قَصْد ، وربَّما أَحْرَقَتْهُ بقَصْد ، مَنْ يعرف ؟ !

---

(1) كتاب "Has Mormonism Changed" ، تأليف جُون سميث ، 1961 ، ص 34 .

(2) كتاب "The Book Of Mormon Examined" ، (أيْ كتاب مُورمُون تحت مجهر الفَحْص) ، تأليف "Arthur Budvason" ، المذكور سابقاً ، ص 22 .

وكان على هاريس أنْ يعود إلى جُوزيف ليُخبِره بما حَدَثَ، فغضب جُوزيف غضباً شديداً[1]. ولِمَ الغضب؟! أليس بين يدَيْه اللّوائح الذّهبيَّة؟! وفي قُبَّعته يُخفي الحجرَيْن المُعجزتَيْن؟ كيف لم يهتمّ بترجمة ما فَقَدَ، والكلام الذي ينقله على قَدْر عظيم، فهُو كَشْفُ الله ذاتَه له؟ وبدلاً من أنْ يبدأ جُوزيف في ترجمة ما فَقَدَ، بدأ في إملاء صفحات جديدة. هذا أسهل. فالواقع يقول إنَّ الصّفحات الـ **116** المفقودة لم يكن لها أيَّة أُصُول.

وما عُذره في ذلك؟

يقول "أهل المُورمُون" إنَّ الوحي الإلهي أمره أنْ لا يُعيد ترجمة ما فَقَدَ؛ لأنَّ الشّيطان قد أوحى إلى مَنْ سرقوها أنْ يُحرِّفوها. فحتَّى لو أعاد العمل وترجم الـ **116** صفحة المفقودة «كما حفظها الله» فاللُّصُوص سينشرون المُحرَّف على الملأ، وستحدث بَلْبَلَة!

لكنْ؛ لحُسْن حظّ القدِّيسين، أبان اللهُ أنَّ الخسارة ليست فادحة، فالمفقود - هكذا قال له الرَّبُّ - لم يكن أكثر من مُلخَّص كَتَبَهُ المُؤرِّخ النّبي مُورمُون في فصل كبير كان قد كَتَبَهُ نافي من قبله!

وليس ما يدعو للقلق، فاللّوائح الذّهبيَّة تحتوي الفصل الذي كَتَبَهُ نافي كاملاً، ولا داعي لكتابة مُلخَّص مُورمُون المفقود.

هكذا يكتب لنا المُؤرِّخ المُورمُوني المُعاصر باريت. وهُناك كتاب مُقدَّس آخر لدى أهل المُورمُون، كتاب «لُؤلُؤة غالية الثّمن» كَتَبَهُ جُوزيف سميث، مُضمِّناً إيَّاه سيرته الذّاتيَّة. ويُوجد فصلٌ في هذا الكتاب يُدعى «كتاب إبراهيم». وهذه ترجمة أُخرى قام بها جُوزيف سميث عن برديَّات مصريَّة قديمة تجمَّعت عنده عام **1835**، ونَقَلَ مُحتوياتها إلى الإنجليزيَّة باستخدام حجرَيْه المُعجزتَيْن، ثُمَّ خرج إلى كنيسته مُؤكِّداً أنَّ ما جاء بالبرديَّات إنَّما هُو قصَّة إبراهيم أبي الآباء، كُتبَتْ مُنذُ أربعة آلاف سنة!

هذه البرديَّات اختفتْ؛ ليكتشفها أحد العُلماء في مُتحف المترُوبُوليتان بنيُو يُورك عام **1967**، وبفَحْصها توصَّل - بلا أدنى شكٍّ - إلى أنَّها الأوراق التي كانت بحوزة جُوزيف سميث.

---

(1) كتاب: "Who are the Mormons?"؛ أيْ مَنْ هُم المُورمُون؟ تأليف: **Brian Harrison**، ص 17.

واستقبل اكتشافَها أعضاءُ كَنيسة القدِّيسين بحماس شديد، مُطمئنَّة قُلُوبهم إلى دينهم[1].

وَطَلَبَتْ كَنيسة المُورمُون من العُضو الوحيد المُؤهَّل لفَهْم المصريَّات البرُوفسُور دي جاي نيلسون، أنْ يُترجم ما جاء فيها إلى الإنجليزيَّة. وعندما أتمَّ البرُوفسُور نيلسون التّرجمة، آخذةً منه عدَّة سنين، عرض ترجمته على عدَّة أساتذة في الهيرُوغليفيَّة ليشهدوا بصحَّة ما جاء فيها.

وبسبب هذه البرديَّات بالذّات، ترك البرُوفسُور المُورمُونيَّة هُو وأُسرته إلى غير رجعة عام 1975، وكان ارتداده ضربة مُوجعة قاسية لشُيُوخ المُورمُون. فالذي وَجَدَهُ البرُوفسُور ـ على غير ما ادَّعى جُوزيف سميث من أنَّه كتاب إبراهيم ـ لم يكن سوى نصٍّ صلوات جنائزيَّة مصريَّة تاريخها يقع بين عام 200 قبل الميلاد؛ أيْ 1500سنة بعد عصر أبينا إبراهيم. وإنَّ مُحتوى البرديَّة لا يمتُّ بصلة إلى التّرجمة التي ادَّعاها جُوزيف سميث، وَنَشَرَهَا على أنَّها «كلمة الله»، وضمَّنها كتابه «لُؤلُؤة غالية الثّمن»[2].

مُنذُ ذلك الوقت وقادة المُورمُون يُغطُّون الحدث المأجور، ويلتزمون الهُدُوء، مُنتظرين اليوم الذي قد تحدث فيه مُعجزة ما في هذا الموضوع تستطيل بها رقابهم من جديد.

أهمُّ عقائد المُورمُون وتعاليمهم الخاصَّة:

1 ـ عقيدة المُورمُون في الله:

للمُورمُون عقيدة غريبة عن الله تعالى، لا تُشبه تعاليم الأديان السّماويَّة في شيء، ففي حين تتَّفق جميع الأديان السّماويَّة على أنَّ الله أزليٌّ أبديٌّ سرمديٌّ كان ولا يزال وهُو باق أبد الدُّهُور بلا نهاية، قدُّوساً كاملاً مُطلقاً كُلِّيَّ العلم والقُدرة، خالقَ الزّمان والمكان، ومُبدعَ كُلِّ

---

(1) المصدر السّابق: ص 20.

(2) كتاب "The Changing World of Normonism"؛ (أيْ عالم المُورمُون المُتغيِّر) تأليف: Tanner and Tanner، الصّفحات: 329 ـ 363.

المخلوقات، وأنَّه ليس بجسم، ولا مادَّة، ولا سبيل لتصوُّر كُنْهه، ولا إدراك ذاته؛ لأنَّها فوق قُدرة وحُدُود العقل والفَهْم البشري، وأنَّه ليس هُناك أيُّ سنخيَّة بين الله والبشر وسائر المخلوقات، يرى المُورمُون أنَّ الله جسم ذُو لحم وعظم ودم مثلنا تماماً، وأنَّه لم يكن إلهاً مُنذُ البداية، لكنَّه سعى لخلاص نفسه، فصار إلهاً! كما أنَّنا نحنُ البشر أولاد الله الحقيقيُّون وَلَدَنا قبل الدُّهُور عندما تزوَّج من الإلهة الأُنثى!، ولذلك - فنحنُ أيضاً - يُمكننا - إذا سعينا إلى خلاصنا - أنْ نخلص ونرتقي ونصير آلهة أيضاً، مثلما صار الكثيرون قبلنا آلهة؛ لأنَّهم تمكَّنوا من خلاص أنفسهم والرُّقي بها.

يقول المُورمُوني "ماكونكي" «إنَّما اللهُ إنسانٌ قدُّوسٌ»[1] أمَّا جُوزيف سميث؛ فيُعلِّم أتباعه هكذا: «اللهُ نفسه، أبونا جميعاً، كان مرَّةً إنساناً مثلنا»[2] «اللهُ نفسه كان كما نحنُ الآن. لكنَّه الآن إنسانٌ ممجَّدٌ. هذا سرٌّ عظيم أقوله لكم. فإنْ أمكنكَ أنْ تراه اليوم، فلسوف تراه إنساناً وقد اكتمل. وسأقول لكم كيف صار الله إلهاً بعد أنْ تخيَّلنا وافترضنا قبلاً (يُخاطب مَنْ كانوا مسيحيِّين من قبلُ) أنَّ الله كان اللهُ مُنذُ الأزل. سأنقض لكم هذا الافتراض، وسأُزيل الحجابَ الذي يحجب بصائركم لتنظروا. لقد كان الله مرَّةً إنساناً مثلنا. والآن؛ عليكم أنْ تعرفوا الحياة الأبديَّة عندما تتعرَّفون إلى الإله الحقيقي، وعليكم - أيضاً - أنْ تعرفوا كيف تصيرون آلهةً أنتم أنفسكم»[3].

ويقول بريجام يانغ خليفة جُوزيف الأوَّل «لقد خلقكم الله، وخلقني لغاية واحدة، هُو أنْ نصير آلهة مثله، لقد خلقنا لنصير آلهةً كأبينا الذي في السَّموات، حينئذٍ؛ نستطيع أنْ نخلق عوالم على عوالم»[4].

---

(1) كتاب: "Doctrinal New Testament Commentary"؛ أيْ التَّفسير العقائدي للعهد الجديد، تأليف McConkie، ج2/ ص 78.

(2) كتاب "History of the Church"؛ أيْ تاريخ الكَنيسة، تأليف: جُوزيف سميث، ج 6، ص 305.

(3) كتاب "Teachings of the Prophet"؛ أيْ "تعاليم النَّبي"، تأليف: J.F. Smith، ص 345 - 346.

(4) كتاب "Life Everlasting"، تأليف Crowthner، ص 340.

وميلتون هنتر عُضو مجلس السّبعين الأوَّل يُعلِّم هكذا: «الله أبونا الأبـدي، كـان مـرَّةً إنساناً مثلنا، ثُمَّ أصبح إلـهاً. كيف؟ لقد كـان يـزداد خـبرةً مـع الوقـت، آخـذاً في النُّمُـوِّ حتَّى وَصَلَ إلى ما نعرفه عنه الآن من كمال الأُلُوهيَّة!»[1].

كمـا يعتقـد المُورمُـون أنَّ الله لـم يُوجـد الكائنـات مـن العـدم، إنَّمـا قـام بتنظيـم الكـون الموجود أزلاً، وَسَيَّرَهُ، وَهَنْدَسَهُ، وَصَنَعَ مخلوقاته.

كمـا أنَّ تفسـير المُورمُـون للتّثليـث المسيحي تفسـير وَثَني محـض، فالمسيحيُّون قاطبـة يقولون إنَّ الله واحد في أقانيم (أيْ شخصيَّات) ثلاثة، ويقرؤون «باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس إلـهاً واحداً، آمين»، ومع أنَّ الجمع بين الواحد والثّلاثة أمر مُحـال في حُكْـم العقـل، إلاَّ أنَّ المسيحيِّيْن يقبلونه هكذا، ويُصرُّون على أنَّـهم يعبـدون إلـهاً واحـداً في جوهـره وذاتـه، ويُشبِّهون الأقانيم الثّلاثة بالصِّفات أو القوَى الثّلاثـة للـذّات الواحـدة، أمَّـا المُورمُـون؛ فليس عندهـم إلـه واحـد، بـل يعبـدون ثـلاث آلهـة مُنفصلـة بـالمعنى الحَرْفي للكلمـة: الأب والابـن والرُّوح القُدُس، كُلٌّ واحد إله مُسـتقلٌّ بذاتـه وبإرادتـه وكيانـه استقلالاً تامَّاً عـن الآخرَيْـن، وليس هذا فحسب، بل عندهم أكثر من ثلاثة آلهة، لأنَّهم يُؤمنون بآلهة كثيرة؛ إذْ كُلّ الذيـن ارتقوا وخلصوا صاروا آلهة!.

والآلهة عند المُورمُون نشطون جنسيَّاً؛ إذْ يقولون إنَّ "أبانا السّماوي" تـزوَّج علـى الأقـلِّ بإلهة أُنثى، ومنهما معاً وُلد مليارات الكائنات البشريَّة كأطفال رُوح، فنحنُ البشر، جميعـاً، كنَّـا أرواحاً في السّماء قبـل أنْ ندخـل أجسـاماً علـى الأرض. كَتَبَتْ إيليزا - إحـدى أرامـل جُوزيف سميث - ترتيلة شهيرة ليُرتِّلها «القدِّيسون» الغيورون تقول: هل الآباء في السّموات عزبٌ؟ لا. فمُجرَّد التّفكير في ذلك جُنُـون. فـالحقُّ المنطقـي، الحـقُّ الأبـدي يقـول: «إنَّ لـي أُمَّاً هُناك».

---

(1) من مجلَّة الخُطب (أو المُحاضرات) Journal of Discourses، المُجلَّد 3، ص 93.

ويُلخِّص الجدول التّالي الفرْق بين التَّصورُّ المسيحي لله والتَّصورُّ المُورمُوني :

الله في التّصورُّ المسيحيّ	الله في تصورُّ المُورمُونيَّة
الله واحد مُثلَّث الأقانيم	الله ثلاثة آلهة مُنفصلة تماماً، وأحياناً أكثر من ثلاثة
الله رُوح مُطلق مُنزَّه عن الجسميَّة والأبعاد	الله من مادَّة (جسم ولحم وعظم مثْلنا تماماً)
لا بداية له، ولا نهاية له	الله له بداية، وله نهاية!
الله قدُّوس	يُمكن مُساءلته أخلاقيّاً!
خالق المادَّة من لا شيء	مُنظِّم للكون المادِّي لا أكثر!
حاشا لله أنْ يُمارس الجنس، فهُو رُوح	له قُدرة جنسيَّة!

2 ـ عقيدة المُورمُون في يسُوع المسيح:

عندما يتقدَّم المُورمُون الشّباب للنّاس بالمُورمُونيَّة تجد معهم دوماً العهد الجديد من الكتاب المُقدَّس. وهُم كشُهُود يَهْوَه يُؤكِّدون ـ وهُم لا يزالون على الأبواب ـ أنَّهم مسيحيُّون، وأنَّ لديهم يسُوع الكتابي... يسُوع الحقّ... ونقرأ في إحدى كتاباتهم: «المسيح هُو فادينا ومُخلِّصنا، ليس لنا فادٍ غيره، ولا مُخلِّص»[1].

لكنَّ المُقارنة الآتية تُبيِّن مدى اتِّساع الفجوة بين تفكير المُورمُون وتفكير المسيحيِّيْن عن السَّيِّد المسيح:

يسُوع كما يُؤمن به عامَّة المسيحيِّيْن	يسُوع كما يُؤمن به المُورمُون
إله غير مخلوق	مخلوق، وهُو أخو لُوسيفار الشّيطان!
ليس في حاجة إلى خلاص، فهُو المُخلِّص	نال خلاصه
وحيد في أقنومه	إله بين آلهة، وليس له أهمِّيَّة كبيرة
مولود بالرُّوح القُدُس من مريم	حُبلَ به بالاتِّصال الجنسي بين الله الأب ومريم العذراء!
لم يتزوَّج	تزوَّج بكثيرات

(1) كتاب "هل المُورمُون مسيحيُّون" لميشيل جبرائيل، ص 28، نقلاً عن كتاب "What the Mormon Think of Christ"، ص 25 ـ 26.

3 ـ عقيدة المُورمُون في الكتاب المُقدَّس (العهد القديم والجديد):

سبق ورأينا كيف أنَّ المُورمُون لا يعتمدون على الكتاب المُقدَّس المسيحي (العهد القديم والجديد)؛ أيْ الـ **Bible** كمصدر موثوق للوحي الإلهي المعصوم؛ لأنَّه يقولون إنَّه قد دخله التّحريف والتّغيير والنَّقْص، وإنَّه فيه الحقُّ والباطل، أمَّا الكتاب المُقدَّس الأصلي المعصوم والكامل والنّقي من كُلِّ تحريف؛ فهُو ـ في عقيدتهم ـ "كتاب مُورمُون" الذي جاء به جُوزيف سميث، والجدول التّالي يُلخِّص الفرْق بين المسيحيَّة والمُورمُون بشأن الاعتقاد بالكتاب المُقدَّس:

الكتاب المُقدَّس (Bible) في المسيحيَّة	الكتاب المُقدَّس المسيحي في المُورمُونيَّة
يُعتمَدُ عليه	لا يُعتمَدُ عليه
كامل، ولا يقبل أيَّة إضافات عليه	غير كامل؛ إذْ لا يزال يقبل إلهامات جديدة
لا يُمكن تفسيره بطُرُق غير كتابيَّة	يُمكن تفسيره بطُرُق غير كتابيَّة

4 ـ عقيدة المُورمُون في الخلاص والسّبيل إليه:

المُورمُون يُقدِّمون أنواعاً مُتعدِّدة من الخلاصات التي تُوصل الإنسان إلى أنواع من السّماوات.

فهُناك أوَّلاً الخلاصُ العامُّ، ويُسمِّيه المُورمُون «خلاص النّعمة»، وهُو عطيَّة لكُلِّ النّاس، من كُلِّ لون، وجنس، وكُلِّ دين، للصّالحين والمُلحدين والوَثَنيِّيْن والأشرار. والخلاص بالنّعمة يضمن القيامة من الموت للبشريَّة كُلِّها.

بخلاص النّعمة صار خُلُود الإنسان مُمكناً. لكنَّ خلاص النّعمة لا يُحدِّد لكُلِّ واحد مكانه في الأبديَّة، مجداً أو هواناً، فالذي يُحدِّد ذلك خلاص من نوع آخر، خلاص يُسمِّيه المُورمُون: الخلاصَ الخاصَّ.

الخلاصُ الخاصُّ هُو الذي يُحدِّد لكُلِّ واحد أيَّ سماء من سماوات ثلاث سيكون فيها، وهل تكون «الحياة الأبديَّة» من نصيبه أم لا، ويعنون بالحياة الأبديَّة «الأُلُوهيَّة».

وبينما الخلاصُ العامُّ - أي الخلاص بالنّعمة - موهـوب بالمجّان لكُلِّ النّـاس، فـالخلاص الخاصُّ يعتمد - كُلِّيَّة - على أعمال الإنسان الصّالحة.

وعندما يقول بُولُس الرّسول للمسيحيِّيْن إنَّ في المسيح «لنا الفداء بدمـه غُفـران الخطايـا حسب غنى نعمته التي أجزلها لنـا» فإنَّمـا يعنـي عندهـم قيامـه النّـاس مـن الأمـوات في اليـوم الأخير، فحسب.

وأدنى مملكة من هذه الممالك اسمها مملكة تلستال. إنَّه المكان المُعدُّ للأشرار، والذي فيه ستستقرُّ الغالبيَّة العُظمى من البشر. أمَّا الأردياء جداًّ؛ فسيعيشون مع الشّيطان في الجحيم التي يُسمّونها «الموت الثّاني».

والمملكة التي هي أعلى من ذلك اسمها تريستال. وهذا المكان هُـو مقرُّ غـير الصّـالحين من المُورمُون، والصّالحين من غير المُورمُون، وأيضاً الذين يقبلون المُورمُونيَّة بعد موتهم (كمـا سيأتي). والمملكة العُليا في المجد، قمَّة المجد، هي المملكة السّـماويَّة، وهـذه تُكْتَسَـب بالطّاعـة التَّامَّة لشريعة الإنجيل.

هذا؛ وممَّا اختصَّ بـه المُورمُـون أيضـاً في موضـوع الخـلاص أنَّـهم قـالوا بإمكانيَّـة تحقيـق الخلاص بعد الموت لمَنْ لم يُحقِّق الخلاص أثناء حياته، كما أجازوا تعميد الحي نيابة عن الميِّت الذي لم يَنَلْ فُرصة التّوبة والتّعميد؛ حيثُ قال "جُوزيف سميث" للقدِّيسين (أيْ للمُورمُون): «إنَّه بعد أنْ يموت الإنسان تذهب رُوحه إلى مكانٍ خاصٍّ مُنتظرةً الحُكْم والقيامة مـن المـوت. هُناك يُقدَّم الإنجيل بنفس الطّريقة التي يُقدَّم بها المُبشِّرون المُورمُون الإنجيلَ على الأرض. فـإنْ قبلوا الإنجيلَ في عالم الرُّوح لم ينقصهم سوى أنْ يعتمّدوا، وهُنا؛ يُمكن لقريب أو صديق له لا يـزال حيّاً على الأرض أنْ يعتمـد نيابـة عنـه علـى يـد أحـد كَهَنَـة المُورمُـون، علـى أنْ تتـمَّ المَعْمُوديَّة في الكَنيسة».

وقـال في موضـع آخـر «إنَّ القدِّيسـين ليسـوا - فقـط - مسؤولين عـن نَشْـر الإنجيـل بـين الأحياء، ولكنَّهم - أيضاً - مسؤولون عن مُساعدة الآباء الذين رحلوا في نوال الخلاص».

ويُلخِّص الجدول التالي أهمَّ الفُرُوق في عقيدة الخلاص بين المسيحيَّة والمُورمُونيَّة :

الخلاص في المسيحيَّة	الخلاص في المُورمُونيَّة
بنعمة الله ، وطاعة الإنسان للوصيَّة	بالأعمال فقط
لا خلاص بغير الفداء	لا يُؤمنون بفكْرة الفداء
ليس للإنسان خلاص بعد موته	خلاص الإنسان مُمكن بعد موته

ولعلَّه صار من الواضح - من مجموع الجداول المذكورة أعلاه - أنَّ المُورمُونيَّة نحْلَة بعيدةٌ عن المسيحيَّة المعروفة ، وإنْ انتسبتْ لها ، وأنَّ المُورمُونيَّة والمسيحيَّة في طريقَيْن مُتباعدَيْن لا يلتقيان .

فليس من العجب - بعد ذلك - أنْ نرى أنَّ كَنيسة المُورمُون تُعلِّم أتباعها أنَّ الكَنيسة المسيحيَّة التّقليديَّة ارتدَّت عن الإيمان بعد الرُّسُل (أيْ حواريِّي المسيح) مُباشرة ، ومُنذُ ذلك الوقت والكَنيسة « الضَّالَّة » تُعلِّم النّاس تعاليمَ مُضلَّة وفاسدة ، ولأنَّ مُعلِّمي الكَنيسة قد ضلّوا ويُضلُّون النّاس ، فالمسيحيَّة ديانة ملعونة ، وإنَّ جميع المسيحيِّيْن بكُلِّ الكنائس مخدوعون . لنقرأ ما يقوله شيُوخ المُورمُون في هذا الشّأن : كان بريجام يانغ يُعلِّم النّاس أنَّ : « المسيحيِّيْن غير مُؤمنين ؛ إذْ بينما يدَّعون أنَّهم يُؤمنون بالمسيح ، لا نرى واحداً بينهم عنده هذا الإيمان »[1] .

وجُوزيف سميث نبيّ المُورمُونيَّة ومُؤسِّسها يقول عن قُسُوس المسيحيَّة : « جميعهم كأبيهم الشّيطان » ، وهُم وجميع مَنْ يتبعونهم « بدُون استثناء ، سينالون نصيبهم مع الشّيطان وملائكته » ، ويُؤكِّد سميث أنَّ جميعهم « سيُلعَنُون معاً »[2] .

وجُون تايلور ، الرّئيس الثّالث لكَنيسة المُورمُون ، يُعلِّم أنَّ المسيحيَّة « حزمة كاملة من الهراء ، وأنَّها فاسدة فسادَ الجحيم ، وأنَّها من اختراع الشّيطان »[3] .

---

(1) المُورمُون هل هُم مسيحيُّون؟ لميشيل جبرائيل ، ص 55 .

(2) المصر السّابق : ص 55 ، أيضاً .

(3) المصدر السّابق : ص 56 .

5 ـ تعدُّد الزّوجات لدى المُورمُون:

تعتقد الكَنيسة المسيحيَّة التّقليديَّة (سواء الأورثوذكسيَّة أو الكَاثُولكيَّة) بأنَّ خُطَّة الله الأصليَّة أنْ يتَّحد رجل واحد بامرأة واحدة، على الرّغم من أنَّ الله كان قد سمح بتعدُّد الزّوجات لفترة ما في التّاريخ العبراني، لكنَّ هذا في نَظَرهم كان إجراءً مُؤقّتاً، ويقول المسيحيُّون إنَّ تعداد الذُّكُور كان مُنذُ بدء الخليقة مُساوياً لتعداد الإناث، والله لم يخلق لآدم أكثر من حوَّاء واحدة، وأنَّه حتَّى بعد الحُرُوب الكُبرى التي يختلُّ بسببها هذا التّوازن، سُرعان ما يعود هذا التّوازن لما كان عليه في غُضُون عدَّة سنوات قليلة.

وحتَّى «كتاب المُورمُون» نفسه يبدو أنَّه يُعارض مبدأ تعدُّد الزّوجات؛ إذْ نقرأ فيه: «وذلك أنَّ داود وسُلَيْمَان اتَّخذت زوجات وسراري كثيرات. فبُغضَ الأمر إليَّ، قال الرَّبُّ. فاسمعوا يا إخوتي، وأصغوا إلى كلمة الرَّبِّ: لا يَكُنْ لرجل منكم إلاَّ زوجة واحدة، وأمَّا عن اتِّخاذ السّراري؛ فلينته» (سفْر يعقوب، 2: 24، 27).

مع ذلك؛ صرَّح جُوزيف سميث بأنْ لا دليل كتابي على مَنْع تعدُّد الزّوجات، وطبَّق هذا عمليّاً، فاتَّخذ لنفسه عدَّة زوجات أُخريات غير زوجته "إمَّا"؛ ممَّا جَعَلَهَا تعيسة لتصرُّفات زوجها النّسائيَّة. ولإضفاء صفة المشروعيَّة على عمله هذا؛ أعلن جُوزيف تقبُّله لختم المُوافقة الإلهيَّة على الزّوجات في 12 تمُّوز 1843، في صُورة رُؤيا سماويَّة جديدة، أمره اللهُ فيها ومَنْ معه بأنْ يتَّخذوا لأنفسهم زوجات أُخريات: «... على أَمَتي "إمَّا سميث" أنْ تقبل جميع اللّواتي أُعطيهنَّ لعبدي جُوزيف الذي هُو فاضل وطاهر أمامي»[1].

وعلى هذا الأساس؛ اتَّخذ جُوزيف سميث وخليفته بريجام يانغ وكيمبال ـ فيما بعد ـ زوجات كثيرات، ومعهم كُلّ رجال المُورمُون.

وعندما تدخَّلت الحُكُومة الأمريكيَّة، وهدَّدتْ بمُصادرة أملاك المُورمُون وتجريدهم من حقِّ الإقامة في "يوتا" إنْ لم يكفُّوا عمَّا يفعلونه، ففي إعلان صادر عن الرّئيس الأمريكي ويلفورد وودروف في 24 أيلول 1980، أمر المُورمُون أنْ يمتنعوا عن أيِّ عُقُود زواج ممنوعة

(1) من كتاب "Doctrine and Covenants"؛ أيْ تعليم وعُهُود، 52/ 132.

بقانون البلاد[1] . ومُنذُ ذلك الوقت؛ أصبح المُورمُون « محرومين » من حُرِّيَّتهم الدِّينيَّة بعد نحو 50 سنة من التَّمتُّع بها، مُعتبرين شريعة الزّوجة الواحدة « شراً » سَمَحَتْ به الكَنيسة من أجل خاطر قوانين البلاد الوَضْعيَّة المُجحفة؛ إذْ يرون في التَّعدُّد النّظريَّة الإلهيَّة الطّبيعيَّة. ولكنْ؛ رغم ذلك لا يزال عدد من المُورمُون « الأرثُوذكس » الآن - في جُيُوب كثيرة من ولاية "يوتا" - يتَّخذون - في هُدُوء - زوجات عديدات، كما نَشَرَهُ تحقيق ميداني مُفصَّل عنهم قامت به مجلَّة الجَغرافيا الوطنيَّة National Geographic في عددها الصّادر في شهر يناير 1995 .

6 - تحريم المُسكرات والدُّخان والشّاي والقهوة:

يرى المُورمُون أنَّ الجسم هبة من الله للإنسان لابُدَّ عليه أنْ يُحافظ عليها لينال الخلاص، ولذلك فهُم يُحرِّمون كُلَّ ما يضرُّ بالجسد ويُؤذيه، فمن ذلك أنَّهم يُحرِّمون تماماً المُسكرات والدُّخان، وكذلك القهوة والشّاي؛ لأنَّه ثبت أنَّ لهما ضرر بالجسد، بل حتَّى يُحرِّمون المشروبات الغازيَّة مثل الكُوكا كُولا ونحوها لما فيها من أضرار أيضاً.

6 - كَهَنُوت المُورمُون:

في الوقت الذي كان فيه جُوزيف مشغولاً بترجمة « كتاب المُورمُون » جَعَلَ يُصلِّي ليحصل على السُّلطان الذي يُؤهِّله لأنْ يُعمِّد النّاس. فظهر له يُوحنَّا المَعْمَدَان في هيئة ملاك، وَوَضَعَ عليه اليدَ، وأعطاه كَهَنُوت هارون، نَفْس الكَهَنُوت الذي استخدمه يُوحنَّا قبلاً في مَعْمُوديَّة المسيح!

ثُمَّ - بعد شهر - ظهر له بُطرُس ويعقوب ويُوحنَّا معاً في صُورة ملائكة، ووضعوا عليه الأيادي، وساموه كاهناً على رُتبة ملكيصادق، مثال الكَهَنُوت الذي نالوه هُم من المسيح. وبسبب هذا التّعيين السّماوي صار بمقدور جُوزيف أنْ يُؤسِّس كنيسته التي أسماها كَنيسة يسُوع المسيح لقدِّيسي اليوم الآخر.

---

(1) كتاب : "Who are the Mormons?" ؛ أيْ مَنْ هُم المُورمُون؟ تأليف : Brian Harrison ، ص 27 .

والكَهَنُوت المُورمُوني ليس كَهَنُوتاً بسيطاً، بل غريب مُعقَّد: جميع القدِّيسين المُورمُون كَهَنَة على رُتب كثيرة. ورُتب الكَهَنُوت مُوزَّعة على سُلَّمَيْن تمشِّياً مع الرُّؤى التي صارت لجُوزيف: كَهَنُوت هارون، وكَهَنُوت ملكيصادق.

وعلى قمَّة الرِّياسة بـ"يوتا" يقوم الرِّئيس الذي هُو في مقام البطريرك. وتلك وظيفة تثبَّتَتْ لجُوزيف عام 1833م، وهُو يرأس مجلساً يضمُّ اثنَيْ عشر على مثال الاثنَيْ عشر، ثُمَّ هُناك مجلس السّبعين، على مثال السّبعين رسولاً. وهُم ـ بالفعْل ـ يُدعون رُسُلاً.

ثُمَّ أساقفة المُورمُون والكَهَنَة والشّمامسة والمُعلِّمون (بمَنْ فيهم خُدَّام مدارس الأحد) على كَهَنُوت هارون.

أمَّا رُؤساء الكَهَنَة والشُّيُوخ مُبتدئين بالرِّئيس؛ فهُم على كَهَنُوت ملكيصادق، الكَهَنُوت الذي كان عيه المسيح. هؤلاء هُم الذين يتحدَّثُون نيابة عن المسيح! وهُم ـ فقط ـ الذين يتلقَّون «رُؤى خاصَّة» لرعاية الشّعب، وهي بمثابة أوامر سماويَّة مُتجدِّدة تُضاف إلى الكُتُب المُقدَّسة التي ستظلُّ أبداً مفتوحة لكُلِّ وحي جديد، بما في ذلك الكتاب المُقدَّس.

من هذه «الرُّؤى الخاصَّة» تلك التي صارت للرِّئيس سبنسر كيمبال من الله، يأمره فيها بأنْ يقبل السُّود في عُضويَّة كنيسته العُنصُريَّة.

7 ـ دينٌ عُنصُريٌّ!:

التّبشير بالعُنصُريَّة تعليم أساسي في المُورمُونيَّة. فحتَّى عام 1978، ظلَّت كَنيسة «القدِّيسين» تُعلِّم ـ كما في الظُّهُور ـ أنَّ «الزُّنُوج محرومون من الكَهَنُوت (أيْ من قبولهم أعضاءً كاملين بالكَنيسة). وليس من المُمكن تحت أيِّ ظَرْف من الظُّرُوف السّماح للسُّود أنْ يحصلوا على هذه الموهبة من الله، فرسالة الإنجيل الخلاصيَّة ليست مُوجَّهة إليهم. فالزُّنُوج ليسوا مُتساوين مع العناصر الأُخرى في تقبُّل نفس البركات الرُّوحيَّة»[1].

---

(1) كتاب: "Mormon Doctrine"؛ أيْ العقيدة المُورمُونيَّة، تأليف: **Bruce McConkie 1966**م.

ولـم يحـدث أنْ أرسـلت كَنيسـة القدّيسـين مُرسـلين منـها إلـى الزُّنـوج لتحويلـهم إلـى المُورمُونيَّة ، لكنَّ الذين انضموا منهم إليها أمكن قبولهم على أساس العُضويَّة بغير كَهَنُوت ، إنْ هُم جاءوا بإرادتهم إلى أعتابها ، وطلبوا الانضمام .

وفي « كتاب إبراهيم » الذي تحدَّثْنا عنه قبلاً نقرأ : « إنَّ الذين جاؤوا مـن صُلْب كنعـان ملعونون ؛ لأنَّ كنعان كان أسود ! »[1] .

ففي رأى المُورمُون أنَّ السُّود انحدروا من صُلب كنعان عميقي اللّـون ، الـذي جـاء من صُلب حام ، الذي هُو - أصلاً - من صُلب قابيل .

يقول النّبي الثّاني للمُورمُون بريجام يانغ : « لقد وصمهم الله جمعيهم بعلامة قـابيل (الـذي كان غامق اللّون) كعُقُوبة لقَتْله أخاه هابيل . والعلامة هي أُنُوفهم المُسطَّحة السّوداء »[2] .

والسُّود لهم جُلُود سوداء على الأرض بسبب الوضع الذي كانوا عليه في عالم الرُّوح . لقد كانوا « رفاق سَفَر مع لُوسيفار (أيْ الشّيطان) والمُتمرِّدين من الملائكة » .

يقول مارك بيترسون في كلمة مُتوجِّهاً بها إلى مُدرِّسي الدِّين بجامعة بريجام يـانغ في 27 أغسطس 1954 : « تفكَّروا بالزّنجي : إنَّه ملعون وغير صالح للكَهَنُوت . لقـد عـاش ، قبـل أنْ يُوجد ، حياةً تُبرِّر ما فعله الله به ؛ إذْ أرسله من صُلْب قابيل في جلـد أسـود ، مُنحـدراً إلينـا (في أمريكا) من قارَّةٍ سوداء ، إنْ أراد هذا الزّنجي أنْ ينـال بركـات إنجيلنـا فقـد ينـال هـذه البركـات ويدخل المَلَكُوت السّماوي ، إنْ ظلَّ أميناً كُلَّ أيَّام حياته . لكنَّه سيدخل كخادم ، لا كسيِّد » .

ويقـول بريجـام يـانغ : « وعـد الله » لكُـلّ الذيـن انحـدروا مـن صُلْـب قـابيل أنْ ينـالوا الكَهَنُوت ، شرط أنْ تُرفع عنهم العلامـة (سـواد جُلُودهـم) ؛ ولأنَّ الزُّنـوج لا يزالـون سُـوداً ، فوعد الله لم يصل بعد »[3] .

---

(1) كتاب The Book of Abraham (أيْ كتاب إبراهيم) أحد الكُتُب المُقدَّسة عند المُورمُون : 1/ 26 .

(2) من مجلّة الخُطب (أو المُحاضرات) Journal of Discourses /7 290 .

(3) كتاب "The Maze of Mormonism" ؛ أيْ : (المُورمُونيَّة المُحيِّرة) لمُؤلِّفه : Martin Walter ، 1978م .

لقد كان بريجام يانغ يغضب - بشدَّة - لأيِّ زواج يحدث بين البيض والسُّود، مُعلناً « أنَّ الموت الفوري هُو عقُوبة تلك الخطيَّة تحت شريعة الله، وأنَّ الأمر سيظلُّ هكذا »[1]. وفي خطاب للرّئيس سميث (ثالث الخُلفاء) يقول: « إنَّه لخطأ فادح أنْ يتزوَّج أبيض من أسود؛ لأنَّ الله قد حرَّم ذلك »[2].

ومع ذلك؛ ففي حُزيران 1978، وتحت الضّغط المُتزايد من مجموعات حُقُوق الإنسان بالولايات المُتَّحدة، وأيضاً؛ بسبب الزّيادة الملحوظة في عدد أعضاء المُورمُون من أنصاف السُّود، في البرازيل، أعلن نبيّ المُورمُون ورئيسهم الأعلى "سبنسر كيمبال" أنَّه قد تلقَّى وحياً سماوياً من الله مُؤكِّداً أنْ يوم تحقيق « الوعد » الذي طال انتظاره . . . قد وَصَلَ . . . وأنَّ عرْق الإنسان لن يعود حاجزاً للكَهَنُوت أو مانعاً من الحُصُول على أيِّ امتيازات يحصل عليها « القدِّيسون ». وأُضيف هذا التّنزيل الأخير إلى كتاب « لُؤلُؤة كثيرة الثّمن » المُقدَّس!

ولكنْ؛ حتَّى بعد رُؤيا عام 1978، نجد الرّسول المُورمُوني "جراند ريتشادر" يقول في حديث صُحُفي: « إنَّ الزّواج المُختلط لم يُوافَق عليه بعد. ومازال موقف الكَنيسة منه لم يتغيَّر، وهُو أنْ يعيش النّاس في حُدُود عناصرهم (أيْ أعراقهم) لا يتعدونها »[3].

ثالثاً: الشِّيَع التي تنتسب إلى عائلة الشّفائيِّيْن:

تمهيد:

تُعتبَر فكْرة الشّفاء الرُّوحي - أيْ الشّفاء من الأمراض الجسميَّة والنَّفْسيَّة بمُعالجة رُوحيَّة فقط، دُون تدخُّل المُعالجة الطِّبِّيَّة والدّوائيَّة - فكْرة قديمة لدى الإنسان، وجميع الأديان بشكل عامٍّ ولدى المسيحيَّة بشكل خاصٍّ، فقد نَظَرَ كتَاب العهد الجديد إلى المُعجزات الشّفائيَّة للمسيح على أنَّها كانت تتمُّ بفضل إيمان الذين تماثلوا للشّفاء، [كما قال يسُوع للمرأة التي شُفيت « ثقي يا ابْنَةُ. إيمَانُك قَدْ شَفَاك »، وكما قَالَ لقَائد الْمئَة: « اذْهَبْ وَكَمَا آمَنْتَ ليَكُنْ

---

(1) من مجلَّة الخُطب (أو المُحاضرات) Journal of Discourses 10/ 110.

(2) رسالة منه مُؤرَّخة بتاريخ 9 مايو (أيَّار) 1966م.

(3) كتاب "The Maze of Mormonism"؛ أيْ: (المُورمُونيَّة المُحيِّرة) لمُؤلِّفه: Marti Walter، 1978، ص 192.

لَكَ »، فَبَرَأَ غُلاَمُهُ في تِلْكَ السَّاعَةِ][1] . ونحوها الكثير من النُّصُوص. كما يظهر من كتاب العهد الجديد أنَّ الكثير من الأمراض علامة على وُجُود أرواح شرِّيرة، وأنَّ المسيح كان يقهرها ويطردها بـرُوح الله [كما في إنجيل متَّى: "فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ"]، وأنَّ هذا كان وكعلامة على حُضُور مَلَكُوت الله. وقد منح يسُوع هذه القُدرة على الشّفاء بالرُّوح القُدُس إلى تلاميذه، كما جاء في إنجيل متَّى: [ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ، حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ، وَكُلَّ ضُعْفٍ] متَّى، الإصحاح 10/ 1.

كما أنَّ فكْرة الارتباط بين الخطيئة والمرض فكْرة أساسيَّة في المسيحيَّة، وأوضح نصٍّ يُعبِّر عن تلك الفكْرة ماجاء في رسالة يعقوب في العهد الجديد: [14أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسة، فَيُصَلُّوا عَلَيْه، وَيَدْهَنُوهُ بزَيْتٍ باسْم الرَّبِّ، 15وَصَلاَةُ الإِيمَان تَشْفي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ. 16اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بالزَّلاَّت، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْل بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً في فِعْلِهَا.] رسالة يعقوب، الإصحاح 5/ 14ـ16. (المقصود "بطلْبة البارّ": دُعاء الإنسان الصّالح).

والشّفائيُّون مجموعة من الشِّيع تقول إنَّها تملك نعمة شفاء الأمراض المُستعصية، شفاءً فجائيّاً ودائماً، لا بالعودة إلى الطِّبِّ، بل بوَضْع الأيدي على رُؤُوس المُؤمنين، وبواسطة مُمارسات لها طابع رُوحي. ويعتقد الشّفائيُّون بأنَّ الشّفاء يحصل بفعْل تدخُّل إلهي، وهذا التَّدخُّل ـ بحَدِّ ذاته ـ عمل حُرٌّ؛ أيْ أنَّه لا يحدث نتيجة عمل سحري، فالمُهمُّ ـ برأيهم ـ هُو الإيمان، فَمَنْ يُؤمن يبرأ.

1 ـ الأنطونيُّون:

الأنطونيُّون شيعة بلجيكيَّة انفصلت عن الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة في القرن التّاسع عشر. أسَّسها البلجيكي أنطوان لويس، ولقبه « الأب أنطوان » (1846 ـ 1912)، وهُو يتحدَّر من عائلة عُمَّال المناجم.

---

(1) النّصَّان من إنجيل متَّى.

اتَّجه أنطوان، ابتداء من 1888، نحو شفاء المرضى، وفي عام 1905، راح يُبشِّر بنوع من الدّيانة الجديدة، وهي خليط المسيحيَّة والتّيوزُوفيَّة واستحضار الأرواح والتَّقمُّص. . . . ولا تُؤمن الأنطونيَّة بالمسيح كمُخلِّص العالم، وتحصر دوره في كونه واسطة شفاء.

وفي الطُّقُوس، تحتفل الأنطونيَّة في 25 حُزيران بذكرى تحرُّر المُؤسِّس من حاجات الجسد، ويعتبر الأنطونيُّون الدَّفْنَ طَقْساً رئيسيّاً، ويعتمدون اللّون الأخضر رمزاً لهم. وفي المعابد، يرتدي المُصلُّون اللّباس الأسود.

وفي التّنظيم، يرئس الشّيعة «مُمثِّل الكاهن» ينتخبه الكَهَنَة. وفي الدّعاية، يُؤمنون بكتاب «وحي الضّمير المُتألِّق» (Revelation de l ' aureole de la Conscience)، وهُو يضمُّ تعاليم الأب المُؤسِّس.

2 ـ المسيحيَّة العلميَّة:

المسيحيَّة العلميَّة Christian Science شيعة أمريكيَّة انفصلت عن الكَنيسة البرُوتستانتيَّة الأبرشانيَّة في القرن التّاسع عشر. أسَّسَتْها الأمريكيَّة "ماري بيكر إدّي" Mary Baker Eddy، من مواليد نيوهمشاير New Hampshire (1821 ـ 1910)، ومُتزوِّجة ثلاث مرّات.

في العام 1866، شُفيَت المُؤسِّسَة من مرض عُضال بطريقة عجائبيَّة، على يد الأب: ب. كيمبي P.P. Quimby، الذي كان يُبشِّر بنظام جديد هُو «العلم المسيحيّ»: قوامه أنَّ المعرفة الأكيدة بالحقيقة الحقَّة (وهي أنَّ الله هُو الكُلُّ في الكُلِّ)، والاقتناع الصّلب بها، يشفيان من الأمراض كُلِّها، لأنَّ أساس كُلِّ الشُّرُور، بما في ذلك الأمراض الجسميَّة، هُو جهل العقل الإنساني للحقيقَة الحقيقيَّة. وفي العام 1875، نَشَرَتْ بيكر الطّبعة الأُولى من كتاب تحت عُنوان: «العلم والصّحَّة ومفتاح الكتاب المُقدَّس» Science and Health with Key to The Scriptures الذي هُو عبارة عن مجموعة أقوال وكتابات تركها كيمبي، ثُمَّ في العام 1876، تمَّ تأسيس «الجمعيَّة المسيحيَّة العلميَّة»، التي دشَّنت أوَّل كَنيسة لها في العام 1879م.

تُؤمن المسيحيَّة العلميَّة بأنَّ الشّرَّ لا وُجُود حقيقي له؛ لأنَّ الرَّبَّ هُو «الكُلُّ في الكُلِّ». وليس البُؤس إلاَّ أوهاماً بَصَريَّة يتخلَّص منها الإنسان بواسطة إصلاح العقل. وهذا الإصلاح

يتمُّ بواسطة الصّلاة العلميَّة. وتزعم المُؤسِّسَة "ماري إدِّي" أنَّ أسباب الأمراض كُلّها تكمن في ضعف عقلي، أو جهل عقلي، وهذا الضّعف يُداويه الرُّوح القُدُس والمعرفة الحقَّة. ومهمَّة الشّيعة، بمُساعدة المسيح، أنْ تمحو الخطيئة والمرض. وفي مقالاتها كافَّة، تُركِّز ماري بيكر على العلاقة بين الرُّوح والجسد، وقد طوَّرت نظريَّتها إلى « علم »، ثُمَّ إلى « دين »، أيْ إلى دين علمي يخضع للبُرهان والوحي في الوقت عينه.

في التّنظيم؛ الإدارة الوحيدة هي الكَنيسة الأُمُّ في بُوسطن، في ولاية ماساتشوسيت، (تظهر صُورتها على اليسار)، والكنائس الباقية فُرُوع لها. ويُشرف « مجلس مُديري الكَنيسة » على تعيين المسؤولين في أنحاء العالم.

وفي الدّعاية؛ تملك الفرقة دوريّات ومنشورات دعائيَّة عديدة، أهمّها جريدة « كريستيان ساينس مُونيتور » **The Christian Science Monitor** (أي مرصد العلم المسيحي) التي لها بالغ التّأثير في سياسة الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، وأصبحت تُنْشَر على صفحات الإنترنت بعُنوان: **/http://www.csmonitor.com** .

والدّعوة الأساسيَّة للسَّيِّدة " ميري بيكر إدِّي " وفرقة "العلم المسيحي" هي أنَّها أعادت من جديد إلى العالم المسيحي القُدرة على الشّفاء التي "فُقدَت" من أيَّام الكَنيسة المُبكِّرة. وقد كرَّرت السَّيِّدة "ميري إدِّي" كثيراً، في أدبيَّات الفرقة، أنَّ "زعيم" الفرقة، شفى النّاس، تماماً كما كان يسُوع يشفيهم، وأنَّها أثبتت ذلك من خلال "العلم الإلهي". ليس هذا فحسب، بل إنَّ السَّيِّدة "ميري إدِّي" أكَّدت بنفسها وبكُلِّ صراحة، أنَّها شفت جميع أنواع الأمراض بما في ذلك السّرطان، السّلّ، والخنَّاق (الدِّيفتيريا). وقد كَتَبَتْ في صحيفة "نيو يورك سن **New York Sun**" (عدد **19** كانون الأوَّل / ديسمبر، **1898**) تقول:

« أتحدَّى العالم كُلَّه إنْ ثبت عدم صحَّة الكلام الذي أُعلنه هُنا. بعد اكتشافي للعلم المسيحي، شفيتُ السِّلَّ الذي كان في آخر مراحله، والذي كان الأطبَّاء قد أعلنوا - بواسطة الخزعات - أنَّه تجاوز مرحلة العلاج، بعد التّلف الكامل لأغلب الرّئتَيْن. وشفيتُ الخنَّاق السِّلِّيَّ الخبيث والعظام المُتسوِّسة، التي وَصَلَ تسوُّسها لدرجة أنَّه كان من المُمكن بَعْجُهَا

بضغط الإصبع فقط ، وشفيتُ مرضى وهُم مُستلقون على السّرير مُتهيِّئين ليقوم الجرَّاح ببتر أطرافهم المُتسوِّسة . وشفيتُ في زيارة واحدة إنساناً كان سرطان الرّقبة قد وَصَلَ معه لدرجة أكل فيها كُلَّ جلد الرّقبة ، وكشف الوريد الوداجي الذي كان ظاهراً كالحبل » .

عقائد كَنيسة "العلم المسيحي":

تختلف فرقة "العلم المسيحي" في عقائدها ، عن كثير من عقائد الكَنيسة المسيحيَّة التّقليديَّة ، ولأجل معرفة موقف أتباع فرقة العلم المسيحي في القضايا المسيحيَّة الأساسيَّة ، ليس هُناك أفضل من اقتباس عين كلامهم ، المنشور في كُتُبهم المُختلفة ، لا سيما كتاب "Science and Health" ؛ أيْ "العلم والصّحَّة" الذي يُعتبَر أهمَّ كتاب يُعبِّر عن أفكار وعقائد الفرقة ، والذي ألَّفته مؤسِّسة الفرقة نفسها ؛ أعني السَّيِّدة : "ميري بيكر إدِّي" .

1 ـ حول إلهاميَّة الكتاب المُقدَّس وعصمته:

1 ـ تقول "ميري بيكر إدِّي" في كتابها وهي تتحدَّث عن الآيات 2/ 7 من سفْر التّكوين من العهد القديم : « هل هذه الإضافة إلى خلقه صحيحة أم غير صحيحة؟ هل هي الحقيقة أو أنَّها كذب حول الله والإنسان؟ لابُدَّ أنْ تكون كذب » ، (كتاب العلم والصّحَّة ، ص 524) .

2 ـ وتقول : "... إنَّ الأخطاء الظّاهرة في الرّوايات القديمة ، والثّلاثون ألف قراءة مُختلفة للعهد القديم ، والثّلاثمائة ألف قراءة مُختلفة للعهد الجديد ، كُلُّ هذه الحقائق تُبيِّن مقدار تسلُّل العقل المادِّي والبشري الفاني ، بصبغته السّوداء المُظلمة ، إلى السِّجلِّ الإلهي ، إلى حدٍّ ما ، في صفحات الوحي » ، (كتاب العلم والصّحَّة ، ص 139) .

2 ـ حول التّثليث وإلهيَّة المسيح:

1 ـ « إنَّ نظريَّة : الأشخاص الثّلاثة في الإله الواحد ، (أيْ التّثليث الشّخصي أو الثُّلاثيَّة الواحديَّة) نظريَّة تُؤدِّي إلى تعدُّد الآلهة ، بدلاً من الإله الواحد الكائن الدّائم "أنا هُو" » ، (كتاب العلم والصّحَّة ، ص 256) .

2 ـ « إنَّ المسيحي الذي يُؤمن بالوصيَّة الأُولى من الوصايا العشر[1] هـو إنسـان مُوحِّد. وبالتَّالي؛ فهُو يتَّفق ويتَّحد مع اليهُود في الاعتقاد بإلـهٍ واحدٍ، ويُـدرك أنْ يسُـوع المسيح ليس الله، كما أعلن يسُوع بنفسه عن ذلك، ولكنَّه ابن الله »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 361).

3 ـ حول الله والرُّوح القُدُس:

1 ـ « كان إله اليهُود "يَهْوَه" إلهاً قَبَلِيّاً مُعرَّفاً على طراز الإنسان، فـهُو عُرضـة للغضـب، والانتقام، والتَّغيُّر الإنساني »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 140).

2 ـ « الله: "أنا هُو" الكبير: العليم بكُلِّ شيء، البصير بكُلِّ شيء، الفاعل لكُـلِّ شـيء، الحكيم في كُلِّ شيء، المُحبُّ لكُلِّ شيء، الأزلي، المبدأ، العقـل، الـرُّوح، الحيـاة، الحقيقـة، المحبَّة، مادَّة كُلِّ شيء، الإدراك . . »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 587).

3 ـ « الله الكُـلُّ في الكُـلِّ، الله الخير، العقـل، الله الـرُّوح، كينونـة الكُـلِّ. الله: المبـدأ الإلهي، الحياة، الحقّ، المحبَّة، الرُّوح، العقل. . »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 113، 115).

4 ـ حول الميلاد الإعجازي للمسيح من غير أب:

1 ـ « لا يُمكن لجُزء من الله أنْ يدخل في الإنسان. كما لا يُمكن لمـلء الله أنْ ينعكـس في إنسـان فـرد واحـد، لأنَّ الله عندئـذٍ سيُصبح مُتناهٍ بشـكل ظـاهر، وبالتَّـالي؛ يفقـد إلـــهيَّته، ويُصبح أقلَّ من إلـه »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 336).

2 ـ « وُلدَ يسُوع، النّبي الجليلي، من أفكار الحياة الرُّوحيَّـة لمريـم العـذراء، وتجلِّيـها »، (كتاب أوَّل كَنيسة للمسيح العلمي والكتابـات المُتفرِّقـة المجموعـة في مُجلَّـد، 1913، 1941م، ص 261).

---

(1) أيْ الوصايا العشر التي أوحاها الله تعالى إلى مُوسى، وكَتَبَهَا له في الألواح، وأوَّلها: « اسمعْ يا إسرائيل! الرَّبُّ إلهنا ربٌّ واحد. فتُحبّ الرَّبَّ إلـهكَ من كُلِّ قلبكَ، ومن كُلِّ نفسكَ، ومن كُلِّ قُوَّتكَ... الرَّبُّ إلــهكَ تتَّقـي، وإيَّـاه تعبد، وباسمه تحلف، لا تسـيروا وراء آلهـة أُخرى مـن آلهـة الأُمـم التـي حولكـم، لأنَّ الـرَّبَّ إلــهكم إلـه غيـور في وسطكم، لئلاَّ يحمى غضب الرَّبِّ إلـهكم عليكم، فيُبيدكم عن وجه الأرض »، سفْر التّثنية من التّوراة (6/ 4 ـ 5، ثُمَّ 14 ـ 16).

5 ـ حول المُعجزات:

1 ـ « لا يُشفى المرضى بمُجرَّد إعلان أنَّه لا يُوجد مرض، ولكنْ؛ بالوُصُول إلى معرفة أنَّه لا يُوجد شيء، ولا أيُّ مرض أصلاً »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 447).

2 ـ « المرض جُزء من الخطأ الذي لا يستطيع أحد سوى الحقيقة أنْ يتغلَّب عليه، ويرميه بعيداً نهائيّاً. إنَّ الخطأ لا يطرد الخطأ. إنَّ العلم المسيحي هُو قانون الحقيقة، الذي يشفي المريض على أساس العقل الواحد أو الله. ولا يُمكن الشّفاء بأيِّ طريق آخر؛ لأنَّ العقل البشري الفاني لا يُمكنه أنْ يكون شافياً، بل هُو يُسبِّب الإيمان بالمرض »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 482).

3 ـ « ليست المُعجزات المذكورة في الكتاب المُقدَّس فوق طبيعيَّة، ولا خارقة للطّبيعة Preternatural. . . كان يسُوع ينظر إلى الخير على أنَّه الحالة الطّبيعيَّة للإنسان، وإلى الشَّرِّ على أنَّه الحالة الشَّاذَّة وغير الطّبيعيَّة. . . وكذلك كان ما يُسمَّى آلام المادَّة ولذَّاتها، أمرَيْن غير حقيقيِّيْن بالنّسبة ليسُوع؛ لأنَّه كان ينظر للمادَّة كمُجرَّد وَهْم للعقل البشري الفاني. (الكتابات المُتفرِّقة المجموعة في مُجلَّد، ص 199 ـ 200).

6 ـ حول عمل الفداء التّكفيري للمسيح:

1 ـ « لم يكن الدّم المادِّي ليسُوع الذي سُكب على الشّجرة الملعونة، أكثر فعاليَّة في تطهير النّاس من خطاياهم، منه عندما كان يجري في عُرُوقه، وعندما كان يعمل يوميّاً في أعمال أبيه »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 25).

2 ـ « يجب أنْ نفهم الفداء التّكفيري Atonement فَهْماً بعيداً جداً عن ذلك المفهوم الوَثَني الذي يقول إنَّ الله يتطلَّب الدّم الإنساني ليسترضي عدالته، ويجلب رحمته! »، (كتاب نعم ولا، ص 34).

7 ـ حول موت وقيامة المسيح:

1 ـ « لم يقم تلاميذ يسُوع ـ الذين كانوا لا يزالون غير مُتقدِّمين بنحوٍ كافٍ ليفهموا تماماً انتصار مُعلِّمهم ـ بأعمال رائعة كثيرة، حتَّى رأوه بعد صلبه، وعلموا أنَّه "لـم يمـت" أصـلاً »، (كتاب العلم والصِّحَّة، ص 45، 46).

2 ـ « ظنَّ التّلاميـذ أنْ يسُوع مـات، في حـين كـان هُـو مُختبئـاً في موضـع دَفْنـه (أيْ قبره)؛ حيثُ كان حيّاً يُرزَق، مُبرهناً من داخل القبر الضَّيِّق على قُدرة الرُّوح علـى أنْ تفـرض سُلطانها، وتُهيمن وتتغلَّب على الوعي المادِّي الفاني »، (كتاب العلم والصِّحَّة، ص 44).

8 ـ حول صُعُود المسيح ومجيئه الثّاني:

« . . . بعد أنْ صعد هُو بنفسه ـ أو، بعبارة أُخـرى، قـام بنحـو أعلـى في فَـهْم الـرُّوح، الله... تلت الحالة المادِّيَّة التي لم تتغيَّر ليسُوع، والتي بدت للآخرين أنَّـها موتـه، تلتـها تُمجِّـده فوق كُـلِّ الحـالات المادِّيَّـة؛ وفسَّـرت هـذا التَّمجُّـد صُعُـوده. . . لقـد ارتفـع يسُـوع في عرضـه الأخير، الذي سُمِّي بالصُّعُود، والذي أغلق فيه سجلَّ حياتـه الأرضيَّـة، صَعَـدَ فـوق المعرفـة المادِّيَّة لتلاميذه، ولم تعـدْ الحـواسُّ المادِّيَّـة قـادرة علـى مُشـاهدته بعـد ذلـك »، (كتـاب العلـم والصِّحَّة، ص46).

9 ـ حول وُجُود الشَّرِّ والشّيطان:

« . . . وبناءً عليه؛ ليس الشَّرُّ سوى أُخدوعة وتوهُّم، وليس لـه أيُّ أسـاس حقيقـي. إنَّ الشَّرَّ هُو عقيـدة غـير صحيحـة. ليس الله مُؤلِّفـه. إنَّ الأب الزّائـف للشَّـرِّ هُـو الكـذب »، (كتاب العلم والصِّحَّة، ص 480).

« كُلُّ هذه الأوهام تختلف مع نظام ما وراء الطّبيعة الذي أقول به، والذي يرتكز علـى الله كالكائن الواحد والكُلِّ، والذي يرفض الوُجُـود الحقيقـي لكُـلٍّ مـن المـادَّة والشَّـرِّ. . . لـم يكـن هُنـاك وُجُود حقيقـي للشَّـرِّ، ولا للحظـة واحـدة مـن اللّحظـات »، (كتـاب لا ونعـم، ص 24).

10 ـ حول طبيعة النّار (الجحيم) ووُجُودها:

« إنَّ المُذنب ـ بفعله للإثم ـ يصنع بنفسه جحيمه الخاصَّ به، والقدّيس ـ بفعله للخير والحقّ ـ يصنع جنَّته بنفسه. »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 266).

« لقد أعطت الفكْرة القديمة القائلة بأنَّ جحيم العذاب هي نار ذات لهب وحطب، أعطت مكانها لحدٍّ ما، للحقيقة الميتافيزيقيَّة القائلة بأنَّ الآلام شيء يتعلَّق بالعقل الفاني بدلاً من تعلُّقه بالجسد، وبالتَّالي؛ فعوضاً عن نيران اللّهب المادِّيَّة وروائحها، أصبح الألم العقلي (العذاب النَّفْسي) هُو العقُوبة، المقبولة بشكل عامٍّ، لارتكاب الآثام. »، (الكتابات المُتفرِّقة المجموعة في مُجلَّد، ص 237).

11 ـ حول النّعيم الأبدي (جنَّة الفردوس): حقيقته ومغزاه:

« النّعيم الأبدي هُو التّناغم والانسجام، هُو سيطرة وسيادة الرُّوح، حكُومة المبدأ، الرُّوحانيَّة، النّعيم، جوّ الرُّوح »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 587).

12 ـ حول الصّلاة:

« لا يُمكن للصّلاة أنْ تُغيِّر الله، أو أنْ تُبدِّل غاياته وحكْمته إلى طرائق فانية. ليس عندي اعتراض على الصّلوات المسموعة التي تُؤدَّى بالشّكل الحقيقي والصّحيح، ولكنِّي أرى أنَّ الصّلاة غير المسموعة أكثر تأثيراً »، (كتاب لا ونعم، ص 39، 40).

« إذا غذَّت الصّلاةُ في الإنسان الاعتقادَ بأنَّ خطيئته تمَّ غسلها وتنظيفها، وأنَّ الإنسان يُصبح أفضل بمُجرَّد الصّلاة، فإنَّ الصّلاة تُصبح شرّاً بحَدِّ ذاتها. إنَّ الإنسان الذي يُواصل الإثمَ، ويستمرُّ في الخطيئة لأنَّه يُوهم نفسه أنَّه مغفور له بالصّلاة، لا تزيده صلاته إلاَّ تردِّياً وسُوءاً »، (كتاب العلم والصّحَّة، ص 4).

وفي الختام؛ نستطيع أنْ نُلاحظ ـ بعد استعراض أفكار هذه الشّيعة ـ أنّها شيعة تنحى منحى الفلسفيَّة المثاليَّة (التي تُنكر حقائق المادَّة بدءاً من أصغر شيء وحتَّى المجرَّات الضّخمة)،

وأنَّها مُبتعدة ـ لحَدٍّ كبير ـ في عقائدها عن عقائد الكَنيسة التّقليديَّة ، وأقرب ما تكون لمدرسة فلسفيَّة علم ـ نَفْسيَّة منها للمسيحيَّة ، أو للدِّين بشكل عامٍّ .

3 ـ تلاميذ جُورج المُلقَّب بمسيح مُونتفافييه:

تلاميذ جُورج المُلقَّب بـ « مسيح مُونتفافية » **Christ de Montfavet** شيعة فرنسيَّة انشقَّت في القرن العشرين عن الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة . أسَّسها جُورج رو **(Georges Roux)** الذي كان مُتزوِّجاً ، وأباً لستَّة أولاد ، وكان يعمل مُفتِّشاً في مصلحة السّكك الحديديَّة .

اكتشف جُورج فجأة أنَّه المسيح الجديد ، ومهمَّته أنْ ينجح ؛ حيثُ فشل يسُوع ، فيحمل إلى العالم الحياة والصّحَّة والسّعادة . لذلك نَشَرَ ثلاثة مُؤلَّفات هي « يوميَّات طبيب » ، و« كلام طبيب » ، و« المهمَّة المُقدَّسة » ، وأظهر نفسه للعالم في **25** كانون الأوَّل **1950** .

في العقيدة ، تعتقد هذه النِّحْلة أنَّ "مسيحَ مُونتفافية" يحمل إلى العالم رسالة الانفتاح والفرح الكامل بعد فشل مُوسى ويسُوع ، وهُو لا يشفي فقط ، بل يمنح تلاميذه نعمة الشّفاء . وتُؤمن الشِّيعة بأسرار المَعْمُوديَّة والتّثبيت والمُناولة والزّواج .

وفي الدّعاية ؛ تُوزِّع الشِّيعة منشورات تحمل عُنواناً ثابتاً لا يتغيَّر هُو « البارحة يسُوع من النّاصرة ، واليوم جُورج من الفرح والنُّور والصّحَّة » . وشعارها هُو الصّليب ، لكنَّه ليس صليب المسيح الذي يرمز إلى الألم والعذاب ، بل هُو صليب مُضيء مُنير لا يدعو العالم إلاَّ إلى المحبَّة . وتُعرف الشِّيعة ـ أيضاً ـ بتسمية « الكَنيسة المسيحيَّة الجامعة » .

وهذه الشِّيعة تسير على طريق الانقراض ؛ إذْ إنَّ عدد الذين ينتمون اليوم إليها لا يتجاوز الألف ، وقد هزَّتْهَا فضائح ماليَّة وأخلاقيَّة ، ممَّا أبعد الكثيرين عنها .

4 ـ الأُخت غايار:

قبل العام **1924** ، كانت السَّيِّدة غايار تعمل في حَرَكَة العنصرة **Pentecostal Movement** ، لكنَّها كانت تُقدِّم « الشِّفاء » على « التّبشير » ، ممَّا دفع بالحَرَكَة إلى طردها ، فنظَّمت شيعة جديدة في العام **1924** ، بالتّعاون مع المُبشِّر بُودُوان .

تزعم السَّيِّدة المُؤسِّسة أنَّها تلقَّت « رسالة » شخصيَّة من السّماء . وتحصل عمليَّة الشّفاء في اجتماعات عامَّة يرفع فيها المرضى أيديهم مُتوسِّلين إلى الرَّبِّ بصوت عالٍ أنْ يُجري المُعجزات .

وفي الطُّقُوس ؛ تحتفل الشِّيعة بالعشاء السِّرِّيِّ ، وتُنظِّم مَعْمُوديَّة كبيرة مرَّتَيْن في السّنة .

وفي الدّعاية ؛ تُهاجم الشِّيعة الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة والسَّيِّدة العذراء ، وتُطالب بإنزال الصُّلبان والأيقونات عن الجُدران . ويحمل الأتباع نجمة كي يتعرَّفوا بعضهم إلى بعض ، ويتنادون بالأخ أو الأُخت . ولهم جريدة اسمها « نجمة » .

رابعاً: حَرَكَات اليقظة أو الصّحوة المسيحيَّة:

تَحُضُّ حَرَكَات اليقظة على العودة إلى الكَنيسة المسيحيَّة الأصليَّة ، وهي مُتأثِّرة - بشكل عامٍّ - بالتّعاليم البرُوتستانتيَّة الكالفينيَّة ، وتُؤمن بأنَّ الإنجيل هُو القاعدة الأساسيَّة الوحيدة للإيمان والأخلاق . وتختصر حَرَكَات اليقظة مُعتقداتها بهذه الكلمات : « يسُوع يُخلِّص ، ويُعمِّد ، ويشفي ، ويعود » . وتتَّهم الكَنيسةَ الكَاثُوليكيَّةَ بأنَّها خانت تعاليم الإنجيل .

1 - جماعة الإخوة بلايموث ، أو الـ "داربيُّون" :

تأسَّست جماعة الإخوة ، في البداية ، في مدينة دبلين (عاصمة إيرلاندا الحُرَّة) في العشرينيَّات من القرن التّاسع عشر كشيعة مسيحيَّة انشقَّت عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة ، وتأسَّست أوَّل كَنيسة لها في إنجلترا في مدينة "بلايموث" عام **1831**م ، لذلك عُرِفَتْ الشِّيعة باسم الإخوة بلايموث **Plymouth Brethren** ، وكان أبرز شخصيَّاتها المُؤسِّسة هُو القسُّ الأنغليكاني الأصل "جُون - نلسون داربي" **John Nelson Darby** ، من مواليد أيرلنديا (**1800 - 1882**) ، لذلك عرف أتباعه فترةً باسم الدّاربيست **Darbyites** أيْ الدّاربيُّون ، وكنيستهم باسم الكَنيسة الدِّربيَّة **Darbysts Church** .

في العام **1828** ، اقتنع القسُّ "داربي" بأنَّ الكَنيسة الأنجليكانيَّة ابتعدت عن تعاليم المسيح ، كونها أصبحت كَنيسة الدّولة ، فتخلَّى عنها ، وَنَشَرَ عقيدته في مُؤلَّف بعُنوان :

« طبيعة كَنيسة المسيح ووحدتها »، قال فيه إنَّ نهاية العالم قريبة، وبات من المُحتَّم تنظيم قطيع المُؤمنين الحقيقيِّيْن الصّغير. ويعتقد المُؤسِّس بُرجُوع المسيح المُظفَّر إلى الأرض، وانتصاره على المسيح الدَّجَّال، وهي المعركة الأخيرة مع الشَّيطان، قبل توطيد سُلطة المسيح على العالم. فالكنائس المسيحيَّة تخلَّت عن المسيح، والمسيح تخلَّى عنها نهائيّاً، والكَنيسة الوحيدة الباقية هي كَنيسة الرُّوح، غير المرئيَّة، التي لا نظام لها ولا سُلطة، بل يقودها الرُّوح القُدُس.

سُرعان ما انتشرت عديد من الكنائس للمُؤمنين بهذه الفرقة في بريطانيا وسويسرا وإيطاليا، ثُمَّ في الولايات المُتَّحدة، ويُحبُّ أتباعها أنْ يُسمّوا أنفسهم بالمُؤمنين فقط، أو بالإخوة المسيحيِّيْن، وحسب آخر الإحصائيَّات قُدِّر عدد كنائسهم في العالم بـ **1100** كَنيسة، وعدد أتباعهم في الولايات المُتَّحدة بحوالي مائة ألف شخص.

اشتهر الدّاربيُّون بقولهم: إنَّ الرُّسُل لم يُعيِّنوا خُلفاءهم، وإنَّه لا أحد له الحقّ في أنْ يكون راعياً في الكَنيسة، كما اشتهروا بالانصباب على قراءة الأسفار المُقدَّسة، والاهتمام الكبير بالنُّبُوءات التّوراتيَّة حول نهاية العالم.

في الطُّقُوس، تحتفل هذه الشِّيعة بالعشاء السِّرِّيِّ؛ حيثُ يتناول الإخوة الخُبز والخمر، ويحتفلون - أيضاً - بالمَعْمُوديَّة، دُون أنْ تكون لهذَيْن السِّرَّيْن مكانة عند الدّاربيست كما هُو الأمر عند الكنائس التّقليديَّة الكَاثُوليكيَّة أو الأرثُوذكسيَّة.

وفي التّنظيم؛ يرفض الشِّيعة طبقة الإكليروس الذين يمتهنون مهنة رجال الدِّين، ويأخذون الرّاتب عليها، فليس هُناك شيء اسمه سرُّ ترسيم الكَهَنَة بنَظَرهم، ولا وساطات بين الخالق والمخلوق، وليس في كنائسهم رئيس ومرؤوس، فالإخوة كُلُّهم مُتساوون. وإثر خلاف داخل الشِّيعة، انقسم الأتباع قسمَيْن: « الإخوة الواسعو التّفكير »، و« الإخوة الضّيِّقو التّفكير »، وكلاهما لا يزال يُعرَف أيضاً بـ« أُخوة بلايموث ».

2 ـ الكَنيسة الرّسوليَّة Apostolic Church:

الكَنيسة الرّسوليَّة شيعة أنغلو ـ اسكتلنديَّة انفصلت عن البرُوتستانتيَّة في القرن التّاسع عشر. أسَّسها الأسقف الكاهن "إدوارد إيرفينغ" Edward Irvingمن مواليد مدينة "أنَّان" في دومفريس Annan, Dumfries في اسْكُتْلَنْدَا (1792 ـ 1834)، بمُساعدة هنري درامونـد، المصرفي الإنكليزيّ.

كان "إدوارد إيرفينغ" أُستاذا في مادَّة الرّياضيَّات، وبنفس الوقت؛ دارساً للاّهوت، ثُمَّ أصبح مُبشِّراً واعظاً في الكَنيسة الاسكتلنديَّة. وفي العام 1824، أعلن عن تجديد الكَنيسة وإصلاح هيكليَّتها الأساسيَّة قبل عودة المسيح المُتوقَّعة في العام 1864. وكانت مواعظه حارَّة ونشيطة ومُؤثِّرة؛ لدرجة أنَّه تمَّ إنشاء كَنيسة كبيرة له لتتَّسع للعدد المُتزايد من سامعيه، وذلك عام 1827م، في ساحة ريجينت، ثُمَّ جَعَلَ المركز التّبشيري الأساسي في برادفورد في إنكلترا.
أثار "إدزارد إيرفينغ" بلبلةً في كتابه "عقيدة التَّجسُّد مفتوحة" The Doctrine of the Incarnation Opened الذي نَشَرَه في العام 1828، وذلك لمَّا ذَكَرَ فيه رأياً مفاده أنَّ بشريَّة المسيح مُماثلة لسائر البشر من ناحية حَمْل الخطيئة الأصليَّة، ممَّا أدَّى إلى فَصْله من مشيخة لندن، ثُمَّ تنحيته عن قيادة كَنيسة اسْكُتْلَنْدَا.

في العام 1863، انشقَّ شوارتز مع مجموعة من أتباعه عن الكَنيسة الرّسوليَّة، وأسَّس شيعة حملت تسمية «الكَنيسة الرّسوليَّة الجديدة» ضمَّت أكثريَّة المُؤمنين، لاسيما في ألمانيا.

3 ـ الكَنيسة الرّسوليَّة الجديدة:

الكَنيسة الرّسوليَّة الجديدة شيعة ألمانيَّة انشقَّت عن الكَنيسة الرّسوليَّة للبرُوتستانتيَّة في نهاية التّاسع عشر. أسَّسها الألماني شوارتز بمُساعدة الإنكليزي جُون كاردال.

في العام 1863، انفصلت مجموعة تابعة للكَنيسة الرّسوليَّة التي كانت تُنادي بنهاية قريبة للعالم، ونظَّمت شيعة جديدة تُبشِّر بأنَّ النّهاية بعيدة الأجل. وفي العام 1900، أنهى المُنشقُّون تنظيم فرقتهم الجديدة، واتَّخذوا تسمية «الكَنيسة الرّسوليَّة الجديدة»، واتَّجهوا في مُعتقداتهم نحو الكالفينيَّة الهُولنديَّة.

في العقيدة؛ يُؤمن الرّسوليُّون الجُدُد بأنْ يسُوع يحكم كنيسته بواسطة رُسُل أحياء بانتظار عودته؛ حيثُ يحكم مُدَّة ألف سنة، بمُساعدة 144 ألفاً من الأخيار، حتَّى القيامة. ويُؤمن الرّسوليُّون الجُدُد بأسرار ثلاثة: مَعْمُوديَّة الأطفال في المنزل، نوع من التّثبيت، أيْ طبع الختم الذي يجعل المُؤمن من ضمن الـ 144 ألفاً من الأخيار، والعشاء السِّرِّيّ.

في الطُّقُوس؛ يجتمع المُؤمنون في صالات يُعلِّق فيها صليب أبيض يُحيط به اللّون الأسود.

وفي التّنظيم؛ تتألَّف الإدارة العامَّة من 12 رسولاً، يعتبرون أنفسهم مُرسلي المسيح، يعملون تحت قيادة بُطرُس الرّسول، يتبعهم «الرُّسُل المُساعدون»، و«الكَهَنَة»، و«القُدامى»، ثُمَّ «المُبشِّرون»......

4 - جمعيَّة الأصدقاء أو "الكويكرز" أيْ الهزَّازون:

جمعيَّة الأصدقاء أو الجمعيَّة المسيحيَّة للأصدقاء Society of Friends أو "الكويكرز" Quakers شيعة مسيحيَّة إنكليزيَّة انشققَّت عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة في مُنتصف القرن السّابع عشر. أسَّسها البريطاني جُورج فُوكس George Fox من مواليد حُزيران 1624.

راح فُوكس في التّاسعة عشرة من عُمره يبحث في العُزلة عن طريق الله، وهُو مُقتنع تماماً بأنَّ المسيحي يجب أنْ يتعلَّم مُباشرة من الرَّبِّ، الذي يُعلن عن نفسه في قلب الإنسان.

وأكَّد فُوكس أنَّه تسلَّم وحياً مُباشراً من «الحقيقة»، يُشكِّل رسالة، عليه أنْ يبلِّغها إلى العالم، فكرَّس حياته لها.

تعني كلمة «كويكرز» Quakers الهزَّازين أو المُهتزِّين، وهُو لقب أُطلق عليهم بسبب اهتزاز وارتعاد أجساد أعضائها في حالات الوجد أو الانجذاب الرُّوحي الشّديد الذي كان يحدث، بحسب زعمهم، حين كان يزورهم الرُّوح القُدُس في أثناء اجتماعاتهم، أو حين كانوا يُبشِّرون في شوارع لندن. وقد أراد فُوكس من خلال شيعته العودة إلى المسيحيَّة في بساطتها الأصليَّة، مُطالباً بإزالة الطُّقُوس الاحتفاليَّة ونبذ الألقاب، والمُساواة في كُلِّ شيء.

كان يُركِّز في دعوته على أنَّ الهداية يجب أنْ تتمَّ بواسطة الاستنارة القلبيَّة الدّاخليَّة لكُلِّ مُؤمن دُون الحاجة لأساقفة، وأسرار كَنَسيَّة، ومراسيم، وغيرها.

كان فُوكس يتمتَّع بفصاحة مُؤثِّرة، فَجَمَعَ أتباعاً عديدين ينتمون إلى كُلِّ الطّبقات الاجتماعيَّة، وطالبهم بعدم دَفْع الضّرائب التي تفرضها الكَنيسة الأنجليكانيَّة، ممَّا عرَّضه لحملة اضطهاد شديدة، وتُوفِّي فُوكس عام **1691**، وتعرَّض خلالها للتّعذيب مع عدد كبير من أتباعه، فلجأ عدد منهم إلى بنسلفانيا في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة؛ حيثُ نظَّموا شيعتهم، وكانت "آن لي" **Ann Lee** (**1736** ـ **1784**م) مُؤسِّس " الجمعيَّة المُتَّحدة للمُؤمنين بالظُّهُور الثّاني للمسيح " **The United Society of Believers in Christ`s Second Appearing** والمعروفة باسم الهزَّازين **Shakers** أحد أهمِّ مَنْ نقل منهج "الكويكرز" إلى الولايات المُتَّحدة، وقد وصلت درجة الجَذْب فيها إلى حَدٍّ أنَّها ادَّعت أنَّها الظُّهُور الثّاني للمسيح، وأنَّها تجسُّدٌ للأب السّماوي والأُمِّ الإلهيَّة!.

وكان للهزَّازين تأثير هامٌّ في الولايات المُتَّحدة، فقد طالبوا بالتّسامح الدِّيني، وفَصْل الدِّين عن الدّولة، وتحرير العبيد، والمُساواة السِّياسيَّة بين الرّجل والمرأة. ويُؤمن الهزَّازون بعودة المسيح إلى الأرض ثانية، ويحيون في مُجتمعات اشتراكيَّة، ويُحافظون على عُزُوبتهم، فلا يتزوَّجون. كما يرفض "الهزَّازون" كُلَّ قَسَم، ولا يُحيُّون أحداً، ويتَّصفون بالزُّهد، ويشجبون الغناء والرّقص والألعاب والتّدخين، ويرفضون حَمْلَ السّلاح، ويتَّصفون بحُسْن الأخلاق، ومحموديَّة السِّيرة. ومن المحمودات في هذه الجمعيَّة الاعتناء بالمحرومين، وبكُلِّ عرْق، أو لون: وهُنا تتميَّز نَظْرتهم ـ داخل الولايات المُتَّحدة ـ إلى الهُنُود الحُمْر، السُّكَّان الأصليِّين، وإلى السُّود.

وهُم يُعتبرون ـ اليوم ـ في حُكْم الطّوائف المُنقرضة؛ إذْ لم يبقَ منهم غير نَفَر قليل.

5 ـ جيش الخلاص:

جيش الخلاص **Salvation Army** فرقة إنكليزيَّة أقرب إلى جمعيَّة تبشيريَّة خاصَّة منها إلى فرقة دينيَّة بالمعنى الحَرْفي للكلمة، انشقَّت عن الكَنيسة البرُوتستانتيَّة في القرن التّاسع

عشر. أسَّسها سنة 1878، وليم بُوث (1912 - 1829) William Booth، وكان راعياً كَنَسياً ميثودياً. وكانت إنكلترا تعيش - آنذاك - في البُؤس والحرمان.

انفصل بُوث عن البرُوتستانتيَّة في العام 1861. وبعد أربع سنوات، أسَّس شيعة «المهمَّة المسيحيَّة»، التي تحوَّلت إلى «جيش» مُسالم هَدَفه خلاص العالم، ويتَّخذ شكلاً عسكرياً، هَدَفه الرّئيسي إنقاذ النّاس بنَشْر المسيحيَّة في العالم لتأمين خلاصهم الرُّوحي، وتأمين حاجاتهم الماديَّة من صحَّة وتعليم وغذاء وملجأ... إلخ، ولراحتهم الجسديَّة - أيضاً - في هذه الدُّنيا.

سُمِّيَتْ الشِّيعة في البداية «جيش هللويا». وفي عيد الميلاد في العام 1877، تحوَّلت التّسمية إلى «جيش الخلاص»، وتعرَّض أفرادها للاضطهاد والسّجن بسبب مُظاهراتهم.

مات وليم بُوث عن 83 سنة، بعدما قضى حياته في مُساعدة الفُقراء. وقد أخذت الجماعة صفة العالميَّة عندما هاجر قسم من أتباعها إلى الولايات المُتَّحدة، وأنشؤوا أوَّل مركز لهم - هُناك - في مدينة نيُو يُورك عام 1880.

في العقيدة؛ تُؤكِّد الشِّيعة على أنَّ الجميع سينالون الخلاص في المسيح، وتُبشِّر بفرح الإنجيل.

وفي الطُّقُوس؛ يتَّخذ أتباع الحَرَكَة لهم عَلَماً من لونَيْن، الأبيض (رمز القداسة)، والأحمر (رمز دم المسيح الفادي)، وتتصدَّره نجمة ذهبيَّة (رمز الرُّوح القُدُس)؛ وشعارهم هُو «الدّم والنّار»؛ أيْ دم المسيح ونار الرُّوح القُدُس.

وفي التّنظيم؛ يتبع "جيشُ الخلاص" طريقةَ الجيش الإنكليزيّ، ويحملون الألقاب العسكريَّة، ويرتدون لباساً خاصّاً، ومقرُّهم العامُّ في لندن، أمَّا في الولايات المُتَّحدة؛ فمركز قيادتهم يقع في مدينة "ألكساندريا" في ولاية "فيرجينيا".

قامت جماعة "جيش الخلاص" بعمل كبير خلال الحربَيْن العالميَّتَيْن الأُولى والثّانية في خدمة جيُوش الحُلفاء من حيثُ إدارة أكثر من 3000 وحدة عسكريَّة و1000 مُخيَّم إطعام وعلاج في مناطق الجبهات المُتقدِّمة.

وفي العام 1993، أصبح لجيش الخلاص فُرُوع في 99 دولة، يتكلَّمون بأكثر من 125 لُغة، هَدَفهم نَشْر الإنجيل، وإدخال النّاس في المسيحيَّة، والحيلولة دُون جُنُوح الأحداث نحو الانحراف، وإغاثة النّاس في المناطق المنكوبة بالكوارث والحُرُوب والمجاعات.

تشمل التّسهيلات التي تُديرها المُنظَّمة في أنحاء العالم على: مدارس، مُستشفيات توليد، وحضانة رُضَّع وأطفال، دُور أيتام، فنادق تُقدِّم مأوى ووجبات مجَّانيَّة، يتمُّ تقديم تلك الخدمات دُون تمييز على أساس عرْقي، أو لوني، أو ديني. أمَّا المُؤسَّسات التي تُديرها المُنظَّمة في الولايات المُتَّحدة؛ فتشتمل على مراكز إعادة تأهيل، مُخيَّمات للأطفال، مُستشفيات عامَّة، مُستشفيات توليد وحضانة للرُّضَّع، ودُور رعاية أطفال، ومراكز إعانة النّساء العاملات الشَّابَّات، ومراكز لإيواء العَجَزَة، ومراكز لإعادة تأهيل المُدمنين على الكُحُول.

يُقدَّر عدد أتباع الجماعة على مُستوى العالم بما يربو على ثلاثة ملايين، منهم حوالي 25000 مسؤول وضابط مُتخرِّجين من 30 مدرسة تُديرها الجماعة، ويتمُّ تمويل الجماعة ذاتيَّاً ومن قبَل المُحسنين والمُتبرِّعين والمُتطوِّعين.

والواقع أنَّه لا يُمكن اعتبار جيش الخلاص كَنيسة أو شيعة مُستقلَّة مُخالفة للبرُوتستانتيَّة. جُلُّ ما في الأمر أنَّ هذه الحَرَكَة تُشدِّد على أنَّ الخلاص سيتوفَّر للجميع، وأنَّ النّعمة الإلهيَّة ستُبدِّل القُلُوب. وأتباع جيش الخلاص هُم شُهُود تُحرِّكهم الشّجاعة والاستقامة والغَيْرة والإيمان، ويتحدَّثون إلى النُّفُوس بمحبَّة وعن المحبَّة، وهمُّهم الأساسي هُو التّبشير بالمسيحيَّة؛ لأنَّها السّبيل لخلاص الإنسان، ومدّ يد العون إلى الفُقراء والبُؤساء والمنكوبين.

6 ـ حَرَكَة العنصرة:

حَرَكَة العنصرة Pentecostal Movement شيعة أنغلوسكسونيَّة انشقَّت عن الكَنيسة البرُوتستانتيَّة في الولايات المُتَّحدة في مطلع القرن العشرين. أسَّسها بارهام Parham في العام 1900، كَرَدِّ فعْل على التّعليم الدِّيني الجافّ، والعبادات الشّكليَّة والرّسميَّة الخالية من الرُّوح الصّادقة التي كانت سائدة في عصره لدى الكنائس التّقليديَّة. وتُعتبر حَرَكَته بمثابة نوع من الإحياء الدِّيني والصّحوة المسيحيَّة الأُصُوليَّة، تُنادي بالعودة إلى المسيحيَّة الأصيلة الحقَّة.

ويأتي اسم العنصرة من عيد العنصرة؛ وهُو عيد مسيحي يقع بعد خمسين يوم من عيد الفصح، في سابع يوم أحد بعد أحد الفصح، إحياءً لذكرى نُزُول الرُّوح القُدُس على حواريِّيْ ورُسُل المسيح، الذي أَلْهَمَهُم ما يقولون في نَشْر رسالة المسيح، وَجَعَلَهُم قادرين على النّطق بلُغات الأُمم المُجاورة. فأخذت الحَرَكَة من هذا فكْرة المَعْمُوديَّة برُوح القُدُس.

تستمدُّ الحَرَكَة عقيدتها ـ أساساً ـ من الكالفينيَّة. ويُؤمن أتباعها بعودة المسيح القريبة، ويتميَّزون بشفاء المرضى بواسطة وَضْع الأيدي على الرّأس، ويُؤمنون بالعجائب الشّفائيَّة.

تعتقد الحَرَكَة بالخطيئة الأصليَّة، وتعتبرها سبب الأمراض، وتعتقد أنَّ المسيح يُخلِّص من الخطيئة والمرض. ويرفض الحركيُّون تكريم السَّيِّدة العذراء، كما يرفضون مَعْمُوديَّة الصّغار، ويعتبرونها رمزاً غير ضروريّ.

ويُركِّز أتباع "حَرَكَة العنصرة" على الاتِّباع الدّقيق والصّارم لتعاليم الكتاب لمُقدَّس بعهدَيْه القديم والجديد على حَدٍّ سواء، ومن هُنا؛ كان تحريمهم للخُمُور، وللدُّخان، وللعب القمار، وللمسارح، والمراقص، والملاهي. فهُم يدعون بأُسلُوب وُجداني مُؤثِّر إلى سُلُوك الحياة المسيحيَّة النّزيهة المُستقيمة والعمل الجادّ، وهذا ما جَعَلَ الكثيرين من المُهمَّشين اجتماعيّاً والفُقراء والمُشرَّدين ينضمُّون للحَرَكَة بهَدَف تحسين وَضْعهم الاجتماعي، والخُرُوج من ضَيَاعهم.

حقَّقت الحَرَكَة نجاحاً كبيراً في المناطق الرّيفيَّة والقرويَّة في جنوب الولايات المُتَّحدة، وانقسمت عنها العديد من الفُرُوع الصّغيرة، ويُقدَّر عدد أتباعها ـ اليوم ـ بحوالي 20 مليُوناً، وتُعَدُّ من أسرع الحَرَكَات الدِّينيَّة المسيحيَّة توسُّعاً وانتشاراً.

في التّنظيم؛ تبدأ الهَرَميَّة بـ «القُدامى»، ثُمَّ الأساقفة، فالرُّعاة، فالكَهَنَة......

وفي الدّعاية؛ تملك الحَرَكَة محطَّة بثٍّ إذاعيَّة في فرنسا. وتنشر دوريَّات عديدة تُركِّز فيها ـ من جُملة الأُمُور ـ على مُهاجمة الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة، مُعتبرةً البابا مُنحرفاً عن خطِّ المسيح.

خامساً: الكنائس الكَاثُوليكيَّة الصّغيرة:

الكنائس الكَاثُوليكيَّة الصّغيرة مجموعة من المُنظّمات الدِّينيَّة التي تحرص على المُحافظة على التّسمية الكَاثُوليكيَّة للتّعبير عن تعلُّقهم بتُراث يعود إلى ما قبل الإصلاح البرُوتستانتيّ، على رغم انفصالها عن الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرُّومانيَّة الأُمّ.

1 ـ الكَنيسة الصّغيرة:

الكَنيسة الصّغيرة **La Petite Eglise** كناية عن جماعة فرنسيَّة عارضت الاتِّفاق الذي عُقد بين البابا والإمبراطُور الفرنسيّ نابليون، فاعتبرَتْهُ مُجحفاً بحقّ الكَنيسة، وانشقَّت عنها بزعامة الكاهن تكسيبه الذي مات في العام **1826**.

وهُم مسيحيُّون يمتازون بالتّقوى، ويتعلَّقون بتُراث الكَنيسة، ولا شيء يفصلهم عن الكَنيسة الرُّومانيَّة؛ لأنَّ الاتِّفاق المذكور انتهى مفعوله في العام **1905**؛ وقد دَعَتْهُم الكَنيسة الأُمُّ إلى العودة إلى حظيرتها من دُون شُرُوط، فعاد قسم قليل منهم. وهُم يُمارسون طُقُوسهم من دُون كاهن، بل في احتفال يترأسه أحد القُدامى.

2 ـ حَرَكَة الكَثْلَكَة القديمة (أو العتيقة):

أسَّس حَرَكَة الكَثْلَكَة القديمة **Les Vieux Catholiques** الأسقف فارلييه، الذي كان مُبشِّراً غاليكانيّاً جاء إلى هُولندا، واتَّخذ مقرّاً له في أوترخت.

ترفض هذه الحَرَكَةُ التّعاليمَ الحديثةَ للمجامع الكَنَسيَّة الرُّومانيَّة، وتُمارس الأسرار السّبعة، وتعتبر أنْ لا شيء يفصلها عن الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة الشّرقيَّة. وتُعرَف هذه الحَرَكَة، في فرنسا، بالكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الفرنسيَّة.

3 ـ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة والرّسوليَّة في فرنسا:

أسَّسها الأسقف فاتوم؛ وهُو كاهن ينتسب إلى حَرَكَة الكَثْلَكَة العتيقة. وقبل أنْ يموت في العام **1951**، رَسَمَ عدَّة كَهَنَة، وَرَفَعَ الكاهن بيربيه إلى درجة الأسقفيَّة.

4 ـ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة اللِّيبراليَّة:

إنَّها شيعة انشقَّت عن الكَثْلَكَة العتيقة، وتأثَّرت كثيراً بالتّيوزوفيَّة Theosophy[1] في عهد الأسقف ودغود. تُؤمن هذه الشِّيعة بتقمُّص الأرواح.

5 ـ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الرّسوليَّة الغاليكانيَّة:

أسَّسها الكاهن لويس جيرو بعدما انفصل عن حَرَكَة الكَثْلَكَة العتيقة. وَحَصَلَ خلاف داخل الشِّيعة، فانضمَّ قسم منها إلى الكَاثُوليكيَّة اللِّيبراليَّة، وقسم آخر إلى الكَنيسة الأرثُوذكسيَّة.

6 ـ الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة الأرثُوذكسيَّة الغربيَّة:

أسَّسها لويس فينارت Louis Winnaert من مواليد دنكرك[2] Dunkerque في العام 1880. ارتسم كاهناً كَاثُوليكيّاً في العام 1905، والتحق بالكَنيسة الأنجليكانيَّة في العام 1920، ثُمَّ عاد وانتسب إلى حَرَكَة الكَثْلَكَة العتيقة في العام 1922، لكنَّه تخلَّى عنها، وأسَّس مجموعة من أتباعه، وعيَّن نفسه أسقفاً عليها، ثُمَّ التحق بالكَنيسة الكَاثُوليكيَّة اللِّيبراليَّة، وعاد وانفصل عنها، ونحا منحى التّيوزوفيَّة Theosophy.

في العام 1936، اتَّجهت هذه الفرقة نحو الأرثُوذكسيَّة، وأخفقت في الانضمام إلى الكَنيسة اليُونانيَّة، وَنَجَحَتْ في الالتحاق بالكَنيسة الرُّوسيَّة التي رسمت "لويس فينارت" أرشمندريتاً[3] في شُباط 1937. وكان المُؤسِّس يطمح إلى تأسيس كَنيسة أرثُوذكسيَّة على الطِّراز الغربي.

---

(1) التّيوزوفيَّة Theosophy كلمة يُونانيَّة مُؤلَّفة من قسمَيْن: تيوس theos وتعني الله، وسوفوس sophos وتعني الحكمة، وهي تُشير إلى نظام فلسفي ديني يسعى لمعرفة الله ومعرفة علاقة الكون بالله عبر الحَدْس والكَشْف الصُّوفي المُباشر، أو عبر التَّأمُّل العقلي والتّفكير الفلسفي، أو بواسطتهما معاً، ومنها حكمة الإشراق.

(2) دنكرك: وتُعرّف ـ أيضاً ـ باسم دُنكيرك Dunkirk بلدة في شمال فرنسا في مُحافظة النُّورماند، قُرب ميناء كاليه Calais.

(3) الأرشمندريت Archimandrite لقب كَنَسي إكليركي أرثُوذوكسي يعني رئيس الرُّهبان في دير، أو عدَّة أديرة، وقد يعني منصباً إدارياً كَنَسياً لبطريركيَّة أو أبرشيَّة أرثُوذوكسيَّة، وهُو يُساوي منصب الأسقف، أو المُطران في الكَنيسة الغربيَّة. وقد يُطلَق هذا اللَّقَب ـ أحياناً ـ كلقب تشريفي لأحد القساوسة أو الكَهَنَة الكبار في دير.

سادساً: رابطة توحيد المسيحيَّة في العالم، أو كَنيسة التّوحيد:

أنشأ هذه الرّابطة سنة 1936، البرُوتستانتي الكُوري "سون ميُونغ مُون" Sun Myung Moon، الذي وُلد في كوريا الجنوبيَّة سنة1920، بعد أنْ أخذ يسمع « رنَّة صوت الله »، ويرى طيف يسُوع المسيح، ذلك الوقت أخذ مُون يدعو باسم المسيح إلى توحيد الكنائس المسيحيَّة، لا بل توحيد الدّيانات كُلِّها في بوتقة واحدة، وإلى إرساء مَلَكُوت الله على الأرض بعد معركة الفَصْل بين الشَّرِّ والخير. ومهمَّة "مُون" الرّئيسيَّة هي القضاء على جُذُور الشَّرِّ المُتمثِّل بالشُّيُوعيَّة الإلحاديَّة والدّعوة - في الوقت نفسه - إلى إيجاد ينبوع الحياة والحُبِّ في الله، وهذا شرط أساسي لإعادة تكوُّن الحياة الباطنيَّة الرُّوحيَّة التي يفتقدها الإنسان المُعاصر.

و في السّبعينات من القرن العشرين، نَظَرَ أعضاء " كَنيسة توحيد المسيحيَّة في العالم " Unification Church إلى مُؤسِّس جمعيَّة " رُوح القُدُس لتوحيد المسيحيَّة في العالم " 'Holy Spirit Association for the Unification of World Christianity'؛ أيْ الأسقف الكاهن " سَنْ ميُونغ مُون " على أنَّه: ربُّ المجيء الثّاني!

وترى الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة أنَّ عقيدة ما يُسمَّى بالكاهن المُوقَّر مُون Reverend Moon إنَّما تستند إلى تفسير مغلوط وغريب للكتاب المُقدَّس، وخُصُوصاً لحياة يسُوع ورسالته. فمُؤدَّى تفسيره هُو أنَّ خطيئة آدم وحوَّاء هي خطيئة جنسيَّة، وأنْ يسُوع الذي لا يُمكن - بأيِّ حال من الأحوال - مُساواته بالله الخالق، فشل في رسالته التي أوفده الله من أجلها، وهي تأسيس عائلة تكون نُواة الأُمَّة الجديدة (مَلَكُوت الله)، لكنَّ يسُوع مات على الصّليب قبل أنْ يستطيع تأسيس عائلته الطّبيعيَّة - الرُّوحيَّة!.

أمَّا الأسقف المُبجَّل مُون الكُوري؛ فهُو « سيِّد المجيء الثّاني » الذي سوف ينجح في تأسيس العائلة، نُواة الأُمَّة الجديدة، العائلة المثاليَّة، الفُضلى، نموذج العائلات في الحاضر والمُستقبل.

لذلك نرى الأسقف "مُون" وزوجته الرّابعة يقومان بتزويج الآلاف، لا بل المئات من الآلاف في احتفالات ضخمة، تُؤمِّن لها الدّعاية التّلفزيونيَّة والصّحافيَّة.

وللولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، في عقيدة مُون، الدّور الأساسي في تحقيق الرّسالة المُونيَّة؛ إذْ إنَّ الله اختار تلك الأُمَّة لتكون المُقدَّسة التي تشنُّ الحرب على قوى الشَّرِّ والإلحاد!!.

تستخدم هذه الشِّيعة طُرُق الشِّيع الأُخرى في تعزيز قُدراتها وعدد أعضائها، ولكنَّها تعمد إلى « غسيل دماغ » الشُّبَّان الذين ينضمُّون إليها؛ بحيثُ يُصبحون عبيداً لمشيئة « الكاهن المُبجَّل مُون » وأوامره. وتمتلك هذه الفرقة الكثير من الشّركات والأموال، انطلاقاً من مبدأ أنَّ على العُضو وَضْعَ كُلِّ إمكاناته وأمواله باسم الفرقة. ارتبط اسم مُون ـ أخيراً ـ بالعديد من الفضائح الماليَّة التي حَدَثَتْ في الولايات المُتَّحدة، وغيرها من الدُّول.

عدد أعضاء الشِّيعة لا يتجاوز المليون ونصف المليون. تمتلك وسائل إعلام مُختلفة من راديو وتلفزيون وصُحُف. من أبرز وسائل إعلامها: صحيفة « واشنطن تايمز »، ومجلَّة « الرّجاء الجديد ».

سابعاً: الكَنيسة التّوحيديَّة Unitarian Church:

تتميَّز هذه الشِّيعة المسيحيَّة عن كُلِّ ما سَبَقَ ذكْره من الشِّيع والفرَق في الأُمُور التّالية:

الأوَّل: أنَّها عقلانيَّة وليبراليَّة (أيْ مُنفتحة ومُتحرِّرة) جداً في فكْرها خاصَّة في العُقُود الأخيرة؛ بحيثُ أصبحت ترى جميع الأديان العالميَّة، بما في ذلك الإسلام، أديان حقَّة تكتنز في داخلها، وجوهرها الحقيقة التي تُوصل الإنسان إلى الله.

الثّاني: رغم أنَّ التّوحيديِّين مسيحيُّون أتقياء، ومُؤمنون بالمسيح إيماناً راسخاً، إلاَّ أنَّهم لا يعتقدون بأهمِّ الأُصُول المسيحيَّة الكَنَسيَّة التي دَرَجَتْ الكَنيسة مُنذُ القرن الميلادي الثّالث على اعتبارها أُسُس وأركان الإيمان المسيحي. فلا يُؤمن التّوحيديُّون بالتّثليث (ومن هُنا جاء اسمهم التّوحيديُّون Unitarians)، بل يرون أنَّ الله واحد في شخصه وأقنومه، لا تعدُّديَّة ولا غيريَّة في ذاته، وأنَّ المسيح بشر محض حادث ومخلوق كسائر البشر، فهُم يتَّفقون في مفهوم الأُلُوهيَّة ووحدانيَّة الله مع اليهُود والمُسلمين تماماً، كما لا يُؤمنون بالتَّجسُّد، وهذا فرعٌ طبيعيٌّ لنَفْيهم إلهيَّة السَّيِّد المسيح، كما يرون عدم صحَّة فكْرة الفداء والكَفَّارة ـ أيْ صَلْب المسيح ـ كَفَّارة عن خطيئة النّاس، ويرون أنَّ عقيدة الخطيئة الأصليَّة التي يُولد معها كُلُّ إنسان، والتي اقتضت ـ حسب عقيدة المسيحيَّة ـ دم المسيح ليسفك على الصّليب لتكفيرها ومُصالحة الإنسان مع الله، يرونها عقيدة مُختَرَعَة، ولا أساس لها من الصّحَّة، كما أنَّهم

لا يُؤمنـون بعقـاب النّـار الأبـدي بـلا نهايـة للأشـرار الخـاطئين . ويعتـبرون كُـلَّ تلـك العقـائد المذكـورة التـي تبنَّتْهَا الكَنيسـة المسـيحيَّة التّاريخيَّـة : التّثليـث والتَّجسُّـد والصّلـب والفـداء والكَفَّارة . . إلـخ ، عقـائد دخيلـة علـى رسـالة المسيح ، لا تُؤيِّدهـا نُصُوص الكتـاب المُقـدَّس الأصيلـة . والتّوحيديُّـون يُحيـون العشـاءَ السِّرِّيَّ ، لا كَطَقْس سرِّيٍّ ، بـل كَتَذكُّـر ومُشـاركة رُوحيَّة مع نبيِّهم السَّيِّد المسيح قُبيل وفاته ، ويقبلون بتعميد الأطفال ، رغـم أنَّ بعـض كنـائس التّوحيديِّيْن تَحْصُر التّعميد بالبالغين فقط .

الثّالث : أنَّ هذه الفرقة ، كتجمُّع كَنَسي ، هي الأكثر ضآلةً من حيثُ عدد الأتبـاع ، فـلا يتجاوز عـدد أتباعـها مـائتَيْن إلـى ثلاثـة مائـة ألـف في القـارَّة الأمريكيَّـة ، ومثلـهم في أُورُوبـا ، وليست كنيستهم واسعة الانتشار ؛ أيْ ليس لها صفـة العالميَّـة ، بـل ينحصـر وُجُودهـا في عـدد محدود مـن البُلـدان الأُورُوبيَّـة ؛ هـي رُومانيـا ، وهنغاريـا ، والمملكـة المُتَّحـدة (إنجلترا) ، وفي الولايات المُتَّحـدة وكَنَـدَا في القـارَّة الأمريكيَّـة ، وتواجدهـا الرّئيسـي ـ اليـوم ـ هُـو في الولايـات المُتَّحدة ، وغالبيَّة أتباعها ـ هُناك ـ من الطّبقة المُتوسِّطة فمـا فـوق ، ومـن المُتعلِّمـين ذوي الثّقافـة العالية في الغالب .

ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ نَفْس أفكار التّوحيديِّيْن قليلة الانتشار ، بل تُوجد أعداد كبيرة بين المسيحيِّيْن المُثقَّفين العصريِّيْن ، ممَّنْ يحملون نَفْس الأفكار ، دُون أنْ ينتظموا ـ بالضّرورة ـ تحت لواء الكَنيسة التّوحيديَّة ، أو الجمعيَّات التّوحيديَّة الشُّمُول ـ خلاصيَّة .

الجُذُور التّاريخيَّة لهذه الفرقة:

ليس الاعتقادُ بتوحيد الله بمعنى نفي التّثليث في ذاته ، ونفي إلهيَّة المسـيح ، وبالتَّـالي ؛ نفـي عقيدة التَّجسُّد ، أمراً حديثاً في تاريخ المسيحيَّة ، بل هُو يُمثِّل ـ في الواقع ـ استمراراً لخـطٍّ مسـيحيٍّ قديم جداً ، يرجع ـ في أُصُوله ـ إلى نَفْس عهد الحواريِّيْن ، واستمرَّ في جميع العُصُور بـين صُعُـود وهُبُوط ، فلم يكد يخلُ عصرٌ مـن عُصُـور تـاريخ المسيحيَّة ـ مُنذُ عـهدها المُبكِّـر ـ مـن جماعـات وأشخاص وأساقفة ولاهوتيِّـن ومُفكِّريـن وعُلمـاء مسيحيِّيْن ، آمنوا ، ونـادوا ، ونـافحوا عـن الوحدانيَّة المحضة للّه تعالى ، نافين عقيدة التّثليث وإلـهيَّة المسيح عليه السّلام وعقيـدة التَّجسُّـد ، مع ما يستتبع هذا النّفي من نفي كثير من العقائد المسيحيَّة التّاريخيَّة الأُخرى التي انْبَنَتْ عليها .

وقد أشرتُ في الفصل الأوَّل من هذا الكتاب إلى أسماء الفرَق التي وُجدت مُنذُ عهد المسيحيَّة المُبكِّر (أيْ القُرُون المسيحيَّة الثّلاثة الأُولى)، وكانت لا تقول بالتّثليث، بل تُؤمن بوحدانيَّة الله في ذاته وشخصه، ولا تعتقد بإلهيَّة المسيح، أومُساواته للآب، أو ولادته الأزليَّة منه، بل ترى تفرُّد الله الآب وحده بالإلهيَّة والأزليَّة؛ مثل: الإبيونيِّيْن **Ebionites**، والمُوناركيانيِّيْن **Dynamic Monarchians** (أتباع الأسقف بُولُس الشّمشاطي)، والغنوصيِّيْن **Gnostics**، ومنهم الباسيليديِّيْن **Basilidians**، والكاربوقراطيِّيْن **Carpocratians**، والآريُوسيِّيْن، أو الآريانيِّيْن (أتباع آريُوس)[1].

وَذَكَرْنَا - كذلك - أسماء بعض مشاهير الأساقفة والقساوسة القُدماء الذين رَفَضُوا التّثليث، وإلهيَّة المسيح بالمعنى الذي استقرَّ لدى الكَنيسة فيما بعد، مثل: ديودوروس **Diodore** أسقف طرسوس، وبُولُس الشّمشاطي **Paul of Samosata** أسقف وبطريرك أنطاكية، والأسقف لُوسيان الأنطاكي أُستاذ آريُوس (تُوفِّي 312 م) والأسقف الشّهير: آريُوس **Arius** أسقف كَنيسة بوكاليس في الإسكندريَّة (250 - 336 م)، ويُوزيبيوس النّيقوميدي **Nicomedia Eusebius of** (تُوفِّي 342 م) أسقف بيرُوت، ثُمَّ نيقوميديا قُرب القسطنطينيَّة عاصمة الإمبراطُوريَّة الشّرقيَّة.

تَعْتَبِرُ الكَنيسةُ التّوحيديَّةُ أُولئك البطاركةَ والأساقفةَ المُوحِّدين القُدماء والفرَق المُوحَّدة التي اتَّبعتهم، جُذُورها المسيحيَّة وسلَفَها الصّالح القديم فيما تذهب إليه في فَهْم العقيدة والإيمان المسيحي.

وتُعْتَبر الكَنيسة التّوحيديَّة استمراراً - أيضاً - للحَرَكَة السُّوسيانيَّة التّوحيديَّة التي ظهرت وَنَمَتْ في القرن السّادس عشر[2]، ومثَّلت - في الواقع - أوَّل انطلاقٍ للكَنيسة التّوحيديَّة في العُصُور المُتأخِّرة.

---

(1) راجع تفصيل ذلك في الفصل الأوَّل من هذا الكتاب.

(2) راجع تفصيل الكلام عن الحَرَكَة السُّوسيانيَّة وأهمّ رجالاتها وأفكارها في الفصل الرّابع من هذا الكتاب، قسم "الفرق والحَرَكَات التي انشقَّت عن البرُوتستانتيَّة".

ففي خلال فترة الإصلاح (القرن السّادس عشر) ظهرت الأفكار التّوحيديَّة لدى عديد من اللاَّهوتيِّيْن، تمركز أتباعهم في بُولاندا، وترانسيلفانيا (رُومانيا)، والمجر (هنغاريا)، وإنجلترا، ثُمَّ انتقلت الأفكار - فيما بعد - إلى شمال أمريكا؛ حيثُ نَبَعَتْ الكَنيسة التّوحيديَّة هُناك من الكنائس التَّطهُّريَّة لإنجلترا الجديدة **New England Puritan Churches**. وفي كُلِّ بلد كان التّوحيديُّون يسعون لإنجاز إصلاح عقائدي علمي جَذْري في المسيحيَّة مُتطابق مع الكتاب المُقدَّس؛ سواء منه الأسفار المُقدَّسة العبريَّة القديمة، أو الأناجيل، ورسائل العهد الجديد. وأهمُّ ما ميَّز هذا الإصلاح - بالذّات - كان التّأكيد على أنَّه لا يُوجد في الكُتُب المُقدَّسة ما يدلُّ على عقيدة التّثليث، وإلهيَّة السَّيِّد المسيح، التي تبنّتّهَا بقيَّة الكنائس المسيحيَّة التّقليديَّة، بل يُوجد ما يُوجب نفي مثل هذا الاعتقاد[1].

وقد توصَّل القسِّيس الرُّوماني فرانسيس ديفيد **Francis (Ferenc) David (1510 - 1579)** عبر دراسته للكتاب المُقدَّس، ومُناقشاته مع زُملائه مثل اللاَّهوتي جاكوب باليلوغوس **Jacobus Palaelogus** إلى عدم جواز تقديم العبادة إلى السَّيِّد المسيح فيما عُرف باسم مذهب اللاَّعباديَّة **Nonadorantism** الأمر الذي أحدث - في حينه - أزمة خطيرة في صُفُوف التّوحيديِّيْن. فقد كان جُون سيغيسموند ملك ترانسيلفانيا الذي اعتنق أفكار التّوحيديِّيْن، قد مَنَحَ عام **1568**، حُرِّيَّة العبادة في مملكته للكَاثُوليك، واللُّوثريِّيْن، والكَنيسة المُصْلَحة، والتّوحيديِّيْن. وأصدر المجلس التّشريعي في ترانسيلفانيا عام **1571**، مادَّة دُستُوريَّةً تنصُّ على الاعتراف بهذه المذاهب المسيحيَّة الأربعة في البلاد. ولكنَّ خليفة سيغيسموند "ستيفين باثوري" **Stephen Bathory** مَنَعَ البِدَع والمُحدَثات الجديدة (أيْ التّغييرات العقائديَّة في آراء بعض الفرَق التي حَدَثَتْ في عهد سيغيسموند) وبالتَّالي؛ فإنَّ مبدأ اللاَّعباديَّة (مَنْع عبادة المسيح) الذي جَلَبَهُ القسُّ ديفيد لطائفة التّوحيديِّيْن اعتُبرَ بدعة جديدة (!) ممَّا خَلَقَ مُشكلة قانونيَّة لهذه الطّائفة في عهد الملك الجديد، وقد حاول طبيب البلاط "بلاندْراتا"، التّوحيدي المُعتقد، أنْ يحمي التّوحيديِّيْن بتأييد توقيف الدّولة،

---

(1) للتَّوسُّع في هذا الموضُوع يُراجَع الكتابان المُهمَّان (المسيحيَّة وأساطير التَّجسُّد في الشَّرق الأدنى القديم اليُونان - سُورية - مصر) للباحث الأمريكي دانييل إ باسوك، ترجمة سعد رُستُم، دار الأوائل، ط1، 2002، و(التَّوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسَيْن بُولُس ويُوحنَّا)، سعد رُستُم، دار الأوائل، ط1، 2002.

ومُحاكمتها للقسّ فرانسيس ديفيد، فتمّ اعتقاله، وأُودع في السّجن، حتّى أدركَتْهُ الوفاة فيه عام 1579. واستمرَّت الكَنيسة التّوحيديَّة، التي تُعَدُّ أقدم كَنيسة توحيديَّة، في هنغاريا (المجر) ورُومانيا إلى يومنا هذا.

الكَنيسة التّوحيديَّة في إنجلترا:

يُعَدُّ الباحث الإنجليزي المُحقِّق جُون بيدل John Biddle (1615 ـ 1662) أوَّل مَنْ نادى بالأفكار التّوحيديَّة في إنجلترا، فقد ساعدَتْهُ معرفته باللُّغة اليُونانيَّة القديمة، ودراسته للعهد الجديد بلُغته الأصليَّة في اكتشاف حقيقة أنَّ عقيدة التّثليث ليس لها مُستندٌ كتابي، وبدأ نَشْرَ أفكاره التّوحيديَّة في كتاب أسماه "اثنا عشر دليلاً مُستقاة من الكُتُب المُقدَّسة.." عام 1647، بالإضافة لمجموعة من الكُتُب الأُخرى. وكان القارئون البريطانيُّون قد بدؤوا ـ قبل ذلك ـ بالاطّلاع على أفكار مُشابهة عبر قراءتهم للكُتُب السُّوسيانيَّة التي كانت تردهم من هُولاندا، وهي البلد الذي كانت قد لجأت إليه مجموعات التّوحيديِّيْن المنفيِّيْن من بُولاندا، والذين جلبوا معهم الكتابات السُّوسيانيَّة.

ورغم أنَّ قانون التّسامح الذي أصدره البرلمان البريطاني لعام 1689م، استثنى من تسامحه التّوحيديِّيْن، مُعتبراً إيَّاهم خارجين عن المسيحيَّة، إلاَّ أنَّه سُرعان ما ظهر ـ بين بعض الأساقفة الأنجليكان أنفسهم، كما بين بعض المُنشقِّين عن الكَنيسة الأنجليكانيَّة ـ مُدافعون عن اللاَّهوت المسيحي الآريُوسي[1] الأمر الذي حدا بهؤلاء الأساقفة المُنشقِّين إلى السّعي إلى إلغاء وإبطال القانون الذي كان ينصُّ على ضرورة توقيع جميع الكنائس على الموادِّ الـ 39 الأنجليكانيَّة؛ ليتمَّ الاعتراف بها. إلاَّ أنَّ سعيهم هذا باء بالفشل. فاجتمع هؤلاء المُنشقُّون في قاعة سالتر في لندن عام 1719، وانقسموا إلى فريقَيْن: الأوَّل قَبلَ بالالتزام بوثائق الاعتراف الإيماني، في حين أصرَّ الآخرون على الاكتفاء بالالتزام بنُصُوص الكتاب المُقدَّس فحسب. ومُنذُ القرن الثّامن عشر، بدأ هذا الفريق الثّاني من الأساقفة واللاَّهوتيِّيْن، الذي كان ينتمي

---

(1) نسبةً لآريُوس أسقف الإسكندريَّة المُوحِّد في القرن الميلادي الرّابع، الذي أعلن أنَّ المسيح حادثٌ ومخلوقٌ خاضعٌ لله، وليس مُساوياً لله الآب، الذي هُو وحده القديم الأزلي الأعظم من الكُلِّ وخالق الكُلّ، الذي لا يلد، ولا يُولد (راجع الفصل الأوَّل من هذا الكتاب).

بعضهم للكَنيسة المشيخانيَّة والآخر للمَعْمَدَانيَّة العامَّة[1] مع بعض المُستقلِّين، بدأ يتَّجه شيئاً فشيئاً مع أتباعه نحو الأفكار التّوحيديَّة؛ ليُشكِّل نُواة الكَنيسة التّوحيديَّة في بريطانيا.

وفعلاً؛ وفي عام 1774، كان مُجتمع العبادة أو الكَنيسة الصَّغيرة في شارع إسِّيكس Essex Street Chapel في لندن، أوَّل كَنيسة توحيديَّة تُؤسَّس رسمياً في إنجلترا برئاسة الأسقف "ثيوفيلوس ليندسي" Theophilos Lindsy (1723 ـ 1808) الذي كان رجل دين أنجليكاني قبل أنْ يهتدي للتّوحيديَّة. كما ترك الأسقف المُنشقُّ عن الأنجليكانيَّة إلى التّوحيديَّة "جُوزيف بريستلي" Joseph Priestly (1733 ـ 1804)، أثراً هاماً في فكْر التّوحيديِّيْن عبر تفسيره العقلاني للنُّصُوص المُقدَّسة، وأفكاره حول الحتميَّة المادِّيَّة، وتأكيده على كريستيولوجيا بشريَّة إنسانيَّة Humanitarian Christology (أيْ بشريَّة المسيح، وإنسانيَّة تعاليمه). وأيَّد اللاَّهوتي التّوحيدي "تُوماس بلشام" Thomas Belsham الأسقف بريستلي في تأكيده على الكريستيولوجيا البشريَّة في مُخالفةٍ للآراء الآريُوسيَّة. وفي عام 1825، تمَّ تأسيس "الجمعيَّة التّوحيديَّة البريطانيَّة والأجنبيَّة" The British and Foreign Unitarian Association.

في أواخر القرن التّاسع عشر؛ ألغى البرلمان البريطاني بعض قوانين مَنْع الكنائس غير المُلتزمة بالقانون المُوحَّد، والتي كانت تحدُّ من نشاط التّوحيديِّيْن، فاستفاد التّوحيديُّون من هذه الحُرِّيَّة، وتحرَّكوا نحو حياة كَنسيَّة أكثر نشاطاً وفعاليَّة. ومن جهة أُخرى؛ تأثَّر التّوحيديُّون الإنجليز ـ إلى حَدٍّ كبير ـ بالقسِّ جيمس مارتينو James Martineau (1805 ـ 1900)، الذي ركَّز على أهميَّة الحَدْس والكشف الرُّوحي (أيْ التّجربة الدِّينيَّة لكُلِّ فرد) في الدِّين.

في عام 1920، اتَّحدت الجمعيَّة التّوحيديَّة البريطانيَّة والخارجيَّة مع المُؤتمر الوطني (الذي كان يضمُّ عدداً من الكنائس المسيحيَّة الحُرَّة الأُخرى)، لينتج عن ذلك تأسيس الجمعيَّة العامَّة للكنائس المسيحيَّة الحُرَّة والتّوحيديَّة General Assembly of Unitarian and Free Christian Churches. وتُوجد الكنائس التّوحيديَّة ـ اليوم ـ في ويلز، واسْكُتْلَنْدَا، وفي الكَنيسة المشيخيَّة غير المُسجَّلة في أيرلندا.

---

(1) راجع شرح فرقة القائلين بتجديد العماد (الأَنَابَابْتِيسْت) في الفصل السّابق، والكَنيسة المعمدانيَّة في هذا الفصل لمعرفة الفرْق بين المعمدانيَّة الخاصَّة والمعمدانيَّة العامَّة.

وفيما يلي نبذة عن حال أهمِّ وأشهر الشّخصيَّات التّوحيديَّة في إنجلترا، وما لعبته من دور في نَقْل هذا الاتِّجاه لأمريكا:

1) الأُستاذ المُحقِّق البريطاني جُون بيدل John Biddle (1615 ـ 1662): الذي يُعتبر أبا مذهب التّوحيد في إنجلترا؛ حيثُ قام بنشاط إصلاحي قوي في بريطانيا، وَنَشَرَ رسائله التّوحيديَّة المدعومة بالبراهين المنطقيَّة الدَّالَّة على بُطلان إلـهيَّة المسيح، وبُطلان إلـهيَّة الرُّوح القُدُس، وتفرُّد الله (الآب) وحده بالإلـهيَّة والرُّبُوبيَّة، وقد تعرَّض هُو وأتباعه لاضطهاد شديد، وحُوكم، وسُجن عدَّة مرَّات، وتُوفِّي ـ أخيراً ـ وهُو سجين بسبب سُوء ظُرُوف السّجن، وسُوء المعاملة فيه، وقد أثَّرت أفكاره في الكثيرين من مُتحرِّري الفكْر في بريطانيا، فآمنوا بها؛ ومن أشهرهم: السَّيِّد ميلتون Milton (1608 ـ 1674) والسَّيِّد إسحاق نيوتن Sir Issac Newton (1642 ـ 1727) العالم الفيزيائي الشّهير، وأُستاذ علم الاجتماع جُون لوك John Lock (1632 ـ 1704)، وكُلُّهم ساهم ـ بدوره ـ في نقد عقائد وتعاليم الكَنيسة المُعقَّدة غير المفهومة كالتّثليث والتَّجسُّد وإلهاميَّة كُلّ ما في الكتاب المُقدَّس و. . . إلخ، بما كَتَبُوه، وَنَشَرُوه من كُتُب وأبحاث ورسائل.

2) القسِّيس البريطاني تُوماس إيملين Thomas Emlyn (1663 ـ 1741): وكان من القساوسة البرُوتستانت المشايخيَّة Presbyterian، وَنَشَرَ كتاباً بعُنوان: "بحث مُتواضع حول رواية الكتاب المُقدَّس عن يسُوع المسيح"؛ بيَّن فيه بُطلان القول بإلـهيَّة المسيح، وبُطلان القول بتساويه مع الآب، فقُبض عليه، واتُّهم بالهرطقة، ونُفي من بريطانيا، لكنَّه ـ رغم ذلك ـ لم يتوقَّف عن دعوته للتّوحيد التّامِّ، وَنَشَرَ رسائله المُدلّلة بالبراهين القويَّة من الكتاب المُقدَّس، على نفي إلـهيَّة المسيح، أو إلـهيَّة الرُّوح القُدُس، ووُجُوب إفراد الله تعالى وحده بالعبادة والصّلوات، وتُعتبر رسائله من أقوى ما كُتب في هذا الباب، وكان عدد القساوسة المشيخيِّين Presbyterians الذين انضمّوا إليه، وآمنوا بآراء آريُوس وغيره من المُوحِّدين في بداية القرن الثّامن عشر الميلادي عدداً لا يُستهان به.

3) القسِّيس البريطاني ثيوفيلوس ليندسي Theophilos Lindsy (1723 ـ 1808): وكان مُنظِّم أوَّل جماعة مُصلِّين مُوحَّدة إنجلترا في شارع إسيكس في لندن، وكان يُؤكِّد أنَّه

ليست الكنائس فقط مكان عبادة الله، بل للإنسان أنْ يختار أيّ مكان لأداء الأدعية والصّلوات لله وحده فقط.

4) القسِّيس والعالم البريطاني جُوزيف بريستلي **Joseph Priestly (1733-1804)** : وكانت أبعد كتاباته أثراً كتاب "تاريخ ما لحق بالنّصرانيَّة من تحريفات"، وجاء في مُجلَّدَيْن. وقد أثار هذا الكتاب ثائرة أتباع الكَنيسة الرّسميَّة، وأمروا بإحراقه فيما بعد، كما ألَّف كتاباً آخر في دَحْض التّثليث، وإبطال أُلُوهيَّة المسيح، سمَّاه "تاريخ يسُوع المسيح". هذا؛ وقد اهتمَّ بريستلي كذلك بالكيمياء، واكتشف الأُوكسجين الأمر الذي أكسبه شهرة عالميَّة. وقد هاجر بريستلي في آخر عُمره إلى أمريكا، وكان هُو الذي أنشأ أوَّل كَنيسة توحيديَّة **Unitarian Church** هُناك في مدينة "بُوسطن"؛ حيثُ تُوفِّي.

5) القسِّيس الأمريكي ويليام إيليري تشانينغ **William Ellery Channing (780-1842)** : كان له الفضل في تطوير وإرساء دعائم الكَنيسة التّوحيديَّة في أمريكا وبريطانيا بفضل مواعظه المُؤثِّرة البليغة، وخُطبه القويَّة، ومُحاضراته القيِّمة، هُو ومُساعده القسِّيس رالف والدو إيميرسن **Ralph Waldo Emerson**. ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّ أفكار فرقة المُوحِّدين **Unitarians** هذه تسرَّبت إلى قادة الحَركَة التي قامت بتأسيس مدرسة اللاَّهوت العصريَّة في جامعة هارفرد **Harvard** الشّهيرة في الولايات المُتَّحدة سنة **1861**.

التّوحيديَّة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة **American Unitarianism**:

اتَّجه عدد من القساوسة الأبرشانيِّين في المُستعمرات الأميركيَّة الجديدة، الذين تأثَّروا بالكريستولوجيا (أيْ العقيدة بشأن المسيح) الآريُوسيَّة، وباللاَّهوت الأرمينياني[1] شيئاً فشيئاً نحو الآراء التّوحيديَّة. وكان القسُّ والعالم البريطاني التّوحيدي "جُوزيف بريستلي" الذي هاجر إلى شمال أمريكا في آخر عُمره، أوَّل مَنْ أنشأ كَنيسة توحيديَّة في أمريكا في مدينة

---

(1) لاهوت يُؤكِّد على الإرادة الحُرَّة وحُرِّيَّة الاختيار لدى الإنسان، وأنَّ الإنسان هُو الذي يُحدِّد مصيره بيده، كما يرى أنَّ عمل الفداء الذي قام به المسيح مُوجَّه لكُلِّ البشريَّة، ولبني الإنسان كَكُلٍّ، وليس المسيحيِّين فقط. (راجع تفصيله في الفصل الرّابع من هذا الكتاب: قسم الفرَق والحَركَات التي انشقَّت عن البرُوتستانتيَّة: "فرقة الأرمينيِّين").

"بُوسطن" . وفي عام 1825 ، وحَّدَ فريق من التّوحيديِّيْن المُتفرِّقين في أنحاء مُختلفة من شرق الولايات المُتَّحدة وكَنَدَا أنفسهم ضمن جماعة مُوحَّدة ، أطلقوا عليها اسم الجمعيَّة التّوحيديَّة الأميركيَّة American Unitarian Association(AUA) .

كانت أهمُّ ملامح الفكْر التّوحيدي للتّوحيديِّيْن الأميركيِّيْن اعتناقهم العقيدة الآريُوسيَّة في شأن المسيح ، وإيمانهم بحُجيَّة الكتاب المُقدَّس مع التّعويل على التّفسير العقلي لنُصُوصه ، والنّظرة التّفاؤليَّة لطبيعة الإنسان . كما كان لكُلٍّ من "رالف والدو إيمرسون" Ralph Waldo Emerson في كتابه : Divinity School Address ؛ أيْ "خطاب كُلِّيَّة الإلـهيَّات" (1838) و"ثيودور باركر" Theodore Parker في كتابه The Transient and Permanent in Christianity ؛ أيْ "العرضي والدّائمي في المسيحيَّة" (1814) - وكلاهما أكَّد على أهمِّيَّة التّجربة الرُّوحيَّة الشّخصيَّة والأخلاق المثاليَّة - تأثير بارز على التّوحيديِّيْن ، كما كان لزعامة باركر ، وتصدِّيه لقضايا إصلاحيَّة اجتماعيَّة مثل الحَرَكَة المُعادية للرِّقِّ (أيْ ضدَّ العُبُوديَّة) تأثيرها الواضح - أيضاً - في مسار التّوحيديِّيْن .

على الرّغم من أنَّ موضوع أهمِّيَّة الكَشْف الرُّوحي ، أو حُجِّيَّة المعرفة الدِّينيَّة النّاتجة عن التّجربة الرُّوحيَّة الفرديَّة ، أحدث انقساماً في صفُوف التّوحيديِّيْن ، إلاَّ أنَّ "هنري ويتني بللوز" Henry Whitney Bellows ، الذي كان من الشّخصيَّات التّوحيديَّة البارزة بعد الحرب الأهليَّة الأمريكيَّة ، نَجَحَ عام 1865 ، في تنظيم المُؤتمر الوطني للكنائس التّوحيديَّة .

في القرن العشرين ؛ حيثُ انتشرت الأفكار الإنسانيَّة ، وُجدَ بين التّوحيديِّيْن تيَّار حاول أصحابه صياغة لاهوت مُتحرِّر (ليبرالي) على أرضيَّة إنسانيَّة غير إلهيَّة ، ممَّا أوجد في صفُوف التّوحيديِّيْن خلافاً ونزاعاً إنسانياً - إلهياً . وبعد أنْ وقَّع بعض الأساقفة التّوحيديِّيْن مثل "جُون ديتريخ" John Dietrich و"كورتيس ريز" Curtis Reese على البيان الرّسمي الإنساني Humanist Manifesto (1933) ، أصبحت الإنسانيَّة الدِّينيَّة (أو المُتديِّنة) Religious Humanism عقيدة كثير من التّوحيديِّيْن . وفي الثّلاثينيَّات ؛ بَرَزَتْ حَرَكَة مُهمَّة وسط التّوحيديِّيْن كَرَدِّ فعْل على أزمة إيمان عامَّة وسط الفكْر اللِّيبرالي ؛ تزعَّمها جيمس لُوثر آدمز

James Luther Adams الذي ساهمت كتاباته ـ بشكل واضح ـ في دعم علم اللاَّهوت التّوحيدي والفكْر الاجتماعي للتّوحيديِّيْن. وتحظى دراساته حول الأعمال الاجتماعيَّة التَّطوُّعيَّة ـ اليوم ـ بأهمِّيَّة كبيرة لدى التّوحيديِّيْن (خاصَّة كتابه: "On Being Human Religiously" (أيْ كيف تكون إنسانياً، دينياً، 1976).

في عام 1961، اندمجت الجمعيَّة التّوحيديَّة الأمريكيَّة The American Unitarian Association (AUA) مع جمعيَّة مسيحيَّة أُخرى تحمل أفكاراً مُشابهة تُدعى: الكَنيسة الشُّمُول ـ خلاصيَّة الأمريكيَّة The Universalist Church of America، ونتج عن هذا الاندماج جمعيَّة أُطلق عليها اسم: "الجمعيَّة التّوحيديَّة الشُّمُول ـ خلاصيَّة" The Unitarian Universalist Association (UUA). وهُنا؛ لابُدَّ من كلمة توضيح لماهيَّة الكَنيسة الشُّمُول ـ خلاصيَّة التي رأت الكَنيسة التّوحيديَّة أنْ تندمج معها، فَمَنْ هُم هؤلاء الشُّمُول ـ خلاصيُّون؟

الحَرَكَة الشُّمُول خلاصيَّة Universalism:

بَرَزَتْ الشُّمُول ـ خلاصيَّة Universalism كحَرَكَة دينيَّة، من تأثيرات "التّقويَّة الرّاديكاليَّة" Radical Pietism التي كان لها شأن في القرن الثّامن عشر، وبدأت كانشقاق داخل الكنائس المَعْمَدَانيَّة والأبرشانيَّة Baptist and Congregational Churches من قِبَل أشخاص رَفَضوا عقيدة القضاء والقَدَر المحتوم المُسبَق الذي يجعل النّجاة محصُورة بعدد قليل من المُختارين سابقاً فحسب. وَذَهَبَ الشُّمُول ـ خلاصيُّون Universalists إلى أنَّ الكتاب المُقدَّس لا يدلُّ على عذاب النّار الأبدي اللاَّنهائي للمُجرمين الكافرين، ومالوا إلى مقالة اللاَّهوتي الإسكندري القديم أُوريجن (عاش في القرن الميلادي الثّالث)، الذي أكَّد أنَّه في النّهاية ستنتصر الرّحمة الإلهيَّة، ويعود الجميع ـ كُلُّ المخلوقات بأسرها بلا استثناء ـ إلى الله، ويشمل الخلاص جميع المخلوقات، ومن هُنا؛ أتى اسم الجماعة.

وكان الأسقف "هوشيا باللو" Hosea Ballou (1771 ـ 1852) أبرز الكَهَنَة الشُّمُول ـ خلاصيِّيْن في أمريكا في القرن التّاسع عشر، وقد كان لكتابه الشّهير A Treatise on Atonement (أيْ بحث حول عمل الفداء التّكفيري للمسيح) أثره في هداية قساوسة وكَهَنَة

الجماعة نحو عقيدة توحيديَّة **Unitarian** بشأن الله وعقيدة آريُوسيَّة حول المسيح ، وقد أوضح في كتابه أنَّه طالما أنَّ الخطيئة مُتناهيَّة في طبيعتها ، وطالما أنَّ كُلَّ الآثار السَّيِّئة للخطيئة تتمُّ تجربتها في هذه الحياة ، فإنَّ جميع البشريَّة ستنال الخلاص بعد الموت . وقد ترك "بالو" - فيما بعد - عقيدته الآريُوسيَّة حول الوُجُود السّابق للمسيح . واستقرَّ رأي الجماعة - في النّهاية - على أنَّه سيكون هُناك عقاب أُخروي للعُصاة ، ولكنَّه ليس أبديّاً ؛ لأنَّه - في النّهاية - سيصطلح الجميع مع الله ، وينالون رحمته .

كان "أدين بالو" (**1803 - 1890**) مُدافعاً قويّاً عن تطبيق التّعاليم الأخلاقيَّة للإنجيل والعهد الجديد لحلِّ القضايا الاجتماعيَّة .

في عام **1953** ، تبنَّى الشُّمُول الخلاصيُّون مبدأ عدم ضرورة الالتزام بعقيدة مُعيَّنة لمَنْ يُريد أنْ ينضمَّ إلى جماعته . ومُنذُ السِّتِّينات أكَّد قادة هذه الحَرَكَة على الإنسانيَّة الدِّينيَّة ، وعلى أهمِّيَّة الاستفادة من حكمة وتعاليم أديان العالم الكبيرة .

خُلاصة التّعاليم المُميَّزة لأتباع الجمعيَّة الشُّمُول - خلاصيَّة التّوحيديَّة :Unitarian Universalist Association (UUA)

يرى اللاَّهوتي إيرل مورس ويلبور **Earl Morse Wilbur (1866 - 1956)** أنَّ هُناك سمة مُشتركة كانت - ولا تزال - قاسماً مُشتركاً ومُميَّزاً لجميع التّوحيديِّين ؛ بدءاً من طلائع الكَنيسة التّوحيديَّة في بُولندا وترانسيلفانيا (رُومانيا) ، والمجر ، ثُمَّ في إنكلترا ، وأمريكا . تمثَّلت هذه السّمة المُشتركة بنوع من الحُرِّيَّة الدِّينيَّة أكثر من تمثُّلها في توافق في الاعتقادات والاعترافات ، فليس لدى التّوحيديِّين ارتكاز على تقليد ثابت أو سُلطة خارجيَّة ، ولكنَّ تركيزهم الأساسي - هُو - على استخدام العقل في صياغة العقائد الدِّينيَّة ، وعلى التّسامح تجاه الآراء الدِّينيَّة المُختلفة وأساليب العبادة والسِّياسة .

وليس عند جميع "الشُّمُول - خلاصيِّين التّوحيديِّين" نصٌّ إيمان أو اعتراف ثابت واحد ، ولا غروَ ؛ فهُم - أصلاً - يُنكرون حُجيَّة النُّصُوص العقائديَّة التي أعلنَتْها ونَشَرَتْها المجامع الكَنَسيَّة القديمة ، كُلُّ ما في الأمر أنَّ تعاليمهم شملت تاريخيّاً منحى عامّاً واحداً أهمّ ركائزه

الإيمان بوحدانيَّة الله؛ بمعنى نفي التّثليث في ذاته، والقول ببشريَّة يسُوع المسيح المحضة، ونفي التَّجسُّد، بالإضافة إلى التّأكيد على مسؤوليَّة الإنسان الدِّينيَّة والأخلاقيَّة حتَّى يصل للخلاص عند الله، وأخيراً؛ الإيمان بإمكانيَّة الوُصُول للخلاص الدِّيني من خلال التّقاليد الدِّينيَّة المُختلفة (نفي انحصار النّجاة في المسيحيَّة). وهُم يُؤكِّدون على حُجِّيَّة القناعة الدِّينيَّة لكُلِّ فرد، وأهمِّيَّة العمل الإصلاحي الاجتماعي المُنطلق من الحافز الدِّيني، وعلى اتِّباع المنهج الدِّيمُوقراطي في إدارة الكَنيسة، وعلى حُجِّيَّة العقل والتّجربة الشّخصيَّة كأُسُس صحيحة لصياغة المُعتقدات الدِّينيَّة.

وقد دفع اهتمام "الشُّمُول ـ خلاصيِّين التّوحيديِّين" التّقليدي بالقضايا الاجتماعيَّة، دفع نُشطاءهم إلى إيلاء أهمِّيَّة كبيرة ودعم واسع للمُطالبات بالمُساواة والحُقُوق الكاملة للسُّود، وبالحَرَكَة النّسائيَّة المُطالبة بمَنْح جميع الحُقُوق المَدَنيَّة والسِّياسيَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة للمرأة أُسوة بالرّجل، والمُطالبة بالحُقُوق والمُساواة الكاملة لجميع المجموعات العرْقيَّة أو الدِّينيَّة. وقد ربح النّساء ـ لهذا السّبب ـ مركزا أساسيّاً في الجمعيَّة الشُّمُول ـ خلاصيَّة التّوحيديَّة، إلاَّ أنْ كون أكثر أعضاء الجمعيَّة من الطّبقة الوُسطى، ومن البيض، لا يزال مُشكلة باقية.

وعلى الرّغم أنَّ التّوحيديِّين غير العابدين **Nonadorantist** (أيْ الذين مَنَعُوا عبادة شخص المسيح، وَذَهَبُوا إلى تقديم العبادة لله الآب وحده فقط) في رُومانيا وهنغاريا كانوا مسيحيِّين مُتديِّنين تماماً، وراسخي الإيمان، فإنَّ اعتقادات التّوحيديِّين الشُّمُول ـ خلاصيِّين في إنجلترا والولايات المُتَّحدة وكَنَدَا صارت تتراوح بين المسيحيَّة التّوحيديَّة والإنسانيَّة المُتديِّنة **Religious Humanism**؛ كما أنَّ لديهم آمالاً أنْ يُصبحوا ديناً عالميّاً شاملاً. وفي حين كان الاتِّجاه السّائد لدى الشُّمُول خلاصيِّين في القرن التّاسع عشر هُو أنَّ جميع النّاس بعد الموت سيُخلَّصون في النّهاية، ويصيرون ـ في غاية الأمر ـ إلى رحمة الله، فإنَّ الاتِّجاه الذي بدأ يسود لدى الشُّمُول ـ خلاصيِّين في القرن العشرين يتوافق مع المذهب الطّبيعي الذي ينظر إلى الخلاص كمظهر للتّجربة الإنسانيَّة الحاليَّة.

العبادة والتّنظيم:

تتمحور العبادة لدى التّوحيديّيْن الشُّمُول ـ خلاصيّيْن حول سماع الخُطب والدُّرُوس الدِّينيَّة. وتتمُّ تلاوة تراتيل دينيَّة يتمُّ التّركيز فيها على الإنسانيَّة الدِّينيَّة. وتُوجد بعض الطُّقُوس البسيطة. وفي حين يُواظب التّوحيديُّون في رُومانيا وهنغاريا على طَقْسَيْ التّعميد والعشاء السِّرِّيّ، فإنَّ توحيديِّيْ الولايات المُتَّحدة ـ باستثناء التّوحيديِّيْن المسيحيِّيْن ـ لا يلتزمون إلاَّ أحياناً بتعميد الأطفال، ويُحيون ذكْر العشاء الرّبّاني في أوقات مُتباعدة ونادرة.

ومن حيثُ التّنظيم؛ يتبع التّوحيديُّون الإنجليز وأتباع الجمعيَّة التّوحيديَّة الشُّمُول ـ خلاصيَّة الأمريكيَّة سياسيَّة عَقْد الاجتماعات، ويُؤكِّدون على العمليَّة الدِّيمُقراطيَّة في اتِّخاذ القرارات. ولديهم جمعيَّة عامَّة تتكوَّن من الكَهَنَة ومُمثِّلين عن العلمانيِّيْن من مُختلف الكنائس التّوحيديَّة. أمَّا في هنغارية ورُومانيا؛ فيقوم أسقف ورئيس علماني بالإشراف على الكنائس التّوحيديَّة في كُلِّ بلد، التي تحكمها اجتماعات سنويَّة لمجلس الكنائس.

عدد أتباع هذه الكَنيسة ومناطق توزُّعها:

يقع المركز الرّئيسي للجمعيَّة "الشُّمُول ـ خلاصيَّة التّوحيديَّة" **Unitarian Universalist Association** في أمريكا في مدينة "بُوسطن"، وهُو يشرف، أو بالأحرى، يقوم بالتّنسيق وإيجاد التّعاون، بين مُختلف الفُرُوع والمُؤسَّسات والاتِّحادات ولجان الخدمات والاتِّحادات النّسائيَّة التّابعة لهذه الكَنيسة أو الجمعيَّة، ـ والتي ليس من الضّروري أنْ تحمل جميعها فكْرها، أو تتَّفق معها في عقائدها ـ، وتنتشر تلك الفُرُوع في 23 مُقاطعة إداريَّة في جميع أنحاء الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، وتضمُّ ـ بمجموعها ـ 172 ألف عُضو، وحوالي 950 كَنيسة، وتضمُّ في كَنَدَا حوالي 62 ألف عُضو، لها 48 كَنيسة. وقد انضمَّت هذه الجمعيَّة مُؤخَّراً ـ أيضاً ـ إلى الجمعيَّة العالميَّة للمسيحيَّة الحُرَّة وللحُرِّيَّة الدِّينيَّة **International Association for Liberal Christianity and Religious Freedom**.

الفصل السّادس :

الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة

تمهيد:

ليس وُجُود اتّجاهات صهيونيَّة لدى بعض المسيحيِّين أمراً جديداً، أو حَدَثَ ـ فقط ـ بعد قيام (دولة إسرائيل) الغاصبة في فلسطين، كما قد يظنُّ البعض، بل قد وُجِدَتْ مثل هذه النّزعات الصّهيونيَّة؛ أيْ المُؤمنة بتوطين اليهُود أو بني إسرائيل في أرض فلسطين، لدى بعض المسيحيِّين الأُصُوليِّين من مُختلف المذاهب والطّوائف، خاصَّةً بعض البرُوتستانت، مُنذُ القرن السّادس العشر الميلادي؛ أيْ بعد قيام حَرَكَة الإصلاح البرُوتستانتيَّة، وبعد أنْ تُرجم الكتاب المُقدَّس ـ خاصَّة العهد القديم ـ إلى اللُّغات المحلِّيَّة؛ حيثُ ازداد الاهتمام بدراسة ذلك الكتاب، الأمر الذي أوجد تأثُّراً وتفاعلاً مع الوُعُود الموجودة فيه لشعب إسرائيل التّاريخي بجَعْل أرض كنعان (أيْ فلسطين) "أرض ميعادٍ" له، بالإضافة إلى تنامي الفَهْم الحَرْفي بينهم للوعد بالمجيء الثّاني للمسيح إلى ذلك الشّعب في أرض فلسطين في آخر الزّمن، وقيادته العالم من القُدْس، بأنَّه مجيءٌ جسميٌّ، وليس رمزياً معنوياً، ويستلزم سُكْنَى وامتلاك ذلك الشّعب لتلك الأرض!.

إلاَّ أنَّ تلك النّزعات الصّهيونيَّة المسيحيَّة بقيت نزعات مُتفرِّقة ضعيفة التّأثير في العالم المسيحي الغربي، ولم تتحوَّل إلى تيَّار قوي وفاعل إلاَّ في القرنَيْن الأخيرَيْن؛ حيثُ بدأت تظهر بعض الجماعات والجمعيَّات ورجال دين بارزين في أوساط المسيحيِّيْن الغربيِّيْن؛ خاصَّة بين الأُصُوليِّيْن من البرُوتستانت، وبالذّات في أوساط بعض الفرَق الأُصُوليَّة التي انشعبت عن البرُوتستانتيَّة، كالسّبتيِّيْن، والمَعْمَدَانيِّين، وشُهُود يَهْوَه، ونحوهم، لاسيما في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، تتعاطف وتُنادي وتُطالب ـ بصراحة ـ بلُزُوم عودة الشّعب اليهُودي إلى "أرض الميعاد"؛ أيْ فلسطيننا الحبيبة المُغتصَبَة، وأنَّها حقُّه، ووطنه الأبدي!.

وقد تتوَّجت تلك الاتِّجاهات الصّهيونية المُتفرِّقة بنشأة تجمُّع لعدَّة مُنظَّمات مسيحيَّة برُوتستانتيَّة أُصُوليَّة أمريكيَّة - في العقدَيْن الأخيرَيْن من القرن العشرين - أطلق أتباعه على أنفسهم - بصراحة - اسم: « الصّهيونيُّون المسيحيُّون » Christian Zionists، وأنشؤوا لأنفسهم مركزاً في القُدْس أسموه « السِّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة في أُورشليم »[1] The International Christian Embassy-Jerusalem، محور عقيدتهم ومبدؤهم الذي يُنادون به، ويعملون لأجله هُو ما عبَّر عنه أحد أكابر تلك الحَرَكَة، القسّ "جيري فالويل" Jerry Falwell راعي كَنيسة تُوماس رود المَعْمَدَانيَّة Thomas Road Baptist Church، ذات العشرة آلاف عُضو، في لينشبرغ Lynchburg بفرجينيا Virginia (الولايات المُتَّحدة)، في قوله: « إنَّ مَنْ يُؤمن بالكتاب المُقدَّس حقّاً يرى المسيحيَّة و(دولة إسرائيل) الحديثة مُترابطتَيْن على نحوٍ لا ينفصم. إنَّ إعادة إنشاء (إسرائيل) عام 1948، لهي - في نَظَر كُلِّ مسيحي مُؤمن بالكتاب المُقدَّس - تحقيقٌ لنُبُوءات العهدَيْن القديم والجديد »[2].

وقد نَظَرَ "مجلس كنائس الشّرق الأوسط" بعين القلق البالغ إلى هذه الفرقة ونشاطات مركزها الذي أَسْمَتْهُ « السِّفارة المسيحيَّة » في القُدْس، ورأى فيها إساءة استعمال واضحة للكتاب المُقدَّس، واستغلالاً سيِّئاً للمشاعر الدِّينيَّة للمسيحيِّيْن لما تتضمَّن من مُحاولة لتقديس إنشاء دولة ما، وتسويغ سياسات حُكُومة مخصُوصة - أيْ (إسرائيل) - والانحياز المُطلق لها؛ بحُجَّة أنَّ الإيمان المسيحي يستلزم دعم ونصرة هذه الدّولة بالذّات، والدّفاع عنها.

لقد رأى مجلس كنائس الشّرق الأوسط في مبادئ تلك الحَرَكَة تحريفاً خطراً للإيمان المسيحي، وانحرافاً كبيراً عن رسالة المسيح الحقيقيَّة.

ووصلت الوقاحة في بعض أعضاء حَرَكَة أو جماعة الصّهيونيِّيْن المسيحيِّيْن - وهُو القسُّ "يان ويلْيَم فان در هوفن" النّاطق الرّسمي بلسان « السِّفارة المسيحيَّة » - إلى اعتباره « أنَّ المسيحيِّيْن سوف يُحاسَبون حسب أعمالهم من أجل (دولة إسرائيل) فحسب!!. وأنَّ

---

(1) انظر كُلَّ شيء عن أهدافها وأغراضها ونشاطاتها في موقعها على الإنترنت، وعُنوانه:
http://www.icej.org.il.

(2) Merrill simon, Jerry Falwell and the Jews (Middle village, New York: Jonathan David Publishers, 1984), page12.

المسيحيِّين الحقيقيِّين هُم أُولئك الذين يطرحون ماضيهم كأغيار (الأُمم من غير بني إسرائيل) ويصيرون "إسرائيليِّي الله" !!»[1].

ونُحاول في هذا الفَصْل أنْ نتبيَّن أصل وحقيقة هـذه الفرقـة المُنتسبة للمسيحيَّة، ومراحل نشأتها، وتكوُّنها الفكْري، والمصدر الذي تستقي منه أفكارها، ثُمَّ نشرح مبادئها، وأهدافها، ونشاطاتها، وخُطُورتها على العلاقة الطَّيِّبة بين الإسلام والمسيحيَّة في بُلدان الشّرق الأوسط العربيَّة والإسلاميَّة، القائمة على المحبَّة والسّلام. هـذا؛ وبما أنَّ موضوع هذا الكتاب هُو عن الفرَق والمذاهب المسيحيَّة، فإنَّ التّركيز ـ في العرض هُنا ـ سيكون على الجانب الدِّيني والفكْري لهذا التَّيَّار، أكثر من الحديث المُسهب عن وقائع النّشاطات الإعلاميَّة والسِّياسيَّة له[2].

ولكنْ؛ لابُدَّ قبل الشُّرُوع في الكلام عن هـذه الحَرَكَة الأُصُوليَّة المسيحيَّة المُتطرِّفة أنْ نشرح مجموعة من المُصطلحات ذات المعاني المُتعدِّدة؛ لنُحدِّد المعنى الخاصَّ المُراد منها في موضوع جمعيَّة "الصّهيونيَّة المسيحيَّة" مَنْعاً للالتباس.

بيان المُصطلحات[3]:

فيما يلي شَرْحٌ لأهمِّ المُصطلحات والمفاهيم المُستعمَلَة في دوائر الأُصُوليِّين المسيحيِّين:

---

(1) "ما هي الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة؟"، نَشْر: مجلس كنائس الشّرق الأوسط، ص 5.

(2) لعلَّ كتاب "البُعْد الدِّيني في السِّياسة الأمريكيَّة تجاه الصّراع العربي الصّهيوني: دراسة في الحَرَكَة المسيحيَّة الأُصُوليَّة الأمريكيَّة"، تأليف الدّكتور يُوسُف حسن، وإصدار مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيرُوت، الذي طُبع ثلاث مرَّات، آخرها سنة 2000 م، هُو أفضل مَنْ غطَّى ـ بشكل مُمتاز ـ الجانب الاجتماعي والإعلامي والسِّياسي لهذا الاتِّجاه الصّهيوني في المسيحيَّة الأُصُوليَّة، في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة.

(3) انطلاقاً من مقولة أنَّ "أهل مكَّة أدرى بشعابها"، اقتبستُ ـ بدءاً من هُنا ـ وكمرجع أساسي في بقيَّة هذا الفصل، من الدّراسة القيِّمة التي نَشَرَهَا (مجلس كنائس الشّرق الأوسط) بعُنوان "ما هي الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة؟"، والذي استوعب جُذُور هذا التَّيَّار الدِّينيَّة والفكْريَّة ومسيرته التّاريخيَّة (مع بعض الإضافات التّوضيحيَّة والتَّصرُّف اليسير من عندي بما ينطبق مع منهج الكتاب). هذا؛ ويُشار إلى أنَّ مجلس كنائس الشّرق الأوسط تجمُّعٌ للكنائس المسيحيَّة في البُلدان العربيَّة والشّرق الأوسطيَّة، نشأ حديثاً قبل عقدَيْن، وكان مركزه ـ في البداية ـ في بيرُوت، ثُمَّ انتقل ـ أثناء الحرب الأهليَّة اللُّبنانيَّة ـ إلى قُبرص، ولا يزال له مركزان: الأوَّل في قُبرص، والآخر في بيرُوت. ويرفض هذا المجلسُ الصّهيونيَّةَ المسيحيَّةَ، ويراها خَطَراً وتحريفاً لرسالة السَّيِّد المسيح عليه السّلام، وإضراراً بالمسيحيِّين في البُلدان العربيَّة والشّرق أوسطيَّة.

إنجيلي Evangelical: تضمُّ هذه الفئة الشّاملة طيفاً واسعاً من المُعتقدات اللاّهوتيّة والكنائس والمُنظّمات. ففي مُعظم أنحاء أُورُوبا والشّرق الأوسط يدلُّ اللّفظ « إنجيلي » على الكنائس التّاريخيّة للإصلاح البرُوتستانتي، ومن بينها اللُّوثريّة، والميثوديست، والمشيخيّة والكنائس المُصْلَحة، والكنائس الأنجليكانيّة السُّفلى **Low Church Anglican**.

أمّا في شمال أمريكا وجنوبها، وإلى حَدٍّ ما في أفريقيا وآسيا؛ فيكتسي اللّفظ « إنجيلي » دلالة تختلف اختلافاً بيِّناً. ففي الغرب تُعَدُّ الإنجيلويّة **Evangelicalism** حَرَكَة داخل المسيحيّة البرُوتستانتيّة تُركِّز على خبرة « الولادة الثّانية »، وعلى الكتاب المُقدَّس باعتباره كلمة الله المعصومة (وهُو كثيراً ما يُؤوَّل تأويلاً حَرْفيّاً)، وعلى برنامج قوي من التّبشير، وتوقُّع عودة المسيح الوشيكة. يُوافق الإنجيليُّون - في مُعظمهم - على هذه العقائد الجوهريّة، ولكنَّ ثمّة تنوُّعاً عظيماً في التّأويلات، وفي إضافة بعض الهنات والتّلاوين من قبَل الفرَق الإنجيلويّة على اختلافها. ولابُدَّ من الإضافة أنْ ثمَّة حَرَكَة إنجيلويّة قويّة داخل مُعظم الكنائس البرُوتستانتيّة؛ سواء في إنجليز أو في الولايات المُتّحدة.

ثمّة في أمريكا ثلاثة تيّارات إنجيليّة مُتميِّزة - على الأقلّ - داخل الإنجيلويّة الغربيّة:

أوّلاً: الجناح اليساري التّقدُّمي المُتمثِّل في مجلاّت مثل: مجلّة "سوجورنرز" **Sojourners**[1]، (ومعناها: المُقيمون إقامة مُؤقّتة)، و"ذي أذر سايد" **The Other Side Magazine** (أيْ الجانب الآخر)[2]. وهؤلاء الإنجيليُّون فرقة صغيرة ولكنّها ذات نُفُوذ. وهُم يقولون بالمبادئ اللاّهوتيّة المذكورة أعلاه، ويُضيفون إليها برنامجاً قويّاً من العدالة الاجتماعيّة، خاصّة موضوع مُحاربة التّميز العُنصُري، ومُحاربة التَّعصُّب العُنصُري **Racism** لكنائس البيض، بالإضافة لمُحاربة المادِّيّة والاستغلال والفقر؛ سواء

---

(1) مجلّة Sojourners (ومعناها: المُقيمون إقامة مُؤقّتة)، وشعارها Christians for Justice and Peace؛ أيْ مسيحيُّون لأجل العدالة والسّلام، وللمجلّة موقع على الإنترنت عُنوانه: http://www.sojo.net/ .

(2) أنشأها عام 1965، راعيان مُتقاعدان لكَنيسة معمدانيّة Baptist church هُما Fred and Anne Alexander في مدينة كليفيلاند في ولاية أُوهايو، قالا إنَّهما شعرا بأنَّ رُوح القُدُس ناداهما ليقوما بمُحاربة التّعصُّب العُنصُري. وللمجلّة - أيضاً - موقع على الإنترنت عُنوانه: http://www.theotherside.org/ .

داخل الولايات المُتَّحدة، أم على الصَّعيد العالمي، وهُم يُعارضون الحُرُوبَ الأمريكيَّة كُلَّها، ومن جُملتها الحرب الأخيرة على العراق، ويرفضون السِّياسات الإمبرياليَّة الأمريكيَّة؛ لأنَّ مَلَكُوت الله - كما يقولون - لا يُوافق على الحُرُوب التَّوسُّعيَّة وإيديُولُوجيَّات القوميَّات الإمبراطُوريَّة، وما تستخدمه من جُيُوش لإخضاع الشُّعُوب. ويعملون لأجل السَّلام والعدالة الاجتماعيَّة. ويُدافعون عن حُقُوق العُمَّال والمُهاجرين واللاَّجئين... إلخ.

ثانياً: «الوسط»، أو المُؤسَّسة الإنجيلويَّة، وهي الفرقة العظيمة، وربَّما شكَّلت 65٪ من كُلِّ الإنجيلويِّيْن الأميركيِّيْن. وأهمُّ هيئة تمثيليَّة لهم هي الرَّابطة الوطنيَّة للإنجيليِّين، التي تضمُّ بين جناحَيْها ما ينوف على 30 طائفة؛ لكُلٍّ منها رسالتها التَّبشيريَّة وبرنامجها ومُؤسَّساتها الخدميَّة **Service Agencies**.

ثالثاً: الجناح الأُصُولي **Fundamentalist**، ويُشكِّل حوالي 25٪ من المجموع، وهُو - أيضاً - أبرز التَّيَّارات الثَّلاثة؛ إذْ يُسيطر سيطرة تُشبه الاحتكار على التَّبشير الإذاعي والتّلفزيوني، وهُو - مع الأسف - الأسرع نُمُوّاً في العالم المسيحي الغربي.

ويبلغ عدد الإنجيليِّيْن بالولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة 60 مليون نسمة. وقد ارتقوا في السّنوات القليلة الماضية إلى مراكز قيادة استراتيجيَّة تتراوح بين الرّئاسة الجُمهُوريَّة وعُضويَّة الكُونغرس وإدارة الشّركات الكُبرى[1]. والفرع الأُصُولي من الحَرَكَة الإنجيلويَّة الأمريكيَّة هُو الأكثر مُحافظة في لاهوته، وأخلاقيَّاته، وسياسته، وهُو الأنشط من بين الأجنحة الثّلاثة. ومُعظم المسيحيِّيْن الأُصُوليِّيْن - وإنْ لم يكن كُلّهم - يُسلِّمون بالمذهب السّابقي في اللاَّهوت، ولذلك ربَّما وَجَدَ المرءُ النّزعةَ «الصّهيونيَّةَ المسيحيَّةَ» أشدّ نشاطاً في صُفُوف هذه الفرقة.

القَدَريَّة: القَدَريَّة مُحاولة لتفسير تاريخ علاقة الله بالبشر بأحوال وأحقاب مخْصُوصة، وتعيين جدول تاريخي - مُستنبَط من نُبُوءات الكتاب المُقدَّس - لتعيين طريقة عمل الله في كُلِّ عصر من العُصُور المُحدَّدة. يقول س. آي. سكوفيلد **C. I. Scofield**، من أكابر النّاطقين بلسان هذا المذهب: «كُلُّ قَدَر دَوْرٌ من الزّمان، يُمتَحَن فيه البشر حسب ما أوحاه

(1) Timothy Weber ، *Living in the Shadow of the Second Coming* (Grand Rapids: Zondervan Publishing Company, 1983), Pages 5 –6.

الله من وحي مخصوص »[1]. ويزعم المذهب الحديث في القَدَريَّة أنَّ الله قد جَعَلَ في التّاريخ مسارين مُتوازيَيْن: أحدهما يعمل من خلال (إسرائيل)، والثّاني من خلال الكَنيسة. ويُجْمعُ مُنظِّرو القَدَريَّة - في مُعظمهم - على سبعة أقدار تدلُّ على تطوُّر علاقة الله بالبشر. والقَدَر الحالي هُو سادس هذه الأقدار، وهُو « دور الكَنيسة والنّعمة »، وينتهي بعودة المسيح لإقامة مملكته الألفيَّة (أيْ التي تدوم ألف سنة)، وذلك هُو الدّور السّابع. وعندها سوف « تُختَطَفُ » الكَنيسةُ من التّاريخ، وتستأنف (إسرائيل) دورها الأصيل كأداة لله في الأيَّام الأخيرة، وسوف تحدث إعادة مسيحانيَّة لعرش داوود لمُدَّة سبعين أُسبُوعاً بعد إعادة بناء أُورشليم (القُدْس)، وذلك حسب الفقرَتَيْن الكتابيَّتَيْن الأساسيَّتَيْن اللَّتَيْن تُستعملان لتسويغ هذه العقيدة (دانيال 7 - 9، ورُؤيا 16). وسوف نُركِّز في هذا الفصل على طائفة مُعيَّنة من القَدَريَّة؛ هُم الألفيُّون السّابقيُّون، وذلك نَظَراً إلى أنَّهم يتأوَّلون كُلَّ تاريخ العلاقة بين الله وبين البشر، انطلاقاً من الأهمِّيَّة القُصوى التي يُولُونها لآخر الزّمان.

العقيدة الألفيَّة: من الجدير بالذِّكْر أنْ ثمَّة ثلاثة مواقف مُتمايزة تمايزاً أساسيّاً بالنّسبة إلى اعتقاد العقيدة الألفيَّة. « فالألفيَّة السّابقيَّة » **Premillennial** هُم القائلون بأنَّ عودة المسيح شخصيّاً إلى الأرض سابقة على إقامة المَلَكُوت الذي سيحكمه بنفسه لمُدَّة ألف سنة، بعد أنْ يهزم أعداءه، وينشر الإنجيل على الخلائق كُلِّها. أمَّا « الألفيَّة اللاَّحقيَّة » **Postmillennial**؛ فيقولون إنَّ عودة المسيح لإقامة مَلَكُوته ستكون قُبيل يوم الدّينونة النّهائي مُباشرة ولاحقة لإعلان الإنجيل (أيْ بعد انتشار المسيحيَّة) على الخلائق كُلِّها. ولم تزل الألفيَّة اللاَّحقيَّة هي النّظريَّة التّقليديَّة المُتعارفة لدى مُعظم الإنجيليِّين الغربيِّين مُنذُ الإصلاح البرُوتستانتي، ولكنَّها قد بدأت تتراجع أمام الألفيَّة السّابقيَّة **Premillennial** في السّنوات القليلة الماضية. أمَّا الموقف الثّالث، وهُو « اللاَّ ألفيَّة »؛ فيتأوَّل العقيدة الألفيَّة تأوُّلاً رمزيّاً، ولا يقبل بالتّأويل الحَرْفي؛ أيْ يرى أنَّ المقصود من نُصُوص الكتاب المُقدَّس المُبشِّرة بالعودة القريبة للمسيح بعد صُعُوده هي عودة الحياة الرُّوحيَّة، وليس عودة مملكة أرضيَّة، وهذا هُو الموقف الكَنَسي التّقليدي (الأرثُوذكس والكَاثُوليك).

---

(1) *The New Scofield Reference Bible)* **Oxford: Oxford Press, 1967), Page 5.**

وينقسم الألفيُّون السّابقيُّون Premillennial إلى مذهبَيْن مُتميِّزَيْن: فأمَّا «الألفيَّة السّابقيَّة التّاريخيَّة»؛ فيزعمون أنَّ عودة المسيح وإقامة المَلَكُوت الألفي إنَّما هُو موقف تاريخي في المسيحيَّة، ويستشهدون بأيريناوس، ويوستينوس الشّهيد، وغيرهما، ممَّن قالوا هذا القول، وأمَّا «الألفيَّة السّابقيَّة المُستقبليَّة» أو «القَدَريَّة» (كما سنُسمِّيهم فيما يلي من هذه الدّراسة)؛ فهُو مذهب مُحدَث، بَرزَ - أصلاً - في القرن التّاسع عشر بأعمال القسِّ البريطاني جُون نيلسون داربي John Nelson Darby، وسي. آي سكوفيلد C. I. Scofield، وكثيرون غيرهم. وقد تطوَّرت عقيدة «الصّهيونيَّة المسيحيَّة» الأُصُوليَّة الحديثة في كَنَف هذا المذهب المُستقبلي من الألفيَّة السّابقيَّة، وإنْ كان ثمَّة نفر غير قليل ممَّنْ يجتازون إلى الصَّفِّ التّاريخي، وغيره من المذاهب الإنجيليَّة.

المسيح الدَّجَّال: يعتقد القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة من الألفيِّين أنَّ التّاريخ سيتزايد فساده المُتسارع حتَّى يحكم «المسيح الدَّجَّال» العالمَ. وهذه الفكْرة مُستلهَمَة من سفْر دانيال 9، وتُشير إلى تَجَلٍّ جديد للشّيطان، الذي سيُحاول أنْ يحكم العالم بواسطة حُكُومة عالميَّة واحدة، ربُّما اعتُبرت الأُمم المُتَّحدة عند بعضهم، أو حلف شمال الأطلسي عند بعضهم الآخر، إلى ما هُنالك. وقد استجرَّت هذه الصّيغة من عقيدة المسيح الدَّجَّال الكثير من التّفكير على مدى التّاريخ. وقد اقترح بعض المُفكِّرين المُحدثين عدداً من الأسماء لهذه الشّخصيَّة، ومنهم البابا، لينين، هتْلر، الإمام الخُميني (!)، ويذهب الألفيُّون السّابقيُّون في تأويلهم للرُّؤيا 16/ 14 - 16[1] إلى أنَّ المسيح الدَّجَّال سيُقضى عليه في معركة هرمجدُّون.

الشّدائد وآخر أيَّام التّاريخ: ومع فساد الحياة على الأرض يأتي زمن الشّدائد، أو حُكْم الإرهاب الذي يُنزله المسيح الدَّجَّال بكُلِّ مَنْ لا ينقادون إلى طاعته. ويُؤدِّي توقيت زمن الشّدائد على تفرُّق المذاهب بين قائل باختطاف الكَنيسة من تاريخ قبل زمن الشّدائد، أو بعده، أو إبَّانه. ويستشهد الألفيُّون السّابقيُّون بدانييل 7و9، والرّسالة الأُولى إلى

---

(1) ونصُّ الآيات: [فَإنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوك الْعَالَم وَكُلِّ الْمَسْكُونَة، لتَجْمَعَهُمْ لقتَال ذَلكَ الْيَوْم الْعَظيم، يَوْم الله الْقَادر عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. 15 «هَا أَنَا آتي كَلصٍّ. طُوبَى لمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثيَابَهُ لئَلا يَمْشيَ عُرْيَاناً فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ». 16 فَجَمَعَهُمْ إلَى الْمَوْضع الَّذي يُدْعَى بالْعبْرَانيَّة «هَرْمَجَدُّونَ».] سفْر رُؤيا يُوحنَّا.

التّسالونيكيِّيْن 4 ـ 5[1] ، والرُّؤيا 6 ـ 20 معرض احتجاجهم بالأُصُول الكتابيَّة على دعواهم .
ولكنْ ؛ على الرّغم من حجج المُفكّرين السّابقين من أمثال هال ليندزي وجُون والفورد ، فإنَّ أغلبيَّة عُلماء الكتاب المُقدَّس لا يجدون إلاَّ أدلَّة غير كافية لهذه العقائد في الكتاب المُقدَّس ، وأدلَّة أضعف منها في تاريخ المسيحيَّة[2] .

الجُذُور التّاريخيَّة « للصّهيونيَّة المسيحيَّة » الأُصُوليَّة:

جُذُور « الصّهيونيَّة المسيحيَّة » الأُصُوليَّة مُتأصِّلة في عقائد القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة ، ولئن وُجِدَت بعض الدّلائل على صُورة مُبكِّرة جداً من العقيدة القَدَريَّة في العهد الجديد ، فليس ثمَّة أساساً كافياً لاعتبارها عقيدة كتابيَّة . ولذلك كان لابُدَّ من فَهْم القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة قبل تفحُّص « الصّهيونيَّة المسيحيَّة » .

تطوُّر العقيدة الألفيَّة السّابقيَّة:

ترقى أُصُول العقيدة الألفيَّة السّابقيَّة إلى الفكْر الرُّؤيوي اليهُودي ، ولاسيما ذاك الذي بَرَزَ أثر سبي بابل . فسفْر دانيال يحتوي على جملة من الأفكار الأخرويَّة المشحونة بصُور آخر الزّمان ، وتصوُّرات شتَّى للقوى الشّريرة التي تؤوِّل بأنَّها المسيح الدّجال في الأدبيَّات الألفيَّة السّابقيَّة . كان المُفكِّرون الرُّؤيَويُّون اليهُود يعتقدون أنَّهم يعيشون آخر أيَّام الزّمان وأنَّ الله سوف يتدخل لينقذ المُؤمنين من « المعركة الأخيرة » . وقد شاعت هذه الأفكار بين النّاس بفلسطين في عهد المكابيِّين ، وتنامى أثرها حتَّى وقوع ثورة بار كوخبا ومذبحة مسادا (131ق . م ، 135م .) . كانت جماعة قمران ، التي أنتجت لفائف البحر الميت ، ومثلها الحَرَكَة الأسينيَّة المُعاصرة للمسيح ميالتَيْن بقُوَّة إلى المنحى الرُّؤيويّ وتعتقدان صُوراً بدائيَّة من العقائد القَدَريَّة

---

(1) مثل هذه الآيات « فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. 16 لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِهُتَافٍ ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ ، وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. 17 ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ. » رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى أَهْلِ تَسَالُونِيكِي: 4/ 15 ـ 17 .

(2) John Walvoord ، *The Rapture Question* (Findlay, Ohio: Dunham Publishing Company, 1957), Pages 41-50.

الألفيَّة السّابقيَّة[1] . ويعتقد نفر غير قليل من العُلماء أنْ يُوحنَّـا المَعْمَـدَان والبعض من تلاميـذ المسيح كانوا على علاقة، في أحد الأوقات بالحَرَكات الأسينيَّة وبجماعة قمران[2] .

يتسم الكثير من أقول المسيح (متى 24 : 1 ـ 25؛ لوقا 21 : 20 ـ 24)؛ وأقـول القدِّيـس بُولُس (الرّسالة الأُولى إلى التّسالونيكيّيْن 4 : 13 ـ 18 و5 : 1 ـ 11) وسِفْر الرُّؤيـا بالسّـمة الرُّؤيويَّة في الصُّورة والأُسلُوب . وليس في هذا ما يستغرب أخذاً بعين الاعتبار ما كانت تتمتَّع به الأدبيَّات الرّؤيَّة من شعبيَّة في صفوف يهُود فلسطين بين عام 200 ق . م . والعـام 150م . إلاَّ أنَّه ليس ثمَّة من عقيدة قَدَريَّة ألفيَّة سابقيَّة في أي موضع من الكتـاب المُقدَّس . والحق أنَّ هـذا المنحى في اللاَّهوت يتلاشى عمليّاً مُنذُ أوائل القـرن الثّاني للميلاد، ولا يعـود إلـى الظّهور، خلا بعض الاستثناءات القليلة، إلاَّ إبّان الاضطرابات الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة . يضاف إلى ذلك أنَّه ليس ثمَّة من أساس صريح « للصّهيونيَّة المسيحيَّة » في العهد الجديـد . ففـي الأعمـال 1 : 6 ـ 9 خبر عن طلب التّلاميذ من المسيح أنَّ « يرد الملك إلى إسرائيل » . فجاء جواب المسيح بليغ الدّلالة : « ليس لكم أنْ تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جَعَلَها الله في سُلطانه » . وفي رسالته إلى الغلاطيّيْن 3 ـ 4 ينتقد النّزعات إلى النّاموس اليهُودي في الكَنيسة الأُولى ويبين أنَّ الجميع مُتساوون « في المسيح » ، وأنَّ مواعيد العهد القديم لا تنسخ العهد الجديد .

وقـد شـكل السّجال المُونتـاني **Montanist** (170 ـ 19م) تحدّيـاً قَدَريَّـاً ألفيَّـاً سـابقياً للكَنيسة . وقـد كـان من شأن انضمـام ترتوليـان **Tertullian** ، المدافع القديـم عـن المسيحيَّة الكَنَسيَّة، إلى الفرقة المُونتانيَّة شيئاً من المصداقيَّة على هـذه العقيـدة في آسيا الصّغرى وشمال

---

(1) John C. Trevor, "New Hope for Planet Earth" (Unpublished paper by the Dead Sea Scrolls project Claremont School of Theology, Claremont. California, 1987), Also. D.S. Russell . *The Message and Meaning of Jewish Apocalyptic* (London: S.C.M. press, 1964), Pages 17-18; and Louis Hartman and Alexander DiLella. *Daniel* (Garden City. New York: Doubleday and Company, The Anchor Bible Series, 1968), Pages 16 ff.; Sibley Towner, *Daniel* (Atlanta: John Knox Press, 1984), Pages 31 ff.

(2) See A. Dupont–Somer, *The Essene Writings from Qumran* (Cleveland: World Publishing Company. 1962), Page 371; and H.H. Rowley, *From Moses to Qumran* (London: Lutterworth Press, 1963), Pages 144 ff.

أفريقيا. وقد أطرحت هذه العقيدة باعتبارها بدعة من قبل أساقفة عدَّة في الكَنيسة الأُولى حوالي العام 200م[1].

وفي أواخر القُرُون الوُسطى بدأ ينتعش الفكْر الرُّؤيوي اليهُودي الذي ركّز على مبادئ واضحة منها إحياء (إسرائيل) كياناً سياسيّاً، ومنها القَدَريَّة، ومنها العقيدة الألفيَّة اليهُوديَّة. وقد تحوَّل تُراث الكَبَالا إلى حامل لهذا الصّنف من اللاَّهوت. ومن أوائل الكَبَاليِّيْن الذين اتَّخذوا هذا الموقف يعقوب حليقي الذي عاش في أسبانيا، ثُمَّ نزل بالقُدْس (1074 ـ 1135). وبعدما شتَّت ملكُ أسبانيا الجاليةَ اليهُوديَّةَ في العام 1492، تطوَّرت جماعات صغيرة من الكَبَاليِّيْن في أنحاء أُورُوبا كُلِّها، وفي فلسطين. وقد كان للكَبَاليِّيْن تأثير عميق في أصحاب النّزعة الإنسانيَّة من المسيحيِّيْن؛ من أمثال يوهانس روكلين وهوغو غروتيوس، مُعاصري مارتن لُوثر. وقد شجَّع روكلينُ عُلماءَ اللاَّهوت الإصلاحيِّيْن على الإعلاء من شأن دراسة العهد القديم، وَأَطْلَعَ عدداً من الإصلاحيِّيْن على عقائد الكَبَاليِّيْن الرُّؤيويَّة[2].

وقد ركَّز الإصلاح البرُوتستانتي في القرن السّادس عشر تركيزاً شديداً على الكتاب المُقدَّس، وَعَدَّهُ المرجعَ الأوَّل في شؤُون الإيمان والعمل ("الكتاب الوحيد"). وَذَهَبَ الجيل الثّاني من الإصلاحيِّيْن البرُوتستانتيِّيْن إلى أنَّ لأفراد المُؤمنين الحقّ في تفسير الكتاب المُقدَّس حسبما يُرشدهم الرُّوح المُقدَّس. فكان من جرَّاء ذلك أنْ ظَهَرَ فيضٌ من التّفسيرات بعد القرن السّادس عشر، ونشأت مُقاربات إكليسيُولُوجيَّة شتَّى.

وفي خضمِّ شُيُوع تأويل الكتاب المُقدَّس بين النّاس وإضعاف مركزيَّة الكَنيسة انفسح المجال واسعاً أمام نُشُوء البدَع، وظُهُورها بمظهر العقيدة المسيحيَّة المقبولة. وعلى سبيل التّصويت؛ أدْخَلَ الجيل الثّاني من المُصلحين اللُّوثريِّين والكالفينيِّيْن أُسلُوباً جامداً من التّفسير الظّاهري للكتاب المُقدَّس. خلافاً لجوِّ الكَنيسة الأُولى، وسجالها مع المُونتانيِّيْن (إذْ

(1) Timothy David Barnes . *Tertullian: A Historical and Literary Survey* (Oxford: Clarendon press, 1971); page 137; and R.A. Knox, Enthusiasm Oxford University press), page 46.

(2) Solomon Rappaport ، *Jew and Gentile: The Philo-Semitic Aspect* (New York: The Philosophical library, 1980), pages 106-110.

قضت الكَنيسة بأنَّ هذه العقيدة بدْعة) كان جوٌّ ما بعد الإصلاح مُهيَّأً لدُخُولها كوُجهة نَظَر بديلة مقبولة.

وفي هذه الأثناء؛ كان بإنكلترا اعتقاد قديمٌ يَعُدُّ قصصَ العهد القديم فقرات تَتَنَبَّأ بأبطال، ويرى أنَّها قد تحقَّقت على أيدي الشّعب الإنكليزي. وقد رأى بعض اللاَّهوتيّيْن أنَّ بريطانيا هي بمثابة (إسرائيل) الجديدة، وأنَّ الشّعب الإنكليزي مُتحدِّرٌ من قبائل (إسرائيل) الضّائعة (النّزعة الإسرائيليَّة البريطانيَّة). وقد استعمل غيرهم صُور العهد القديم في الأدب، أو في صوغ برنامج سياسي.

وقد تسارع هذا التَّطوُّر إبَّان العصر التَّطهُّري (البيُوريتاني) وتجربة كرومويل، ونحنُ نجد - مُنذُ العام 1585 - رجلاً بريطانيّاً من رجال الدِّين، اسمه ثوماس برايتمان، يدعو إلى إعادة اليهُود إلى الأرض المُقدَّسة تتميماً لنُبُوءة الكتاب المُقدَّس. وفي العام 1615، دعا عُضو البرلمان البريطاني السِّيْر هنري فينتش الحُكُومةَ إلى دَعْم عودة اليهُود إلى فلسطين. وقد خلَّفت تعاليم فينتش أثراً عميقاً في دائرة من نُخبة أعضاء البرلمان، والمُحامين، والأُدباء، ورجال الدِّين[1].

وقد تراجعت - بعد عصر كرومويل - تعاليم (الصّهيونيَّة المسيحيَّة) الأُصُوليَّة، وانحطَّت - إلى حَدٍّ ما - حتَّى الفترة التي عقبت الثّورتَيْن الفرنسيَّة والأمريكيَّة. فقد هزَّت تلك الأحداث أُورُوبا، وخلقت - مرَّة أُخرى - مناخاً سياسيّاً وفكْريّاً ساعد على ازدهار هذه العقائد. ومن أسباب جاذبيَّة هذه النَّظْرة الاعتقاد بأنَّ الله سوف يُنقذ المُؤمنين في آخر الزّمان بتدخُّل إلهي.

مذهب الألفيَّة السّابقيَّة البريطاني و"الصّهيونيَّة المسيحيَّة":

وقد مهَّدت التَّطوُّراتُ المُشار إليها السّبيلَ أمام القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة؛ لتنتظم في تُراث لاهوتي داخل المسيحيَّة البرُوتستانتيَّة في الغرب. وقد صاغت - في الوقت نفسه - علاقة

---

(1) See Barbara Tuchman ، *Bible and Sword* (New York: Simon and Schuster 1983); and Regina Sharif, *Non-Jewish Zionism* (London: Zed press 1983), page 19.

لاهوتيَّة مُباشرة بتصوُّر دولة يهُوديَّة حديثة تتميماً لنُبُوءة الكتاب المُقدَّس. وقد صارت إنكلترا مركز هذه النّزعة التي تزايد نُفُوذها بعد العام 1800.

كان أوَّل الشّخصيَّات البارزة في هذه الحَرَكَة القسّ لويس واي الذي صار "مُدير الجمعيَّة اللّندنيَّة لترويج المسيحيَّة بين اليهُود" في عام 1809. وقد تحوَّلت الجمعيَّة - بفَضْل جُهُوده - إلى قوّة كُبرى في التّعبير عن عقائد «الصّهيونيَّة المسيحيَّة»، بما فيها عودة اليهُود إلى فلسطين. وقد كان لتعاليمه ولصحيفة الجمعيَّة «ذي جويش إكسبوزيتور» **The Jewish Expositor** (أيْ المُفسِّر اليهُودي) أثراً بالغاً في نَفَر من أعضاء البرلمان، ورجال الدِّين، والكُتَّاب؛ من أمثال سامويل تايلور كولريدج، وذلك قبل حوالي تسعين عاماً من انعقاد المُؤتمر الصّهيوني العالمي الأوَّل[1].

أمَّا الشّخصيَّة الثّانية في التَّطوُّر الحديث «للصّهيونيَّة المسيحيَّة» بإنكلترا؛ فكان الشّريف "هنري دارموند"، عُضو مجلس العُمُوم البريطاني لمُدَّة تزيد على عشرة أعوام. فقد تخلَّى دارموند عن عمله السِّياسي بعد زيارة الأرض المُقدَّسة، ونَذَرَ حياته لتعليم الأُصُوليَّة المسيحيَّة، والكتابة عنها، وعن صلتها بعودة اليهُود إلى فلسطين. وقد عَقَدَ - أيضاً - سلسلة من النّدوات في ألبري ستايت خلال الفترة 1826 - 1829، كان من شأنها تعزيز العقائد الأساسيَّة للقَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة بلاهوتٍ «صهيوني مسيحي» واضح[2].

ولعلَّ أهمَّ مُروِّجي العقيدة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة هُو جُون نيلسون داربي **John Nelson Darby** (1800 - 1802)، الذي تَرَكَ كَنيسة إيرلاندا؛ ليُؤسِّس جمعيَّة "بلايموث بريذرن" **Plymouth Brethren**؛ أيْ الإخوة بلايموث[3]. فقد بَرَزَ مُنسِّقاً لعقيدة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة في نَسَق مُتماسك، وابتدع عقيدة «اختطاف» الكَنيسة، استناداً إلى رسالة بُولُس الأُولى إلى التّسالونيكيّيْن 4/ 5 - 11. وقد تحوَّل داربي إلى داعية من دُعاة القَدَريَّة

---

(1) Ernest Sandeen, *The Roots of Fundamentalism* (Chicago: The University of Chicago press, 1970), Page 42.

(2) المصدر الأخير نفسه: ص 42.

(3) راجع - لمعلومات أكثر تفصيلاً عنها - الفصل السّابق: قسم حَرَكَات اليقظة أو الصّحوة المسيحيَّة: فرقة الإخوة بلايموث، أو الدّاربيُّون.

الألفيَّة السّابقيَّة، وقام بسبع زيارات للولايات المُتَّحدة، وكَنَدَا، بعد العام 1867. وقد أدَّت زياراته المشفوعة بتأثيره في حَرَكَة ندوة الكتاب المُقدَّس والنُّبوءة، إلى تعجيل انتشار هذه العقيدة، وقبولها السّريع في دوائر الأُصُوليِّين الأمريكيِّين، وقد انطوت تعاليمه على عُنصُر « صهيوني مسيحي » مُهمّ[1].

وقد كان اللُّورد شافتسبوري، وهُو من أكابر المُصلحين الاجتماعيِّين الإنجيليِّين البريطانيِّين، وهُو الذي عمل أكثر من أيِّ شخص آخر في أيَّامه لتخليص إنكلترا من العُبُوديَّة، ومن مُمارسات تشغيل الأحداث الظّالمة، كان من الألفيِّن السّابقيِّين المُتحمِّسين والمُناضلين من أجل عودة اليهُود إلى فلسطين. وكانت نظريَّته تتَّسم ـ إلى حَدٍّ ما ـ بالعداء لليهُود؛ إذْ كان يُفضِّل رُؤيتهم يُقيمون في الأرض المُقدَّسة بدلاً من إنكلترا[2].

أمَّا أشدُّ « الصّهيونيِّين المسيحيِّين » البريطانيِّين ضُلُوعاً في السِّياسيَّة؛ فكان القسّ "وليم هـ. هشلر" (1845 ـ 1931). فقد عمل بالسِّفارة البريطانيَّة بفيينا، وكان من المُؤيِّدين المُتحمِّسين لأبي الصّهيونيَّة ثيودور هرتزل. وقد أتاح هشلر الدّعم السِّياسي والاتِّصالات لهرتزل خلال المرحلة الحاسمة، وبذلك مساعيه في اللُّوبي من أجل القضيَّة الصّهيونيَّة لمُدَّة تُناهز الثّلاثين سنة[3].

وقد كان مُهندس وعد بلفور ـ الذي صَدَرَ في العام 1917، والذي مَنَحَ الصّهيونيِّين الفُرصةَ التي كانوا يرجونها لخَلْق دولة يهُوديَّة بفلسطين ـ من الألفيِّن السّابقيِّين، ومن الصّهيونيِّين المسيحيِّين. فقد كان اللُّورد آرثر بلفور ميّالاً إلى الدّعوة الصّهيونيَّة، وقد أدَّت لقاءاته بكُلٍّ من ثيودور هرتزل وحاييم وايتزمان إلى ما يُقارب الانسجام، ويرقى ذلك ـ في جُزء منه ـ إلى أنَّ بلفور قد كان تبنَّى موقفاً "صهيونيّاً مسيحيّاً" أُصُوليّاً في سنٍّ مُبكِّرة نسبيّاً. وقد كان هُو ـ أيضاً ـ يميل إلى إقامة اليهُود بفلسطين بدلاً من إنكلترا، وكان معروفاً بمواقفه المُعادية لليهُود[4].

---

(1) George Marsden, *Fundamentalism and American Culture* (New York: Oxford press), Page 43.

(2) Tuchman, *ibid.*, Pages 115 - 116.

(3) The International Christian Embassy Jerusalem, introductory Pamphlet ICEJ: P.O. BOX 1192, Jerusalem, page 15.

(4) Christopher Sykes, *Tow Studies in Virtue* (New York: Alfred A. Knopf press, 1952), page 193.

وقد انحسرت موجة "الصّهيونيَّة المسيحيَّة" الأُصُوليَّة البريطانيَّة، إلاَّ أنَّه مازال لها أثـر في بعض الدّوائر الصُّغرى. فمـن ذلـك أنَّ نَفـراً مـن مُوظَّفـي السِّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة بـالقُدْس وبعض المُؤلِّفين في تيَّار "الصّهيونيَّة المسيحيَّة" هُم بريطانيُّون.

الألفيَّة السّابقيَّة تزدهر في أمريكا:

مـن العـام **1735** إلـى العـام **1775**، كـانت النّظـرة السّـائدة بـين الإنجيليِّـين الأمريكيِّـين والمُبشِّرين والإحيائيِّين من أمثال "جُوناثان إدواردز" **Jonathan Edwards (1703 - 1758)**[1]، هي النّظرة الألفيَّة اللاَّحقيَّة (أيْ مجيء المسيح بعد الألفيَّة، وقُبيـل يـوم القيامـة). فكـانوا كلُّهـم يُبشِّرون بعودة المسيح وبضرورة التّجدد الشّخصي. كثـير منـهم رؤوا أنَّ أميركـا هـي (إسـرائيل) الجديدة المكلفة بدعوة العالم إلى الإيمان بالمسيح مُمهِّدَةً - بذلك - للمَلَكُوت الجديد[2].

من العام **1800** إلى العام **1850** اشتدَّ التّركيز على عقيدة القداسة والعقيدة الألفيَّة. وفي الأربعينات من القرن الماضي اجتاحت عقيدة تدعى الميلّريَّة **Millerism**[3] السّـواحل الشّـرقيَّة للولايات المُتَّحدة وباع الكثير من أتباعها كل ممتلكاتـهم ليلقـوا المسـيح في عـام **1843**[4]. وقـد

---

(1) القسّ جُوناثان إدواردز **Jonathan Edwards** رجل ديـن لاهوتـي أمريكـي أبرشـاني **Congregational**، وُلـد عام 1703، في مُقاطعة كونكتيكَت **Connecticut Colony** وكان أعجوبةً في ذكائه ونشاطه؛ حيثُ كَتَـبَ بحثـاً عـن طبيعة النَّفْس وكان عُمره لا يزال 10 سنوات فقط، حـاز - بامتيـاز - الشّـهادة العُليـا في اللاَّهـوت، ورُسـم كاهنـاً عـام 1727، وصار راعياً وواعظاً في كَنيسة في نيو يُـورك، ثُمَّ في كَنيسـة في "نـورث آمبتـون" في "ماساتشوسـيت"، واشـتهر بمواعظه المُؤثِّرة جداً، والتي تُعتبَر أحد أهمِّ عوامل الإحيـاء الدِّيني المسيحي في أمريكـا الـذي عُـرِفَ باسـم الصّحـوة الكبيرة **Great Awakening** في القرن الثّامن عشر، كان كالفينيّاً شديداً، مُعتقـداً بالقضـاء والقَـدَر المحتوم السّابق، ولمَّا وَجَدَ مُيُولاً في منطقته نحو الأرمينيانيَّة **Arminianism** - والتي هي شكل محور من الكالفينيَّة يُؤكِّـد علـى الإرادة الحُرَّة وحُرِّيَّة الاختيار لدى الإنسان - قام بمُحاربة هذا التَّيَّار، مُؤكِّداً على الارتباط الوثيق لمصير الإنسان وقَدَره بـإرادة الله وقَدَره المُحدَّد لكُلِّ إنسان، ثُمَّ أخذ - على مدار ثلاث سنوات - يُلقي مواعظه التي مَزَجَ فيـها بـين العـودة الصّارمـة للكالفينيَّة ونوع من التَّصوُّف **Mysticism** الرُّوحاني؛ أيْ التّأكيد على التّجربة الرُّوحيَّة الشّخصيَّة مع الله.

(2) Robert Handy، *A Christian America* (Oxford University press, 1984), Pages 5 – 23.

(3) نسبة للقسّ ويليم ميلّر **William Miller (1782 - 1849)**، الذي انفصل عن الكَنيسة المعمدانيَّة، وأسّـس أقـدم فرقة من فرَق المجيئيِّين **Adventist**؛ أيْ القائلين بعودة المسيح الوشيكة إلى الأرض، وقد بشَّر "ميلر" بأنَّ هـذا الحـدث سوف يقع في أُكتُوبر عام 1843. (راجع الفصل السّابق، الشِّيَع المسيحيَّة : فقرة المجيئيِّين).

(4) Marsden، *ibid.*, Page 42.

كان من شأن الصّحوة الكُبرى والتّركيز على الإحياء والنُّبوءة الكتابيَّة، تمهيد الطّريق لداربي وتمكين عقيدة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة من التّرسّخ بعد الغليان الاجتماعي التي استجرته الحرب الأهليَّة (1860 - 1865).

خلال الفترة الممتدة من العام 1867 حتّى العام 1920 شكّلت حَرَكَة الكتاب المُقدَّس والنُّبوءة منتدىً مُهمّاً لداربي ولغيره من السّابقيِّين ليطوِّروا آراءهم ويعبّروا عنها. ومع نهاية عقد الثّمانينات من القرن الماضي كانت القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة وإحدى صُور الصّهيونيَّة المسيحيَّة قد صارت مقبولة لدى الإنجيليِّين الأمريكيِّين ونفر غير قليل من القادة داخل التَّيَّار السّائد في البرُوتستانتيَّة (المشيخيِّين، والأسقفيِّين والميثوديست، إلخ)[1].

أمَّا أهمُّ شخصيَّة أمريكيَّة روَّجت - على نطاق واسع - للصّيغة السِّياسيَّة من الصّهيونيَّة المسيحيَّة؛ فكان ويليام إ. بلاكستون **William Blackstone**، مُؤلِّف الكتاب الأفضل مبيعاً في العام 1881، «المسيح آت». وقد نظَّم أوَّل مساعي اللُّوبي الأمريكي المُؤيِّد لإنشاء دولة يهُوديَّة بفلسطين. وقبل ستَّة أعوام من المُؤتمر الصّهيوني العالمي الذي عَقَدَهُ هرتزل، أطلق بلاكستون حَمْلَةً مُكثَّفة لحَشْد التّأييد من أعضاء بمجلس الشُّيُوخ الأميركي، وقاضي قُضاة المحكمة العُليا، ونَفَراً من أكابر رجال الأعمال أمثال "جُون د. روكفلر"، "تشارلز ب. سكريبز" و"ج. ب. مُورجان"، وقد حثَّت الحَمْلة "بنيامين هاريسون" رئيس الولايات المُتَّحدة - آنذاك - على الدّعوة من أجل إنشاء دولة يهُوديَّة بفلسطين. وقد كان لبلاكستون اتِّصال بهرتزل. وعندما بدأ الزّعيم الصّهيوني يُناقش مع الحُكُومة البريطانيَّة إمكانيَّة إقامة دولة يهُوديَّة في أُوغندا أو الأرجنتين بَعَثَ إليه بلاكستون نُسخة من التّوراة قد خُطَّ فيها خطٌّ تحت كُلِّ الفقرات التي تُشير إلى (إسرائيل) وفلسطين، وَأَرْفَقَهَا بتعليمات واضحة مفادها أنَّه لا يصحُّ اختيار غير فلسطين موقعاً للدّولة اليهُوديَّة[2].

وكانت أهمُّ أداة لإذاعة العقيدة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة، ومن خلالها الصّهيونيَّة المسيحيَّة، نَشْر طبعة سكوفيلد **Scofield** المرجعيَّة للكتاب المُقدَّس في العام 1909، فقد عمل

---

(1) **Sandeen، *ibid.*, Pages 39 - 43.**

(2) المصدر السّابق نفسه، ص 19.

س. أي. سكوفيلد C. I. Scofield طبعة من الكتاب المُقدَّس تشتمل على هوامش وتعليقات تستند إلى العقيدة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة، ثُمَّ ما لبث هذه الطّبعة أنْ غدت الأكثر استعمالاً لدى الإنجيليِّيْن الأمريكيِّيْن والحَرَكَة الأُصُوليَّة الحديثة.

ومع اندلاع الحرب العالميَّة الأُولى؛ كانت القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة قد أضحت هي المُقاربة الوحيدة لكُلِّ مباحث الأُخْرَويَّات في صُفُوف الإنجيليِّيْن الأميركيِّيْن. فقد استمدّوا اسمهم وبرنامجهم المذهبي من سلسلة الكراريس التي نُشرت بين العامَيْن 1910 و1915، والتي عُنْوِنَتْ: «الأُصُول»، ووُزِّعَت مجّاناً في أنحاء الولايات المُتَّحدة كُلِّها. وقد أيَّد كُلٌّ من الإنجيليِّيْن والأُصُوليِّيْن العقيدةَ القائلة إنَّ إنشاء دولة يهُوديَّة بفلسطين يُعَدُّ تتميماً لبعض النُّبُوءات الكتابيَّة، إلاَّ أنَّ المُؤمن العادي لم يكن ليُفكِّر فيما تنطوي عليه هذه العقيدة من فرضيَّات كتابيَّة وسياسيَّة، ولا ما ينجرُّ عنها من تشعُّبات. وبذلك؛ بدأت المُقاربة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة تتنامى في العديد من طوائف التَّيّار السّائد في البرُوتستانتيَّة، ولاسيما في صُفُوف جُمهُور المُؤمنين، وفي دوائر القساوسة المُحافظين.

إحياء «الصّهيونيَّة المسيحيَّة» الأُصُوليَّة في السّبعينات والثّمانينات:

لم تكن الصّهيونيَّة المسيحيَّة حَرَكَة، ولا نظاماً لاهوتيّاً مُتكاملاً في دوائر الإنجيليِّيْن، أو الأُصُوليِّيْن الأميركيِّيْن حتَّى أواسط السّبعينات، وإنْ كانت دوائر الفريقَيْن كانت تُسلِّم إجمالاً بمُسلَّمات «الصّهيونيَّة المسيحيَّة» الأساسيَّة. ولكنَّ نشأة (إسرائيل) في العام 1948، كانت بالنّسبة إلى مُعظم الإنجيليِّيْن والأُصُوليِّيْن تثبيتاً لكَوْن عقيدتهم الألفيَّة السّابقيَّة صحيحة، ولكون عودة المسيح قد باتت وشيكة. كما قدَّم انتصار (إسرائيل) السّاحق في العام 1967، واستيلاؤها على القُدْس، دليلاً آخر على أنَّهم قد أدركوا نهاية الزّمان، وباتوا في الأيَّام الأخيرة منه. وقد كَتَبَ ل. نيلسون بل، حمو بيلي غراهام في كُبرى الصُّحُف الإنجيليَّة «كريستيانيتي توداي» Christianity Today (أيْ المسيحيَّة اليوم):

«إنَّ وُقُوع القُدْس - اليوم، وللمرَّة الأُولى مُنذُ ألفَيْ سنة ونيِّف - في أيدي اليهُود ليهزَّ دارس الكتاب المُقدَّس، ويمنحه إيماناً مُتجدِّداً في دقَّة الكتاب المُقدَّس وصحَّته»[1]. وسُرعان

---

(1) L. Nelson Bell، Editorial, *Christianity Today* (July 21, 1967).

ما لاقت كُتُب مثل « كوكب الأرض الكبير الرّاحل » لهال ليدزاي رواجاً عظيماً، مُترجمة موقف الألفيَّة السّابقيَّة و « الصّهيونيَّة المسيحيَّة » إلى كتاب من أكثر الكُتُب مبيعاً، وإلى فيلم سينمائي. وقد شهدت أوائل السّبعينات فَوْرَة من المنشورات والمُبشِّرين التّلفزيونيِّيْن الذين أعلنوا ضَرْباً من « الصّهيونيَّة المسيحيَّة » ضمن إطار العقائد الألفيَّة السّابقيَّة، وفيها تنبُّؤات ببعض الحوادث التي ستقع في الأيَّام الأخيرة[1]. وبحُلُول العام 1976، كان قد تمَّ القران الدِّيني والسِّياسي بين المُنظَّمات الصّهيونيَّة الأميركيَّة وبين القيادة الإسرائيليَّة وبين « الصّهيونيِّيْن المسيحيِّيْن » الأُصُوليِّيْن. وفي العامَيْن 1976 ـ 1977، تضافرت عوامل أربعة على تعزيز « الصّهيونيَّة المسيحيَّة » الأميركيَّة كمُظاهرة سياسيَّة:

1 ـ وَصَلَ مناحيم بيغن على رأس كتلة اللِّيكود إلى السُّلطة في العام 1977، مُستنداً إلى برنامج الصّهيونيَّة التّصحيحيَّة التي تستعمل بعض المفاهيم التّوراتيَّة.

2 ـ نشأت في الولايات المُتَّحدة قُوَّة سياسيَّة مُثلَّثة ضمَّت مُنظِّري النّزعة السِّياسيَّة المُحافظة الحديثة، واللُّوبي الإسرائيلي والمسيحيِّيْن الأُصُوليِّيْن. فقد وَجَدُوا أنَّ الاتِّفاق العامَّ قائم بينهم حول عدد من القضايا الدّاخليَّة وشُؤُون السِّياسة الخارجيَّة؛ ولاسيما أولويَّة (إسرائيل). وقد أدرك اللُّوبي الإسرائيلي أنَّ الأُصُوليِّيْن يُمكن استعمالهم مفتاحاً لتنمية التّأييد (لإسرائيل) لدى 50 إلى 60 مليون إنجيلي أميركي.

3 ـ في عام 1976، انتُخب جيمي كارتر، « المولود ثانية » ومُعلِّم مدرسة الأحد في مدرسة المَعْمَدَانيِّيْن الجنوبيِّيْن، رئيساً للولايات المُتَّحدة، مُعتمداً ـ إلى حَدٍّ بعيد ـ على أصوات الإنجيليِّيْن والأُصُوليِّيْن. إلاَّ أنَّ كارتر خيَّب آمال اللُّوبي الإسرائيلي والأُصُوليِّيْن المسيحيِّيْن عندما دعا إلى إقامة وطن فلسطيني، فبدأ يخسر تأييد القواعد الانتخابيَّة المذكورة أعلاه.

4 ـ شنَّ اللُّوبي الإسرائيلي والصّهيونيُّون المسيحيُّون حَمْلَةً شملت الولايات المُتَّحدة كُلَّها ضدَّ تأييد كارتر حقَّ الفلسطينيِّيْن، وبدؤوا ينشرون سلسلة من الإعلانات التي احتلَّت

---

(1) Pat Robertson ، *Pat Robertson's Perspective*, February-March, 1980 (Virginia Beach, Virginia), Page 2.

صفحات كاملة في كُبريات الصُّحُف الأميركيَّة. أمَّا عُنوان هذه الحملة الباهظة الكلفة، والتي اتَّخذت منحىً صهيونيّاً مسيحيّاً سابقيّاً واضحاً؛ فكان «مخاوف الإنجيليِّيْن على (إسرائيل)». وقد وقَّع الإعلانات، من زُعماء الأُصُوليِّيْن الأميركيِّيْن، المُغنِّي بات بون، والدُّكتُور فرنون غراوندز (رئيس معهد المَعْمَدَانيِّيْن المُحافظين Conservative Baptist Seminary)، والدُّكتُور كينيث كانتزر (رئيس كُلِّيَّة التَّثليث الإلهيَّة Trinity Divinity School)، وغيرهم[1].

وفي الثَّمانينات؛ بشَّر انتخاب رُونالد ريغان لرئاسة الولايات المُتَّحدة بعصر ميلٍ شديد إلى (إسرائيل)، ولاسيما مع وُجُود نَفَر من أعضاء إدارة الرَّئيس ممَّن يعتمدون المنظور السَّابقي. وقد كان الرَّئيس ريغان نفسه يلتزم باللاَّهوت القَدَري الألفي السَّابقي كما يتبيَّن من بعض التَّصريحات التي أدلى بها، وبعض المُقابلات التي أُجريت معه خلال العقدَيْن الماضيَّيْن من السِّنين[2].

ففي تشرين الأوَّل 1938، أبلغ السَّيِّدُ ريغان زعيمَ اللُّوبي الإسرائيلي تُوم داين الآراء التَّالية التي تناقلتها الصَّحافة:

«أ تعلمْ، أنَّني ألتفتُ إلى قُدامى أنبياء العهد القديم وإلى العلامات المُنبئة [بمعركة] هرمجدُّون، ثُمَّ أجدني مُتسائلاً: هل نحنُ الجيل الذي سوف يشهد وُقُوع تلك الواقعة؟ لا أدري إنْ كُنتَ قد لاحظتَ أيّاً من هذه النُّبُوءات مُؤخَّراً، ولكنْ؛ صدِّقني إنَّها تصف - حقّاً - الأيَّام التي تمرُّ بنا؟»[3].

وقد كانت طبيعة هذه المُحادثة ذات دلالة أيضاً، ذلك أنَّ الرَّئيس كان قد هاتف داين ليشكره على ما بذله اللُّوبي الإسرائيلي من مساع لتأمين الأصوات الدَّائمة للوُجُود العسكري الأميركي بلُبنان. وبعد أيَّام قلائل؛ قُتل 269 جُنديّاً من جُنُود البَحْريَّة الأميركيَّة في الهُجُوم الذي وَقَعَ على مقرِّهم بالقُرب من مطار بيرُوت.

---

(1) "Evangelicals Concern for Israel", Advertisement ، *The Christian Science Monitor* (November 3, 1977); also *The Chicago Sun-Times* (November 9, 1977).

(2) Hassan Haddad and Donald Wagner ، *All in the Name of the Bible* (Brattleboro, Vermont: Amana press, 1986), Page 29- 36.

(3) كما يُوردها Wolf Blitzer في:

The Jerusalem Post (International Edition,28 October,1983), page1.

وفي مُحادثة أُخرى؛ تطرَّق الرَّئيس والسّناتور هويل هفلين، من ألاباما، إلى موضع مُشابه، وقد روى السّناتور قائلاً:

«رُحنا نتكلَّم عن الكتاب المُقدَّس قليلاً. تحدَّثنا عن كون الكتاب المُقدَّس يذهب إلى أنَّ معركة هرمجدُّون ستبدأ في الشَّرق الأوسط. كان الرَّئيس يُحدِّثني عن الأسفار المُقدَّسة، وكُنتُ أُحدِّثه قليلاً عن الأسفار المُقدَّسة. وهُو يتأوَّل الكتاب المُقدَّس وهرمجدُّون بما يعني أنَّ رُوسية ستتورَّط في المعركة»[1].

هُنا نشهد إحدى مفاتن المُخطَّط الصّهيوني المسيحي السّابقي الكُبرى. فَدَوْرُ (إسرائيل) في السِّيناريو السّابقي، كما يصفه هال ليندزاي وغيره، هُو أنْ تهزم «رُوسيا» حسب قراءتهم لحزقيال 39 ـ 38 (جُوج وماجوج)، ودانيال 9، وسفْر الرُّؤيا[2].

من السّابق لأوانه أنْ يُميِّز المرء ـ الآن ـ المنحى الذي سوف ينحوه الصّهيونيُّون المسيحيُّون في عصر ما بعد ريغان، ثُمَّ إنَّ تراجع "بات روبرتسون" عن ترشيح نفسه للرّئاسة، فضلاً عن الفضائح الحديثة التي تورَّط فيها بعض المُبشِّرين التّلفزيونيِّيْن، تُشير إلى أنَّه رُبَّما كان ثمَّة «انكفاء» من قبَل اللُّوبي المُوالي (لإسرائيل) ورغبة في استعادة الكاثُوليك والكنائس التّابعة للتَّيَّار السّائد في البرُوتستانتيَّة. فالضُّغُوط التي مُورست مُؤخَّراً على الكَنيسة الكاثُوليكيَّة إبَّان زيارة البابا للولايات المُتَّحدة (أيلول 1987)، وعلى بعض الطّوائف البرُوتستانتيَّة تُشير إلى إمكان وُجُود خُطَّة كهذه. إنَّ هذه التَّطوُّرات تستحقُّ المزيد من التّحليل، ولاسيما فيما يتعلَّق بالصّهيونيِّيْن المسيحيِّيْن الأُصُوليِّيْن الذين مازالوا يُشكِّلون كُتلة من كُبريات الكُتل الانتخابيَّة، وقُوَّة سياسيَّة في الولايات المُتَّحدة.

البُعْد الدّولي للصّهيونيَّة المسيحيَّة الدّوليَّة:

سوف نُركِّز ـ هُنا ـ على مُنظَّمة واحدة هي السِّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة بالقُدْس. (السِّفارة المسيحيَّة) التي تُعلن نفسها مُؤسَّسة صهيونيَّة مسيحيَّة ذات نظرة عالميَّة لترويج هذه العقيدة.

---

(1) Haddad and Wagner ، *ibid*, page 31.
(2) Hal Lindsay ، *The Late Great Planet Earth* (Grand Rapids: Zondrevan Publishing Company, 1970), pages 59-71.

فَتَحَتْ « السِّفارة المسيحيَّة » أبوابَها بالقُدْس الغربيَّة في 30 أيلول 1980 ، في احتفال حَضَرَهُ تيدي كُوليك رئيس بلديَّة القُدْس ، ومُمثِّلون عن حُكُومة بيغن . أمَّا غايتها ؛ فكانت إنشاء « سفارة » بالقُدْس من أجل مسيحيِّيْ العالم الذين يودُّون تأييد سياسيَّات (إسرائيل) ، وشدّ أزرها . وقد صُمِّم توقيت الافتتاح ؛ بحيث يُغطِّي تأثير انسحاب سفارات عدَّة من القُدْس إلى تلِّ أبيب احتجاجاً على إعلان (إسرائيلَ) القُدْس « عاصمة أبديَّة » لها .

و« السِّفارة المسيحيَّة » تستند إلى مُقاربة مسيحيَّة أُصُوليَّة للكتاب المُقدَّس ، وتستعمل المُقاربة القَدَريَّة الألفيَّة السّابقيَّة التي ترى في (إسرائيل) تحقيقاً للنُّبُوءة التّوراتيَّة ، وعودة أرض الميعاد إلى شعب الله المُختار .

ودور المسيحيِّيْن - حسب أدبيَّاتهم والنّاطقين باسمهم - هُو مَدُّ الشّعب اليهُودي بالتّأييد ، وشدّ أزر (دولة إسرائيل) . وفي بعض كراريس التّرويج نقرأ :

« عندما خَرَجَتْ فكْرة السِّفارة المسيحيَّة بالقُدْس إلى الوُجُود كانت معنيَّة بالاهتمامات التّالية : الاعتناء بالشّعب اليهُودي ؛ ولاسيما (بدولة إسرائيل) وما ينطوي عيه ذلك من نصرة اليهُود عندما يُعتدى عليهم ، أو يتعرَّضون للتّمييز العدائي ، ودَعْم (إسرائيل) لتعيش بسلام وأمن ، الاهتمام بالقُدْس بكافَّة نواحيها ، لكي تُصبح القُدْس يوماً تسبيحةً للأرض كُلِّها ، وبشيرة بيوم جديد للبشر كُلِّهم ؛ الاهتمام بأنْ يكون جسد المسيح على مدى العالم كُلِّه جيِّد الاتِّصال (بإسرائيل) في المُواساة والمحبَّة والصّلاة من أجل رفاهتها ؛ الاهتمام بالأُمم التي ستكون مصائرها مُتزايدة الارتباط بالطّريقة التي تصلها (بإسرائيل) ؛ الاهتمام والاستعداد لمجئ السَّيِّد »[1] .

و« السِّفارة » تنخرط في عدد من المشاريع التي تُبدي التّعاون الوثيق مع القيادة السِّياسيَّة الإسرائيليَّة ، منها : العمل في اللُّوبي (ولاسيما بالولايات المُتَّحدة) ، التّرويج

---

(1) الموادُّ مُستقاة من ثلاثة كراريس صادرة عن السِّفارة المسيحيَّة (التي تُمثِّل الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة) في القُدْس ، هي :

"How Christians can help Israel in 1982".
"The International Christian Embassy Jerusalem".
"Comforting Israel Today".

للبضائع الإسرائيليَّة، بَيْع سندات إسرائيليَّة، مُسابقات سنويَّة مثل عيد الخيم، العمل في اللُّوبي من أجل توطين اليهُود السُّوفييت (بإسرائيل)، هبات الدّم للقُوَّات المُسلَّحة الإسرائيليَّة، الكتابة في الصّحافة العلْمانيَّة للدّفاع عن المواقف السِّياسيَّة الإسرائيليَّة، الدّعوة إلى الصّهيونيَّة المسيحيَّة بالغرب.

و«السِّفارة» شديدة النّشاط في الدُّول التّالية: الولايات المُتَّحدة، كَنَدَا، إنكلترا، هُولندا، ألمانيا، سويسرا، النّرويج، فنْلَنْدا، أُستراليا، نيوزلندا، وجنوب أفريقيا. وقد فَتَحَتْ في هذه البُلدان فُرُوعاً تُدعى «قُنصليَّات» بين الحين والحين. وتقوم «السِّفارة» انطلاقاً من هذه القواعد بتعبئة الدَّعْم السِّياسي والمالي لمُتابعة أنشطتها.

وفي آب 1985م، نظَّمت «السِّفارة» المُؤتمر الصّهيوني المسيحي الأوَّل ببازل بسويسرا، في نفس القاعة التي عَقَدَ فيها ثيودر هرتزيل المُؤتمر الصّهيوني الأوَّل في آب 1897م. وقد كان البرنامج الذي اعتُمد في مُؤتمر عام 1985م، شديد التَّسَيُّس في دَعْم مبادئ الصّهيونيَّة التّصحيحيَّة، وكان يتّسق - بوُضُوح - مع خطِّ الفكْر القَدَري السّابقي[1].

أمَّا المُؤتمر الصّهيوني المسيحي الثّاني؛ فقد عُقد بين 10 و15 نيسان 1988م، ليُوافق الذّكرى الأربعين لإنشاء (إسرائيل). وقد كانت خُطب المُؤتمر، وبياناته واستراتيجيَّته السِّياسيَّة مُصمِّمة كُلّها على نحو يرتقي بالصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة الشّديدة التَّسَيُّس، وينسجم وسياسات الحُكُومة الإسرائيليَّة[2].

كنائس الشّرق الأوسط ترفض (الصّهيونيَّة المسيحيَّة):

ترى الكنائس المسيحيَّة في البُلدان العربيَّة، لاسيما منطقة الشّرق الأوسط، على اختلاف مذاهبها، والتي أصبح يُمثِّلها اليوم "مجلس كنائس الشّرق الأوسط"، أنَّ عدداً من القضايا اللاَّهوتيَّة والعمليَّة التي تُثيرها الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة، إنَّما تُعرِّض للخطر الشّديد هُويَّة المسيحيَّة وشهادَتها؛ حيثُ وُلدت كَنيسة المسيح، واستمرَّت مُنذُ حوالي ألفَيْ سنة.

---

(1) "Declaration: First International Zionist Congress" (Basel, Switzerland, August 1985).

(2) المصدر نفسه: ص 2 - 6 "Comforting Israel Today".

فهُم يرون أنَّ هذه النّزعة الصّهيونيَّة الخاصَّة في الفكْر المسيحي تُشكّل أحدث تسلُّلٍ إلى المنطقة. فالكنائس التي لم تزل تعيش الإيمان المسيحي في تواصل غير مُنقطع مُنذُ العنصرة تعدُّ هذه النّزعة تجديفاً على الإيمان المسيحي. وإنَّ السِّفارة المسيحيَّة العالميَّة بالقُدْس المُجسَّدة بالصّهيونيَّة المسيحيَّة بالمنطقة - إذْ تُكرِّس الصّهيونيَّة التّصحيحيَّة وتُقدِّسها - لم تترك إلاَّ مجالاً ضيِّقاً لكي تُصبح المبادئ المسيحيَّة حافزاً على العدالة في المنطقة.

ثمَّة ما ينوف على الاثنَيْ عشر مليون مسيحي في أنحاء الشّرق الأوسط، وهُم في سوادهم الأعظم ينتمون إلى الكنائس الشّرقيَّة والأرثُوذكسيَّة القديمة. وهُم - بالإضافة إلى الكَاثُوليك والأنكليكان والكنائس البرُوتستانتيَّة الوطنيَّة - يُشاركون في السّعي إلى وحدة الكَنيسة استجابة لصلاة المسيح من أجل أنْ يكون واحداً (يُوحنَّا 17 : 21). ولَمَّا كانوا يشهدون لإنجيل يسُوع المسيح في منطقة محفوفة بالعُنف، والمصاعب الاقتصاديَّة، والتَّغيُّر الاجتماعي السّريع، فهُم يتوقَّعون أنْ تعنى المُبادرات المسيحيَّة الآتية من خارج المنطقة باحترام حياتهم ورسالتهم في الشّهادة والخدمة. ولكنَّ «السِّفارة المسيحيَّة العالميَّة» لا تُقرُّ بهذا الواقع، وتعتبر أنَّ كنائس المنطقة ميِّتة رُوحيّاً، ويُمكن - لذلك - تجاهلها.

ورداً على المُؤتمر الصّهيوني المسيحي الذي عقدته «السِّفارة المسيحيَّة» في نيسان 1985م، عرَّض مجلس كنائس الشّرق الأوسط بالطّبيعة السِّياسيَّة المكشوفة للمُؤتمر، مُعتبراً أنَّها تتعارض والمبادئ المسيحيَّة الأساسيَّة، فقد أعلنت اللّجنة التّنفيذيَّة لمجلس الكنائس:

«إنَّنا - إذْ نعي مسؤوليَّاتنا تجاه المسيحيِّين والرّأي العامّ العالمي - نُؤكِّد أنَّ هذا المُؤتمر قد اتَّسم بسمة سياسيَّة مكشوفة، على الرّغم من تعدُّد الإشارات الدِّينيَّة، وندين سُوء استعمال الكتاب المُقدَّس، والتّلاعب بمشاعر المسيحيِّين في مُحاولة تقديس إنشاء دولة من الدُّول، وتسويغ سياسات حكُومتها»[1].

وللأسباب المُبيَّنة أعلاه؛ اعتبر المسيحيُّون المُشاركون في مُؤتمر بازل بسويسرا المبادئ الصّهيونيَّة المبنيَّة على السِّياسات الإسرائيليَّة العسكريَّة علامات على تحقق النُّبُوءات في العالم

---

(1) اللّجنة التّنفيذيَّة لمجلس كنائس الشّرق الأوسط 16 - 18 نيسان 1986،
MECC P.O. Box 4259, Limassol, Cyprus.

العربي، ولم يعتمدوا على الإيمان المسيحي المبني علـى الكتاب المُقدَّس. وهـذا ما يجعلـهم عاجزين تماماً عن أنْ يروا في آلام أيِّ شعب علامة الصّليب المُحـرِّر الـذي صُلـب عليـه سيِّدنا يسُوع المسيح[1]. وهُم ـ لذلك ـ يُمثِّلـون النّـزعة المُستمرَّة لأنْ تفرض علـى الشّرق الأوسـط النّموذج الصّهيوني بمـا ينطـوي عليـه مـن نزعـة قوميَّـة ثيُوقراطيَّـة تعتـبر نفسـها مركـز العـالم. وما تفكيك فلسطين وتفتيت لُبنان إلاَّ مـن نتـائج هـذه النّـزعة. والحَركَـة الصّهيونيَّـة المسيحيَّة الأُصُوليَّة تُشجِّع هذه النّزعة، وترفض ـ في الوقـت نفسـه ـ حَركَـة الوحـدة المسيحيَّة والتّفـاهم فيما بين الأديان اللّذَيْن تسعى إليهما كنائس المنطقة.

إنَّ برنامج الصّهيونيَّة المسيحيَّة ـ إذْ يُعلـي مـن شـأن الصّهيونيَّـة السِّياسـيَّة الحديثـة ـ يُقـدِّم للمسيحيِّيْن نظرةً إلى العالم يتماهى فيها الإنجيل بإيديُولُوجيَّة الفوز والنّزعة العسكريَّة. وهي تُولي الأهمِّيَّة العُظمى لحوادث تقود إلى نهاية التّاريخ، بدلاً مـن إيلائـها لعيـش محبَّـة المسيح وعدالته اليوم. فالبدعة الصّهيونيَّة المسيحيَّة إنَّمـا هـي اختـزال خطـر للإيمـان المسـيحي، وهُـو اختزال من شأنه المُضي قُدُمَاً بقضيَّة دولة من دُول أو شعب مـن الشُّعُوب علـى حسـاب غـيره من الشُّعُوب من خلائق الله، وحتَّى على حساب الكَنيسة الحيَّة.

إنَّ تاريخ الحَركَات الألفيَّة مُنذُ أيَّام السّجال على المُونتـانيِّيْن في القـرن الثّـاني للميـلاد، وُصُولاً إلـى المُبشِّرين التّلفزيونيِّيْـن الأمـيركيِّيْن اليـوم حـافلٌ بمفـاهيم سقيمة مـن سُـوء تفسـير الكتاب المُقدَّس، وبغير ذلك من أنصاف الحقائق التي لابُدَّ للكَنيسة من إطراحها.

إنَّ كنائس الشّرق الأوسط لتنهض بعبء التَّصدِّي لهذا التَّسـرُّب الغربـي الـذي يُعـرِّض للخطر تاريخها الطّويل في الشّهادة للمسيح والإيمان الحيّ في عالم إسلامي في مُعظمه، إلاَّ أنَّـه لابُدَّ لكنائس الغرب من أنْ تُقرَّ بأنَّ مُقاومة "الصّهيونيَّـة المسـيحيَّة" هـي مـن واجبـها ـ أيضـاً ـ أنْ تنضمَّ إلى مسيحيِّيْ الشّرق الأوسط في صـوغ تفسـير صحيـح لإنجيـل يسُـوع المسـيح، ولـدور المسيحي في مُجتمعات الشّرق هذه.

---

(1) أُذكِّر أنَّ الكلام كُلَّه "لمجلس كنائس الشّرق الأوسط".

ولكي تتَّضح الصُّورة أكثر، ويطَّلع القارئ - بشكل عملي - على أهداف ومرامي فرقة الصّهيونيَّة المسيحيَّة؛ نُدرج - فيما يلي - نصَّ البيان الختامي للمُؤتمر الثّاني الذي عقدته تلك الفرقة في القُدْس عام 1988[1] :

بيان المُؤتمر الصّهيوني المسيحي العالمي الثّاني، القُدْس، 10 - 15 نيسان 1988:

[[نحنُ المندوبون إلى المُؤتمر الصّهيوني المسيحي العالمي الثّاني، المُجتمعين بالقُدْس، عاصمة (إسرائيل) الأبديَّة في الرّابع عشر من نيسان 1988، عشيَّة الذّكرى الأربعين لاستقلال (إسرائيل)، نُعلن رُبُوبيَّة الله، وعصمة كلمته المُقدَّسة عن الخطأ: إنَّ خُطَّته الخُلاصة سوف تُحلُّ السّلام والبركات على الشّرق الأوسط والبشر أجمعين، حسبما جاء في العهد الأبدي الذي قَطَعَهُ لإسرائيل.

لذلك، نفهم من هذه الأسفار أنَّ الله يُحبُّ شعبه، وقد أناط بهم مسؤوليَّة وحقَّ امتلاك أرض الميعاد، وتعميرها، وحُكْم سُكَّانها حسب كلمته.

لذلك نُعلن:

- حُبَّنا (لإسرائيل)، وللشّعب اليهُودي.

- إثباتنا الحقّ الكتابي الذي لليهُود بأنْ يعيشوا أحراراً في أرض (إسرائيل) كُلِّها؛ بما فيها اليهُوديَّة، والسّامرة، وغزَّة، واعتبارها دولة يهُوديَّة.

- تشجيعنا لعودة الشّعب اليهُودي كُلِّه من الشّتات إلى أرضه، استجابة لدعوة الله المُلحَّة، والحنونة، والمُعبَّر عنها في أنبيائه.

ونحنُ ندعو الدُّول كُلَّها إلى الاعتراف بقداسة ما وَعَدَ اللهُ به الشّعبَ اليهُودي من إعطائهم أرض كنعان ملكاً أبديَّاً، واحترام هذا الوعد، وكذلك وُعُوده الخاصَّة لنَسْل إبراهيم جميعاً.

---

(1) كما أورده كتاب "ما هي الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة؟"، نَشْر: مجلس كنائس الشّرق الأوسط، ص 40 - 44.

ونحنُ نُطالب الكَنيسة بأنْ تتوب عن أيِّ عداء لليهُود ماض أو حاضر، وعن أيِّ عقائد تحلُّ محلَّ الوُجُود الكتابي الواقعي (لإسرائيل)، أو تنفيه، وعن أيَّة خطايا ارتُكبت في حقِّ الشّعب اليهُودي بالتّواطؤ، أو بالإهمال. (رسالة يُوحنَّا الأُولى 1: 9 و 10).

كما ندعو الكَنيسة:

- إلى الصّلاة والصّوم من أجل إحلال السّلام في القُدْس.

- إلى التَّشفُّع (لإسرائيل)، ولسُكَّانها، ولكُلِّ اليهُود؛ حيثُما كانوا.

- إلى التّعبير عن المحبَّة والدَّعْم (لإسرائيل)، وللشّعب اليهُودي بالفكْر والقول والفعل، كما أرْشَدَنَا الرَّبُّ (إشعيا 58، إشعيا 62: 6 و7، يوئيل 2: 15).

ونحنُ نعترف:

بأنَّ البُلدان العربيَّة قد مُنحوا عُهُوداً عظيمة أبديَّة خاصَّة بهم، من ذلك ما نجده في سفْر التّكوين 20: 17: «وأمَّا إسمعيل؛ فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أُباركه، وأُثمِّره، وأُكثره كثيراً جدًّا؛ اثنَيْ عشر رئيساً يلد، وأجعله أُمَّة كبيراً». وكذلك سفْر إشعيا 19: 24 و25.

ولذلك فنحنُ ندعو:

العربَ من زُعماء اليهُوديَّة والسّامرة وغزَّة، وقادة الأُردن وسُوريَّة ولُبنان وغيرهم من القادة العرب إلى الاعتراف بحقِّ (إسرائيل) في الوُجُود.

ونحنُ نتوسَّل إلى زُعماء العرب باليهُوديَّة والسّامرة وغزَّة أنْ يُقابلوا الزُّعماء الإسرائيليِّين وجهاً لوجه كما تطلب (إسرائيل) من دُون تدخُّل أحد، أو توسُّطه، ومن دُون شُرُوط مُسبَقَة، من أجل حلِّ النّزاع في اليهُوديَّة والسّامرة وغزَّة، ومن أجل التّأكُّد من صيانة حُقُوق وواجبات السّاكنين في هذه الأراضي.

ونحنُ نُشجِّع (إسرائيل) على أنْ تمنح - انسجاماً مع الكتاب المُقدَّس - الحُقُوقَ السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والثّقافيَّة لكُلِّ سُكَّان اليهُوديَّة والسّامرة وغزَّة المُوافقين على الاضطلاع بما يقترن بذلك من المسؤوليَّات من دُون عُنف، (حزقيال 47: 22، مزامير 37: 7).

ونحنُ نُؤكِّد:

أنَّ مُستقبل (إسرائيل) كدولة يهُوديَّة حُرَّة يتعلَّق بنعمة الله كما تتجلَّى في تدابير إحيائيَّة مثل:

- الاستيطان في البقاع غير المألوفة من أرض (إسرائيل).
- التّنمية الاقتصاديَّة المُنسَّقة.
- تنشيط تزايد السُّكَّان اليهُود من خلال:
  - تشجيع الهجرة إلى (إسرائيل)، (إشعيا 43، إرميا 31).
  - النّهي عن الهجرة إلى الخارج، وصرف الرّاغبين عنها.
  - منع الإجهاض، (إشعيا 49 : 5، خُرُوج 20 : 13).
  - والصّلاة والصّوم والتّوبة إلى الرَّبِّ.

نحنُ المندوبين إلى المُؤتمر:

نحثُّ الدُّول كُلَّها على الاعتراف الدّبلوماسي (بإسرائيل)، وعلى إقامة سفاراتها بالقُدْس، ومُساعدة (إسرائيل) في كُلِّ الوُجُوه، فيحصلوا على بركات الله بمُباركتهم (إسرائيل)؛ نحثُّهم على الامتناع عن المُقاطعة الاقتصاديَّة، وعن التَّنكُّر لحُقُوق اليهُود الثّقافيَّة، وعن أيَّة مُقاومة لحقِّ اليهُود في العودة إلى أرض (إسرائيل)، (تكوين 12 : 3).

نُريد منهم أنْ يطلبوا من الاتِّحاد السُّوفيتي، وسُوريَّة، والحبشة، والسُّودان، وإيران، ومن كُلِّ الدُّول التي تقمع اليهُود أنْ تُفرج عنهم فوراً؛ ليعودوا إلى أرض (إسرائيل)، (إشعيا 43 : 5، إرميا 16 : 14 ـ 16)؛ كما نطلب ـ أيضاً ـ من كُلِّ الدُّول التي تضطهد المسيحيِّين على إيمانهم أنْ تكفَّ عن ذلك فوراً.

ونحنُ كمُؤتمر:

نُعبِّر عن ارتياعنا واستنكارنا لإساءة استخدام السُّلطة من قبَل كثير من وسائل الإعلام؛ من أجل تأليب الرَّأي العامِّ العالميِّ ضدَّ (إسرائيل)، وذلك في رواياتها لإخبار الحوادث الأخيرة التي وقعت في اليهُوديَّة والسّامرة، وفيما دَرَجَتْ عليه من طريقة لُمعالجة سياسات (إسرائيل) الدّاخليَّة والخارجيَّة.

نحنُ نطلب من وسائل الإعلام أنْ تكون على درجة عالية من مناقب نَقْل الأخبار: من حيثُ الدِّقَّة، والمسؤوليَّة، وعدم الانحياز، والإنصاف، وسَوق الخَبَر في سياقه.

ونحنُ نتوسَّل إلى جميع الصّهيونيِّيْن المسيحيِّيْن أنْ يتنبَّهوا إلى مَغَالط وسائل الإعلام وشططها، واتِّخاذ موقف منها، يعتبرها صُوراً من العداء لليهُوديَّة، والعداء للصّهيونيَّة. علينا أنْ نطرح هذه المَغَالط كُلَّها على الصّعيدَيْن القومي والمحلِّيِّ. (الرّسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس **2: 10 ـ 13**).

ونحنُ المُؤتمرين:

ـ على قناعة بأنَّ دعوة الله ـ التي لا مفرَّ منها، والتي دعا بها الأُمم إلى إنعاش (إسرائيل) ونصرتها ـ تشتمل على الاستثمار فيها، وغير ذلك من وُجُوه الدَّعْم الاقتصادي (إشعيا **40 : 1**)؛

ـ تشجيع دعم كهذا (لإسرائيل)، (الرّسالة إلى أهل رُومة **15 : 27**)؛

ـ نُوصي بإنشاء فريق عمل اقتصادي تحت رعاية «السِّفارة المسيحيَّة»، وذلك من أجل إجراء الأبحاث والتّقارير حول إمكانيَّات توظيف الأموال، وإيداع الودائع المصرفيَّة (بإسرائيل)، تشجيع أصحاب التَّعهُّدات والمُقاولين الإسرائيليِّيْن، شراء المُنتجات الإسرائيليَّة وبَيْعها في سائر أنحاء العالم، والتَّبرُّعات لأعمال البرِّ والإحسان: نُوصي بذلك؛ آخذين بعين الاعتبار أنَّه يتوجَّب على المسيحيِّيْن والعَرَب واليهُود، في هذه المرحلة من تاريخ

(إسرائيل)، أنْ يُنشئوا شراكة اقتصاديَّة، من شأنها لا أنْ تُتيح بقاء (إسرائيل) فحسب، بل أنْ تُتيح ازدهارها الاقتصادي أيضاً.

وذلك ثقةً منَّا:

- بأنَّه «إذا بنى الرَّبُّ صهيون يُرى بمجده»، (المزمور 102 : 16)؛

- وأنَّه «تتحوَّل إليكَ ثروة البحر، ويأتي إليكَ غنى الأُمم»، (إشعيا 60 : 5)، فالله يجمع المواهب المُتراكمة ممَّا لا يُحصى من سنوات الخبرة في الإتجار والعمل، ليُركِّزها على رُؤية تعمير صهيون؛ وعلى أصحاب الرّساميل المسيحيِّيْن أنْ يكونوا في طليعة مَنْ يُخاطرون بأموالهم، ويُرشدون الأُمم إلى هذا السّبيل.

أخيراً؛ نُقرِّر، كمُؤتمر وكأفراد:

- أنْ نعود إلى بُلداننا سُفراء نُعلن الاحتفاء بالذّكرى الأربعين لقيام (إسرائيل)، مُعترفين بأنَّ عصراً جديداً قد بدأ في تاريخ شعب الله المُختار.

ونُقرِّر:

- مُضاعفة جُهُودنا للوقُوف مع الشّعب اليهُودي في (إسرائيل)، وفي سائر أنحاء العالم، مُقرِّين بفَضْلهم علينا؛

- التّصريح بقناعاتنا لقادة بُلداننا، ومُمثِّلي وسائل الإعلان، وزُعماء الكَنيسة؛

- مُحاربة العداء لليهُود في جميع صُوره، البادية منها، والخافية؛

- الصّلاة والشّفاعة بلا انقطاع من أجل (إسرائيل) وشعبها، ميراثنا ومُستقبلنا الحبيبَيْن (إرميا 2 : 50)]].

جمعيَّات صهيونيَّة مسيحيَّة أُخرى:

ليس تجمُّع "الصّهيونيِّيْن المسيحيِّيْن" ومركزهم الذي أسموه السِّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة في أُورشليم، هُو الجماعة الصّهيونيَّة المسيحيَّة الوحيدة في الولايات المُتَّحدة، بل تُوجد ثمَّةَ عدَّة

جماعات ومُنظَّمات صهيونيَّة مسيحيَّة أُصُوليَّة أُخرى تحمل نَفْس توجُّه طائفة "الصّهيونيِّين المسيحيِّين" تماماً، وتسعى لتحقيق نَفْس الأغراض والأهداف، ومن هُنا؛ كان لابُدَّ من - لأجل أنْ يكتمل عرضنا للموضوع - من التَّطرُّق المُوجز لهذه المُنظَّمات، وشَرْح مواقفها ومراميها.

مُنظَّمة المائدة المُستديرة الدِّينيَّة:

أسَّس هذه المُنظَّمة في أيلول / سبتمبر **1979**، عدد من القيادات المسيحيَّة الأُصُوليَّة والسِّياسيَّة، من أمثال القسّ جيري فولويل، زعيم مُنظَّمة «الأغلبيَّة الأخلاقيَّة»، وبول ويريش، رئيس مُنظَّمة سياسيَّة يمينيَّة مُحافظة تُسمَّى «لجنة إبقاء كُونغرس حُرّ» **Committee For The Survival Of Free Congress**.

وقد ترأس مُنظَّمة المائدة المُستديرة الدِّينيَّة **Religiohs Round Table** القسّ إدوارد ماك أتير **Edward Mc Ateer**. وهدف هذه المُنظَّمة هُو تنظيم لقاءات بين القيادات السِّياسيَّة، والقيادات الأُصُوليَّة والإنجيليَّة بشكل عامٍّ. وإعداد النّدوات لـ «تعليم المُتديِّنين السِّياسة»[1]. وقد عقدت - في بداية عام **1980** - **14** ندوة، حَضَرَ إحداها المُرشَّح للرّئاسة (رُونالد ريغان)، وتحدَّث في اجتماعاتها، كما قُدِّر عدد المُشاركين في هذه النّدوة بحوالي أربعين ألف شخص. وقد أسَّست فُرُوعاً في مُعظم الولايات الأمريكيَّة[2].

وأبرز نشاطات المائدة المُستديرة حفلات الإفطار السّنويَّة التي تُقيمها للصّلاة من أجل (إسرائيل)، ودعم سياستها وأغراضها. وَدَرَجَتْ على إصدار بيان عقب الصّلاة تُبارك فيه (إسرائيل) باسم ما يزيد عن **50** مليون مسيحي يُؤمنون بالتّوراة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة[3]. ويتضمَّن البيان الصّادر عن هذا اللّقاء، والذي تحضره قيادات سياسيَّة ودينيَّة

---

(1) كتاب "البُعْد الدِّيني في السِّياسة الأمريكيَّة تجاه الصّراع العربي - الصّهيوني: د. يُوسُف الحسن، ص 137، بإحالته إلى **Yong, God's Bullies, p 121**.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر السّابق، ص 137، نقلاً عن كتاب فيندلي **They Dare to speak out, People and Institutions Confront Israel Lobby**؛ أي "مَنْ يجرؤ على الكلام، أشخاص ومُؤسَّسات في مُواجهة اللُّوبي الإسرائيلي"، ص **244**.

ورجال أعمال بارزون، وممثّلون عن الحكومة الأمريكيَّة، دَعْماً واضحاً لسياسات (إسرائيل)، ففي مؤتمر «مائدة إفطار وصلاة من أجل (إسرائيل)» لعام **1983**، والذي عُقد في العاصمة الأمريكيَّة، تضمَّن البيان نُقاطاً دينيَّة وسياسيَّة وعسكريَّة لمصلحة (إسرائيل)، كان من بينها:

أ ـ دعوة للتّعاون الاستراتجي بين الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة و(إسرائيل). وقد أعقب ذلك قراءة مُختارات من التّوراة تُؤكِّد حقَّ اليهُود في أرض فلسطين.

ب ـ دعوة لنَقْل السِّفارة الأمريكيَّة من تلِّ أبيب إلى القُدْس؛ إذْ رأى البيان أنَّ حُدُود الأرض المُقدَّسة ـ التي رَسَمَهَا الكتاب المُقدَّس ـ لا يُمكن أنْ تُغيِّرها رمال المُقتضيات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة المُتحَرِّكَة[1].

وقد عَقَدَ في الأوَّل من شُباط / فبراير **1984**، زُعماء وأتباع مُنظَّمة المائدة المُستديرة صلاةَ إفطار أُخرى لمصلحة (إسرائيل)، في فُندُق شُورهام في العاصمة واشنطن. وأُتيحت للباحث فُرصة حُضُورها، فلاحظ وُجُود نُسخ كثيرة على موائد الإفطار من كتاب إسرائيلي يتحدَّث بالصُّورة والكلمة عن الغزو الإسرائيلي للُبنان في صيف **1982**، وعمَّا أسماه عمليَّة تحرير لُبنان من الإرهاب.

لقد حَضَرَ هذه الصّلاة أكثر من **500** شخص، وشاركتْ فيها بعض القيادات الصّهيونيَّة اليهُوديَّة مثل اليك ريسنك، رئيس المُنظَّمة الصّهيونيَّة الأمريكيَّة، إضافة إلى السّفير الإسرائيلي في واشنطن، كما شارك فيها المُدَّعي العامُّ الأمريكي ادوين ميس، والسّفير الأمريكي لدى مُنظَّمة دُول أمريكا اللاَّتينيَّة وليام ميندوروف، والسِّناتور تشارلز جراسلي، والدُّكتُور مارشال بريجر، المُساعد الخاصّ للرّئيس رُونالد ريغان[2]. وترأس الصّلاة القسّ ادماك اتير، رئيس المائدة المُستديرة، وشاركه في هذه الصّلاة النّائب الجُمهُوري من ميتشيغن مارك سيلجاندر، الذي تحدَّث عن العلاقات الميثاقيَّة بين الله والشّعب اليهُودي، وعن

---

(1) المصدر العربي نفسه، ص 137، نقلاً عن المصدر الأمريكي نفسه، ص244.

(2) المصدر العربي السّابق، ص 138، نقلاً عن: *Washington Jewish Week* (9 February 1984) p. 3.

« المسؤوليَّة الفريدة من نوعها المُلقاة على عاتق المسيحيِّيْن للوُقُوف بجانب (إسرائيل)، تنفيذاً لهذا الميثاق التّوراتي »[1].

ويُشكِّل الحديث عن دَعْم (إسرائيل) وأمنها وعاصمتها المُوحَّدة محورَ منشورات هذه المُنظَّمة ونشاطها. وهي تُشارك في تنظيم الرّحلات والزّيارات من الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة إلى (إسرائيل)، وتقوم بإرسال البرقيَّات والرّسائل إلى مراكز القرار السِّياسي الأمريكي لمصلحة (إسرائيل).

مُؤسَّسة جبل المعبد:

ومن بين المُنظَّمات الصّهيونيَّة المسيحيَّة ذات الأهداف الصّهيونيَّة المُحدَّدة، والتي لها امتدادات داخل (إسرائيل) نفسها، مُنظَّمة تُسمَّى « مُؤسَّسة جبل المعبد » **Temple Mount Foundation**، وتُركِّز هدفها على إنشاء المعبد في القُدْس، ويقع مقرُّ هذه المُنظَّمة في لُوس أنجلس، في ولاية كاليفورنيا، وقد تفرَّع عنها عدَّة لجان ومُنظَّمات ومعاهد لخدمة أغراضها، من بينها « المُنتدى الأمريكي للتّعاون المسيحي اليهُودي ».

ويرأس هذا المُنتدى رجلُ أعمال يُدعى تيري رايزنهوفر **Terry Risenhoover**، من ولاية أُوكلاهوما، وكذلك اللّجنة الإنجيليَّة، وتعمل في مدينة القُدْس، وتترأسها قيادة ثُلاثيَّة تضمُّ - إضافة إلى رايزنهوفر - رجل أعمال من كاليفورنيا هُو تشاك كريغر **Chuck Krieger**، وكذلك رجل دين برُوتستانتي وأُصُولي جيمس ديلوش **J. Deloach**. كما أسَّس كريغر رايزنهوفر معهداً سمَّياه « معهد البحث عن المعبد في القُدس ». وتمَّ تسجيله في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة كمُؤسَّسة دينيَّة مُعفاة من الضّرائب[2].

وقد بَرَزَتْ نشاطات اللّجنة الإنجيليَّة وفُرُوعها في مطلع عام 1983، حينما دافعت عن المُعتقلين من الإسرائيليِّيْن المُتطرِّفين، الذين قاموا بتخريب وإتلاف أجزاء من المسجد الأقصى

---

(1) المصدر العربي نفسه، ص 138، نقلاً عن المصدر الأمريكي نفسه، ص3.

(2) المصدر العربي نفسه، ص 138، نقلاً عن كتاب: Wagner & Haddad, eds., All in the Name of the Bible (أيْ كُلُّ شيء باسم الكتاب المُقدَّس)، ص 22.

في 10 آذار/ مارس 1983. فبعد ثلاثة أسابيع من هذا التّاريخ؛ نُشر إعلان في صحيفة «جيروسالم بُوست» يُطالب بالإفراج عن المُعتقلين، ويُشيد بهم على اعتبار أنَّهم «أبناء (إسرائيل) المُخلصون»[1]. ولُوحظ أنَّ الجهة التي تبنَّت هذا الإعلان هي اللّجنة الإنجيليَّة التي وَصَفَتْ نفسها بأنَّها «المُهتمَّة بحُرِّيَّة العبادة في جبل المعبد»[2]. ويُشكِّل بناء المعبد اليهُودي عند هذه المُنظَّمة الصّهيونيَّة المسيحيَّة واحدة من آخر الإشارات التي تسبق العودة الثّانية للمسيح[3].

ويقول الصّهيوني المسيحي القسّ هال ليندسي: لقد تحقَّقت نُبُوءات التّوراة، فها هي (إسرائيل) تُولد من جديد في فلسطين. . . . وها هي تُمسك بالقُدْس القديمة والأماكن المُقدَّسة الأُخرى، وسوف تُعيد بناء معبدها القديم في موقعه التّاريخي[4]. ومن أجل هذه الغاية، فإنَّ أعداداً من المسيحيِّيْن الأُصُوليِّيْن الأمريكيِّيْن يجمعون الأموال، ويُمارسون الضُّغُوط المُنظَّمة في سبيل إقامة هذا المعبد مكان المسجد الأقصى بعد هَدْمه، كما يدفعون الرُّسُوم القانونيَّة، وأتعاب المُحاماة، للدّفاع عن الإسرائيليِّيْن المُعتقلين بتُهمة مُحاولة تخريب المسجد الأقصى، وإقامة المعبد اليهُودي مكانه[5].

وقد قدَّم رايزنهوفر حوالي 50 ألف دولار كمُساهمة من أجل بناء مقرٍّ لمُؤسَّسة المعبد في (إسرائيل). وتسلَّم هذا المبلغ ستانلي غولدفوت الذي يعمل سكرتيراً لهذه المُنظَّمة في القُدْس، وقد سَبَقَ له أنَّ عمل كرجل استخبارات لمصلحة مُنظَّمة شتيرن الصّهيونيَّة في الأربعينات من هذا القرن. وله صلات واسعة - الآن - مع جماعة جوش ايمونيم اليهُوديَّة المُتطرِّفة في (إسرائيل)[6].

---

(1) المصدر نفسه، ص22.

(2) المصدر نفسه، ص23.

(3) المصدر نفسه، ص23.

(4) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن: Lindsey, The Late Great Planet Earth (New York: Bantam Books, 1970)، ص 43.

(5) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن: The new Republic (18 June) 1983.

(6) المصدر العربي نفسه، ص 138، نقلاً عن كتاب: Wagner & Haddad, eds., All in the Name of the Bible (أيْ كُلُّ شيء باسم الكتاب المُقدَّس)، ص 23.

أمَّا القسّ ديلوش، وهُو راعي الكَنيسة المَعْمَدَانيَّة الثّانيـة في مدينـة هيوسـتن الأمريكيَّـة، ويُدير ـ في الوقت نفسه ـ فرع مُنظَّمة جبل المعبد في هيوستن؛ فقـد أعلـن «أنَّ الدّفـاع القـانوني عن أُولئك الذين اقتحموا المسجد الأقصى، يُكلِّفنا المالَ الكثيرَ». ويضـع ديلـوش في إصبعـه خاتماً من الألماس، رُسم عليه الصّليـب ونجمـة داود معـاً، ويحمـل علـى صـدره شـارةً رُسـم عليها العَلَمَان الأمريكي والإسرائيلي[1].

وفي بدايـة عـام 1984، اسـتضاف رايزنـهوفر أربعمائـة شـخصيَّة مـن البرُوتسـتانت الأُصُوليِّيْـن، وكذلـك عـدداً مـن اليـهُود الأمريكيِّيْـن، علـى مأدبـة إفطـار صـلاة مـن أجـل (إسرائيل)، وشارك فيها السّفير الإسرائيلي المُعتمَد لـدى الولايـات المُتَّحـدة الأمريكيَّـة، كمـا تحدَّث فيها رايزنهوفر نفسه، وطالب بنَقْل السّفارة الأمريكيَّة من تلِّ أبيب إلى القُدْس[2].

ويبعـث أثريـاء أمريكيُّـون تبرُّعـات ماليَّـة مُعفـاة مـن الضّرائـب إلـى (إسـرائيل)، عـبر «مُؤسَّسة جبل المعبد»، وفرُوعها؛ وبخاصَّة «المُنتدى الأمريكـي للتّعـاون المسيحي اليـهُودي»، والذي يُشارك فيه «رجال دين أُصُوليُّون مُتحمِّسون لتدمـير المسـجد الأقصـى، وإقامـة المعبـد اليهُودي مكانه»[3].

يقول عُضو الكنيست الإسرائيلي ياهودا بيراش «إنَّ لـدى مُؤسَّـسة جبـل المعبـد ـ الآن ـ عشرات الملايـين مـن الـدُّولارات، كمـا أنَّ أكـثر مـن 20 صـاحب ملايـين أمريكـي مُـستعدُّون لتدعيم المُؤسَّسة بمُساعدات ماليَّة إضافيَّة»[4].

وتتحدَّث الكاتبة الأمريكيَّة غريس هالسيل **G. Halsell** عن الخُطط اليهُوديَّة والمسـيحيَّة الأُصُوليَّة لتدمير المسـجد وبنـاء المعبـد اليـهُودي، فتقـول: «إنَّ الزّائـر لمدينـة القُـدْس يسـمع المُتطرِّفين اليهُود وهُم يتحدَّثون ـ بصراحة وعَلانيَّة ـ عن خُططهم لهَدْم المسـجد، وبنـاء هيكـل سُلَيْمَان مكانه... ويتحدَّث المُرشدون السِّياحيُّون الإسرائيليُّون عن الخُطط الجـاهزة لذلـك،

---

(1) الخليج، (الإمارات العربيَّة المُتَّحدة)، 19/ 9/ 1984.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن: The new Republic (18 June) 1983.

(4) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن صحيفة الخليج، نقلاً عن المصدر نفسه، نقلاً عن دافار، 23/ 1/ 1983.

بما فيها موادُّ البناء، وإعداد لوازم الهيكل، والثّياب الحريريَّة التي سيرتديها كَهَنَةُ الهيكل بعد إنجازه)[1]. وتقول - أيضاً - على لسان عالم آثار أمريكي يعيش في القُدْس اسمه غُوردُون فرانز:

« يُوجد مسيحيُّون مُتعصِّبون يُشاركون اليهُود القَوْلَ بهَدْم المسجد الأقصى. . . . كما شكَّل الصّهاينة من المسيحيِّيْن واليهُود مُؤسَّسة هَدَفها بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى »[2]. وتُضيف الكاتبة - أيضاً - على لسان أحد المُرشدين السِّياحيِّيْن الإسرائيليِّيْن الذي كان يقود رحلة إلى عدد رجال الدِّين الأُصُوليِّيْن الأمريكيِّيْن: إنَّ بناء الهيكل ستفهمه شُعُوب الأرض على أنَّه تمَّ بناء على إرادة الله. . . وإنَّنا نُفَضِّل أنْ يكون المكان خالياً لبناء الهيكل. . . . ومن المُمكن أنْ ينهار المسجد والصَّخرة بإرادة الله، أو نتيجة زلزال، أو أيّ شيء آخر[3].

ومن جانب آخر، تقوم « مُؤسَّسة معبد القُدْس » بتقديم المُساعدات الماليَّة لتدريب عدد من الكَهَنَة اليهُود على كيفيَّة خدمة المعبد الذي تنوي بناءه[4]. كما يتعاون معها الدُّكتُور لامبرت دُولفن، وهُو من العُلماء البارزين في « معهد أبحاث ستاندفور » في ولاية كاليفورنيا. ويتولَّى هذا العالم تزويد المُؤسَّسة بأجهزة حديثة للتّصوير والتّنقيب المُتعلّق بالآثار، ويضع خبراته ومعدَّاته وأبحاثه لخدمة غرض التّنقيب الأرضي عن المعبد. وقد أمضى عدَّة أسابيع - عام 1983 - في القُدْس، في مهمَّة لحساب مُؤسَّسة جبل المعبد. وقام - خلالها - باستخدام أجهزة راداريَّة للبحث والتّصوير الأرضي تحت المسجد الأقصى والصّخرة[5].

تتمتَّع مجموعة رايزنهوفر بصلات واسعة مع المُنظَّمات والقيادات الصّهيونيَّة المسيحيَّة. ولها منافذ مفتوحة على البيت الأبيض ووزارة الخارجيَّة الأمريكيَّة. وكان رايزنهوفر أحد

---

(1) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن صحيفة الشّرق الأوسط، 6/ 2/ 1984.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن كتاب:
Grace Halssel "Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War (Westport, Conn: Lawrence Hill and Co., 1986) p. 101.

(5) المصدر نفسه، ص102.

أفراد القيادة المسيحيِّيْن الأُصُوليِّيْن الذين دعاهم البيت الأبيض في 19 آذار / مارس 1984، لكَسْب تأييدهم لبرنامج الإدارة الأمريكيَّة الدّاخلي والخارجي. وقد شارك في هذا الاجتماع عدد من القيادات الصّهيونيَّة اليهُوديَّة مثل كينين، مُؤسِّس اللّجنة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة للشُّؤُون العامَّة المعروفة باسم ايباك، وهي جماعة الضّغط الرّسميَّة (لإسرائيل)، وكذلك رئيس المُنظَّمة الصّهيونيَّة العالميَّة[1].

وقام رايزنهوفر بشراء أراضٍ في الضّفَّة الغربية المُحتلَّة، وبخاصَّة في مدينة القُدْس، لمصلحة إسرائيليِّيْن. ويظلُّ هدفه الأساسي بناء « المعبد الثّالث » في المكان نَفْسه الذي يقع عليه المسجد الأقصى حالياً[2].

ومن هُنا؛ يتَّضح أنَّ لمسألة القُدْس والمعبد فيها موقعاً خاصّاً في رُؤية هذه الجماعة الضّاغطة المسيحيَّة الأُصُوليَّة. وتُشكِّل هذه الرُّؤية تهديداً لحُرِّيَّة العبادة في الأماكن المُقدَّسة، وبخاصَّة للمُسلمين العَرَب. كما تُشكِّل قَلَقاً لدى العالم الإسلامي إذا ما تعرَّض المسجد الأقصى لنوع من الدّمار أو التّخريب. ويُخشى أنْ يتطوَّر هذا القَلَق إلى صدامات مسيحيَّة إسلاميَّة يصعب حَصْرُها.

مُؤتمر القيادة المسيحيَّة الوطنيَّة لأجل (إسرائيل):

التقت في مطلع عام 1980، عدَّة جماعات ومُنظَّمات وقيادات صهيونيَّة غير يهُوديَّة تحت مظلَّة واحدة. وشكَّلت تحالفاً من أجل (إسرائيل) سُمِّي مُؤتمر « القيادة المسيحيَّة الوطنيَّة لأجل (إسرائيل) » **The National Christian Leadership Conference for Israel**، واتَّخذ مدينة نيُو يُورك مقرّاً له.

وقد أسَّسَ هذا التَّجمُّعَ الصّهيونيُّ المسيحيُّ فرانكلين ليتيل **Franklin H. Littell**، الأُستاذُ في جامعة تيمبل في ولاية نيُو يُورك، ويرأسه ـ حاليّاً ـ الأب إدوارد فلانيري **E.**

---

(1) المصدر العربي نفسه، ص 138، نقلاً عن كتاب: **Wagner & Haddad, eds., All in the Name of the Bible** (أيْ كُلُّ شيء باسم الكتاب المُقدّس)، ص 22.

(2) المصدر العربي نفسه، ص 141، نقلاً عن: **Evangelical Christian Zionism in America (April 1985).**

Flannery . وقد شكَّل الاهتمام ببقاء ودَعْم (إسرائيل)، ورفاهيَّتها، القضيَّة الوحيدة التي تعاونت فيها المُنظَّمات المُشكِّلة لهذا التَّجمُّع[1].

تُمارس هذه المُنظَّمة الصّهيونيَّة المسيحيَّة نشاطاتها بأشكال وأساليب مُتعدِّدة، منها النّشاطات اللاَّهوتيَّة والمُؤتمرات والمسيرات، ووسائل الضّغط المُنظَّمة والإعلانات. وعقدت في تشرين الأوَّل / أُكتُوبر 1981، مُؤتمرها السّنوي في واشنطن العاصمة، وكُرِّس لخدمة (إسرائيل). وقد تحدَّث فيه العديد من رجال الكُونغرس، أمثال النّائب جاك كيمب، والنّائب الدِّيمُقراطي السّابق رُوبرت درينان[2].

وقد دعا مُؤتمر القيادة في 15 حُزيران / يُونيُو 1982، للتّظاهر دَعْماً لغزو (إسرائيل) للُبنان. وتحدَّث المُشاركون في التّظاهرات التي شملت عدَّة مُدُن أمريكيَّة، عن دَعْم (إسرائيل) عسكريّاً واقتصاديّاً. وبَعَثَ المُؤتمر ببرقيَّة في اليوم نفسه إلى المُنظَّمات والمُؤسَّسات المسيحيَّة الرّئيسيَّة، وبخاصَّة الرّابطة القوميَّة للإنجيليِّين، وإلى المجلس القومي للكنائس، ومُؤتمر المَعْمَدَانيِّيْن الجنوبي، ومُؤتمر الرُّهبان الكَاثُوليك، يُشير فيها إلى « فَهْم القيادات المسيحيَّة لحاجة (إسرائيل) الماسَّة لحماية شعبها ضدَّ الإرهاب »[3].

ونَشَرَتْ في الأوَّل من آب / أغسطس 1982، صحيفتا « واشنطن بُوست » و « نيُو يُورك تايمز »، وعدد آخر من كُبريات الصُّحُف الأمريكيَّة إعلانات على صفحة كاملة، تحت عُنوان « مسيحيُّون مُتضامنون مع (إسرائيل) »، ضمَّ أسماء وتوقيعات أكثر من مائة قيادة أمريكيَّة بارزة؛ رجال دين، ورُؤساء كنائس، ومُنظَّمات مسيحيَّة، ورُؤساء جامعات، وصُحُفيُّون، وحُكَّام ولايات، ونُجُوم الكَنيسة المرئيَّة، من أمثال جيري فُولويل، وإدوارد ماك أتير، وديفيد لويس، وبات رُوبرتسون. وقد تبنَّى هذه الإعلانات مُؤتمر القيادة المسيحيَّة

---

(1) المصدر العربي السّابق، ص 142، نقلاً عن كتاب فيندلي They Dare to speak out, People and Institutions Confront Israel Lobby؛ أيْ "مَنْ يجرؤ على الكلام، أشخاص ومُؤسَّسات في مُواجهة اللُّوبي الإسرائيلي"، ص 243.

(2) المصدر العربي السّابق، ص 142، نقلاً عن: (Christianity Today) October 1981.

(3) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن:
David Lewis, Magog 1982 Cancelled (Arkansas: New Leaf Press, 1982), pp. 45 – 47.

الوطني لأجل (إسرائيل)[1]. وبرَّرت هذه الإعلانات عمليَّة الغزو الإسرائيلي للُبنان، واعتبرَتْهَا حماية للمَدَنِيِّيْن الإسرائيليِّيْن.... وتحريراً للشّعب اللُّبناني من مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة وسُوريَّة.... وَحَثَّتْ الحُكُومةَ الأمريكيَّةَ على مُواصلة العمل لتعاون أفضل مع (إسرائيل).... لأنَّها أكثر حليف لنا يُعتمَد عليه في الشّرق الأوسط[2].

وفي تشرين الثّاني/ نُوفمبر 1982، عَقَدَ «مُؤتمرُ القيادة المسيحيَّة الوطني لأجل (إسرائيل)» مُؤتمراً في أحد المعابد اليهُوديَّة في واشنطن العاصمة، تحت شعار «مُوجِّهات المسيحيَّة الأُصُوليَّة والقيادة المسيحيَّة»، وَحَضَرَتْهُ قيادات برُوتستانتيَّة، وكَاثُوليكيَّة، من بينها القسّ جيمي الين من كَنيسة مُؤتمر المَعْمَدَانيِّيْن الجنوبي، وكذلك جيري فُولويل، وإدوارد ماك أتير، وعدد آخر من أساتذة اللاَّهوت والرُّهبان والقساوسة.

وقد أصدر المُجتمعون - في نهاية المُؤتمر - بياناً يُؤيِّد (إسرائيل) والجماعة اليهُوديَّة الأمريكيَّة، ويُؤكِّد على الالتزام بأمن (إسرائيل)، وبأنَّ «كُلَّ الأراضي المُقدَّسة هي ملك للشّعب اليهُودي. . . وأنَّ القُدْس هي العاصمة الأبديَّة (لإسرائيل)، التي لا يجوز تدويلها، أو أنْ تكون محلاً للتّفاوض أو الحُلُول الوَسَط. . . وأنَّ الشّعب اليهُودي - في أيِّ مكان - سيظلُّ شعب الله المُختار، الذي يُباركُ اللهُ مَنْ يُباركه، ويلعن مَنْ يلعنه»[3].

وبمُناسبة مُرُور أربعين عاماً على انتهاء الحرب العالميَّة الثّانية، أصدر مُؤتمر القيادة المسيحيَّة الوطني لأجل (إسرائيل) بياناً وجَّهه إلى جميع المسيحيِّيْن، وَنَشَرَهُ كإعلان في جريدة نيُو يُورك تايمز جاء فيه: «أعطوا اهتماماً خاصَّاً لمعنى (إسرائيل) في فكْر الشّعب اليهُودي وعقيدته وحياته خلال تاريخه الطّويل.... وارفعوا أصواتكم عالياً ضدَّ اللاَّساميَّة التي تختفي وراء مُعاداة الصّهيونيَّة»[4]. وطالبَ البيانُ هيئةَ الأُمم المُتَّحدة التّبرؤ من قرار الجمعيَّة

---

(1) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن: (New York Times) August 1982.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر العربي نفسه، ص 143، نقلاً عن ورقة قدَّمتْهَا القيادة المسيحيَّة الوطنيَّة لأجل (إسرائيل)، وعُنوانها: "Evangelical Christian and Jewish Leadership Encounters"؛ أيْ المسيحي الإنجيلي ولقاءات مع الزّعامة اليهُوديَّة.

(4) المصدر نفسه.

العامَّة الخاصّ بإعلان الصّهيونيَّة شكلاً من العُنصُريَّة، واعتبر أنَّ هذا القرار قد ولَّد شُكُوكاً جدِّيَّة في التزامات الأُمم المُتَّحدة بمبادئها التي أُنشئت على أساسها، وساهم في فُقدان الأُمم المُتَّحدة لمصداقيَّتها. واعتبر قرار الأمم المُتَّحدة الذي أصدرتْهُ الجمعيَّة العامَّة في 10 تشرين الثَّاني/ نُوفمبر 1975 «فضحيةً لابُدَّ من إزالتها من سجلِّ الأُمم المُتَّحدة... وقد وقَّعت هذا البيانَ المئاتُ من الكنائس البرُوتستانتيَّة والقيادات الدِّينيَّة»[1].

ويهدف مُؤتمر القيادة المسيحيَّة الأُصُوليَّة - كائتلاف مُنظَّمات تعمل من أجل (إسرائيل) - إلى تطوير ائتلاف أوسع، وجبهة مُوحَّدة لدَعْم الصّهيونيَّة و(إسرائيل) في وسط المُجتمع المسيحي الأمريكي، وإلى جَعْل هذا المُؤتمر أوسع وأقوى جماعة ضغط مُنظَّمة للصّهيونيَّة المسيحيَّة من أجل المصالح والأهداف الإسرائيليَّة[2].

مسيحيُّون مُتَّحدون من أجل (إسرائيل):

تأسَّست هذه المُنظَّمة المُسمَّاة «مسيحيُّون مُتَّحدون من أجل (إسرائيل)» **Christians United For Israel** في تمُّوز/ يُوليُو 1975، بهَدَف «تعزيز الموقف الصّهيوني المسيحي»[3].

وقد تولَّى القسُّ الكَاثُوليكي الأُصُولي ديفيد لويس تأسيس هذه المُنظَّمة، التي تعمل في مجال دَعْم السِّياسات والأغراض الصّهيونيَّة، وَدَعْم (إسرائيل).

قام ديفيد لويس بعدَّة زيارات (لإسرائيل)، والتقى مع المسؤولين فيها، وبخاصَّة أثناء تولِّي مناحيم بيغن رئاسة الوزارة. كما عَقَدَ عدَّة اجتماعات مع الضّابط اللُّبناني المُنشقِّ عن الجيش الشَّرْعي سعد حدَّاد، رئيس جماعة «جيش لُبنان الحُرِّ»، المدعوم من قبَل (إسرائيل)، والذي يعمل أتباعه في جنوب لُبنان[4].

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن:
Wagner, "A Ministry of Advocacy for Palestinian Justice within Evangelical Christian Zionism" p 73.

(3) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن المصدر الأمريكي نفسه، ص69.

(4) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن المصدر الأمريكي نفسه، ص69.

تُصدر هذه المُنظَّمة مجلَّة رُبع سنويَّة هي « ساعي القُدْس ومُختار النُّبُوءة » Jerusalem Courier & Prophecy Digest ، إضافة إلى نَشْرة إخباريَّة شهريَّة. وتعكس هاتان النَّشْرتان الفكْرَ اللاَّهوتيَّ الصّهيونيَّ المسيحيَّ « وتبدوان ـ غالباً ـ كأنَّهما نُسخة عن الإعلام الإسرائيلي، وبيانات الحُكُومة الإسرائيليَّة »[1].

ويُنظِّم القسُّ ديفيد لويس ـ ويقود ـ مجموعات سياحيَّة، بمُعدَّل مرَّتَيْن سنويّاً إلى (إسرائيل)؛ حيثُ يُرتِّب لها اجتماعات مع عناصر سياسيَّة رئيسيَّة إسرائيليَّة. كما تُشارك هذه المجموعات في الاحتفالات الدِّينيَّة اليهُوديَّة التي تُنظِّمها السِّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة بالقُدْس[2].

ويعتقد لويس زعيم هذه المُنظَّمة، بأنَّ الغزو الإسرائيلي للُبنان في عام 1982، قد « حرَّر شمال (إسرائيل) من التّهديدات المُستمرَّة لإرهاب مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، كما خَدَمَ قضيَّة تحرير الشّعب اللُّبناني، وحفظ العالم من احتلال سُوفياتي للشّرق الأوسط... ومن كَسَاد اقتصادي في العالم الغربي، ومن حرب عالميَّة ثالثة.... »[3].

ومن الجدير بالملاحظة، أنَّ كتاب القسِّ لويس الذي أصدره في نهاية عام 1982، قد ضمَّ 132 صفحة من التّحليل السِّياسي المبني على بيانات المُتحدِّث العسكري الإسرائيلي، ومنشورات الحُكُومة الإسرائيليَّة، كما شمل العديد من الصُّور للمُؤلِّف وزوجته مع قيادات ومسؤولين إسرائيليِّيْن، ولم يزد ما تناوله الكتاب في صفحاته من مواقف لاهوتيَّة مسيحيَّة على ستِّ صفحات وَرَدَتْ في نهاية الكتاب.

المصرف المسيحي الأمريكي لأجل (إسرائيل):

من المُنظَّمات المسيحيَّة الأُصُوليَّة الأمريكيَّة التي تُكرِّس نفسها لخدمة (إسرائيل) وسياساتها التّهويديَّة والتَّوسُّعيَّة، وخاصَّة في شراء الأراضي العربيَّة، أو السّيطرة عليها، وحيازتها أغراض بناء المُستوطنات اليهُوديَّة في الضّفَّة الغربيَّة، المُنظَّمة المُسمَّاة « المصرف

---

(1) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن المصدر الأمريكي نفسه، ص69.

(2) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن المصدر الأمريكي نفسه، ص 70.

(3) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن: David Lewis, Magog 1982 Cancelled, p11.

المسيحي الأمريكي لأجل (إسـرائيل) « The American Christian Trust For Israel وقد أسَّستها وتُديرها السَّيِّدة بُوبي هرُوماس Bobi Hromas ، لتكون مظلَّة ووكيلة لعدد كبير من الحَرَكَات المسـيحيَّة الأُصُوليَّـة ، وقنـاة لنَقْـل الأمـوال الأمريكيَّـة مُباشـرة إلـى (إسـرائيل) ، ولاستخدام هذه التَّبرُّعات والمُساهمات الماليَّة ، في شراء الأراضـي في الضّفّـة الغربيَّـة المُحتلَّـة ، وتمويل عمليَّات بناء وتوسيع المُستوطنات فيها[1] .

يقول تشارلز فشبين Charles Fischbein ، المُدير التّنفيذي السّـابق للصُّنـدُوق القومـي اليهُودي في منطقة وسط الأطلسي ، والذي أُبعد عن الصُّندُوق في نهاية عام 1982 ، في رسـالة له وجَّهها إلى إحدى المُنظَّمـات العربيّـة الأمريكيَّـة في 30 كـانون الأوَّل/ ديسـمبر 1984 : « إنَّ هدف هذه المجموعة ـ في الوقت الحاضر ـ هُو جَمْعُ أكثر من مائة مليون دُولار لبناء مُسـتوطنات في منطقة الجليل . وقد تمَّ ـ بالفعْل ـ تزويد (إسرائيل) بعشرات الملايين مـن الـدُّولارات لتـهويد الضّفَّة الغربيَّة ، تحقيقاً للنُّبُوءة التّوراتيَّة »[2] .

ويقـول أيضـاً ، كاشـفاً العلاقـات التـي تربـط بـين هـذه المجموعـة وكبـار رجـال الإدارة الأمريكيَّة ، بما فيها القُوَّات المُسلَّحة الأمريكيَّة : « لهذه المجموعة علاقات عميقة مع المُنظَّمـات المسيحيَّة الأُصُوليَّة وقيادتها ، مثل جيري فُولويـل ، وبـات رُوبرتسُـون ، وجيمـي سـواغيرت ، إضافة إلى علاقات حميمة مع أثرياء المُجتمع الأمريكـي ، مثـل الثّري وولـتر انينبرغ ، مُمـوِّل حملات الرّئيس ريغان ، وصديقه مُنذُ زمـن الطّويـل . وكذلـك ادويـن ميـس وزوجتـه ، وهُـو أحد كبار المسؤولين في الإدارة الأمريكيَّة في عهد الرّئيس ريغان ، إلى جانب هيرب الينغـوود ، مُستشار الرّئيس ريغان ، وجيمس ووت ، وزير الدّاخليَّة السّابق في إدارة هذا الرّئيـس ، وعـدد آخر من القيادة العُليا العسكريَّة ، بمَنْ فيها الأميرال شيسي Checce ، « الذي حَضَرَ وساهم في حفـلات جَمْـع التَّبرُّعـات (لإسـرائيل) ، والتـي أقامَتْـهَا مجموعـة السَّيِّدة هرُومـاس المسيحيَّة

(1) المصدر العربي نفسه ، ص 145 ، نقلاً عن :

Palestine Human Rights Campaign (Chicago) (15 May 1985).

(2) من وثائق اللّجنة العربيَّة ـ الأمريكيَّة لمُكافحة التّمييز العُنصُري ضدَّ العرب في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة ، اسمها المُختصر هُو (ADC) ، ويرئسها ـ حاليّاً ـ المُحامي عابدين جبارة ، والمنشورة في المُؤتمر السّنوي في عام 1985 .

الأُصُوليَّة، وفي إحدى هذه الحفلات؛ قدَّم هيرب الينغوود إلى السَّيِّدة هرُوماس هديَّة من الرّئيس ريغان، هي عبارة عن نُسخة من التّوراة مُوقَّعة من الرّئيس نفسه»[1].

وحينما لقي ابن ادوين ميس، المُدَّعي العامّ الأمريكي الأسبق، مصرعه في حادث سيَّارة في أوائل الثّمانينات، طَلَبَ الرّئيس ريغان أنْ تتمَّ زراعة أيكة من الأشجار في منطقة الخليل بالضّفَّة الغربيَّة المُحتلَّة، لتخليد ذكرى سكُوت، ابن ادوين ميس. وتولَّت هذه المجموعة المسيحيَّة الأُصُوليَّة جَمْعَ الأموال لهذا الغرض، وتمَّ زراعة الأيكة بواسطة مُنظَّمة السِّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة في (إسرائيل)، كما قام الصُّنْدُوق القومي اليهُودي بزراعة أيكة مُماثلة في مدينة القُدْس، بعد أنَّ التزمت المجموعة المسيحيَّة المذكورة بتغطية تكاليف هذه العمليَّة.

ولا يقتصر عمل هذه المجموعة على توريد الأموال إلى (إسرائيل)، بل يتعدَّاه إلى توفير فُرص التّدريب العسكري والتّقاني المُتقدِّم للإسرائيليِّيْن في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. ويتمُّ ذلك بواسطة زوج السَّيِّدة هرُوماس؛ واسمه الدُّكتُور ليس هرُوماس، الذي كان أحد كبار مُؤسِّسي شركة «تي. آر. دبليو لصناعة الكُمبيُوتر»، ويشغل - حاليَّاً - منصب مُدير قسم تقانة الفضاء في الشّركة المذكورة. ويتولَّى بنفسه دعوة قيادات عسكريَّة إسرائيليَّة، وتوفير فُرص تدريبيَّة لهم في شركته في كاليفورنيا، وإعطاءهم معلومات تقانيَّة حساسة سرِّيَّة[2].

ويقول اليهُودي المُنشقُّ تشارلز فشبين، «إنَّ رئيس طيَّاري التّجارب في شركة «نُورثرُوب للفضاء»، هُو صديق شخصي وحميم لأُسرة هرُوماس، ويعمل معها في خدمة الأغراض الإسرائيليَّة»[3].

وتتفرَّع من هذه المُنظَّمة مجموعة أُخرى تتَّخذ من ولاية كاليفورنيا مقرّاً لها تُسمِّي نفسها «مع الحُبِّ» **En Agape**، وتتمتَّع بصلات واسعة مع أوساط هُوليُوود وصناعة السِّينما[4]. ويُعتبَرُ الثّري كلينت يرشاسون صاحب فريق «دالاس كاوبوي» لكُرة القدم الأمريكيَّة، من أبرز قيادات ومُموِّلي هذه المجموعة.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

ويتمُّ توريد ملايين الدُّولارات إلى (إسرائيل) بعدَّة طُرُق؛ من بينها السِّفارة الإسرائيليَّة في واشنطن العاصمة، وكذلك بواسطة السَّيِّدة هرُوماس نفسها، التي تملك منزلاً في القُدْس، أو من خلال «بنك التُّراث الدّولي» في منطقة باثيسداي ولاية ميري لاند، وقد أُسِّس هذا البنك بواسطة الصّهيوني دُونالد وولب، الرّئيس الأسبق للمُنظَّمة الصّهيونيَّة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. ويُعتبَرُ هذا البنكُ المُؤسَّسةَ المصرفيَّةَ الأمريكيَّةَ الوحيدةَ التي لها فرع في (إسرائيل)[1].

مُنظَّمات وجماعات ضغط أُخرى:

يصعب حَصْرُ مُنظَّمات وجماعات الضّغط الصّهيونيَّة المسيحيَّة كافَّة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، فبعضها صغير الحجم من حيثُ الأعضاء والإمكانيَّات والنُّفُوذ، ويكتفي بعضها الآخر بأنشطة وأعمال تضامُنيَّة مع (إسرائيل) في المواسم الاجتماعيَّة أو السِّياسيَّة أو الدِّينيَّة، كما يتخصَّص بعضها في كتابة الرّسائل إلى الصُّحُف المحلِّيَّة في الولايات، وإلى مُمثِّلي مناطقه في المجالس التّشريعيَّة المحلِّيَّة والاتِّحاديَّة، بينما تُكرِّس جمعيَّات أُخرى نفسها لإلقاء المُحاضرات، وعَرْض الأفلام والشّرائح التّصويريَّة عن رحلات قادتها وأعضائها إلى فلسطين المُحتلَّة. كما تقوم جماعات أُخرى بتسيير التّظاهرات والمسيرات التّضامنيَّة مع (إسرائيل)؛ مثل مُنظَّمة «تاف» **TAV**، التي أخذت اسمها من الحُرُوف الأخيرة من ألف باء العبريَّة، وتُنظِّم هذه المُنظَّمة باستمرار مسيرات تضامن ودَعْم (لإسرائيل)، مثل مسيرة «التّضامن ليوم السّبت مع (إسرائيل)»، والتي قادَتْها ودَعَتْ إليها في واشنطن العاصمة في تشرين الثّاني/ نُوفمبر **1982**.

كما تنشط عناصر قياديَّة صهيونيَّة مسيحيَّة، من بين هذه المُنظَّمات الصّغيرة، داخل التَّجمُّعات الشّعبيَّة، في الأحياء والمُقاطعات، لدَعْم (إسرائيل). وتُعتبر مثل هذه الجماعات مُنظَّمات ذات جُذُور شعبيَّة، وتختلف في إعدادها وفي تأثيرها من جماعة إلى

---

(1) يُوسُف الحَسَن، اندماج: دراسة في العلاقة الخاصَّة بين الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة و(إسرائيل)، (القاهرة: دار المُستقبل العربي، 1968)، ص39.

أُخرى، لكنَّها تجتمع على التّأثير لمصلحة خَلْق وتعميق تعاطف العامَّة لدَعْم (إسرائيل) وحَركَتِها الصّهيونيَّة[1].

وتُصدر هذه المُنظَّمات الصّهيونيَّة المسيحيَّة، التي يُقدَّر عددها بأكثر من 250 مُنظَّمة، النَّشْرات الإخباريَّة، والمُلخَّصات المُركَّزة المُخصَّصة لدَعْم (إسرائيل) «تنفيذاً لرغبة الله»[2]. كما تُنظِّم الرّحلات الجماعيَّة إلى الأماكن المسيحيَّة المُقدَّسة في فلسطين المُحتلَّة. وتسوق السّندات الإسرائيليَّة، والمنتوجات الإسرائيليَّة، وتحثُّ أعضاءها على كتابة البرقيَّات والرّسائل وإرسالها إلى مُحرِّري الصُّحُف، وإلى الرّئيس الأمريكي، وأعضاء الكُونغرس نيابة عن (إسرائيل)، وخدمة لها[3].

ومن الأمثلة على هذه الجماعات والمُنظَّمات المُنتشرة في أنحاء الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة «اللّجنة المسيحيَّة الأمريكيَّة لأجل (إسرائيل)»، و«رابطة الصّهيونيَّة المسيحيَّة لدَعْم (إسرائيل)»، وجماعات «ليلة لتكريم (إسرائيل)»، إضافة إلى «رابطة الصّداقة الإسرائيليَّة الأمريكيَّة» **American-Israel Friendship League**، ومقرُّها في نيُو يُورك، ويضمُّ مجلس إدارتها أكثر من خمسين نائباً برلمانيَّاً، من أمثال جُوزيف أدابو، وجيرالدين فيرارو، التي رُشِّحتْ كنائبة لرئيس الجُمهُوريَّة الدِّيمُقراطي في انتخابات الرّئاسة لعام **1984**. وكذلك النّائب جاك كيمب، المُرشَّح للرّئاسة في انتخابات عام **1988**، فضلاً عن عدد من أعضاء مجلس الشُّيُوخ، أو حُكَّام بعض الولايات. وتُصدر هذه الرّابطة نَشْرة إخباريَّة باسمها، مُكرَّسة لخدمة أهداف (إسرائيل)، وتوسيع الدَّعْم والتَّفهُّم (لإسرائيل) وسط الأمريكيّين، وضمان «أنَّ العلاقات الإستراتيجيَّة والأخلاقيَّة والتّاريخيَّة مع (إسرائيل) مُستمرَّة وقويَّة»[4].

---

(1) كتاب "البُعْد الدِّيني في السِّياسة الأمريكيَّة تجاه الصّراع العربي - الصّهيوني": د. يُوسُف الحَسَن، ص 147، بإحالته إلى: **Routh W Mouly, "Zionism in American Premillenarian Fundamentalism"**؛ أيْ الصّهيونية في الأُصوليَّة الألفيَّة السّابقيَّة الأمريكيَّة، المنشور في مجلَّة **American Journal of Theology**؛ أيْ مجلَّة اللاّهوت الأمريكيَّة، (عدد سبتمبر، 1983)، ص 9.

(2) المصدر نفسه، ص9.

(3) المصدر نفسه، ص9.

(4) المصدر العربي نفسه، نقلاً عن:
American- Israel Friendship League News (New York), (July 1982).

يقول أحد أعداد نَشْرتها الإخباريَّة: إنَّ «مهمَّة كُلِّ أمريكي، يُحبُّ الحُرِّيَّة، ويخدم حُقُوق الإنسان، هي دَعْم (إسرائيل) وتحسين صُورتها في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة»[1]. وتُنظِّم هذه الرّابطة النّدوات والمُؤتمرات والدّورات التّدريبيَّة «لتطوير وتعميق قواعد فَهْم أفضل لحاجات وأهداف (إسرائيل)»[2].

ويُشير برنامج مُنظَّمة الصّهيونيَّة مسيحيَّة أُخرى تُسمَّى «وُسطاء لأجل (إسرائيل)»، **Intercessors for Israel**، إلى عقد «النّدوات والدّورات التّعليميَّة لأعضاء الكنائس»، وإقامة الصّلوات المُستمرَّة لمصلحة (إسرائيل) في المُدُن الرّئيسيَّة، وتنظيم الرّحلات إلى (إسرائيل)، وتعلُّم المُوسيقى والرّقص الإسرائيليَّيْن، ودَعْم بيت الأطفال التّابع لمُنظَّمة نساء «بناي بريث»؛ أيْ أبناء العهد، الصّهيونيَّة في القُدْس، وإرسال العرائض لدَعْم (إسرائيل)، إلى البيت الأبيض، وأعضاء الكُونغرس، وتدعيم حُرِّيَّة يهُود الاتِّحاد السُّوفياتي، وترتيب لقاء قيادات إسرائيليَّة وأمريكيَّة مع الصّحافة المسيحيَّة وبرامج الكنائس المرئيَّة[3].

ويقع مقرُّ هذه المُنظَّمة في مدينة كَنَساس، وتُطلق على نفسها تسمية «المُؤسَّسة القوميَّة لأصدقاء (إسرائيل) المسيحيِّيْن»[4].

وقد جرت التّحالفات بين اليمين المُحافظ السِّياسي في عهد إدارة الرّئيس رُونالد ريغان وبين الحَرَكَة الصّهيونيَّة المسيحيَّة، بهَدَف التّأثير المُشترك في اتِّجاهات السِّياسيَّة الأمريكيَّة داخليَّاً وخارجيَّاً، وأبرزها التّحالف المُسمَّى «الائتلاف الأمريكي للقيَم التّقليديَّة» **American Coalition for Traditional Values**؛ وهُو ائتلاف يُعبِّر في إطاره العامِّ عن الاتِّجاه المسيحي الأُصُولي، ويُمارس الضُّغُوط المُنظَّمة لمصلحة دَعْم (إسرائيل). وقد أسَّسَتْهُ عدَّة قيادات ومُنظَّمات مسيحيَّة أُصُوليَّة عام 1984، من بينها مُنظَّمة «الأغلبيَّة الأخلاقيَّة».

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر العربي نفسه، ص 149، نقلاً عن:

Intercessors for Israel 1983 programs (Kansas City), (A. Brochure).

(4) المصدر نفسه.

وقد ترأس القسّ "تيم لاهيه" T. Lahaye هذا التّحالف الذي يُصدر مجلّة دوريّة تُسمّى « صوت المسيحيَّة » Christian Voice ، تُوزِّع أكثر من مليون ومائتَيْ ألف نُسخة[1] .

ومن بين المُنظَّمات الصّهيونيَّة المسيحيَّة - أيضاً - مُنظَّمة « الكُونغرس المسيحي الوطني » The National Christian Congress ، وقد تمَّ إنشاؤها في عام 1980 ، بهدف توحيد المسيحيِّين من الطّوائف والمُنظَّمات كافَّة من أجل أمن الوطن القومي اليهُودي[2] ، وقد شارك في حفل إنشائها مُمثِّلون عن المُؤتمر الوطني للرُّهبان الكَاثُوليك ، والمجلس الوطني للكنائس . وتحدَّث في الحفل النّائب الجُمهُوري عن نيُو يُورك جاك كيمب ، الذي أعلن أنَّ إنشاء (إسرائيل) عام 1948 ، هُو إيفاء للنُّبُوءة التّوراتيَّة[3] .

(1) المصدر العربي نفسه ، نقلاً عن : Christian Science Monitor) 6 November 1984).

(2) المصدر العربي نفسه ، نقلاً عن :

Halsell, Prophecy & Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War, p 179.

(3) المصدر العربي نفسه ، نقلاً عن المصدر الأمريكي الأخير ، ص179 .

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللُّغة العربيَّة:

1 - البُعْد الدِّيني في السِّياسة الأمريكيَّة تجاه الصّراع العربي - الصّهيوني، الدُّكتُور يُوسُف الحَسَن، نَشْر مركز دراسات الوحدة العَرَبيَّة، ط3، بيرُوت، 2000.

2 - تاريخ الكَنيسة المسيحيَّة، نَقَلَهُ من اللُّغة الرُّوسيَّة إلى العَرَبيَّة مطران حمص وتوابعها: ألكسندروس، 1964.

3 - تفسير الكتاب المُقدَّس، جماعة من اللاَّهوتيِّيْن برئاسة الد. فرانسيس دافيد سن، بيرُوت، دار منشورات النّفير، ط1، 1988.

4 - سوسنة سُلَيْمَان في أُصُول العقائد والأديان، نوفل أفندي نوفل، طبع المطبعة الأمريكيَّة في بيرُوت، عام 1922.

5 - شُهُود يَهْوَه في الميزان، الأب جبرائيل فرح البُولُسي، المطبعة البُولُسيَّة، جُونية، لُبنان، 1969م.

6 - الشِّيَع المسيحيَّة نشأتها وتنظيماتها، بقلم جان م. صَدَقَة، بيرُوت، دار المشرق، ط1، 1990.

7 - عيسى يُبشِّر بالإسلام، البرُوفيسُور الدُّكتُور مُحمَّد عطاء الرّحيم (الهندي)، ترجمه إلى العَرَبيَّة الدُّكتُور فهمي الشّمَّا (الأُردني).

8 - الكتاب المُقدَّس، التّرجمة العَرَبيَّة الجديدة الكَاثُوليكيَّة المشرُوحة للكتاب المُقدَّس، التي قامت بها الرّهبانيَّة اليسُوعيَّة في بيرُوت، وَنَشَرَتها دار المشرق، بيرُوت، 1989.

9 - الكتاب المُقدَّس، الطّبعة البرُوتستانتيَّة التّقليديَّة القديمة، نَشْر جمعيَّة التّوراة البريطانيَّة والأجنبيَّة، طبع كامبريدج، بريطانيا العُظمى.

10 - الكتاب المُقدَّس، الطّبعة البرُوتستانتيَّة، نَشْر دار الكتاب المُقدَّس في الشّرق الأوسط، بيرُوت، 1984. (و هذه هي النُّسخة الأساسيَّة التي اعتمدتُ عليها).

11 ـ ما هي الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأُصُوليَّة؟ دراسة منشورة في كُتيِّب صادر عن مجلس كنائس الشّرق الأوسط، 1991.

12 ـ مُحاضرات في النّصرانيَّة، الأُستاذ مُحمَّد أبو زهرة، القاهرة، 1361 هـ ـ 1942م.

13 ـ المسيحيَّة والإسلام: (باللُّغة الرُّوسيَّة)، أليكسي جورافسكي، ترجمه للعَرَبيَّة خلف مُحمَّد الجراد، نَشْر المجلس الوطني للثّقافة والفُنُون والآداب ـ الكُويت ضمن سلسلة "عالم المعرفة"، (العدد 215)، 1996م.

14 ـ المُعجم الشّامل لمُصطلحات الفلسفة، د. عبد المُنعم الحنفي، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط3، 2000م.

15 ـ مُعجم الفلاسفة (الفلاسفة ـ المناطقة ـ المُتكلِّمون ـ اللاّهوتيُّون ـ المُتصوِّفون)، إعداد جُورج طرابيشي، دار الطّليعة، بيرُوت، 1997.

16 ـ المِلَل والنِّحَل: الشّهرستاني (مُحمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد) (548هـ)، بيرُوت: دار المعرفة، 1404 هـ، بتحقيق سيِّد مُحمَّد كيلاني.

17 ـ مُناظرة عَلَنيَّة مع شُهُود يَهْوَه، الأبَ جُورج عطيَّة، بيرُوت، منشورات دار النُّور، 1986.

18 ـ المُورمُون هل هُم مسيحيُّون؟ ميشيل جبرائيل، ط1، منشورات المكتبة البُولُسيَّة، بيرُوت وجُونية، لُبنان، 1997.

19 ـ الموسُوعة العربيَّة العالميَّة، نَشْر مُؤسَّسة أعمال الموسُوعة للنَّشْر والتّوزيع، المملكة العربيَّة السُّعُوديَّة، 1416 هـ/ 1996م.

20 ـ الموسُوعة العربيَّة، تصدر تباعاً عن هيئة الموسُوعة العربيَّة التّابعة لرئاسة الجُمهُوريَّة العربيَّة السُّوريَّة، دمشق.

21 ـ الموسُوعة الفلسفيَّة العَرَبيَّة، رئاسة تحرير: د. معن زيادة، نَشْر معهد الإنماء العربي، ط1، 1986.

22 ـ موسُوعة المورد، مُنير البعلبكي، دار العلم للملايين: بيرُوت، لُبنان، ط1، 1980.

المراجع باللُّغة الإنجليزيَّة:

1 - All in The Name of the Bible- Donald Wagner & Hassan Haddad, Amana Books 1986 .

2 - Augustus To Constantine, The Rise and Triumph of Christianity in The Roman World, Robert M. Grant (Harper & Row, San Francisco, 1990).

3 - ENCARTA Interactive Word Atlas (CD).

4 - ENCARTA Reference Suite 2001 (4 CDs).

5 - Encyclopedia Britannica, 2003. (4CDs)

6 - Encyclopedia of Religions & Ethics: edited by James Hastings, 1971, Edinburgh: T&T. Clark, UK .

7 - Good News Bible. Today's English Version. United Bible Societies. 1980.

8 - The Early Church, Henry Chadwick, (Penguin Books, London, 2nd Edition, 1990).

9 - THE KINDOM OF THE CULTS: Walter Martin. Bethany House Publishers. Minneapolis, Minnesota (U S A).